

الجزء الاول

المجلد الثاني والثلاثون

مَجْلَدٌ

الجميع العالمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ م

٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ هـ

مجلة
المجمع العالمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

مؤتمر المجامع اللغوية العلمية

أشرنا في العدد السابق من هذه المجلة^(١) إلى انعقاد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية في دمشق ، في التاسع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩٥٦ ، والمنا في كلمة مقتضية ، بأسباب عقده وبموضوع أبحاثه . وقد انفض هذا المؤتمر في الخامس من شهر تشرين الأول سنة ١٩٥٦ بعد أن قام بدراسة وافية لأكثر ما جاء في جدول أعماله ، وأقر توصيات 'يرجى أعظم الخير من تنفيذها' . وقد رغب إلينا كثير من القراء في إطلاعهم على ما ألتى في هذا المؤتمر من كلمات ، وما قدّم إليه من مذكرات ، فأثبتنا في هذا العدد ما نرجو أن ينفع غائبهم .

المؤتمر الاول

للمجامع اللغوية العلمية العربية

الفكرة والهدف

مذكرة أعدتها الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

حين عقد مؤتمر وزراء المعارف العرب بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٣ ، قدم إليه اقتراح « بإنشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء ، ويحل محل المجامع الاقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد ، ويكون من مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية » . وقد قرر مؤتمر وزراء المعارف في جلسته الثالثة في ١٠ / ١٢ سنة ١٩٥٣ إحالة هذا الاقتراح الى المكتب الدائم للجنة

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء ٤ المجلد ٣١ (سنة ١٩٥٦) ص ٦٨٧ وما يتلوها .

الثقافية لجامعة الدول العربية لدراسته ، والتقدم بنتيجة بحثه الى اللجنة الثقافية في دورتها التالية . ثم وافق مجلس الجامعة على هذا القرار في دورته العشرين بتاريخ ٢٦ / ١ / ١٩٥٤ .

وقد عرضت الادارة الثقافية هذا الاقتراح على المكتب الدائم للجنة الثقافية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٩٥٤ فقرر :

« صرف النظر عن هذا الاقتراح نظراً لأن المجامع العلمية الموجودة في القاهرة ودمشق وبغداد متعاونة مع بعضها ، ولأن بعض أعضائها يشترك في أكثر من مجمع واحد منها ، كما أن الجامعة العربية بصدد إنشاء اتحاد علمي عربي ، يهدف الى جمع شمل العلماء والهيئات العلمية في البلاد العربية بما يؤدي الى تنشيط الحركة العلمية فيها . »

وقد تداولت الادارة الثقافية في الموضوع مع بعض ذوي الرأي من أعضاء المجامع العلمية العربية ، فكان الرأي المفضل هو تعدد هذه المجامع ، وتشجيع البلاد العربية ، التي لا يوجد فيها مجمع علمي ، على إنشائه في أقرب وقت مستطاع ، وبكون عمل هذه المجامع بحث ما يتصل باختصاصها من موضوعات محلية ، على أن تعقد مؤتمرات دورية للمجامع اللغوية العلمية العربية ، لتستطيع تنسيق أعمالها فيما بينها ، منعاً لازدواج العمل من غير طائل ، ولتنظر في الموضوعات العربية المشتركة وتتخذ فيها قرارات موحدة .

ثم عرض الأمر كله على اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها التاسعة التي عقدت في جدة في يناير ١٩٥٥ ، فالتحذت التوصية التالية :

أ (نظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية العربية منذ نشأتها قد أظهرت حرصاً محموداً على تمثيل الأكتفاء من جميع البلاد العربية فيها ، فتوصي اللجنة بمزيد من العناية بهذا التمثيل بحيث يضم كل مجمع منها فئة صالحة من هؤلاء الأكتفاء في جميع البلاد العربية .

ب) ونظراً لأن من الخير أن تتعاون الجامعات اللغوية والعلمية العربية تعاوناً منتظماً على ترقية اللغة والمحافظة على سلامتها مع مساهمتها للحياة ، فتوصي اللجنة بأن تعمل الجامعة العربية على عقد مؤتمرات دورية بين هذه الجامعات للتداول وتبادل الرأي في نشاط كل واحد منها والتقريب بين نتائج هذا النشاط .

ج) ونظراً لأن الجامعات اللغوية والعلمية القائمة الآن تختار من بين الأكفيا العرب أعضاء مراسلين ، وأن من الخير أن يشارك هؤلاء الأعضاء في أعمال تلك الجامعات بقدر الامكان ، وفيما تعقد هذه الجامعات من المؤتمرات ، كالمؤتمر السنوي للمجمع اللغوي المصري ، فتطلب اللجنة الى الجامعة العربية أن توصي الحكومات العربية بمعاونة الأعضاء المراسلين ، وتيسير أسفارهم وإقامتهم ليشتركوا في هذه المؤتمرات .

وقد وافق على هذه التوصية مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في مارس سنة ١٩٥٥ (قرار رقم ٩٥٩) .

وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية - تنفيذاً لهذه التوصيات والقرارات ، وتحقيقاً للفكرة المنشودة - بدعوة الجامعات الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد الى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع ، وبدعوة الدبل العربية - التي لا يوجد فيها مجمع - الى تأسيس مجمع في أقرب وقت مستطاع ، على أن توفد كل دولة منها مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية والعلمية العربية الذي يعقد في ٢٩ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق .

مشروع جدول الأعمال

لمؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية

كانت الإدارة الثقافية قد أعدت المشروع التالي لجدول أعمال المؤتمر ،
بعد أن استشارت المجامع الثلاثة . وقد أقره المؤتمر ونصّله ، في أول جلسة له ،
واضطلعت لجانه بدراسة مواده مفصلة .

أما المشروع فهو :

- ١ (النظر في تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع اللغوية العلمية العربية .
- ٢ (بحث ما وصلت اليه المجامع الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية ،
وتبسيط قواعدها ، وتيسير كتابتها .
- ٣ (الاتفاق على خطة موحدة لدراسة الموضوعات التالية والاشتراك في تنفيذها :
 - أ - الترجمة من العربية واليهي .
 - ب - تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .
 - ج - نشر ما يتقرر من المصطلحات العلمية .
 - د - تحقيق ونشر المخطوطات العربية .
 - هـ - تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .
 - و - الفصحى والعامية .
 - ز - الخط العربي .
- ٤ (مايجد من اقتراحات :

- | | |
|---|---|
| اقتراح قدمه
المجمع العلمي العراقي | { أ - دراسة وسائل إصلاح لغة الاذاعات
ودواوين الحكومات في البلاد العربية . |
| اقتراح قدمه
معالي وزير المعارف
في الجمهورية السورية | { ب - البحث في إمكانية إنشاء مجمع لغوي
عربي واحد يلحق بالجامعة العربية .
ج - البحث في وضع قاموس عربي واحد يكون مرجعاً
لأبناء الضاد بغية توحيد الألفاظ واللهجات . |

أعضاء المؤتمر ولجانه

إدارة المؤتمر :

أقيم مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية تحت رعاية صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية .

انتخب معالي وزير المعارف السورية الدكتور عبد الوهاب حومد رئيساً للمؤتمر ، كما انتخب نواباً للرئيس معالي الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي ، ومعالي الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، والدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع العلمي العراقي . ووافق أعضاء المؤتمر على اقتراح قدمه الدكتور طه حسين بأن يكون نائب الرئيس العامل ، في غياب الرئيس ، هو الأستاذ خليل مردم بك رعاية للجهد الكبير الذي قام به سيادته والمجمع العلمي العربي في خدمة اللغة العربية وفي الإعداد لهذا المؤتمر .

ألف مكتب المؤتمر من الأمير جعفر الحسيني أمين سر المجمع العلمي العربي والأستاذ عبد المادى هاشم مدير دار الكتب الوطنية (الظاهرية) بدمشق والدكتور ناصر الدين الأسد من الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية والأستاذ ياسين الخالنجي رئيس ديوان المجمع العلمي العربي .

وفود المؤتمر :

وفد الأمانة العامة لجامعة الدول العربية :

الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية
الدكتور رفيف أبي المع الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية

الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات
الدكتور ناصر الدين الأسد مندوب الإدارة الثقافية والسكرتير الفني للمؤتمر

وفد مجمع اللغة العربية في القاهرة :

الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع
الأستاذ إبراهيم مصطفى
الأستاذ أحمد حسين الزيات

وفد المجمع العلمي العراقي :

الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع
الدكتور جواد علي أمين السر العام للمجمع
الدكتور مصطفى جواد

وفد المجمع العلمي العربي في دمشق :

الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع
الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع
الأمير جعفر الحسني أمين سر المجمع
الأستاذ فارس الخوري
الدكتور مرشد خاطر
الدكتور منير العجلاني
الأستاذ شفيق جبري
الأستاذ عارف النكدي
الدكتور أسعد الحكيم
الأستاذ محمد بهجة البيطار
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الدكتور حسني سببح
الدكتور جميل صليبا
الأستاذ عز الدين التتوخي
الدكتور حكمة هاشم
الدكتور سامي الدهان

مراقبو الدول العربية التي لم يؤسس فيها مجمع :

المملكة الأردنية الهاشمية	الأستاذ علي حسن عودة
المملكة العربية السعودية	الأستاذ قدري حافظ طوفان
الجمهورية اللبنانية	الأستاذ خير الدين الزركلي
المملكة الليبية المتحدة	الشيخ عبد الله العلابلي
المملكة التونسية	الأستاذ نور الدين الشلبي
	الأستاذ أحمد عبد السلام

هذا وقد أوفدت منظمة (البونسكو) السيد شفيق الشماس لحضور هذا المؤتمر ممثلاً لها .

لجان المؤتمر

(١) لجنة الصياغة :

- ١ - الأستاذ محمد بهجة الأثري - عن المجمع العلمي العراقي
- ٢ - الأستاذ أحمد حسن الزيات - عن مجمع اللغة العربية في مصر
- ٣ - الدكتور جميل صليبا - عن المجمع العلمي العربي
- ٤ - الدكتور صلاح الدين المنجد - عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

(٢) لجنة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجمع العربية :

أ - موضوعاتها :

- ١ - ماهي الوسائل التي يجب الأخذ بها لتنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال .

- ٢ — تأسيس اتحاد للمجامع العلمية العربية تكون له اجتماعات دورية .
 - ٣ — علاقة المجامع العلمية بوزارات المعارف .
 - ٤ — علاقة المجامع العلمية بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
 - ٥ — تخصص المجامع العلمية العربية في بعض الموضوعات دون بعض .
- ب—أعضاؤها :

- ١ — الأستاذ خليل مردم بك
- ٢ — الدكتور طه حسين
- ٣ — الدكتور رثيف أبي اللمع
- ٤ — الدكتور منصور فهمي
- ٥ — الأستاذ محمد بهجة الأثري

٣) لجنة دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية :

أ— موضوعاتها :

- ١ — بحث ماوصلت اليه المجامع العلمية الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية .
- ٢ — تبسيط قواعد اللغة العربية .
- ٣ — الخط العربي .
- ٤ — تيسير كتابة اللغة العربية .
- ٥ — الفصحى والعامية .
- ٦ — ما هو عمل وزارات المعارف والمجامع العلمية في تحقيق ذلك .
- ٧ — إصلاح لغة الدواوين والإذاعة (اقتراح العراق) .

ب—أعضاؤها :

- ١ — الدكتور عبد الوهاب حومد
- ٢ — الدكتور طه حسين
- ٣ — الأستاذ ابراهيم مصطفى
- ٤ — الأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٥ — الأستاذ محمد بهجة الأثري
- ٦ — الدكتور مصطفى جواد
- ٧ — الأستاذ عارف النكدي
- ٨ — الأستاذ محمد بهجة البيطار

- ٩ — الأستاذ عز الدين التنوخي
١٠ — الأستاذ علي حسن عودة
١١ — الشيخ عبد الله العلايلي
١٢ — الأستاذ نور الدين الشامي
١٣ — الأستاذ أحمد عبد السلام

٤ (لجنة تشجيع الترجمة والتأليف :

أ — موضوعاتها :

- ١ — الترجمة من العربية واليهما .
٢ — تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .
٣ — تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .
٤ — حركة الترجمة في البلاد العربية والدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة المعنية بذلك .
٥ — تنسيق الأعمال بين البلاد العربية في ميدان الترجمة في سبيل التعاون المثمر واتقاء تعدد الترجمات للأصل الواحد .

ب — أعضاؤها :

- ١ — الدكتور طه حسين
٢ — الدكتور رؤيف أبي اللمع
٣ — الدكتور جواد علي
٤ — الدكتور منير العجلاني
٥ — الدكتور جميل صليبا
٦ — الدكتور حكمة هاشم
٧ — الأستاذ خير الدين الزركلي
٨ — الأستاذ أحمد عبد السلام

٥ (لجنة المصطلحات العلمية :

أ — موضوعاتها :

- ١ — طرائق وضع المصطلحات العلمية وضبطها وكيفية توحيدها .
٢ — وسائل نشر ما يتقرر من المصطلحات العلمية .
٣ — وضع معجم أعجمي — عربي للمصطلحات العلمية .

ب — أعضاؤها :

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| ١ — الدكتور رثيف أبي اللمع | ٢ — الدكتور جواد علي |
| ٣ — الأمير مصطفى الشهابي | ٤ — الدكتور مرشد خاطر |
| ٥ — الدكتور أسعد الحكيم | ٦ — الدكتور حسني مبيع |
| ٧ — الدكتور جميل صليبا | ٨ — الأستاذ قدري حافظ طوقان |
| ٩ — الشيخ عبد الله العلايلي | ١٠ — السيد شفيق شماس |

٦) لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها :

أ — موضوعاتها :

- ١ — إحصاء عام بالمخطوطات العربية التي لم تنشر بعد .
- ٢ — وسائل نشر أفضل المخطوطات العربية .
- ٣ — طرائق تحقيق المخطوطات العربية .
- ٤ — معهد المخطوطات العربية .

ب — أعضاؤها :

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| ١ — الأستاذ خليل مردم بك | ٢ — الأستاذ محمد بهجة الأثري |
| ٣ — الأستاذ إبراهيم مصطفى | ٤ — الدكتور مصطفى جواد |
| ٥ — الأستاذ خير الدين الزركلي | ٦ — الأمير جعفر الحسيني |
| ٧ — الدكتور صلاح الدين المنجد | |

برنامج المؤتمر

يوم السبت في ٢٩ / ٩ / ١٩٥٦

- | | |
|----------------|---|
| الساعة ١٠ | اجتماع تعارف في المجمع العلمي العربي بدمشق . |
| الساعة ١١ | التسجيل في القصر الجمهوري . |
| الساعة ١١ و ٣٠ | زيارة دولة رئيس المجلس النيابي . |
| الساعة ١٢ | زيارة دولة رئيس مجلس الوزراء . |
| الساعة ١٢ و ٣٠ | زيارة معالي وزير المعارف . |
| الساعة ١٨ | حفلة افتتاح المؤتمر في مدرج الجامعة السورية . |

برنامج حفلة الافتتاح :

- ١ — كلمة نخامة رئيس الجمهورية السورية .
 - ٢ — كلمة معالي وزير المعارف السورية .
 - ٣ — كلمة اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية : الدكتور طه حسين .
 - ٤ — كلمة وفد مجمع اللغة العربية في مصر : الدكتور منصور فهمي .
 - ٥ — كلمة وفد المجمع العلمي العراقي : الأستاذ محمد بهجة الأثري .
- المعرف : الأستاذ عبد الهادي هاشم

يوم الأحد في ٣٠ / ٩ / ١٩٥٦

- | | | | |
|--------------------------------|---|---------------|---|
| في مقر
المجمع العلمي العربي | { | الساعة ٩ و ٣٠ | جلسة عامة يحضرها جميع الأعضاء تليها |
| | | | ندوة عامة تليها بعض الأبحاث |
| | | الساعة ١٢ | اجتماع اللجان (عند اللجنة تحقيق المخطوطات ونشرها) |
| | | الساعة ١٦ | اجتماع لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها |

برنامج الجلسة العامة :

- ١ — انتخاب رئيس المؤتمر وأربعة نواب للرئيس .
- ٢ — انتخاب لجنة الصياغة .
- ٣ — إقرار جدول الأعمال .
- ٤ — تأليف اللجان .

ملاحظة :

يرأس الجلسة العامة الأولى أكبر الأعضاء سنًا إلى أن يتم انتخاب رئيس المؤتمر . ويلقي الرئيس بعد انتخابه كلمة عامة يبين فيها ما يلي :

الغرض من المؤتمر ، تنظيم أعمال المؤتمر ، شرح جدول الأعمال .

أبحاث الندوة :

- أ — مجمع اللغة العربية بمصر بين الفصحى والعامية : للأستاذ أحمد حسن الزيات .
- ب — الفصحى والعامية : للأستاذ عارف النكدي .

يوم الاثنين في ١ / ١٠ / ١٩٦٦

في مقر المجمع العلمي العربي	}	الساعة ٩ و ٣٠ — ١١ و ٣٠ ندوة تلقى فيها بعض الأبحاث
		الساعة ١٢ — ١٣ و ٣٠ اجتماع اللجان الثلاث الأولى
		الساعة ١٦ — ١٨ اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)

الساعة ١٩ محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور
منير العجلاني وموضوعها: أثر اللغة العربية في وحدة الأمة .

أبحاث الندوة :

أ - تصنيف معجم عربي - انجليزي - فرنسي في المصطلحات العلمية : للأخير مصطفى الشهابي .

ب - الكتابة العربية : للدكتور منصور فهمي .

ج - وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها: للدكتور مصطفى جواد .

يوم الثلاثاء في ٢ / ١٠ / ١٩٥٦

في مقر المجمع العلمي العربي	الساعة ٩ و ٣٠ - ١١ و ٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى
	الساعة ١٢ - ١٣ و ٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى
	الساعة ١٦ - ١٨	اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)

الساعة ١٨ و ٣٠ محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور
طه حسين ، وموضوعها : اللغة الفصحى وتعليم الشعب .

يوم الأربعاء في ٣ / ١٠ / ١٩٥٦

في مقر المجمع العلمي العربي	الساعة ٩ و ٣٠ - ١١ و ٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى
	الساعة ١٢ - ١٣ و ٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى
	الساعة ١٦ - ١٧ و ٣٠	اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)

الساعة ١٨ و ٣٠ محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور

منصور فهمي ، وموضوعها : مجمع مصر واللغة العربية .

الساعة ١٩ و ٣٠ اجتماع لجنة الصياغة .

ملاحظة :

تنتهي اللجان في هذا اليوم من وضع توصياتها ومقترحاتها ، على أن تقدم الى مكتب المؤتمر قبل الساعة ١٨ .

يوم الخميس في ٤ / ١٠ / ١٩٥٦

الساعة ١٠ و ٣٠ جلسة عامة لإقرار التوصيات والمقترحات
الساعة ١٨ الحفلة الختامية
المجمع العلمي العربي في مقر

برنامج الحفلة الختامية :

- ١ - كلمة رئيس المؤتمر .
- ٢ - كلمة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٣ - كلمة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٤ - كلمة المجمع العلمي العراقي ببغداد .
- ٥ - كلمة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

حفلة افتتاح المؤتمر الاول

للمجامع اللغوية العالمية العربية

افتتح مؤتمر المجامع اللغوية العالمية ، في الساعة السادسة من بعد ظهر السبت في ٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، بكلمة ألقاها صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، ثم وليه معالي وزير المعارف السورية الدكتور عبد الوهاب حومد ، فمعالي رئيس اللجنة الثقافية الدكتور طه حسين ، فكانت سر مجمع اللغة العربية في مصر الدكتور منصور فهمي ، وكانت كلمة الختام لنائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري . وثبتت في هذه الصفحة وما يتلوها نص الكلمات الملقاة .

كلمة فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي

أيها الأساتذة المحترمون

إنه لمن بواعث الاعتزاز والفخر ، لهذه العاصمة العربية ، أن تكون هذا الأسبوع مع علماء اللغة والبيان ، كما كانت في الأسبوع الفائت ، مع الأدباء ورجال الفكر ، ملتقى أبناء العروبة الأخيار ، يتوفرون على قضاياهم بالبحث والدرس والمعالجة السديدة ، وينتهون الى مقررات ونتائج مباركة بعم خيرها الأمة العربية ، واصله تليدها بطريقتها ، وحاملة للأجيال مشاعل النهوض والإشراق . إن هذه الأمة العربية بأعجادها ، الحافلة بما آثر الإبداع في تاريخها ، الطامحة الى مستقبل يحلها مكانتها المرموقة ، في هذا العالم الذي منجمته حضارة من أبنع

الحضارات وأرفعها ، لتعول كل التعويل عليكم أنتم ، وعلى جميع المخلصين الصادقين في أي حقل عملوا ، وفي أي ميدان جالوا ، من ميادين العلم والعمل . فالنهضة الكبرى التي غدت تنمض حياتنا من شتى جوانبها ، ويقوم لها بين أيدينا ألف دليل ودليل ، إنما هي بناء مشترك تتضافر عليه القوى الروحية والفكرية والطاقات المادية على السواء ، فلا ينهض ركن إلا على قاعدة ، ولا يرتفع صرح إلا على أساس وفكرة وعقيدة . واللغة العربية كما تعلمون أيها الأساتذة الأجلاء ، يجب أن تكون روح هذه النهضة الشاملة وقاعدتها ، كما كانت بالأمس ، وكما أراد الله تعالى أن تكون ، لغة الوحي والتنزيل الحكيم ، ورسالة الهدى والحق والصلاح للناس أجمعين .

ولقد صانت هذه اللغة الخالدة عربيتنا ، وحفظت وحدتنا ، وقارعت الغاصبين والطغاة في كل حي من أحياء العرب ، قرونًا وأجيالاً ، ومشت إلى جانب نضالنا القومي خطوة خطوة ، وهدفاً هدفاً ، وناجزها الاستعمار العدا ، يوم شعر بخطر سيادتها وسلطانها ، فحاول إقناع معاقلها ، وإذلال مناعتها ، وتهوين شأنها ، وتغليب العجمة عليها ، فكانت تجد في كل زمان ومكان ، رجالها اللدائدين عنها ، المناهضين عن صحتها وسلامتها . وإنا اليوم لعلى يقين من أننا واجدون في هذه الجامعات العلمية العربية التي تتنادى إلى مؤتمرها هذا ، خير من يستطيع أن يعمل في سبيل تعزيز شأن هذه اللغة ، ودفعها إلى المجالات الفسيحة حيث يجب أن تلتقي مع حاجات العصر وتطور الزمان ، بما تميزت به من سعة ومرونة ، وطاقة وقوة وبيان .

إنه ليسعدني أيها الأساتذة الأفاضل أن يكون لي شرف الكلمة في افتتاح مؤتمركم هذا ، وإني لعلى ثقة من أن أعمالكم ، في كل ما من شأنه تعزيز مجامعكم وتعاونها ، ونشر إنتاجها وتعميم نفعه ، ستكون جديرة بشرف الغاية التي من أجلها تجتمعون ، فليبارك الله أعمالكم ، والسلام عليكم .

كلمة وزير المعارف السورية
معالي الدكتور عبد الوهاب حومد

سيدي فخامة الرئيس
حضرات المؤتمرين الأجلاء

بالأمس اختتم مؤتمر الأدباء العرب جلساته ، في بلودان ، واليوم نفتتح ،
باسم الله ، أول مؤتمر للمجامع اللغوية العربية ، في العاصمة السورية . وإنها
لمصادفة رائعة أن يبدأ رجال اللغة أعمالهم ، فور انتهاء رجال الخيال من أعمالهم ،
ونشر مقرراتهم وتوصياتهم .

وفي بقيتي ، أن المهتمين متكاملتان ، فليس أدباً ، المعنى الرقيق المشرق ،
إذا كان ثوبه مهمللاً وسبكه ضعيفاً ، وليس أسلوباً ، المباني اللفظية الجامدة ،
ولو حسن رصفها واستقامت جملها . . . فمن الأسلوب والمعنى معاً ، تتكون
قيمة الأديب أو الشاعر الفنية .

ولكن لغة دوراً غير دورها في الأدب . إنها أداة للتعبير عما يحتاج العقل ،
والعاطفة ، والحواس . ولذلك كانت أداة الحياة الفكرية واليومية بشتى أنواعها
وصورها . وهذا الشحول ، في دورها الحيوي والاجتماعي ، يعتبر تعبيراً قوياً
عن أهمية هذا المؤتمر وعن الرسالة العظيمة الملقاة على كواهل حضرات المؤتمرين .
ولقد أحسنت الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ، بتوجيه الدعوة لعقد هذا
المؤتمر ، فعملت على تسهيل الاتصال بين المجامع العربية ، ليعمل أعضاؤها على
دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية ، وتشجيع الترجمة والتأليف ،

وبحث المصطلحات العلمية ، وتحقيق المخطوطات ونشرها . وهذه مجموعة ضخمة من المعاني الشاقة ، لها أعظم الأثر في ماضي لغتنا وحاضرنا ومستقبلها . ولكنني أحب أن أُلح على أمر هام في نظري هو أمر اللغة بذاتها . فاللغة ، ككل كائن حي ، تتطور ، متأثرة بتطور أساليب الحياة ، وهي في هذا مدعوة الى أن تقبل التجديد والتجديد لتظل أداة واعية ، واقعية ، كافية . وقد وجهتُ منذ شهرين ، رسالة الى وزراء المعارف في البلاد العربية ، طلبتُ فيها العمل على دراسة الوسائل المؤدية الى تحقيق الأغراض التالية :

أولاً — إيجاد طريقة للكتابة ترسم فيها الألفاظ بصورة صحيحة ، لأن على قارئ لغتنا أن يفهم ليقرا ، مع أن الأصل أن يقرأ المرء لكي يفهم . وهكذا تظل بعض كلمات ، نتعلمها في صغرنا ، مغلوطة ، وكثيراً ما يظل غلطها بلازمنا في كبرنا ، حتى ولو صححت لنا .

ثانياً — تبسيط قواعد الصرف والنحو ، لتخرج اللغة عن كونها علماً من العلوم الشاقة ، لا تتفتح مغاليقه ، إلا لنفر مصطنع ، من ذوي الصبر الطويل ، على ألا يعطل هذا التبسيط عبقرية العربية ، التي جمعت تاريخنا ، وحفظت أجدادنا وطبعتنا بطابعنا الخاص بنا ، بين الأمم الحية .

ثالثاً — إمكانية وضع معجم موحد ، يأخذ من القديم ، ما صقلته الأيام ، وما نحن في حاجة اليه ، كما يأخذ من الحياة ، ما فرضته علينا الضرورة ، بعد تعريبه وصقله ، ليكون مرجع المراجع ، وحجة المحتج . وقد استجاب لهذه الرغبة وزراء معارف مصر والعراق واليمن ، كما رحبت بها الأمانة العامة للجامعة العربية .

وما أنا ذا أضع بين أيديكم مشاكلنا ، لتجدوا لها الحلول التي نرتوئونها . وليس من شك ، في أن اللغة عنصر أساسي في تكوين القومية ، ونحب أن

يمكن هذا العنصر الأسامي ، من القيام بأداء عمله على وجه صحيح حاسم ،
فعملكم إذن عمل قومي بناء .

ولا بد من الإشارة الى أننا ننظر نظرة فيها كل الحذر والجزع الى اللغة
العامة ، ونعتبر تعهدنا ورعايتها ، في أي قطر من الأقطار العربية ، خطراً
يهدد تراثنا وحاضرنا ، ونرى من واجب الحكومات أن تكافحها وهي في
المهد ، قبل أن يستفحل شرها .

إن المهمة شاقة عسيرة ، ولكن لا بد من مواجهتها ، عاجلاً أو آجلاً ،
واني ، وأنا أجيل الطرف بين المؤتمرين ، فأرى فيهم النخبة الممتازة من فحول
اللغة ، وسادة البيان ، وجبايرة العقول ، لأشعر بثقة وارتياح ، حين أضع بين
أيديكم مشكلة من أدق وأصعب مشكلاتنا ، لعلكم تجدون الحلول المعقولة ،
وبذلك تقدمون لأممكم العربية أجل خدمة ، وتنقذون الأجيال الصاعدة من
أكبر الصعوبات ، وانكم لقادرون على حمل العبء ، وأكفاء لأداء الرسالة ،
والله سبحانه أسأل ، أن يأخذ بيدكم ، ويجعل التوفيق حليفكم ، ومرحباً بكم
في قومكم وبلادكم .

كلمة رئيس اللجنة الثقافية في الجامعة العربية

معالي الدكتور طه حسين

سيدي فخامة الرئيس

لفخامتكم والحكومة السورية الرشيدة وللشعب السوري العظيم ، أقدم أصدق الشكر وأعظمه ، وأخلصه وأصفاه ، لهذه الضيافة الكريمة التي يلقاها كل عربي حين يصل الى هذه البلاد الكريمة . وأقدم هذا الشكر بنوع خاص لفخامتكم ، وأعتقد أن كل عربي إنما ينظر اليكم على أنكم الممثلون أروع تمثيل وأصدق وأرقاء لشعب عظيم كهذا الشعب السوري ، الذي تحبه كل القلوب العربية وتهوي إليه . واني لأسعد الناس حين يتاح لي هذا الشرف العظيم بأن أهدي إلى فخامتكم وإلى حكومتكم وإلى الشعب السوري كله ، تحية الجامعة العربية ، وتحية أمانتها العامة . وما أرى إلا أني أهدي تحية العرب إلى موطن العروبة ، وأهدي تحية العرب كما ينبغي أن يكونوا ، إلى الوطن العظيم الذي هو أجدرا الأوطان العربية بأن يكون موئل العروبة وحاميتها ، والذي يرجع إليه كما اشتاقت نفوسنا وعقولنا إلى أن ترى العرب والعربية القديمة التي نحيا ونكاف بها ، كما أرادت أن تراها حية تملأ الأسماع وتملأ العقول والقلوب بهجة وروعة وجمالاً .

ولا بد من أن يرد الحق إلى أهله ، ولا بد من أن استأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد هذا المؤتمر ، وأول تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، وكان الفضل فيه لممثل سورية العظيمة ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي هاشم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، وكنا نجتمع في جدة ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه الفكرة ،

ولا غرابة في هذا ، فما رأيتُ إلى اليوم على طول ما عاشتُ السوريين ، وعلى كثرة من لقيتُ منهم في سورية وفي خارج سورية ، في البلاد العربية وفي خارج البلاد العربية ، ما رأيتُ أحداً كالسوريين لا ينسى العروبة ومجد العروبة ومستقبل العروبة . ما رأيتُ أحداً كالسوريين يذكر هذا دائماً ويستصعبه في حله وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوم لكل عقل سوري ، وجزء مقوم لكل قلب سوري ، وجزء مقوم لكل ذوق سوري أيضاً . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في مصدر التفكير فيه ، في دمشق مهد العروبة وعاصمتها ، عاصمتها العظمى ، عاصمتها الصافية التي صفت فيها العروبة من كل شائبة ، وخلصت فيها العروبة للعرب ، لم يشاركهم فيها أجنبي ، ولم يزاحمهم عليها دخيل من أي مصدر من المصادر ، لم يكن بد من أن تؤدي الحق إلى أهله ، ومن أن يكون تفكيرنا في عقد هذا المؤتمر متجهاً قبل كل شيء إلى مكان انعقاده ، وأن تكون دمشق الحبيبة إلى قلوبنا جميعاً هي أول موطن لهذا المؤتمر ، ومن بدري ، لعل الأيام ولعل التجربة التي سنمارسها في هذه الأيام القليلة أن تجعل مدينة دمشق خير مركز دائم لاجتماع هذه المؤتمرات التي ستكون بين المجامع العربية . وهناك مزية خاصة لدمشق ، فمجمعها العلمي الموقر هو أول المجامع العربية وجوداً ، وأشدّها نشاطاً ، وأخصبها إنتاجاً ، وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة ، وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم ، نتخذه في كل هذه الأشياء مثلاً ونموذجاً ، ونطمح في أن نسير في أثره ، ونطمح في أن نصنع صنيعه ونقتدي برجالائه من زعماء العروبة وأعلام البيان . وفضل هذا المجمع ليس عظيمًا على العالم العربي وحده ، ولكنه عظيم على كل الذين يُعَنَوْنَ باللغة العربية في بلاد العرب وخارج بلاد العرب ، في أوروبا وفي أمريكا ، فليس هناك مستشرق يعنى باللغة العربية يستطيع أن يستغني عن هذه النتائج الخطيرة لهذه الجهود الخصبية التي يبذلها أعلام العربية

في مجمع دمشق العلمي . وله علينا نحن في مصر فضل عظيم ، معها ثقل فلان
نؤدي حقه من الشكر والاعتراف بالجميل ، فنذ وجد جمعنا اللغوي شارك فيه
أعضاء من مجمع دمشق ، شارك فيه أساتذة كرام ، سبق بعضهم الى جوار الله
عن وجل ، وبقي بعضهم ، وسيُضاف إلى من بقي منهم سادة آخرون من هؤلاء
العلماء أطال الله بقاءهم ، وأعانهم على ما يبذلون من الجهد . وإني لأنتهز هذه
الفرصة فأذكر في كثير من الحب ، وفي كثير من الوفاء ، وفي كثير من
الإخلاص والشكر ، أذكر زميلين عظيمين من مجمع دمشق ، أعانانا وشاركا
في أعمالنا في المجمع اللغوي المصري ، وهما الأستاذان الجليلان رحمهما الله
محمد كرد علي وعبد القادر المغربي ، إلى روحيهما الكريمين أهدي باسم المجمع
اللغوي المصري ، وباسم العروبة كلها ، أصدق التحية ، وأسأل الله أن يشملهما
برحمته وروحه .

أما بعد ، فيا صاحب الفخامة ، عندما فكرت الجامعة العربية ولجنتها الثقافية
وإدارة الثقافة فيها في عقد هذا المؤتمر ، فكرت وهي تشعر بأنه سيجد من فخامتكم
ومن الشعب السوري رعاية لا تعدلها رعاية ، فأنتم حماة العروبة ، وأنتم العاطفون
عليها ، الناهضون بأنقالها ، المجاهدون في سبيلها ، وقد تفضل صاحب المعالي
وزير المعارف ، وذكر بعض المشكلات التي تعرض في اللغة العربية الآن ،
وأقول المشكلات ، ولا أقول الأخطار ، إشاراً ، للقصد ، وإن كنت أومن
في أعماق نفسي بأن اللغة العربية لم تتعرض قط لخطر كهذا الخطر الذي
تعرض له الآن ، هي قد قهرت كثيراً من المشكلات التي عرضت لها ،
وقهرت جهوداً ضخمة للمستعمرين في العصور القديمة وفي العصور الحديثة ، لم يستطع
سلطان الفرس ولا سلطان الترك ولا سلطان الأوربيين أن يقضي عليها . وإنما خرجت
من هذه العمرات كلها ظافرة منتصرة ، وهي الآن تتعرض لخطر لا يأتيها من
الأجنبي وحده ، وإنما يوشك أن يأتيها من بعض أبنائها الذين يقصرون في درسها ،

ويقصرون في تقريبها إلى العقل الحديث ، ويقصرون في تمكينها من أن تكون لغة للتعليم العام الذي فرض على الشعب كله ، بعد أن كان التعليم لا يتاح إلا لقلّة قليلة من الناس ، والذين يفرضون التعليم العام على الشعب كله ويرونه واجباً يعاقب من قصر فيه ، يجب أن يتخذوا إلى هذا التعليم العام وسائله ، وأول هذه الوسائل وأقواها وأبقاها وأفومها وأشدّها خطراً إنما هي اللغة . فإذا لم نتح لانتنا العربية الفصحى أن تكون حقاً لغة التعليم ، ولغة التعليم الشعبي الذي يفرض على كل إنسان ، لم نقصر في ذات اللغة وحدها ، وإنما قصرنا في ذات الأمة العربية كلها ، وقصرنا في ذات الحياة المستقلة الكريمة التي نطمح فيها ، ونطمح إليها ، ونجاهد في سبيلها ، وقصرنا في شيء لا ينبغي لمسلم أن يقصر فيه ، وهو حماية القرآن الكريم ، من أن يأتي عليه يوم لا يستطيع أبناء العروبة من المسلمين أن يقرأوه ، وإنما يجب أن يترجم إليهم كما يترجم للأجانب ، هذه مشكلته في غابة الخطورة ، مشكلة حياة أو موت لهذه اللغة التي هي لغة القرآن ولغة أمة تريد أن تعيش كريمة ، فأول واجب على هذه الأمة وعلى حكوماتها خاصة ، هو أن تتيح لهذه اللغة ما يمكنها من أن تكون لغة الشعب حقاً ، ولغة التعليم في المدارس حقاً ، ولغة الذين ينشأون والذين يحاولون في هذه الأيام أن يتخذوا العامية لغة للكتابة ، ويحاولون أن يعرضوا اللغة العربية لما تعرضت له اللغة اللاتينية من قبل ، يريدون أن يجعلوا في العالم العربي بلداً مختلفة تتكلم لغات مختلفة ، بحيث إذا كتب السوري ترجمت كتابته للعراقي والعصري والافريقي وعلى هذا النحو .

سيدي فخامة الرئيس .

أؤكد لفخامتكم أن هذا الخطر جدير أن تنظروا إليه نظرة من هذه النظرات التي عودتم العالم العربي أن تنظروها عندما يجد الجدد ، فإذا الغمرات بنجلين ، وإذا المشكلات تتحل ، وإذا الصعب يهون ، إني عندما أتحدث إلى فخامتكم

في هذا ، أتحدث الى عربي صميم لا يؤثر شيئاً كما يؤثر العروبة ، وأتحدث إلى شعب عربي صميم مستعد للتضحية بالحياة ، وبكل شيء في الحياة ، لحماية هذه العروبة ، وقد بلغت فاشهدوا أنني أقول : إن اللغة العربية في هذه الأيام معرضة لخطر عظيم بأنيتها من أبنائها أحياناً ، وبأنيتها كذلك من الأجني المغير ، المغير بعلومه ، المغير بلغاته ، المغير بحضارته ، وقد تلقينا فيما مضى من الزمان حضارات الفرس والهند واليونان ، فلم تُفسد لغتنا ، وإنما أصفنا هذه الحضارات وجعلناها حضارتنا ونشرناها في أقطار الأرض ، وفرضناها فرضاً على الإنسانية ، فما بال الحضارات الحديثة توشك أن تفرقنا ، وتوشك أن تفسد لغتنا ، ونحن ننظر وكأننا لا نرى ، ونحس وكأننا لا نجد في قلوبنا أثراً لما نحس ، من أجل هذا كله ففكر الزميل السوري في اجتماع مؤتمر للمجامع العلمية ، لأجل أن تتعاون هذه المجامع على تنسيق أعمالها ، وعلى الاتصال الدائم بينها فيما تبذل من جهد وما تبذل من نشاط ، وفي التعاون على تقوية اللغة العربية ، وصيانتها لا من أن يتسرب إليها الدخيل بين حين وآخر ، بل من أن تتعرض لخطر الزوال ، ومن أن تصبح لغة ميتة ، كما قيل بالفعل على لسان كاتب من كتاب شمالي إفريقية غلبته فرنسة وغلبه الاستعمار الفرنسي على لغته ، فأصبح لا يكتب إلا بالفرنسية ، وأعلن ذات يوم في بعض كتبه أنه لا يكتب باللغة العربية لأنها لغة ميتة .

سيدي فخامة الرئيس

إلى رؤساء الدول العربية ، وإلى حكومات البلاد العربية ، وإلى الشعوب العربية كلها ، وإلى الشعب السوري خاصة ، ألبأ بامم اللغة لتحى من أن يقال عنها في يوم من الأيام إنها لغة ميتة ، من أجل هذا كله لم تتردد اللجنة الثقافية ، في قبول الاقتراح الذي تقدم به الزميل السوري ، ولم يتردد مجلس الجامعة العربية في إقرار هذا الاقتراح ، ولم تتردد الأمانة العامة في الدعوة إلى هذا المؤتمر ، وفي وضعه تحت رعاية فخامتكم ، وفي وضعه تحت رعاية الشعب السوري العظيم ، فباسم هؤلاء جميعاً أجدد لفخامتكم ، ولوزير المعارف ، وللشعب السوري أصدق الشكر وأخلصه وأصفاه .

كلمة كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر

الدكتور منصور فهمي

سيدي نخامة الرئيس

في الوقت الذي كنت أتهيأ فيه لمغادرة مصر بلدكم وبلدي ، إلى سورية الشقيقة بلدي وبلدكم ، كانت تمحوك في نفسي رؤى كثيرة ومتنوعة ، منها ما يومض من خلال الماضي في أروع صوره وذكرياته ، ومنها ما يلوح من الحاضر في أشرف آماله وأشرق بسماته ، ولعل سائلاً يسأل عما كانت يسيطر على نفسي من هذه الرؤى منذ أخذت في إعداد عدتي في الأسبوع الفائت ، لكي أشهد هذا المؤتمر ، وأحظى بشرف رؤيتكم ولقائكم في هذا الجمع الحافل الكريم . وانه ليتعذر عليّ ، في هذا الموقف المحدود الذي يخصّص لتقديم مظاهر الإجلال والتحية ، أن أحصر تلك الرؤى ، لما فيها من كثرة ، ولما فيها من تنوع ، لكنها على الرغم من كثرتها وتنوعها فإنها تلتف وتجمع حول معنى الكفاح الدائم والجهاد الموصول من أجل العروبة ، وما ينبغي أن يكون لها من عزرة وكرامة . على أن تلك الرؤى جميعاً ، وإن تنوعت وتعددت ، فإنها تستقر في إطار من الإيمان والمثالية والوطنية ، ومعها الأمل الذي يتلأل دائماً في حياة كل أمة ناهضة .

ولا إخالني أنظر في هذه اللوحة الجميلة يافتخامة الرئيس ، دون أن يتجلى لي وجهكم الكريم في إشرافه ، وحوله وجوه ناضرة من ممثلي أمتكم ورجال حكومتكم . وإذا كان نصيبي من العمر وحظي من السن أيها السادة ، قد

مكّننا لي من معرفة هذا الوجه النبيل في مطلع شبابه وفتوته ، فإن تلك السمات والصفات ما زالت نامية وموصولة بما يتعلّق به الرئيس العظيم من همّة وعزيمة وحكمة . على أن هذه اللوحة التي قيّدت خاطري بما فيها من ذكريات الماضي وجهود الحاضر ، وبما فيها من ضروب الجلال والوان النضال ، تقترن بلوحة أخرى ، تقترن بلوحة حيّية إلى قلوب العرب أجمعين ، تبدو فيها ثورة لمصر ، وبرز من بين ألوانها وجوه ثوارنا ، ومن بينهم بتألق وجه زعيمهم وزعيمنا ، ورئيسهم ورئيسنا عبد الناصر ، يتجلى وجه عبد الناصر الذي آخاكم في الله يا فخامة الرئيس ، آخاكم في الله من أجل العروبة وعزة العرب وحقوقهم جميعاً من الرفعة والمجد وعلو المكان . وما أكثر ما تراءت مع تلك اللوحتين المقدستين العظيمتين ، صور كريمة لمن اجتمعوا على أرض العروبة ولاغراضها السامية ، صور لا كرم ممثلها من رجال العرب وأولي الأمر منهم ، وما أكثر ما مر بالخاطر من صور الأصدقاء والزملاء والعلماء ، ممن عمّرت حياتهم بالعمل للعروبة ، وكلامهم يستوجب عليّ إعجابي وصلواتي ودعواتي ، في كل شبر قطعته من أرض مصر وسماؤها ، وفي كل مسافة مرت بها ، من رُبى لبنان ، إلى أن تنسجت أريج الفيحاء من عاصمة الأمويين وعاصمتكم العاصرة . وإذا كانت معاني العروبة قد غمرت نفوس العرب ، من قضاء الله ومبررات التاريخ والوشائج ، وما أودع في صدور أبناءها من الجاذبية التي تشد بعضهم لبعض ، وبما أودع في أرضها من الإمكانيات التي يتحقق بها التكامل والقوة ، فإن ما تفجّر من جهودكم يا فخامة الرئيس ، من البنايع الفياضة لخدمة العروبة ولأروائها ، قد وصل منه الشيء الغزير إلى لغة الضاد وبجامعها ، فوجدت جامعة الدول العربية في عاصمتكم رحباً وسهلاً ليعقد فيها أول اجتماع لمؤتمر الجامعات اللغوية ، لمؤتمر بجامع اللغة التي فيها غذاء للروح ، ومنها وفيها مرفقنا العظيم الذي يدنا بمثله العليا ومشخصاتنا

النفسية والقومية الكريمة . ولقد وضع ذلك المؤتمر بين أيدي علمائكم الأعلام ، وهي أبدى تحرص كل الحرص على سلامة هذا المرفق ، وجديرة بوقايته من كل سوء يضعفه ، لأن في اللغة جبل العروبة المتين الذي لا يتراخى ، وفيها العروة الوثقى التي ليس لها انقصام . وإني باسم مجمع اللغة العربية في مصر ، وباسم المهتمين بها من عرب مصر ، وباسم زملائي الوافدين معي ، أتقدم بأطيب الأمناني لنجاح هذا المؤتمر ، الذي شملتموه ، يا فخامة الرئيس ، بعنايتكم المباركة ، وأسأل الله أن يكتب لكم ولرابطة العروبة كل فوز وتوفيق ونجاح وسؤدد .

كلمة نائب رئيس المجمع العلمي العراقي

الأستاذ محمد بهجة الأثري

صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

انني يا صاحب الفخامة ، وأنا أنوب عن وفد العراق في مؤتمر المجمع اللغوية العلمية ، لتحيينكم وتحيمة هذه الحالة المحيطة بكم من علية الشام وحيابة العرب ، لأجديني في قرارة نفسي سعيداً أي سعيداً أن أمثل العراق في هذا المؤتمر العتيد ، وأن أمثل بين يديكم في مناسبتين قوميتين خطيرتين ، في طرفي أسبوع واحد ، لأشكر لكم رعايتكم البالغة لهذه المواسم القومية المتصلة ، الحالية بالجمال ، والحافلة بالجلال . . في هذه البلدة الطيبة المتوهجة الفاتنة الخلوب . . هذه البلدة العربية النجار ، الكريمة ، الحبيبة الى قلب كل عربي . . سليمة بردى وقاسيون ، وبنت النسيب السيف والقلم ، والمجددين الطارف والتالد . . دمشق . . دمشق التي أشبلت على العروبة منذ أزل الآباد ، وعلى الاسلام منذ تاقته في عنفوان شبابه بصدرها الرحب راضية به مطمئنة اليه . فكانت ثانية عواصم الدولة العربية في عصرها الزاهر الزاهي ، كما كانت اليوم قلب العروبة النابض بالحياة والفتوة والثوب والطماح ، ومصدراً من مصادر عزتها في هذا العصر .

وهل من غرابة أن فتمتشد في دمشق اليوم كل مظاهر هذه الحياة والفتوة والثوب والطماح ، وأن تلتقي على صعيدا الطيب أعلام هذه الشعوب العربية ما بين ذراعي المشرق والمغرب ، في السياسة والجهاد ، وفي الأدب والحياة ، وفي اللغة والفكر ، ليدفعوا جميعاً هذه الفورات الجياشة من الرغبات القومية المتحفزة الى الذروات الى جبهة الفلك ، والى المربأ الأشم الذي بعده الله للمجاهدين الصابرين ، وبورثه عباده الصالحين !

لقد انتصرت العروبة الايجابية البانية في مؤتمرها الشعبي السياسي في دمشق ، بما صدر عن المؤتمرين فيه من وحدة الشعور ووحدة الرأي ووحدة الدعوة ووحدة التصميم على المضي الى النهاية ، في النهج اللاحظ من آمال الأمة العربية المتفتحة ما بين الأطلسي وتخوم فارس ، في إنشاء الدولة العربية الكبرى ، وهي كائنة لا ريب فيها ، لأننا نريدها ، والله من وراء إرادتنا .

وانتصرت العروبة الايجابية البانية ثانية في مؤتمر الأدباء العرب في بلودان ، بما ظهر واضحاً جلياً غير متكلف ولا مصنوع ، من اتفاق الأدباء العرب على وجوب تجديد أقدارهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطامح القومي الى تكوين الدولة العربية الكبرى ، لتكون هذه الملايين التي تحيا تحت رايها قوة إيجابية بانية ، مع القوى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا .

وسنتنصر هذه العروبة ثالثة من غير شك ، في هذا المؤتمر : مؤتمر المجمع اللغوية الملحينة العربية .

وفي يقيني ان ستبلغ هذه المجمع غايتها بما تنادت اليه من أمر هذا الاجتماع ، لأن كل أسباب التوفيق موفورة في أنفسنا وعزائنا ، وموفورة في وسائلنا وفي تأييد الدولة بما تسمح به من حرية العمل وبما توفره من وسائل الانتاج ، وان كنا نطمح منها في أكثر من هذا ، ونطمح أن تسير معنا قدماً الى غاية أبعد ومدى أنأى . ولقد سمعنا جاهدين لا إدراك هذا كله ، فوجدنا الاستجابة اليه من حكوماتنا ومن جامعة الدول العربية فيها سمعنا اليه وابتغينا .

ولقد نسب الى هذه الحكومات التقصير في مؤازرة الأدب والعلم ، واللغة والفكر ، فاستطاعت ثلاث حكومات منها أن تنفي عن أنفسها التهمة حين استجابت الى حذم المطالب العلماء ، وهيأت لهم هذه المجمع اللغوية العلمية ، وانه ليرجى أن يتبها للحكومات الأخرى من أسباب الانشاء ما تستطيع به إقامة مجامع مماثلة في ديارها .

ثم نسب الى هذه المجامع شيء غير قليل من مزاعم التخلف والابطاء ، وما بها شيء من ذلك ، ولكنه الطموح ، طموح الأمة العربية وشبابها الى الذروة ، من طبيعته أن يطلب الكثير ولا يقنع بما يقدم اليه بالغاً ما بلغ من الكثرة والقوة ، وقد يطلب أن يعد له في المحطات القصار ما لا يمكن أن يتكون وبشكل كامل إلا في السنين الطوال . وأنا أحب أن أسمع الكثير الكثير من هذا ، ليكون ذلك حافزاً في جملة الحوافز للانبعاث أكثر وأكثر . على أن ما يعتلج في نفوس العلماء القائمين على هذه المجامع من حب الارتقاء السريع وإراداته ، هو أكبر مما يعتلج من الرغبات الكريمة في نفوس البعيدين عن ممارسة مثل أعمالهم ، وعن معرفة طبيعة العلم وما يتطلبه الانتاج العلمي السليم من الأناة والتثبت والاطمئنان ، ومن هنا نشأت فكرة عقد هذا المؤتمر ، وأيدت الحكومات العربية - مشكورة - عقده في عاصمة الشام .

لا خلاف في أن التقاء رغبات علماء اللغة والحكومات العربية عند هذا المطلب القومي الخطير ، واشتراكها جميعاً في تقدير أثر اللغة وخطورتها في ازدهار النهضة ، مظهر عظيم لارتقاء الفكر العربي ، وتطور المفاهيم عنده في هذه الأيام ، يبشر بالخير الكثير والنفع العظيم من غير شك . لقد استجابت هذه اللغة العبقريّة العلوية ابان نهضة العرب العظمى ، للمطالب الانسانية ومطالب الحضارة وغاياتها ، كما ينبغي لمثلها أن يستجيب ، فوسعت كتاب الله وهو المعجزة الخالدة لفظاً وغاية ، وأرضت الأحاسيس المرفقة عند الشعراء والأدباء ، كما أرضت مطالب العلم والفلسفة والفن والسياسة والاجتماع والممران ، كما أرضت الشرائع والقوانين ، ونهضت بكل ما تطالبته مقومات الحضارة من النقل عن اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم . وتستجيب لهذه الحضارة العتيقة ، كما استجابت لأختها من قبل ، حين نصديق العزم في النهوض ، وإنا لصادقون من غير شك ، وإنا لجادون من غير شك ، ففي ضمائرنا الصدق والجد والإخلاص ، وفي نفوسنا القدرة والارادة والعزم ، ومن إرادتنا تجديد شباب هذه الأمة العظيمة ، ومن وراء إرادتنا إرادة الله وتأييده .

المحاضرات العامة

أثر اللغة العربية في وحدة الأمة

ألقى معالي الدكتور منير العجلاني عضو المجمع العلمي العربي ، في مدرج الجامعة السورية في الساعة السابعة من بعد ظهر الاثنين ١٠ / ١٠ / ١٩٥٦ ، المحاضرة التالية في (أثر اللغة العربية في وحدة الأمة) :

سادتي

قيل لديوجانس : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفلسف ملوكها وملك فلاسفتها .
وترجم هذه الكلمات الى لغة عصرنا الديموقراطي فنقول : إنما تطيب الدنيا متى نأدب حكامها وحكم أدباؤها .

وترجم هذه الكلمات مرة ثانية بلغة العقل ، فنخرج بهذه النتيجة : الأدب الرفيع يصنع حكماً صالحاً ، والحكم الصالح يصنع أدباً رفيعاً .
أفلم تروا الى هذا التعاون الجميل ، بين أدب يهذب الحكم وبين حكم يبارك الأدب .

مضى زمان كان فيه الملوك أسياداً يسيطرون ، والأدباء عبيداً يتمدحونهم ويتملقونهم ويستجدونهم . وليس شيء أضل اليوم من قول المتنبي :

وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يرى من الشعراء

إن زماننا هذا زمن المساواة والأخوة والحربة ، واليوم ندرك أن العالم والحاكم والأديب والعامل مواطنون متساوون في الكرامة ، فإن تفاضلوا فانما يتفاضلون بالفكر النير والعمل الخير ، وكلٌ سيد بمعنى وخادم بمعنى .

والذين يعرفون حقائق الديمقراطية ، وخوف النائب من الناخب ،
يسلمون معي بأن الشاعر والكاتب ، أسود من الوزير والنائب .
في ظل الأدب الكريم ، والحكم القويم ، اجتمعنا في دمشق ، نندرس
الوسائل التي تحفظ لغتنا ، وتقويها ، وتزيد في جمالها ونضرتها ، بقطرات نضعها
في دمها ، وهرات نثيرها في أعصابها ، ليفيض جمالها من الداخل معبراً عن
قوة الشباب فيها ، لا بأدهان وألوان نسكبها على بشرتها وكأنها تقول : هذه
خطوة جديدة في طريق المرض والشيخوخة .

سادتي

إن عملكم ليس عملاً أدبياً خالصاً ، ولكنه كذلك عمل قومي ، أو هو
عمل قومي عظيم لأنه عمل أدبي عظيم ، إنكم اليوم مثل الحكام وأكثر ،
تضعون أسس الدولة العربية الكبرى ، فليس أحد يستطيع التفريق بين حياة
اللغة وبين حياة الأمة ، أو بين مستقبل اللغة وبين مستقبل الأمة .
والآن أستاذكم في كلمة ألقها ، حول أثر اللغة التي تهمدونها وتتوفرون
عليها ، في وحدة الأمة ، وهو موضوع جليل ، فوق طاقتي أن أحيط به ،
وفوق جراتي أن أعالجه أمامكم ، ولكنني ذكرت كلمة للرئيس هريو ، ثبتني
في هذا الموقف الرهيب .

قال هريو في بعض مجالسه : ما أجد في القوم أسعد مني حظاً ، فرجال السياسة
يتفقدون بي ، يزعمون أنني أديب ، ورجال الأدب يرفقون بي ، يقولون هذا
سيامي ما استطاعت السياسة أن تميم قلبه ، ولا استطاع الحكم أن يسلبه أدبه .
لقد شاء لي القدر أن أحب الأدب ، وأعمل في السياسة ، وأدرس القانون
في الجامعة ، فان بدت لكم مقاتلي في الأدب التسم لي عذراً في هذه المشاركة ،
ولعل موضوعي الذي تخيرته لكم ، أكبر شفيح لي عندكم ، فهو مزيج من
الأدب والقانون .

أثر اللغة في وحدة الأمة

هذا هو الموضوع ، وسأحدد لكم قبل الدخول في الأساس ، كما يقول المحامون ، معنى الأمة .

الأمة ، في اللغة ، الجيل من كل حي وجنس ، وجماعة أرسل اليهم رسول ، فيقال مثلاً : أمة محمد ، والنسبة اليها - قومي - لا - أي - ، حتى لا يقع الالتباس وينصرف الذهن الى الأبي بمعنى الجاهل .

أما الأمة في اصطلاح العلماء ، علماء الفقه الدستوري ، فان لها معنى مخصوصاً . يقول العلامة ريدسلوب : ان تعريف الأمة عمل شاق عسير . وإن تسهل فهو ضار خطر ، لأنه انما يعني إفراغ حقيقة مركبة ، متموجة ، سيالة ، في قالب جامد ، ضيق .

لذلك رأى ريدسلوب ، وتابعه على رأيه كثيرون ، الاكتفاء بتعداد العناصر أو الأركان التي تتكون منها الأمم ، مع التنبيه على أن الأمة هي ، قبل كل شيء ، اعتقاد جماعة من الناس أنهم أسرة واحدة ، تلفهم عبقرية واحدة . أما « مانتسبيني » الابنالي فقد عرّف الأمة ، وعلله أول من عرّفها ، بأنها جماعة من الرجال ، قادتها وحدة الأرض والأخلاق واللغة الى وحدة الحياة والوعي الاجتماعي .

كان هذا التعريف أساس كل التعاريف التي جاءت بعده ، ولكن الفيلسوف الافرنسي رينان صنع للأمة تعريفاً شعبياً شعورياً ، أنسى الناس مانتسبيني تماماً ، فانطلقوا يتحدثون بتعريف رينان وحده .

يقول لنا رينان : إن الأمة روح أو عقيدة يجمعها عنصران : عنصر من الماضي هو تراث مشترك من الذكريات ، وعنصر من الحاضر هو الرغبة في الحياة المشتركة وفي حفظ الإرث المشاع وحياطته .

ليست الأمة عند رينان الجنس ولا الدين ولا الأرض ولا اللغة ، ولكن الأمة هي الأفراح المشتركة والآلام المشتركة والآمال المشتركة والأهداف المشتركة والرغبة في الحياة المشتركة ، إنها أمرة كبيرة ، ولكنها ليست أمرة جمعتهما المصاهرة ، إنما هي أمرة جمعتهما قرابة الروح ، لم ترتجل ارتجالاً ولم تفرض فرضاً ، وإنما صنعها تاريخ طويل متصل استدامها ويستديمها ، إنها تريد أن تبقى هكذا لأنها لا تريد ولا تستطيع أن تريد لنفسها حياة مشتركة غير حياتها .

أحب علماء القانون أفكار رينان ، وأخذوا عنه فكرة الرغبة في الحياة المشتركة ، ولكنهم أبوا إلا أن يعدوا العناصر التي تتفاعل فيما بينها فتوجد هذه الرغبة في التعايش ، وإن كانوا يسلون بأن هذه العناصر مجتمعة في كل أمة ، ولكن وجود طائفة منها في كل أمة أمر لا بد منه .

سأذكر لكم هذه العناصر لتعرفوا مكان اللغة بينها ، وهو عندي مكان الصدارة ، ولكنني أحب ، قبل ذلك ، أن أثير بين أيديكم مصطلحات متقاربة أو متجاورة في ترتيبها المكاني يلبس أمرها على الخاصة ، فضلاً عن العامة ، حتى تكون معالجتنا لموضوعنا معالجة المثبت المطعّن .

الدولة ، الحكومة ، الأمة ، الشعب ، تعابير تتشابه على القوم ، فتسمع الرجل يقول : قررت الدولة اليوم كذا . . . والأمة عندنا مجمعة على كذا . نسمع هذا فلا نستغربه ، ولكن رجل الفقه الدستوري ينكره كل الإنكار ، ولو عُرف الخنسب في الزمن الحاضر لسأله أن يعزز صاحبه ويشيره ، حتى يعتبر به الناس ، ويتناهاوا عن خطأ وقع فيه .

الدولة ، في المذهب الافرنسي هي الأمة المنظمة ، وهي في كل مذهب ، حقيقة دائمة ، تتألف من الأرض والشعب والسلطة العامة ، فإذا قلنا الدولة الافرنسية ، فإنما نريد فرنسا من حيث هي أمة منظمة ، وفي أضيق الحدود يشمل تعبيرنا رئاسة الدولة ، والحكومة ، والمجالس التمثيلية ، والمحكمة العليا ، وبالجملة

كل السلطات العليا ، لا السلطات القائمة ، ولكن السلطات القائمة والتي قد تحمل محلها .

أما الحكومة فهي الوزارة ليس أكثر ، لذلك لا يقال قررت الدولة ، وإنما يقال قررت الحكومة .

ولا يوصف رئيس الحكومة بأنه رئيس الدولة ، لأن رئيس الدولة ، هو الملك أو رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة إنما هو رئيس الوزراء .

الدولة والأمة ليستا مترادفتين . فقد كانت البلاد العثمانية تؤلف امبراطورية واحدة ولكنها لم تكن أمة واحدة ، أما فرنسا فهي أمة واحدة ، ودولة واحدة . الأمة والدولة في بلاد موحدة كفرنسة هما مظهران مختلفان ، الحقيقة واحدة ، فالأمة هي التعبير الاجتماعي ، والدولة هي التعبير السيامي ، وقد نضيف اليهما الوطن ، وهو التعبير العاطفي .

أما الامبراطورية العثمانية فلم يكن لها أبناء هي أمهم ، وإنما كان لها رعية يخافونها ، ولما رفع عنهم السيف ، تفرقوا وذهب كل واحد منهم مذهباً . إن المثل الأعلى والمطلب الأسمى لكل أمة هو أن يجتمع أبناؤها في ظل علم واحد وسلطان واحد ، وأكثر الأمم في العالم تحقق لها هذا الرجاء ، أما الأمة التي تقاسمت أبناءها دولاً مختلفة فإنها تجاهد لتحقيق وحدة مصيرها ، وأما الأمم المختلفة التي تعيش في ظل سلطة واحدة فلا بد أن ينتهي أمرها إلى الانفصال والتفرقة كما تفرقت الأمم التي كانت تجمعها الامبراطورية العثمانية ، أو الخلافة الاسلامية ، وإما أن تتقارب شعوبها وتتعايش على ألفة ومودة فتنشأ منها أمة واحدة جديدة ، كما وقع في الولايات المتحدة الأمريكية . . ثم يجب علينا أن نفرق بين الأمة وبين الشعب ، فما ينبغي لنا مثلاً أن نقول : الأمة السورية ، لأن سورية جزء من أمة وليست أمة ، لا توجد أمة سورية وإنما توجد أمة عربية ، وسورية جزء منها . لنقل إذا شئنا الشعب السوري ، أو شعب سورية ، لأن الشعب هو مجموع سكان إقليم من الأقاليم .

ما هي العناصر البارزة في تكوين الأمم ؟

١ - العرق :

كان غلاة المذهب العرقي في ألمانيا يقولون : الأمة الألمانية هي العرق الألماني بالمعنى المادي لا الروحي ، أي العرق الآري الشمالي ، الصافي الذي اصطفاه الله من دون الأعراق كلها ، وحياء بالمواهب النادرة والمزايا الباهرة ، واختصه وحده بالقدرة على الإبداع والاختراع ، وصنع الحضارات والعلوم ، والفنون والآداب !

ولكن هذا المذهب ، الذي أراد له هتلر أن يعيش بعده قد رافق هتلر إلى قبره ، ولم يخلف وراءه من يتحسر عليه . فالعرق الألماني خرافة ، وليس في العالم كله عرق صاف ، والأمم كلها تمازجت دماؤها ، وحتى الأعراق القديمة ، كما يقول رينان ، ومنها العرق السامي ، والآري ، والطوراني ، ليست عروفا صافية ، وإنما هي حالة من تمازج العروق واختلاطها في فترة من الزمن . ولذلك يحسن بنا أن نترك النظرية العرقية ، فلا خير فيها .

يقول الفيلسوف الألماني كايزرلينج : ما ينبغي لنا أن نتعب أنفسنا في تتبع أصول أمة من الأمم في التاريخ البعيد لنفسر وحدتها الحاضرة ، فوحدتها أفضل تفسير لتقارب أصولها في التاريخ !

أما رينان فإنه بعد التعمق في الدراسة التاريخية للأعراق خطراً على القومية ، لأنها تزيد في شكوك الناس ، وقد تكشف عن كثير من مآسي العنف التي لولاها لم تتم الوحدات السياسية . وماذا يريد منك هذا المؤرخ البجائنة ؟ أيريد أن يقول لك : ان كثرة هذه الأمم من عرق ، وأنت من عرق آخر ، ويجب عليك أن تذهب إلى أمة أخرى تهبط قلبك وتنذر لها فكرك ؟ هذه جريئة ، فان كانت الوحدة القومية تأسست على أخطاء تاريخية ، فان تصحيح هذه

الاطّطاء ليس من شأنه أن يفسد الوحدة أو يهدمها ، لأن هذه الوحدة مطلوبة لذاتها ، ولما ترتب عليها آثار .

ليس العرق مرادفاً للأمة ، فالعرق تعبير مادي ، والأمة تعبير خلقي ، والعرق قد يدخل في تكوين الأمة ، ولكن في مرحلة من التاريخ ، وهناك أمم كثيرة تتألف من أعراق مختلفة جداً ، ولكننا نستطيع أن نقرر نظراً الى الحوادث التاريخية أن عرقاً من هذه العروق يفرض أكثر خصائصه على سائر العروق ، وبذلك يطبع الأمة بطابع عبقريته ، وقد تنسب الأمة من أجل ذلك اليه ولو كان في الأصل قلة .

لقد أدى العرق رسالته ، ومضى زمانه ، والأمم اليوم تمازجت أصولها القديمة وتشابكت ، ولم تعد تلتبس وحدتها في شكل الجماجم ، ولون البشرة ، ونقاء الدم ، وإنما تلتبسها في وحدة تفكيرها وآمالها ورغبتها في الدفاع عن تراثها ، وتعهد حضارتها ، وبكلمة واحدة في إرادة الحياة المشتركة .

٢ - الأرض :

ليس أحد ينكر فضل الأرض في تكوين الأمم ، فوحدة الأرض تقوي روابط الفكر والقلب والمصلحة بين الأفراد ، والحوافز الطبيعية التي تفصلها عن بلاد أخرى تزيد في شعور أبنائها بأنهم وحدة مستقلة عن الوحدات القومية الأخرى . لقد درس ابن خلدون ومونتسكيو وكثير غيرهما أثر البيئة في تكوين الأخلاق والطباع ، وبالغ بعضهم في قوة هذا الأثر ، حتى زعم أن الأرض هي الأمة ، وإنها تملك أبنائها أكثر مما يملكونها ، وتصنعهم أكثر مما يصنعونها .

٣ - الدين :

كان الدين في العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره في تكوين الأمم تضائل في الزمن الحاضر ، وربما أسقطه غلاة القوميين من حسابهم . لقد كان من أسباب انفصال الباكستان عن الهند وانفصال أيرلندا عن بريطانيا

العظمى الاختلاف في الدين ، ولكن الدين وحده لا يجمع الشعوب المختلفة في أمة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً ، فالمسلمون في العالم لا يؤلفون أمة واحدة ، مثلهم في ذلك كمثل المسيحيين ، وإذا كانت القرون الوسطى شهدت الحروب الصليبية التي قسمت أوربة والشرق الى معسكرين دينيين مختلفين ، فان العصور الحديثة شهدت حروباً كثيرة تقاتل فيها أتباع ديانة واحدة . كل ما نستطيع أن نقوله في الدين انه عنصر من عناصر الوحدة في الأخلاق ، يعين على تكوين الأمة حيث تكون له كثرة من الأتباع .

ولكن اتخاذ الدين أداة لتزويق القومية القائمة عمل خطر ، بل خيانة .

٤ - التاريخ والذكريات :

التراث القومي بأبجاده وذكباته ، عنصر عظيم الأثر كبير الخطر في تكوين القومية ، فال حاضر الذي نحياه إنما صنعه لنا أجدادنا ، ونحن حين نتعلق به ونمجده نحياه في نفوسنا حياة جديدة ، وبذلك نشعر أننا أمرة واحدة كبيرة تشترك في تقديس ماضيها المشترك ، الحاضر قطعة من الماضي ، والأمة ليست من صنعنا إلا بمقدار ، انها من صنع آبائنا ، وما نحن إلا حلقة صغيرة في سلسلة كبيرة ، فضل الموتى فيها أكثر من فضل الأحياء ، وزعامتهم أقوى ، وأثرهم أعمق ، ان الموتى يعيشون فينا ونحن نعيش فيهم .

٥ - الأخلاق والعادات :

الأخلاق والعادات ، والتقاليد وأساليب المعيشة ، والأغاني الشعبية ، والفنون ، كل أولئك متى تشابه ، عبر عن عبقرية واحدة ، وأشعر كل واحد من أبناء الوطن أنه مع إخوانه كأنه في بيته ومع أهله ، فاذا انتقل الى بلاد أخرى أدركه شعور آخر ، هو مانسجيه الغربية أو التغرب ، وليس التغرب مجرد الانتقال من أرض الى أرض ، ولكنه الانتقال من جو روحي الى جو آخر .

٦ - اللغة :

يقول الفيلسوف الألماني فيخته في كتابه : خطاب الى الأمة الألمانية :
اللغة تصنع الرجال أكثر مما يصنعونها . ويستنتج من ذلك أن اللغة
الواحدة تصنع أمة واحدة .

الواقع ان اللغة الواحدة الجميلة ، الغنية ، إنما هي نتيجة تمازج وتعايش
طويلين ، نتيجة تجارة وأخذ وعطاء ، بيع وشراء ، وخضوع واستعلاء ،
وتبدل وانتقاء ، تجارة حياة فكرية ، وحياة وجدانية ، وحياة مادية ، متصلة ،
ملحة ، جعلت من طوائف الناس المختلفة طائفة واحدة ، ومن لهجات الناس
المختلفة لغة واحدة ، لغة قومتها وصقلتها وأصلبها الى كل أفراد الأمة إراثاً
مشاعاً مشتركاً .

فاذا قلنا ان اللغة الواحدة تصنع أمة واحدة ، كما قال فيخته ، لم نعلم
الحقيقة . ولكن الحكم لا ينبغي له أن يكون مطلقاً لا يمتثل تحديداً .
في العالم شعوب تتكلم لغة واحدة ولا تؤلف أمة واحدة ، كبريطانيا العظمى
والولايات المتحدة الأميركية ، ذلك ان بينهما بحراً واسماً ، وبينهما بعد هذا
اختلافات في الطبائع والمصالح غير بسيرة ، ولكننا مع هذا كله ، نجد بينهما
كثيراً من النعاطف والتحاب بسبب وحدة اللغة .

وفي العالم شعوب مختلفة اللغات تؤلف أمة واحدة ، كسويسرة ، وبلجيكا ،
وهذا يدلنا على أنه قد تنشأ بين الناس أسباب قوية للوحدة فوق سبب اللغة .
نحن لا نقول مع فيخته ان اللغة الواحدة ، معناها دائماً أمة واحدة ، ولكننا
نقول ان اللغة الواحدة ، إن لم تكن هي الأمة ، فإنها أعظم أركانها .

إن شعباً يحب لغته ، يتآخى أفرادها في حب هذه اللغة ، وفي تقديسها - ان
أجزتم هذا التعبير - . أما الشعب الذي يتكلم أفرادها لغات مختلفات ، فقد يصعب
على العقل أن يتصوره موحداً كما ينبغي أن تكون الوحدة .

ولعل أبلغ تعبير عن تعلق العرب بلغتهم ، وأثر لغتهم في تكوين قوميتهم ، وصف العرب أنفسهم بأنهم أبناء الضاد ، فهم ليسوا أبناء دين ولا أبناء جنس ، ولكنهم أبناء اللغة العربية ، هي أمهم وهم في ظل أمومتها أسرة واحدة ، يحبونها ويتحابون فيها . كانت بلادنا تتكلم لغات سامية متعددة ، وكان إخواننا يخضعون الى سلطات أجنبية ، أو وطنية متعددة ، ولكن لغة من هذه اللغات السامية - اللغة العربية - مشى مع الفتح الاسلامي ، لترسم لنا حدود أمتنا . مشى الفتح الاسلامي أبعد منها ، ولكنها وقفت حيث ينبغي لها أن تقف ، لم تتجاوز دار إخوانها ، وفي كل مكان ، كانوا يحسنون استقبالها ، وبقيمون ألسنتهم على بيانها ، لم تفرضها القوة ، فالقوة تفرض الجزية ، ولكن فرضها جمالها ، وأنها قريبة وليست غريبة ، ووطأ لها الطريق أنها لغة الرسالة الجديدة التي حملها محمد .

كانت لغة قريش ، أصنى لغات العرب وأزهارها ، وما زلت أشبه عملها في لهجات العرب بعمل منجم كارلسباد . تأتي الفتيات الى هذا المنجم من كل فج عميق ، ويطوفن حوله ، ويغنن الاغاني ، وتلتي فيه كل واحدة عوداً أو غصناً عارباً من الورق ، ثم بعدن الى المنجم بعد أيام ، ويخرجن منه الاغواد ، فاذا هي مغطاة بالبلور والجواهر وموشاة بخيوط الذهب .

هكذا صنعت اللغة العربية ، أعطت كل شيء من جمالها ، وغيرت كل شيء وعملت بركتها كل شيء .

لقد ذهبت الخلافة الاسلامية وبقيت اللغة العربية ، تدعو العرب الى الوحدة ، وتذكركم بأنهم أبناء أمة واحدة .

يقول المعجم الفرنسي الكبير : ان اللغة تشارك الأمة أفذارها ، فاذا ضمنت الأمة وتهافتت ، ماتت اللغة ، ولا أمل في بثها بعد أن تموت .

أما اللغة التي تبقى بعد تفرق أمتها ، فهي التي أودعها السماء رسالة ، أو التي أودعها الشعراء والأدباء والعلماء أفكاراً سامية .

ولفتنا العربية ، أيها السادة ، تجمع بين رسالة السماء ورسالة الأرض ، فيها شعر خالد ، وفيها نثر خالد ، وفيها القرآن .
لذلك بقيت لغتنا بعد تفرق أمتنا ، إنها كالراية التي يمشي وراءها الجنود ،
إنها الراية التي نلتف اليوم حولها .
لغتنا لغة جميلة ، ولكن عظيمة جمالها أن جمالها يطلب المزيد ، فلا نشد
من بين يديها :

خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء
أو قول الشاعر :

ليس منها ما يقال لها كملت ، لو ان ذا كمالا
لو تمت في براعتها لم تجد في حسنها بدلا
فليس شيء كالجمود يقتل الحياة ويشوه الجمال ، ان اللغة كالخميطة الجميلة
التي اذا تركت وأهملت لم نأمن على أغصانها وأوراقها أن يصوحها العطش .
لقد كانت اللغة العربية أجمل اللغات ، واستطاعت أن تضيف الى جمالها من جمال
كل لغة وتطبعه بطابع عبقريتها . . فان أردنا أن يدوم نعلق الشعوب العربية بها
وأن نستبقها لغة واحدة ، فينبغي لنا أن نسقيها دائماً بعناصر الحياة ، وهذا هو
عمل مجامعنا اللغوية ، وعمل أدبائنا وشعرائنا والمفكرين منا .

لقد أدت لغتنا العربية في التاريخ رسالتها القومية ، ووحدتنا ، وهي اليوم
مدعوة الى صنع المعجزة مرة أخرى ، فتحقق لنا وحدة عربية ، مثل وحدتنا
التاريخية - بل أسلم وأعظم - إن شاء الله .

اللغة الفصحى وتعليم الشعب

ألقى معالي الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ،
في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الثلاثاء ٢ / ١٠ / ١٩٥٦ في مدرج
الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (اللغة الفصحى وتعليم الشعب) :

سيداتي سادتي

أريد أن أتحدث إليكم الليلة في موضوع عسى أن يكون ثقيلاً ، وأعتذر
إليكم من ثقله فالحق ثقیل دائماً ، لا يخف إلا على أولي العزم من الناس ،
والعهد بكم أنكم من أولي العزم ، لأنكم من العرب الذين يؤثرون الجدة على الهزل ،
ويفضلون الصراحة على المداراة والمواربة ، وبين الذين سينكرون ما أقول ،
كله أو بعضه ، ما قاله أبو العلاء :

خذي رأيي وحسبك ذاك مني على ماني من عوج وأمت
وماذا يبتغي الجلساء مني أرادوا منطقي وأردت صمتي
وبوجد بيننا أمد قصي فأما سميتهم وأمت صمتي
والموضوع ثقیل لأنه يتصل باللغة العربية الفصحى ، وبتعليم الشعب . فما أكثر
ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى ، وما أكثر ما نعلن اعتزازنا بها ،
واعتمادنا بترائها ، وحرصنا عليها وعلى تراثها العظيم ، وبقيمتنا فيها هي أساس
وحدتنا ، وهي العروة التي تجتمع الشعوب العربية على اختلافها ، وتباعد أوطانها ،
والعروة التي لا انفصام لها . نتحدث عن هذا فنكثر الحديث ، ونقول في هذا
فنطيل القول ، ونملأ به أفواهنا ، وقطعنا إليه قلوبنا ، ونشور له نفوسنا . وإذا
نحن تفيض إيماناً وثقة وأملًا وبقينا . فاذا فرغنا من هذا كله ، وثبنا إلى نفوسنا

أو ثابت نفوسنا اليها ، وهدأت عنا الحماسة ، اكتفينا بما قلنا ، وبما سمعنا ، وبما صفقنا ، وبما صححنا ، ثم لم نكد نصنع شيئاً .

ولست أنكر أن علماء اللغة في البلاد العربية على اختلافها ، يبذلون جهوداً عنيفة ، وينفقون من أوقاتهم ومن نشاطهم أكثر مما يطبقون ، لحماية اللغة وصيانتها ، وحراستها والمحافظة عليها من كل عبث أو كل شر ، يمكن أن يصيبها ، ولكن السؤال الخطير الذي ألقيه الآن ، وأريد أن يلقيه كل واحد من حضراتكم عن ثقة : لمن نحفظ هذه اللغة ، ولين نصونها ، ولين نريد أن نخلدها ؟ ولان نفق كل ما نفق من جهد ووقت ومال في سبيل هذا كله ؟ أفعل هذا كله لأنفسنا لنستأثر بالعالم ، وليقال اننا علماء ، حفاظ ، نتصرف في اللغة العربية بعد أن طوعناها بقدرتنا ، ونستطيع أن نصرفها كما نحب ونهوى ؟ أم نحن نفعل ذلك لتكون هذه اللغة ملكاً للشعوب العربية كلها ، لا لطبقة معينة منها هي طبقة العلماء الأئمة ، الحفاظ ، ولكن لجميع طبقات الشعوب العربية ، الطبقات الممتازة أو الراقية ، والطبقات الوسطى ، والطبقات الفقيرة ؟

وهذا السؤال هو الذي أريد أن أدير الحديث حوله هذه الليلة .

أما ان فينا علماء ، فهذا ليس فيه شك . وبكفي أن أكون في دمشق ، وأن ألقى الأعلام من أعضاء المجمع العلمي في دمشق ، وأن ألقى هذه الطائفة الممتازة من المثقفين الشاميين لأفتش بأن اللغة العربية حية قوية ، وان لها حفاظاً ، وان لها أنصاراً بذودون عنها ويحمونها ، بذودون عنها الشر والعبث والفساد . وما أشك أن في البلاد العربية الأخرى شيئاً يشبه ما في الشام كثيراً أو قليلاً ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن هذه اللغة العربية التي تبذل في سبيلها كل هذه الجهود ، وينفق في سبيلها كل هذا الوقت ، هذه اللغة لم تصل بعد الى الشعوب ، أو لا يكاد يصل منها الى الشعوب إلا أصداء لا تفني عنها شيئاً .

وليس أدل على هذا من أننا إذا استقصينا أمر اللغة العربية في الأقطار العربية ، فسرى أن أكثر الذين يقرأون ويكتبون لا يستطيعون أن يقيموا أسنتهم بهذه اللغة الفصحى . وسرى شراً من هذا ، سرى كثيراً من الشباب في غير قطر من الأقطار العربية يفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تسير الحياة الحديثة ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تعرب عن ذات النفوس في هذا العصر الحديث ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت لا تصلح لتكون لغة الكتابة ، ولغة الأدب في بعض البيئات ، وما أكثر الذين أخذوا ينحرفون عن هذه اللغة الى اللغة العامية التي يتحدثها الناس في الشوارع ، وفي القرى ، وفي أعماق الريف ، يكتبون بهذه اللغة ، يرون الكتابة بها أيسر من الكتابة بهذه اللغة العربية الفصحى ، ويرون هذه اللغة العامية أطوع لهم ، وأقدر على تصوير عواطفهم ، وأهوائهم وميولهم وما يجول في رؤوسهم من الخواطر والمغالي من اللغة العربية الفصحى .

ويعللون ذلك بأسباب كثيرة أهمها أنهم لا يستطيعون أن يتعلموا اللغة العربية لأنها عسيرة ، ولأنها مملّة ، ولأن التلميذ إذا ذهب الى المدرسة واستمع إلى دروس الأستاذ في اللغة العربية ، في النحو أو في الصرف أو في البياض ، لم يستفد من أستاذه ولا من دروس أستاذه إلا شيئاً واحداً ، وهو النفور من الأستاذ والنفور من اللغة العربية ، والانصراف إلى أي شيء آخر يلهيه ويريح به من هذا العناء الثقيل . ولا نظنوا أنني أبالغ ، أو أتكثر ، فهذه حقيقة واقعة لا ينكرها ، إلا المكابرون . ولا تقولوا إن المدارس قد أخرجت طائفة من الكتاب والأدباء المحتازين ، هؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة ، أو الاستثناء الذي يحقق القاعدة كما يقال . ولكن التلاميذ في المدارس ، لا ييغضون شيئاً كما ييغضون دروس اللغة العربية ، وهم مع ذلك إذا استمعوا لمحاضرة عن اللغة العربية ومجدها القديم وتراثها الخالد العظيم ، ثاروا حماسة وامتلاوا نشاطاً ،

وإيماناً وإعجاباً بهذه اللغة . ولكنهم حين تسقط عنهم الحماسة يعودون إلى تذكر الأستاذ وكلامه الثقيل . . الذي كان يمليه عليهم ، أو يلقيه عليهم في المدرسة ، وهذه الأسئلة الشاقة التي كان يمتحنهم بها بين حين وحين .

والأمر أشد من هذا كله خطورة ، فنحن في هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه قد آمنا بأن التعليم حق للشعب كله ، منذ السن المبكرة ، إلى أن يبلغ الفتى أو تبلغ الفتاة الرشد ، وإذن فنحن لا نبيع التعليم للقلة التي وقفت نفسها على أن تتعلم ، وأتاح لها الحياة أن تفرغ للتعليم ، وأن تنفق فيه شيئاً من الجهد والوقت والمال ، وإنما نفرض هذا التعليم على الأغنياء والفقراء ، وعلى الأقوياء والضعفاء ، وعلى القادرين والعاجزين . نفرض هذا التعليم على الشعب كله ، ونعاقب الذين يقصرون في أداء هذا الواجب ، وهو تعليم أنفسهم أولاً ، وتعليم أبنائهم وبناتهم بعد ذلك .

قوانينا تعاقب الذين يقصرون في تعليم أبنائهم وبناتهم ، ومعنى هذا أننا نفرض التعليم على هذه الملايين الكثيرة التي تتألف منها الأجيال في هذه البلاد العربية . وإذا فرضنا التعليم على كل هذه الملايين فيجب أن نبتغي إلى هذا التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي به إلينا حقاً ، ويجب أن لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها الآن في مدارسنا ، يجب أن لا نكلف هذه الكثرة الضخمة من البنات والبنين ما نكلف به القلة التي بتاح لها الوقت ، والجهد ، والمال . وإذن فلا بد من أن يكون التعليم يسيراً ، ومن أن يكون قريباً ، ومن أن يكون سائماً ، لا يجهد فيه الكثرة مشقة ولا عناء ، ولا يحتاج فيه إلى هذا العناء الثقيل الذي يفرض على أبنائنا فرضاً .

وآخرى ليست أقل من هذه خطورة ، وهي أننا نعيش الآن في القرن العشرين ، أي في العصر الذي تغير فيه التاريخ ، وتغيرت فيه الحضارة المادية تغيراً تاماً ، وتغيرت فيه الثقافة العقلية تغيراً يوشك أن يكون تاماً أيضاً ، وتغير فيه العقل

نفسه بحكم ما طرأ على الحضارة والثقافة من تغيير ، وما زلنا نعلم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا كما كان القدماء يعلمونها في معاهدهم ومدارسهم منذ أكثر من ألف عام ، وقد تستطيع أن تطالب الى القلة القليلة جداً أن تحتمل هذا العناء ، وأن تتكلف هذا الجهد ، وأن تخرج من القرن العشرين لتعيش في القرن الثامن أو التاسع للميلاد ، لتعلم النحو ، والصرف ، واللغة ، كما كان القدماء يعلمونها . ولكنك لا تستطيع بحال من الأحوال أن تطلب الى هذه الملايين الكثيرة أن تبذل هذا الجهد ، وتحتمل هذا العناء ، وتخرج من حياتها التي تحياها بالمشقة ، والكد ، والعناء ، لتعود الى حياة أخرى لعلها لا تعرف من أمرها شيئاً . فعندما تريدون أن تعلموا هؤلاء الأطفال في المدرسة الابتدائية أو هؤلاء الشباب في المدارس الثانوية ، عندما تريدون أن تعلموهم النحو ، تعلموهم النحو كما كان المبرد وأستاذ المازني وتلاميذهما المختلفون يعلمون في مساجد البصرة ، وكما كان الكسائي والفراء يعلمان في مساجد الكوفة ، أو في مساجد بغداد ، والفرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التي نقشها في أعماق القرى ، وبين مسجد البصرة ، أو مسجد الكوفة ، أو مسجد بغداد ، والفرق هائل جداً بين القرن العشرين ، وبين القرن الثامن أو التاسع حين كان يعيش هؤلاء العلماء .

كان القدماء يعيشون عيشة خاصة ، ويتأثرون من ناحية بالبداءة العربية الأولى ، ومن ناحية أخرى بالفلسفة اليونانية الطارئة ، ومن ناحية ثالثة بالحضارة الفارسية المادية التي أحاطت بهم وشملتهم شمولاً . أما نحن فقد صرنا عن البداءة العربية الأولى ، وأغرقنا الحضارة الحديثة الى آذاننا ، وقد أنسينا فلسفة أرسطاطاليس وغيره من قدماء اليونان ، وأصبحت هذه الفلسفة لا يعرفها إلا الأقلون من أمثال الصديق الدكتور منصور فهمي والدكتور جميل صليبا ، وأصبحت الحضارة الفارسية شيئاً يعني الفرس حين يدرسون تاريخهم ، أما حضارتنا الآن فهي الحضارة الحديثة . ونحن نعني بحضارتنا القديمة انستقي منها ما يصلنا بالقديم حتى لا تفنى

شخصيتنا ، وحتى لا نفقد عروبتنا ، وحتى يظل الاتصال قوياً بيننا وبين ماضينا
المجيد . فاذا أردتم أن تتلوا النحوي هؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم
على أن يفهموا أن قولك « قرئ الكتاب » فعل مبني للمجهول ، والكتاب نائب
عن الفاعل ، لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني
وعلم النحو ، وأنيب عنه المفعول به . كيف تريد التلميذ المصري أو الشامي
أو العراقي الذي لم يتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام ؟ ما هذا الفاعل
الذي حذف ؟ ما هذا المفعول الذي أنيب عنه ؟ ما هذا المجهول الذي بُني له
الفعل ؟ وعندما تريد أن تفهمه قول الله تعالى : « وإنَّ أحد من المشركين
استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه » قلت له : « إنَّ أحد »
في قوله « إنَّ أحد من المشركين » فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك ،
وإنَّ تقدير الآية « وإنَّ استجارك أحد من المشركين استجارك » ، فبسؤالك
التلميذ وأين توجد استجارك الأولى هذه ومن أين تأتي بها ؟ وما السبب في
وجود هذا الفعل مرتين ؟ ولماذا لا نكتفي بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن
الكريم ؟ فكيف يجيبون ؟ . أما أنا فقد سألت أحد الشيوخ عن إعراب
هذه الآية ، فأعربها كما تسمعون ، فقلت له : يا سيدي أتريد في كتاب الله ؟ .

وعلة هذا أن النحاة القدماء قرروا في قواعدهم أن حرف (إن) لا يدخل
إلا على فعل ، ولما جاء في القرآن وفي كلام العرب (إن) وبعدها اسم لم يخضعوا
لما جاء في القرآن ولم يخضعوا لما جاء في كلام العرب نثراً وشعراً ، وإنما أرادوا
أن يخضعوا القرآن للقاعدة التي قرروها ، وقد طوّعت لهم فلسفتهم هذا النحو
من التصرف واستطاعوا أن يحتملوه ، واستطاعوا أن ينهضوا بأثقاله ، لأن
عقولهم في تلك الأوقات ، في تلك السنين ، كانت عقولاً فلسفية متأثرة
(بالميتافيزيك) أو بالميتافيزيقا كما يقولون ، التي تركها أرسطاطاليس ، وورثها

العرب ، فكانوا يستطيعون أن يفهموا مثل هذا الكلام ، ولكن شبابنا في هذه الأيام يعيش في عصر لا يكاد يحفل بالميتافيزيك وما بعد الطبيعة ، ويعيش في عصر لا يكاد يعرف أرسطاطاليس فيه إلا المختصون ، فإذا حدثتهم عن الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعده ، وذكرت لهم هذا الفعل حاروا في أسره حيرة بعيدة . وإذا أردتم أن تعلموا التلميح « فأما ثمود فهديناهم » فأفهمتموه أن ثمود ليست مفعولاً لهديناهم ، وإنما هي مفعول لفعل محذوف تقديره هدينا ، ثم قلتم : معنى الآية أو تقدير الآية « هدينا ثمود فهديناهم » لم يستطع التلميح إلا أن يضحك أولاً ، ويسخر ثانياً ، وأخيراً ينصرف عن الأستاذ ودرسه بعد ذلك ، والحمد لله على أنه لا ينصرف عن الإسلام ولا عن القرآن ، لأن الإسلام أقوى والقرآن أقوى من أن يؤثر فيهما مثل هذا العبث . أو إذا قلت للطالب نحن المصريين تفعل كذا ، أو نحن السوريين تفعل كذا ، وطلبت إليه أن يفسر هذا أو يعربه ، أفهمته أن هناك فعلاً محذوفاً تقديره أخص ، أي نحن أخص السوريين تفعل كذا . ما موقع أخص هذه ؟ لا معنى لها مطلقاً ، إلا أننا وجدنا هذه الكلمة منصوبة ووجدنا هذا التعبير يدل على التخصيص ، فقدرنا هذا الفعل ، وقدرنا هذا العقل ، ولنا أن تقدر ما تشاء ، ولكن التلاميذ لهم أيضاً عقول صغيرة ، ساذجة ، لا ينبغي أن نكلفها ما لا تطيق . وإذا قلت للتلميح « إياك والكيل » وطلبت إليه إعراب هذه الكلمة ، اخترعت له فعلاً مقدرًا لأدري ، ولا بدري هو أين يكون ومن أين جاء ، هو « احذرك » . ونظراً لأنك حذف الفعل فقد اضطرت إلى أن تسعمل الضمير المنفصل مكان الضمير المتصل ، فلم تقل « ك النار » ، وإنما قلت « إياك والنار » .

كل هذا كلام أنا شخصياً أحبه أشد الحب ، وأؤكد لكم أن النحو هو أحب علوم اللغة العربية إليّ ، وأؤكد لكم أنني أجد لذة لا تعد لها لذة حين أجلس إلى الصديق إبراهيم مصطفى ونذاكر باباً من أبواب النحو ، ونحاول إعراب آية

من آيات القرآن على قواعد النحويين ، أو إعراب بيت من آيات الشعر على قواعد النحويين ، ولا أنسى أنني تذاكرت معه غير مرة في إعراب الآية الكريمة : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون » . كيف يكون إعراب هذه الآية ؟ لأن هناك فعلين : « قلت » ، و « تولوا » ، و « إذا » محتاجة الى جواب .. أين يكون الجواب بين هذين الفعلين ، بين « قلت لا أجد » وبين « تولوا » ؟ ويكفي أن تنظروا الى إعراب القرآن لاین حيان لتروا ما يقال هناك ، ولكن كل هذا العمل ما يعمل به التلاميذ في المدارس صغارهم وكبارهم ؟

هذا فصل ، وفصل آخر ليس أهون منه . الأصل أن الناس يكتبون ليقروا ، وبقراءة يفهموا ، ونحن نكتب لنقرأ ، ولكننا لا نقرأ لفهم ، وإنما نفهم أولاً لنقرأ بعد ذلك . وإذا كان هذا جائزاً بالقياس الى الممتازين النابهين النافذين ، فهذه الملايين ما الذي تطلبونه اليها ؟ كيف تطلبون من هذه الكثرة من الأطفال الصغار ، في هذه السن المبكرة ، أن يفهموا الكتب التي تعطى اليهم بالمدارس ليقروا كما ينبغي أن تقرأ ، ويجب عليهم أن يفهموها قبل أن يقرأوها ، أو أن يقرأوها خطأ فيلقون من أمانتهم ومعلمهم سخطاً ، فلا بد إذن من أن نختار بين اثنتين : إما أن نريد المحافظة على اللغة العربية في مجامعنا العلمية على اختلافها فنزود عنها كل شر ، ونحميها من كل بأس ، ونحفي تراثها القديم ، ونجتهد في أن نضيف اليه كل جديد ممكن ، بنفع ولا يضر . أما أن نكون تفعل هذا كله لأنفسنا ولأشباهنا من المتخصصين ولا نخفل بالشعب ولا بتعليم الشعب ، وإذن فنحن لا نصنع أكثر مما يصنع المتخصصون في اللغة اليونانية القديمة ، وفي اللغة اللاتينية القديمة ، أي ما يصنعه المتخصصون في اللغات الميتة .

أزيدون أن تكون اللغة العربية إحدى هذه اللغات الميتة التي يفرغ لها
المختصون ولا يحسنها غيرهم ؟

هذه واحدة ، والثانية أن نكون إنما نفعل هذا كله لتكون اللغة العربية لغة
حية حقاً ، كما تحيا اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية والانكليزية والاسبانية
وغيرها من اللغات الحية التي يتكلمها الناس ويكتبون بها ، ويفهمونها حين
يقرأونها ، أو يقرأونها ليفهموها ، فإذا قرأها فهموها في غير مشقة ولا عسر ،
وإذا تعلموها فلا يجدون فيها جهداً ، ولا مشقة ولا عناء الا ما يجده التلميذ
في حياته العادية حين يتعلم أي شيء من هذه الأشياء التي يتعلمها في صباه .
ولم أذهب بعيداً ؟ .. انظروا الى تلاميذنا في المدارس الثانوية . اننا نعلمهم
اللغة العربية ، ونعلمهم لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين .. في أي اللغتين يتثقف
هؤلاء التلاميذ ، وفي أي اللغتين يسرع هؤلاء التلاميذ الى النطق والفهم
والحديث .. ؟ انظنون أنهم يتثقفون باللغة العربية .. ؟ انظنون أنهم يسرعون
الى التحدث بالعربية الفصحى ، ويسرعون الى قراءتها أو فهمها أم الواقع شيء
آخر ؟ .. أما أنا فقد جربت كثيراً ، والذي أعرفه من التجربة أن تلاميذنا
يتعلمون اللغة الانكليزية والفرنسية أسرع مما يتعلمون اللغة العربية ، لولا أن
عواظهم تفرض عليهم شيئاً من التحفظ وتفرض عليهم شيئاً من الجهد .

أؤكد لكم أيها السادة أن كل هذا الذي عرضته عليكم حتى الآن إنما
يصور خطراً محققاً أشرت اليه في افتتاح مؤتمر الجامع العلمية منذ يومين ، وأضيف
اليه أن هناك كتاباً كباراً يُقرأون في الشرق العربي كله ، ويطلب بعضهم
الآن بالغاء الاعراب وإلغاء قواعد النحو .. أنا أطلب بتيسير قواعد النحو
وتيسير الكتابة العربية لتشجيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ولغة
حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا في هذه الأيام القرية يطلبون إلغاء
قواعد الاعراب وتسكين أواخر الكلام لا شيء إلا لأنهم لم يتعلموا اللغة

العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس ، لا شيء ، إلا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأستاذة الذين يعلمون النحو القديم والكتابة الموروثة ، كل أولئك عجزوا عن أن يُجيبوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير ، وبغضوا اليه العربية الفصحى ، وغرسوا في نفسه هذا البغض ، وأصبح الآن لا يكره شيئاً كما يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتخرج أن يطلب بالإفاء قواعد الإعراب وتسكين آخر الكلمات ، وجعل اللغة العربية الفصحى كأبي لهجة من اللهجات العامية .

أنتم كذلك بين اثنتين : إما أن تريدوا وحدة الشعوب العربية حقاً ، وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة ، حراساً عليها مستعدين للجهاد في سبيلها بالحياة والنفوس ، والأموال والمنافع ، مهما تكن ، وإذن فلا بد من أن تجعلوا لغتكم العربية التي تكون وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة . وإما أن يكون حديثكم عن الوحدة كلاماً لا أكثر ، وأعوذ بالله وأعيدكم من ذلك ، وإذن فدعوا اللغة العربية تموت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانتظروا بعد ذلك إذا أراد السوري أن يقرأ لكاتب مصري أن يضطر الى ترجمته إلى لهجته السورية ، وأن يضطر العراقي اذا أراد أن يقرأ لسوري أن يترجمه للهجته العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار . إن نحن مضينا فيما نحن عليه وأبينا أن نيسر قواعد النحو والكتابة وأن نتيح للشباب والصبية أن يقرأوا ليفهموا لا أن يفهموا ليقرأوا ، فمئذ لا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة ، كما نشأت الفرنسية والاطالية والاسبانية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة .

ماتت اللاتينية وخلفها أبناؤها وبناتها ، فهل تريدون أن تموت اللغة العربية وأن تخلفها بناتها التي نشأت بالفعل في الأقطار العربية المختلفة ؟ .. هذه هي المسألة ، اختيار ، وأنا أعلم أنه ليس أشق على الإنسان من الاختيار . فنحن

نحب القديم ولا نستطيع التفريط فيه إلا بعد مشقة وجهد وعناء ، وبعد أن تتمزق قلوبنا حسرة ، ولكن لا بد مما ليس منه بد .

وبعد فأنا لا أدعوكم إلى هجر القديم مطلقاً ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ، ولا سيما في الأدب واللغة ، ولكن يلم لا يكون النحو القديم ، والكتابة القديمة ، والبلاغة القديمة ، وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه . . . يلم لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة ، نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات ، وفي المعاهد ، ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعليماً قريباً سهلاً ، عسى أن يخرج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم ، ويحسنه أكثر مما نحسنه نحن ، ويحيي هذا التراث القديم أكثر مما نحياه نحن .

أنا أعرف أن هذا كله لا يرضي كثيراً من الناس ، لا في دمشق وحدها بل في مصر وغيرها من البلاد العربية ، ولكني لأحب أن أكذب العرب ، وقد قيل إن الرائد لا يكذب قومه ، ولا أحب أن أكون كهؤلاء الذين يقولون إن أمة محمد بخير ، ولا أريد أن أكون كهؤلاء الذين يطهشون في المكان القلق ، إنما أحب وأحب للمواطنين من العرب أن يكونوا أبقاظاً لا نياماً وأن لا يؤخذوا على غرة ، وأن لا ينظروا ذات يوم فإذا هم بدرسون ويجهلون ويكدون ويكدون لأنفسهم لا للشعوب . لا بد إذن من أن ننظر في هذا كله ، وأن ننظر فيه نظرة الشجعان الذين يواجهون الحقائق ولا يستخفون منها ، ونظرة الناصحين الذين لا يريدون أن يستأثروا بالعلم دون العامة ودون الشعب ، وحسب الدنيا شقاء أن يكون فيها المستأثرون بالمال ، والمستأثرون بالحياة المادية ، وشر الاستئثار هو الاستئثار بما خلقه الله ليكون شائعاً بين الناس جميعاً وهو العلم والمعرفة والثقافة . لا ينبغي لعلماء اللغة العربية أن يؤثروا أنفسهم بالعلم العربي ، بل يجب عليهم أن يشيعوه ، ولا ينبغي عليهم أن يظنوا أنهم حين ينشرون كتاباً

من كتب القدماء يشيعونه حقاً . فالكتاب لا يشاع إلا بين الذين يستطيعون أن يقرأوه ، ويفهموه ، ويتصرفوا به . سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ هذا الكتاب أو ذاك من كتب الجاحظ ؟ سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ كتاب البخلاء . . . أو كتاب الترييع والتدوير ؟ وما شئت من الكتب القديمة التي نقرأها فنجد فيها المتعة ، والتي يقرأها بعض المستشرقين فيجدون فيها المتعة . . . سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ هذه الكتب ، قرأها العلماء وأشباه العلماء وطلاب العلوم العالية ، فأما ملايين العرب فلا يعرفون عنها شيئاً . وأعرف قوماً إذا ذكرت لهم هذه الأشياء هنزوا رؤوسهم ورفعوا أكتافهم ، واستهزأوا من ذاك كرها . . .

ليس من شك في أنني حين أتحدث في هذا كله ، أتحدث الى فريقين من الناس ، أتحدث قبل كل شيء الى العلماء الذين يستطيعون الخير ولكنهم لا يقدمون عليه ، ثم أتحدث الى الشباب المتعلمين الذين من حقهم أن يطالبوا العلماء أن يبسروا لهم لغتهم ، وبأن لا يباعدوا بينهم وبين عروبتهم . ولا أشك ولا يجد الشك الى نفسي سبيلاً بأن الحكومات العربية إذا قال لها العلماء : هذا هو النحو الجديد المبسر ، الذي يلائم عقول الشباب في هذا العصر ، ولا يمس جوهر اللغة العربية من قريب ولا من بعيد ، ولا يغير من طبيعة اللغة العربية شيئاً ، ولكنه يتيح للشباب أن يتعلموا اللغة وأن يتقنوها ، وأن يتكلموها وأن يقرأوها وأن يفهموها ، لا أشك مطلقاً بأن الحكومات عندما يقدم اليها العلماء هذه الكتابة البسيرة ، التي تتيح للشباب أن يقرأوا قراءة صحيحة ، ويفهموا فهماً صحيحاً ، ويجعلوا اللغة جزءاً من قلوبهم ، ويجعلوها جزءاً من حياتهم اليومية ، لا لغة متكلفة بتكلفونها - إن استطاعوا أن يتكلموها - في أوقات الحاجة . . . إذا قدم العلماء هذا كله الى الحكومات العربية فأنا مطمئن كل الاطمئنان الى أن جميع الحكومات العربية لن تتردد في إقرار هذا النحو ، وفي إقرار هذه الكتابة ، وفي إشاعة هذا النحو في المدارس ، وفي إشاعة هذه الكتابة أيضاً .

ولقد رأيت مرة كتاباً من كتب المطالعة في المدارس الابتدائية عندنا في مصر ، طغت عليه (البداغوجية) فويل لنا من (البداغوجية) . . طغت عليه (البداغوجية) فزعمت أن اللغة العامية قد تكون أيسر لإفهام الصبية ، فأدخلت بعض الجمل وبعض الألفاظ العامية في هذا الكتاب . فلما تحدثتُ في ذلك الى وزير التربية والتعليم لم يتردد في أن يعذني بالنظر في تلك الثورة . فقدموا إليها السادة العلماء ، والحديث هنا موجه الى مجامعنا الثلاثة التي تأتمر الآن في هذه العاصمة العربية الخالصة ، قدموا إليها السادة العلماء الى الحكومات كتابات مبسرة ونحواً مبسراً ، وقربوا الفتكم من الشعوب ، وثقوا بأنكم ان فعلتم فستبطلون بلاء خيراً من البلاء العظيم الخطير ، الذي أبلاه نخاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم .

مجمع مصر واللغة العربية

ألقى الأستاذ الدكتور منصور فهمي ، كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر ،
في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الأربعاء ٣ / ١٠ / ١٩٥٦ في مدرج
الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (مجمع مصر واللغة العربية)

سادتي

دعا معالي وزير المعارف حضراتكم الى سماع تلك المحاضرات العامة ، فأمس
الأول ألقى الدكتور منير العجلاني محاضرة قيمة عن رابطة اللغة والأمة ،
وبالأمس ألقى صديقي وزميلي الدكتور طه حسين محاضرة عن تبشير القواعد في
اللغة ، وما ينبغي أن يتخذ ليتعلم المتعلم في سهولة ويسر من غير أن تضيق سلامة
اللغة ، أو يضيق جوهر اللغة .

واليوم بما أني جئت الى مؤتمر الجامع هنا ، وجئت من قبل المجمع اللغوي
المصري ، رأيت من الخير أن أتكم بشيء من الإجمال عن أهداف مجمع مصر
في خدمة اللغة العربية ، وعن نزعاته في هذه السبيل .

مهما بدأب العلم أيها السادة في معرفة نشأة اللغات وأطوارها وتوزيعها في الآفاق
بين الأمم ، ومما يمكن من تحليته في هذه الناحية ، نستظل ثمة حجب تحول دون إدراك
الإنسان للأسباب البعيدة الدقيقة التي حولت قوة التفكير ، وخلجات الوجدان ، وطاقت
النفوس ، الى أصوات مسموعة ، ذات جرس ، تبدو عند الإنسان تارة مجلجلة ،
أو هامسة ، وتارة تبدو عند غيره من أنواع الحيوان مهمهمة ، أو مفردة ، أو
عادية ، الى غير ذلك من أنواع الأصوات الدالة على شيء معين في عالم الظاهر ،
أو في عالم الباطن . وقد تستدرجنا النظرة العابرة الى اللغات والأصوات من

هذه الناحية الى فروض والى نظريات . وتشعرنا بضرب من اللاورائية من تلك الماورائية المحيرة كثيراً ، ويؤدي هذا الضرب من الماورائية ، ومن عميق التأمل في ذلك ، الى الاقرار بعجز العقل عن ادراك كنه كل شيء ، ثم الى نوع من تسبيح الله بفرض على نفوس المتأملين من هذه الناحية .

نحن لا نعلم كيف كانت اللغات وكيف نشأت ، وكيف عليم الانسان اللغات وكيف ألهم الكلام . . لا ندري . . العلم عاجز عن إدراك ذلك ، وليس من شأنى اليوم أن أتناول هذا اللون من التفكير الفلسفي ، وحسبي مانعاً أن اجتماعنا قد أقيم لدراسة محدودة للفتنا الممينة ، في موقفها المعين ، في مسيرها ، وتقديمها ، واتصالها بميدان الحياة المصرية العملية ، فلا ينبغي إذن أن بنأى حديثي عما كان لمجمع مصر من نشاط ، وأهداف ، لخدمة لفتنا العزيزة .

ومن المسلم به أن اللغة العربية لم تقف دون حراك ، حيال الحركة العلمية ، والحركة الحضارية الحديثة ، فلقد هيأت لها قابليتها ومرونتها ، أسباب البقاء الطويل ، فهي تكسب وتغنم من حرص أهلها على دعم نهضتهم بالعلم ، وبالثقافة الرفيعة ، وما لها من أطياب الأثر في تنشيط الأذهان وإصلاح اليان .

وبدت بوادر هذا النهوض في مصر وفي بلاد العروبة في شتى الصور ، فيما يبحث ويبحث من تراث تليد ، وفيما ينشر أو يستحدث من تفكير ، الى غير ذلك مما تتسامى به المدارك ، وتعلو به إنسانية الإنسان .

وترجع ملامح هذا النهوض العربي الى عهد تتراعى ذكرياته وعموده عند قرن من الزمن ، فظهرت البشائر في مصر على يد من فقهوا لغة الضاد ، وحذقوا بعض اللغات الأجنبية ، فالتزمت من بينهم جماعة بنقل طائفة من كتب الغربيين في مختلف العلوم والفنون ، وأغرى ذلك بالتنقيب في المعاجم ، وفي كتب الأدب ، لانتقاء الألفاظ العربية ، أو لوضعها وتفصيلها ، حتى تصبح قالباً محكماً ولباساً وفاقاً ، لمختلف التصورات الذهنية التي جاءت بها الحضارة الراهنة . وكان

من أثر ذلك أن نهضت الفصحى . إلا أن التقدم من الناحية الأدبية كان أرحب خطى ، وأكل مظهرأ منه في لغة العلوم . وإنها على أية حال في نهضتها العلمية قد تعالت على لغة الدواوين ، التي كانت في حالة يرثى لها وقتذاك . ولعل من دواعي تخلف اللغة العلمية عن اللحاق بلغة الأدب ، أن طائفة من العلوم والمعارف كانت تعالج في معاهد الدرس بلغات أجنبية ، إما لفقر في كفاية التدريس من أهل البلاد ، وإما عن هوى في نفوس المسيطرين الأجانب في نشر لغاتهم ، وثقافتهم جميعاً بلغاتهم ، وكان للأمرين كليهما أثره السيئ في تعويق المصطلحات العلمية عن اندماجها في لغة الضاد .

لكن سرعة التتابع لشتى المخترعات ، كان من شأن جريانه الشديد من بلاد الغرب صوب البلاد العربية ، أن يدفق في مختلف أسواقها طائفة من الألفاظ والتراكيب الأجنبية ، جرت في الكتابة وفي أحاديث الناس ، ورافق الحياة . ورافق ذلك التدفق الغامر الخفيف دعوة لنفر من المستعمرين أو من السطحيين ، أو ممن في قلوبهم مرض ، إذ كانوا جميعاً يتجاوبون لإضعاف لغة الضاد وتفتيتها ، لتحل محلها في بلاد العروبة لهجات دارجة ، لكي تصبح بعد ذلك إلى لغات متباينة .

ولقد ترتب على بشائر هذا الانبعاث القومي ، والفكري منذ قرن ، وعلى الخوف من سيل المصطلحات والتراكيب الأجنبية الجارفة ، وعلى دعوة الدعاة إلى تفتيت اللغة ، أن تجاوبت همم ذوي الغيرة من العرب ليفكروا في اتخاذ الوسائل لرفعة لغتهم إلى المكانة اللائقة برباط العروبة المتين ، ولغة البيان المكين . ومن ثم أسفر الأمر عن فكرة المجامع العربية في دمشق وغيرها ، إلى أن أنشأت مصر مجمعها الرسمي الحالي ، فعقد أولى جلساته في آخر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، وحدد أغراضه فيما يلي :

« أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون

في تقديمها ، وملائمة على السموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وأن يقوم
بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ،
وأن يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة . »

هذا هو النص الأساسي في تأليف المجمع المصري . وقطع المجمع حتى عامنا
هذا اثنتين وعشرين دورة ، وقد عقد في كل دورة نحو أربعين جلسة ، الى جانب
الجلسات العديدة للجان المتعددة فيه .

أخذ المجمع يعمل في تحقيق الأغراض التي أنشئ من أجلها ، فتصنفت
جهوده أصنافاً يمكن تلخيصها في ستة أو سبعة هي :

- أولاً — تطويع مادة اللغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون .
- ثانياً — درس المصطلحات العلمية والفنية درساً دقيقاً مستأنياً .
- ثالثاً — تيسير دراسة النحو والصرف والإملاء .
- رابعاً — تشجيع الانتاج الأدبي .
- خامساً — بحث النصوص القديمة على مختلف أنواعها .
- سادساً — دراسة اللهجات العربية .
- سابعاً — تيسير الكتابة (الخط) .

هذه هي أصناف جهود مجمع مصر ، ولعلي ، أيها السادة ، لا أستطيع أن أعرض
عليكم مفصلات من هذه الأصناف التي تمثل محاولات المجمع وجهوده ، فذلك
قريب مبسر لمن يريد ، لكن أود أن أقف قليلاً عند اتجاه المجمع في تطويع
مادة اللغة ، لأقرر أنه قد سار سيراً سليماً الى نزعة التيسير في متن اللغة وفي
قواعدها ، فدعا الى قياسية التضمين ، وأجاز نوعاً من الألفاظ المولدة ، وأباح
التوايد والنحت عند الضرورة القصوى ، وأخذ بالاشتقاق من أسماء الأعيان ،
وجعل اسم الآلة قياسياً ، وكذلك المصدر الدال على الحرفة ، وأخذ بقياسية
جموع التكسير ، وأجاز النسب الى الجمع ، وجعل المصدر الصناعي مقبلاً ،

ودعا الى تكميل المادة اللغوية التي لم تستكمل في المأثور من اللغة ، وأبدى حق المحدثين في الوضع اللغوي ، الى غير ذلك من الضوابط والأقيسة ، التي وردت موضحة في محاضر الجمع ونشراته ، وكان يعتمد في ذلك على أقوال أفاضل اللغويين المتقدمين المعلومين .

ولا يعني في موقفي المحدود بسط الفصل ، أو تفصيل الجمل في هذه الدراسات اللغوية التي أثمرتها جهود المجتمعيين في مصر . على أنني لمناسبة قولي الجمل في تطويع مادة اللغة ، أصرح برأي بينكم فيما أحرص أشد الحرص عليه في نهضتنا المشتركة المتوثبة ، ويبدو أن الإيمان بقيمة لغتنا ، والوثوق بخصبها مما أرسخ دعامة تقام عليها خدمتها ، والمحافظة على سلامتها . وما هذا الإيمان وهذا الوثوق إلا نتيجة ملزمة لما يلهمه الواقع . فنحن عرف اللغة العربية منظوم أو مأثور أو منشور من القول في خلال نحو ستة عشر قرناً ، يتبين للمتأمل أنها لم تعجز قط عن تحمل أدق المعاني النفسية ، وعن الإفصاح عن تقائضها في صورة تدعو الى الإعجاب ، ولم تعجز كذلك عن تحمل المعاني التي جلبتها حضارات قديمة ، كان لها أثرها في رقي البشر . وحسبنا نظرة الى ما نقل اليها من فكر أهل العلم والأدب والفن من الهند ، واليونان ، والفرس ، والروم ، والى ما أضافه من دونوا ونقلوا من مصطلحات ، حتى نقرر أنها لغة تدعو الى الثقة حقاً . وعلى ذلك فمما تكاثرت المحدثات فان ثقتنا بلغتنا تهيب بنا ، أيها السادة ، الى أن نستقبل كل ما يجد ، بسلاح من صميم مادتها ، يكفل لها الفوز في مجاراة التقدم العصري .

وانه لا يضيرنا في سبيل ذلك أن نتوسع في مقاييس اللغة ، ونستزيد من صنعها ، لأن ذلك أفضل للغة ، وأبقى عليها من أن يقتحم سياجها ألفاظ غريبة لا تنسجم مع طبيعتها ، ولا تلبث أن تسري في جسدها ، وتكشف حول مادتها ، مريان الداء المميت ، والتكشف المقيت القاتل .

إننا إذا استخدمنا الى جانب التوسع في الأقيسة والى جانب الثروة الضخمة ،
والمادة الغزيرة ، ما توارثناه من ذوق عربي ، وسليقة مواتية ، يصح أن يمثلها صفوة
من أهل التفكير واللغة في المجامع العربية ، فمن المؤكد ان ازدهار لغتنا من
ذاتيتها ومن طبيعتها لموشك قريب . لا تحتاج لغتنا الى الأساليب أو الى العبارات
الأجنبية ، إن بإمكاننا دائماً أن نطورها من مادتها أو من أساليبها المختلفة .
على أنه مما يمكن من إيماننا بقدرة لغتنا على استيعاب المحدثات ، فان ضرورة
التساند من أجل سلامتها قد تستوجب تعبئة جميع القوى الفعالة ، لكي تسخو
الحكومات العربية بسلطانها وإمكاناتها ووسائلها ، ويزع الله بالسلطات
ما لا يزع بالقرآن .

إنني لا أجهل أيضاً أنه لا يروق بعض ذوي الرأي أن تتدخل السلطات في
مدى حريات الناس عند استخدامهم ألفاظاً دون أخرى ، ويعتمدون في ذلك
على كفالة الذوق العام في الجماعة بردع من ينحرف عن المألوف ، وعن
السوية المتبعة .

ولهذا الرأي قيمة وقدر ، لولا أن الذوق العام قد يضل ويحدد وينحرف ،
فيصبح بحاجة الى التقويم والهداية .

والناس وإن خلقوا أحراراً فان حرياتهم قد قيدتها مثل وحدود ، ومن الخير
أن ترد الأمور الى مستوياتها في المثل الرفيعة ، وفي الحدود السديدة المنبعة .
ومما يمكن للأفراد من حق الدفاع عن حرياتهم ، فان للجماعات ومظاهر هذه
الجماعات أن تحاسبهم لصالح المجموع .

ولعل أكثر الدساتير العصرية في زمن الناس الحاضر يقيد من حرية الأفراد
لصالح الجماعات . واللغة ، وهي المرفق الأكبر الممثل للمجموع ، لها حق الحماية
على الحكومات ، بردع الحريات التي لا توعي للغة في بيتها قدساً ولا كرامة

فتبدو مظاهر الاستخفاف في بعض ما ينشر أو يرسل ، في اللافتات أو المتاجر ، أو المصانع أو غيرها من حياة الأسواق العامة ، فإذا الألفاظ الأجنبية تستخدم وتشاع ، وكان من اليسير أن تستبدل بها ألفاظ عربية مألوقة سائغة ، بعد أن وجدت في البلاد مجامع لغوية تتأهب لتقديم خدماتها لكل من تعنيه سلامة لغة الضاد . ونحن إذا خشينا وفرة المصطلحات والتعبيرات الأجنبية فذلك لأن تكاثرها قد يجعل لها لونا من السيادة ، فإذا سادت فانت سيادة اللغة القومية بين أهلها تصبح وهما من الآوهام أو أسطورة من الأساطير ، ويتحقق عندئذ نوع من الاحتلال والاستيلاء البغيض على الذهنية العربية نفسها .

ولعل من أوجب وأيسر ما تؤازر به الحكومات ، أيها السادة ، في خدمة اللغة ، أن تبدي وزارات التعليم ومعاهدها ، حرصاً على حسن استعمال اللغة العربية والترويج لألفاظها في مختلف المدارس ، وفي بواكير المراحل ، وأن تعنى في مختلف الوزارات والمصالح ، كل ضمن اختصاصها ، بتحري خدمة اللغة . وإني لست في دعوتي هذه خيالاً أو نظرياً كما يلوح البعض أحياناً ، ولست كذلك أول من دعا إليها ، فقد سبقني إلى ذلك كثيرون من معاصرين وغير معاصرين ، أذكر منهم العلامة المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري ، حين ذهب إلى بغداد لحضور المؤتمر العلمي سنة ١٩٣٨ ليمثل المجامع اللغوية أو المجمع اللغوي المصري والهيئات التي تعنى باللغة ، فدعا إلى تخليص لغة التدريس والتأليف من كلمات أعجمية يمكن أن يقوم مقامها اللفظ العربي ، متوخياً رياضة السليقة العربية وتربية اللسان الفصيح عند النشء الجديد ، فقدم للمؤتمرين على سبيل المثال مشروعاً لمصطلحات الكيمياء . ولا أبغي التفصيل في الدخول في مقترحات الشيخ فلذلك مقام غير هذا المقام . فإذا كان ما نزع إليه الشيخ وارتآه لم يصادف في حينه وظروفه ما هو خليق به من تحقيق وتنفيذ ، فإن النهضة العربية الحاضرة والعزة القومية البقطة ، تحفز المخلصين إلى إعادة النظر فيما استنته الشيخ الاسكندري ، وما عسى أن نراه من اتخاذ هذه الخطوة إيثاراً في لغة العلم والمعرفة .

وربما كان بعض من اشتغلوا بالعلوم من واضعي المعجمات والمصطلحات ، مثل زميلنا الأستاذ العلامة الأمير مصطفى الشهابي ، يقدر هذه النزعات تقديراً تحيط به اللباقة والاعتماد المشكور ، فقد أشار في بعض أحاديثه إلى كامل الرضا عما قدمه بجمع مصر من قياسية بعض الأوزان ، والأخذ بالتوسع فيها ، بما أتاح للأمير الشهابي صوغ طائفة كبرى من المصطلحات الزراعية وآلاتها . وان المجمع إذ فتح الباب لمختلف النزعات كالاتجاهات لوضع مصطلحات العلم وضعاً عربياً سليماً فإتاما كان ذلك نزوعاً منه إلى شئذ السليقة العربية ، وإبتعاث قواها . وان نتائج سعيه في هذا السبيل لا تقف عند ذلك فحسب ، وإنما تتعداه إلى خدمة الفكر ، والفهم ، والذهنية العلمية لتحديد الحقائق ، وتصويرها في قالب من اللفظ العربي المفهوم ، وذلك لأن حسن الفهم يتوقف على حسن التصور ، ولا يكون التصور الحسن إلا ثمرة الفهم من اللغة التي انطبعت في النفس ، وجرت على لسان القوم ، حين تؤدي الكلمة صورة الشيء على وجه يمثله من قريب جداً ، أو من بعيد . وجلي أن التوسع في الأقيسة وفي الاشتقاق والسير في مسالكها لأدنى موجب يلهمه الذوق ، لا بد أن يزيد في ثراء اللغة ، ويمد رصيدها بكلمات عربية ، ويعين على تسميتها في التوالد والتكاثر ، حتى تحفل لغة الضاد بثروة واسعة تغبطها عليها اللغات .

ومع ما لنا من حرص في هذا التوسع ، فقد أجاز المجمع اللغوي المصري التعريب عند الضرورة القصوى ، على أن تكون رخصة التعريب بعد عناء واستقصاء واستنفاد لوسائل الاشتقاق والجواز ، بل بعد الانتفاع بما يلزم الصور المعنوية القوية من نواح ، أو صفات ، أو قرائن أو ملابسات .

ومن أم المبررات في نزعة التشدد عند رخصة التعريب ، إمراف المتساهلين وانطلاقهم في تبادل الكلمات والتراكيب والأوضاع إمرافاً لا يقف عند حد ، وكذلك إمرافهم في تجنب المشقة وبذل الجهد في التنقيب عن الكلمات العربية ، أو النقاطها من كنوز الماضي ، وملهات الحاضر .

على أن حرص المجمع على تطويع اللغة ، لاستنباب المصطلحات العلمية والحضارية ، لم يحل دون أن يرى البعض فتح الباب واسعاً على مصراعيه ، لكي تدخل منه مصطلحات العلوم والحياة الحضارية الجارية ، بصيغها الأعجمية ، محتجين في مذهبهم بما لتلك الكلمات من وفرة لا تقاوم ، وبما لها من تكاثر يتزايد بتتابع الكشف والاختراع ، كما احتجوا بما لها من شمول وعموم بين المثقفين وأهل العلم في كل مكان ، وبما لها من ترابط وما بينها من تناسق واتصال . وهؤلاء يتناسون أن ألف الألسن لهذه الكلمات والمصطلحات الأعجمية يرجع الى سياسة الاستسلام لها ، والتفريط في واجب الاستعاضة عنها ، وحين تنسند الجهود وتصلح العزائم ، وتتلافى الكفايات للمقاومة ، فلن يتعاضى على الصفوة المثقفة أن تنمي لغة العلم في الكيان العربي ، وتزودها بما هي في حاجة اليه من رصيد ، معها كبر هذا الرصيد .

وإذا كنت أبدو مع كثرة من زملائي ، يحذر من سيل الألفاظ الأجنبية ورغبة عنها ، فانما مرد ذلك الى الخشية من تهاون يجر الى تهاون ، وإهمال يدعو الى إهمال ، فتتلاشى اللغة العربية نفساً في نفس ، وتهتز قواعدها بعد أن رست ورست ، وعلا بناؤها ترفرف عليه رايبتها في رحيب الآفاق ، على مدى القرون . واني لا أعدو الصواب أيها السادة إذا قدرت أنت مصير العروبة بتضامن مع مصير لغتها ، ففيها تتركز مواهب الأمة العربية وأحاسيسها ، ومفاهيمها وانتفاضاتها .

ولو خرجت هذه الأمة على لغتها فانها توهن بذلك معنى العروبة وتزحزحها عن طريقها المقدر لرسالتها في ضريبة التقدم الانساني ، وتنزلها عن مكانتها من العزة والكرامة . فالدعوة الى رفعة اللغة ، هي دعوة الى رفعة القومية العربية ، والانحراف عن ذلك هو انحراف عن مطالب الوطن العربي الأكبر ، على أن مقاومة المجمع المصري للصورة الأعجمية في المصطلحات ، لم تحل دون تقديره للتسامح المفيد ، فحرصه على انتفاع المثقفين العرب باللغة الشائعة بين أهل الاختصاص العلمي ، جعله يوصي بحصر اللفظ الأعجمي بين هلالين بجانب اللفظ العربي المقترح ،

فأرضى بذلك غرض اللغة من السلامة ، وحاجة من يقدرون مكانة الشيوع للفظ الأجنبي بين المختصين من أهله في العصر الحاضر .

على هذا النحو ، تناول المجمع قرابة ثلاثين ألفاً من المصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، مما يستوعب حاجة التعليم الثانوي كله ، ويتجاوزها إلى الدراسات في المعاهد العليا والجامعات .

أيها السادة ، أبحث لنفسي أن استأنى قليلاً عند جهد المجمع في تطويع مادة اللغة ، في تطويع هذا الصنف من جهوده ، وإن أشير إلى ضروب أخرى من جهوده ، إلا إشارات عابرة ، فأما جهده في توخي التخصيص لما يفد إلينا من الكلمات العامة في التجزء ، والسوق ، والبيت فهو جهد يمثل التريث التقليدي للمجمعين ، قرب كلمة تقتضي طويل التنقيب لمعرفة مآناها ومنشأها وأطوار نقابها ، وانبساطها أو انقباضها عن احتمال المعاني المختلفة ، ولا يعرف الصبر على ذلك إلا من كابد هذا الجهد المرير .

ولما أراد المجمع البحث في قواعد الصرف والنحو والإملاء ، رأى أن يلتزم مبدأ انتهى إليه في سنة ١٩٤٥ ونصه : « ان كل رأي يؤدي إلى تغيير في جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر إليه ، وان المهمة هي تفسير القواعد » هذا هو النص . فالأمر في ذلك لا بعدو إذن أن يكون محاولة لاختصار الطريق ، وترجيحاً لبعض الآراء التربوية على بعض ، وقد يروق لبعض الناس رأي منها فيحالفه ، أو ربما يخالف البعض هذا الرأي إلى رأي آخر ، ولكل شيخ طريقتة ، ومنهاجه ، ولكل طالب قوته وطاقته فيما يتعلم ، وفي الطريقة التي يتعلم بها . المسألة إذن في تفسير القواعد التي أشار إليها صديقنا الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين لا تتمدى هذا النص المجع : « ان كل رأي يؤدي إلى التغيير في الجوهر لا يؤبه له » ، إنما التيسير تيسير في الطرائق ، وتيسير في التعليم ، وهذا شيء مباح ، حصل منذ زمن ، وحصل من بعيد . جبر ضومط ، في بلادكم ، خليل السكاكيني

رحمة الله عليه في فلسطين وغيرهما أيضاً نظروا الى هذه الوجهة ، وأرادوا أن يحسنوا في المناهج ، وفي طرائق التدريس . وكان عندنا حفي ناصف من المحسنين في الطريقة أيضاً ، فقد حسن الطريقة التي سارت عليها الكتب الاثرية المعروفة ، كالـكفرادي والاشموني وغيرهما من الكتب ، حسن حفي ناصف هذه الكتب وجعل القواعد مدارج مدارج . هذا الرأي في التحسين التربوي قيل وعمل به ، وما زال يقال ، وقد يقال في المستقبل . ان التحسين في الطريقة وفي الايضاح ، وفي الطرق التربوية أمر معقول ومقبول ، وهو ما أشار اليه بعض أصدقائنا في هذا العصر وفي هذه الأيام .

أما تشجيع الإنتاج الأدبي وهو جهد من جهود المجمع ففيه محاولة لالتاس الوسيلة للحض على التنافس في فنون القصة والشعر والنقد وتحقيق الكتب والتراجم وتشويق اللغة الفصحى السائغة والأدب السهل الرفيع . ولقد اتسع هذا التشجيع لأدباء العربية . ويقيم المجمع لهذه المناسبة حفلة سنوية تتهيا لها دراسة نقدية ، لها أثرها في التوجيه والحث على الإبداع والتفوق باللغة العربية المبسرة السائغة . أما ما يتعلق بعمل المجمع في المعجمات فهناك معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وهو يتجه إلى استيعاب كل لفظ في كل آية ، وتوزيع الألفاظ على معانيها المرادة بطريقة علمية مبسرة ، وبشروح تتجاوب مع البلاغة القرآنية والدوق العربي الأصيل .

ولقد جعل المجمع في تقديره ، حين عني بهذا المعجم ، ان هذا الكتاب السماوي منارة متلاثة ، يهتدي بها العاملون لإرساء قواعد اللغة وإبقائها في سلامة وصحة . وانا أعتقد أيها السادة أن كل تيسير وكل أمر ينزع بنا بعيداً عن هذه المنارة المتلاثة التي تقدر جميعاً بإيمان أنها كانت سبباً في نشر اللغة وفي ربطها بشعوب كبيرة ، كل تيسير ينأى بنا عن قواعد وأصول هذه المنارة لا يؤبه له ، ولا يعمل به .

إنما نحن نستطيع أن نحوم ونحوط ، ولكن نرتكز وننظر دائماً الى هذه المنارة الثلاثية لكي نهتدي بها . نخرج منها قريباً من بلاغتها قريباً ، أو نبعد بعيداً ، ولكننا هي دائماً المثل ، المثال الرابض ، وهي المنبع الأم ، وهي القبلية الامامية التي نأتم بها في كل شدة . هذا القرآن الذي ارتضينا أن يكون أمماً للبلاغة ، أو أن يكون الأمم البلاغية ، أو يكون الأمم الحافظة للغة العربية ، ما دمنا نرتضي هذا ، فلاضير علينا أن نحوم حول تيسير في الأسلوب ، تيسير في التعليم ، تيسير في البرامج ، في بعض الأبواب التي قيلت ، نسهل تفهيمها أو نحدفها عندما نرى أن الطالب الناشئ لا يفهمها مثلاً ، ولكن الإمام هو اللغة الفصحى التي تتمثل في القرآن الكريم .

بعد معجم القرآن هناك المعجم الوسيط للشاذين والمبندئين ، وهو من أعمال المجمع وعلى وشك النهاية لولا العزم على أن يزود بالصور والخرائط ، ويتاريخ بعض الأعلام . والمعجم بعد الآن للمطبعة . أما المعجم الكبير التاريخي فقد قدر المجمع ما يقتضيه وضعه من الجهد ، وطول الوقت ، فصدر منه جزء بيندي من حرف الألف الى حرف الالف مع اخطاء وأخرج هذا الجزء على سبيل التجربة في أربعائة صفحة ، وأرسل الى مختلف الهيئات العلمية لكي يسجلوا ما يبدو لهم من ملاحظات ، لينتفع بها العاملون بهذا المعجم لوجه الحق والصواب . وقد قام العمل بهذا المعجم على وجه دقيق يتلخص في جملة بنود لا حاجة الى سردها الآن .

أما ما يتعلق بدراسة اللهجات فهذا جهد من جهود المجمع ، يهدف من ورائه الى تلقف الكثير من فصيح ما يجري في الهواء ، لكي يرد له اعتباره في التعامل اللغوي السليم .

أيها السادة ، إن مجمع مصر باتخاذ ما نوهت عنه من اتجاهات مختلفة ، يحفز شغور بالواجب الشديد نحو لغة قوية طويلة العمر ، يكاد الدافق من حيويتها ، والمشاهد من طول عمرها ، أن يساهمها بسمة الخلود .

ولقد اعترف النابليون في القديم والحديث بقيمة تلك اللغة ، فكان أبو الريحان البيروني الفارسي في القرن الحادي عشر يرى أن اللغة العربية أطوع للعلوم من الفارسية ، وكان يقول : 'لأن أهنجي' باللغة العربية خير لي من أن أمدح بالفارسية . ولقد ذكر زميلنا المرحوم أنطون الجميل ، في محاضرة له في المجمع ما يلي ، قال : كان كارلوس الخامس المسمى شارل كان ، يقول : إني إذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالاسبانية ، وإذا خاطبت النساء متحياً خاطبتهن بالإيطالية ، وإذا خاطبت جوادي زاجراً خاطبته بالألمانية ، وإذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية . فهل نخالي إذا قلنا إن هذا العاقل لو كان يعرف اللغة العربية لغني بها عن غيرها في مواقفه الأربعة ؟ فقد جمعت نخامة اللفظ وجمال الأسلوب إلى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

ومع إقاراري أيها السادة ، بصحة ما قيل في الإشادة بلغة الضاد ، فإني أرى لها مناعة كبرى تقيها من الفساد ، وطاقة قوية على تحمل ما يصدر عن الطبيعة البشرية وجبلة الانسان من معنوياته ، وتأملاته ، وخطراته ، وإشراقاته ، ولحاته ، ولها طواعية فيما يتصل بعلاقة الانسان المادية ، واضطرابه بسماء ، وفي معترك الحياة . هي لغة تحسن التعبير عن الخاطر والضمير ، وعن الظاهر والمحسوس ، وليست لغة الضاد في مختلف أطوارها تسير على نهج غيرها من اللغات . ليست لغة الضاد تسير على نهج غيرها من اللغات ، فلها قانون خاص بها . . .

ربما أرفع منصوباً أو أنصب مرفوعاً ، ربما كان هذا ، ولكن هل هذا يجعلني اضطرب في اصطلاح أو اضطرب في قياس ؟ ولكن هل هذا يبعدني بعداً كثيراً عن اللغة الأم الأصلية كما يبعد الفرنسية عن اللاتينية مثلاً ؟ . كلا أيها السادة ، ففي كل يوم يزداد التعليم ، وتزداد الثقافة ، وتزداد المجتمعات ، والاجتماعات التي تجمعها المجتمعات والندوات الأدبية ، وفي كل يوم تزداد الإذاعة التي تفتح في المتاجر والدكاكين والمقاهي وفي . . وفي . . الخ . .

وفي كل يوم تمثلي آذاننا باللغة العربية القريبة من اللغة الإمامية الفصحى .
 أنا أعرف منذ ستين عاماً الرجل العامي : البواب ، والسواق أو من مائل
 السواق ، سائق العرب مثلاً . . . السواق زميل في هذا الزمن . . في هذا
 الزمن أصبحت لهجته وتراكيبه في الحديث معي أقرب وأعلى من لهجة زميله منذ
 خمسين عاماً ، مما يدل على أن اللغة تسير على خلاف مسير اللغات الأخرى .
 اللغات الأخرى كانت تتفكك من الأم لتسير بعيداً عنها . فلو بعث لاتبني
 اليوم لما فهم اللغة الفرنسية ، ولو أراد فرنسي أن يفهم كلام لاتبني بعث لما استطاع .
 بخلافنا نحن : فلو بعث عنتره وأراد أن يتغزل بعبلة في أبياته ، إذن لفهمنا جميعاً
 شعره ، حتى هذا السوقي الذي في الشارع .

أيها السادة : أطلت وآن لي أن أختتم . يقتضيني حديثي عن مجمع مصر
 واللغة أن أختتمه بكلمتين صغيرتين ، أولاهما إلى الجمعيين ، والأخرى إلى
 جامعة الدول العربية . أما الجمعيون الذين أجمع بهم كل يوم ، من أبناء العروبة ،
 فهم صفوة هيأتهم الظروف لعمل علمي مشترك ، ويتصفون بما وسمتهم به مبررات
 تعيينهم في الجامعات ، من مقدرة على العمل للاحتفاظ بسلامة اللغة ، على أن المجعبي
 المثالي لا يقف همه عند التفقه في اللغة والدأب في خدمتها ، وهو فوق ذلك
 يتحلى بحس خاص ينتزع به وجهته في العمل ، ومقومات سمعته في الحياة ، من
 صليقة عربية مؤصلة ، ناصعة ، كرحمة الله تتسع لأطيب الآمال ، ونقية
 كالصحراء التي تدني بنقائها النجوم المتألقة في الليل البهيم حين يستشعر به صاحبه
 رسالة لترفع قومه وانعاش ثقافتهم ، وإمداد حديثهم ولغتهم بالمعاني المشرقة من
 كريم اللفظ العربي ، حس يذكي في نفسي نزعات وأريحية الاعتزاز ، فينسمع
 بالطيب من جرس لسانه وبيانه ، رنيناً مطرباً يشجي ، فيروق لمسمعه من لغته
 كل صوت . ، وتشدو في أذنه كل نبرة من نبراتها ، حس يثبني به شتى الذخائر

الغالية التي تضمنتها اللغة من طرائف الحكم والمعاني والمأثورات المشتقة في المنظوم وفي المنثور ، والمنطوية عليها المظان العامرة من تطاول الأعوام ، وتواصل القرون والأيام ، حس يتلمس به الكريم العاطر من المعاني البشرية العليا ، لينقلها في أجواء عروبوته ، ويذيب في شخصيتها ، لتتكون منه ثقافة عربية تفرض نفسها على الناس ويفرضها الإنسان الراقى على نفسه ، وحينئذ يؤدي المجمع واجبه .

لقد أشرت فيما أسلفت من القول الى رغبتى في مساندة الحكومات العربية وعنايتها باللغة ومجامعها ، والى أملى في تأزر فعال بين مختلف السلطات والمصالح والهيئات الحكومية ، لانتخاذ أسباب التبشير حتى تنطلق اللغة النقية في ميادين أعمالها وتعاملها .

فاذا رأى جمع المجتمعيين ذلك فيقيني أن خبر موصل لهذه الرغبة الى حكوماتنا الرشيدة مسعى جامعة الدول العربية .

فليكن رجاؤنا اليها أن تنوب عنا في بسط ذلك التأزر المجدي ، والوسائل في ذلك متعددة ، وعسى أن تكون مجال بحث واستبصار فيما بعد .

أيها السادة ، إذا أدى المجتمعون رسالتهم على خير جهد ، وإذا استخدمت المجامع طاقتها من مذكور العلم والذوق والايان والأريحية والمثالية ، وإذا قرزعت الجهود وتنامقت ، وإذا آزرت الحكومات والجماهير بالمزيد من التجاوب في خدمة لغة الضاد ، وإذا تذكر كل من يتصدى لحركات النهوض أن عليه أن لا يفرط في معاني الهداية الأسامية من وصل الحاضر بالماضي ، ومن دتم القيم القديمة بالحديثة ، وبانتفاء كل حركة لا تشد إلى قطب ولا تنجذب إلى قرار ، إذا كان كل ذلك فامتبشروا وبشروا لغة العرب بالخلود ، وأيقنوا أن النصر من عند الله قريب .

نشاط الجامع

لَبَّتْ الجامع الثلاثة طلب الإدارة الثقافية ، فلخص كل منها أعماله ونشاطه في مذكرة وزعت على أعضاء المؤتمر . وهذه هي المذكرات .

نشاط المجمع العلمي العربي

كان المجمع العلمي العربي ، يعرف لأول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف ، التي أُسست في عهد الحكومة العريية سنة ١٩١٨ . ثم جعلت هذه الشعبة ديوان المعارف . ثم انقلب هذا الديوان نظراً لاتساع أعماله الى مجمع علمي ، واستقل في عام ١٩١٩ عن ديوان المعارف ، وحددت غاياته في أنظمة خاصة ، وهي :

١ — البحث في العلوم الحديثة والقديمة ، وخصوصاً إحياء تراث العرب في العلوم والآداب .

٢ — البحث في علوم اللغة العريية والحرص على سلامتها وجعلها تنسج للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

٣ — البحث في تاريخ العرب وآثارهم ومدنييتهم وصلات الأمم بالحضارة العريية . على أن يقوم المجمع لتحقيق هذه الغاية بالأعمال الآتية :

أ — الانصال بالجامع اللغوية والعلمية والعمل على توحيد المصطلحات العلمية في الأقطار العريية .

ب — إحياء الكتب الأدبية والعلمية التي خلفها أدباء العريية وعلمائها ، وتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها ، ومنح المؤلفين المجيدين في العلوم والآداب جوائز مالية ، والعمل على طبع مؤلفاتهم .

- ج - إقامة المؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية في سورية ، والاشتراك في المؤتمرات والمهرجانات التي تقوم في الأقطار العربية وفي البلدان الأخرى .
- د - إصدار مجلة تعنى بنشر الأبحاث المنصلة بأغراض المجمع .
- هـ - تنظيم إلقاء المحاضرات العامة في ردهة المجمع بدمشق أو في المدن السورية الأخرى .

أخذ المجمع على نفسه منذ تأسيسه العمل على تحقيق الأغراض التي أسس من أجلها . وكان أول أعماله إصدار مجلة المجمع العلمي العربي ، وقد ظهر منها حتى عام ١٩٥٦ واحد وثلاثون مجلداً ، تحوي دراسات لغوية وتاريخية وأدبية ، وتعرف بنوادر المخطوطات العربية ، مع نقد أشهر المؤلفات العربية والأجنبية التي تنيد العالم العربي . وقد ساهم في تحرير المجلة أعضاء المجمع العاملون والمراسلون في الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأذربا وأذربكا ، وغيرهم من العلماء ، وأكثر هذه الأبحاث تمت بصلة وثيقة إلى بعض أغراض مؤتمر المجمع اللغوية العلمية للدول العربية وأبحاث جدول أعماله . من ذلك :

١ - تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية :

كان الوضع السياسي في البلاد في عهد الانتداب لا يساعد على تنظيم الاتصال الذي تصبو إليه نفوسنا ، لأسباب سياسية ولعدم وجود مجامع لغوية وعلمية وفتئذ في بقية الأقطار العربية أو لحدائثة عهد تأسيسها . وقد عمد مجمعنا الى تلافي هذا النقص ، بانتخاب أكبر عدد من الفئة المختارة العاملة في الحقل اللغوي والأدبي وبقية الفروع الثقافية في البلاد العربية والأجنبية أعضاء مراسلين ، ترسل اليهم مجلة المجمع ومطبوعاته ، ويساهم أكثرهم في أغراض المجمع العلمية مساهمة مشكورة . وأصبح مجمعنا بهذا الشكل همزة الوصل بين مختلف العناصر العاملة في حقل العلوم العربية وآدابها وتنشر لهم مجلته آراءهم وأبحاثهم . ولما أسس المجمع اللغوي والمجمع العلمي العراقي كان أكثر أعضائهما أعضاء في مجمعنا ، كما انضم اليهما أعضاء

من جمعنا ، وتحقيق بذلك نوع من الاتصال بين المجمع ، يتبادلون الآراء والمطبوعات ، ويطلع كل منهم على نشاط الآخر .

٢ — دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية :

أحست دواوين الحكومة والمؤسسات بحاجة الى كلمات ومصطلحات عربية جديدة ، تحل محل الألفاظ الأعجمية القديمة الشائعة ، وقد استجاب المجمع العلمي العربي لهذه الرغبة فأذاع على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية نشرة ، طلب فيها أن تنبئه بما تحتاج اليه من الألفاظ وضعاً وتعريفاً ، وأن ترسل اليه من جانبيها مثلاً اختصاصياً ، يشترك في أبحاث المجمع ، ويوضح لأعضائه مدلول الألفاظ الفني . وأخذت القوائم ترد اليه من مختلف الجهات ، فعرضت على المجمع في جلساته ، وبعد مناقشتها أبقى بعضها لصحة عروبتها ، واستبدل ببعضها غيرها ، وعدل القسم الآخر ، ونشر مقترحاته في مجلته والصحف المحلية للمناقشة والمداورة ، واعتمدت الدوائر المذكورة هذه الألفاظ كما أقرها المجمع .

وعني المجمع أيضاً بلغة الصحافة والكتاب والمحادثة ، ونشر في مجلته سلسلة مقالات في عثرات الأقلام وعثرات اللسان ، ثم جردت وطبعت على حدة . وبحث في العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى ، وتناول في أبحاثه التصحيف والتخريف . وكان المجمع منذ بدء عمله مرشداً للكتاب والمتأدبين ، ينتقد من كتبهم ومقالاتهم كل ما يسيء الى اللغة ويرجع بها القهقري ويسلب منها بهاءها ورواءها ، لا يصانع في ذلك صديقاً ولا يحامل قريباً ، كما انه وضع منذ عام ١٩٢٣ مشروع كلية الآداب ، يتخرج منها نشء جديد يتفقه باللغة والأدب .

٣ — تشجيع الترجمة والتأليف بالجوائز المالية :

وبواسطة المجمع صحت نية بعض فضلاء الأعيان ، على وضع جوائز مالية للمؤلفين ، في موضوعات عينوها ، والمجمع هو الحكم وواضع القيود والشروط . ومنح

أيضاً من موازنته الخاصة بعض المجيدين من الكتاب والعلماء والمحققين جوائز مالية ،
وشجع الآخرين بشراء كمية من مؤلفاتهم .

٤ - المصطلحات العلمية :

هذه المشكلة العويصة عانتها الشعوب الناشئة ، وهكذا كان شأن اللغة العربية ،
اجتازت في نهضتها أدواراً ذهبية تغلبت فيها على محنة الترجمة أيام العباسيين ،
فتمّ لعلمائها وضع كثير من الألفاظ بطريق الاشتقاق والمجاز ، وترجموا مفردات وتعابير
دقيقة ، حتى أصبحت العربية في طليعة اللغات العلمية ، ثم جاءت عصور الانحطاط ،
فغيرت مقومات العربية كتابة وكلاماً ، وجد نشاطها حتى أصبحت ممتنعة الى
المصطلحات الفنية العصرية .

وقد حاول مجتمعا معالجة هذه المشكلة ، ولم يأل جهداً في الاتصال ببعض
العلماء خارج سورية ، للتعاون معهم في البحث عن المصطلحات والاتفاق على شكلها ،
واستقر رأيه على ضرورة وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته
واستجابه لمطالب العصر ، وقامت في ذلك مناقشات طويلة حول هذا الموضوع
وصعوبة تحقيقه ، وانه لا يكون وافياً بنجاحه ما لم تتعاون في وضعه الأقطار
العربية ، لاختلاف الكلمات المولدة باختلاف الأقطار ، وما لم يحشد العرب جميع
امكانياتهم لتوحيد المصطلحات ، وإلا وقعت البلاد في بلبلة وشر مستطير . ومع
ذلك فقد بذل بعض أعضاء مجتمعا بحكم طبيعة عملهم في مختلف فروع الجامعة
جهوداً مشكورة ، فوضعوا مصطلحات حديثة كثيرة ، أودعوها مؤلفاتهم في الطب
والصيدلة والعلوم والفلسفة والزراعة والفنون والتشريع والاقتصاد والاجتماع ، يصلح
أكثرها أن يكون نواة لمعجم المستقبل .

٥ - تحقيق المخطوطات ونشرها :

عني مجتمعا بجمع المخطوطات العربية القديمة على اختلاف موضوعاتها ، فأودع
آلافاً منها دار الكتب الظاهرية ، واستنسخ بالتصوير الشمسي من دور الكتب

الأجنبية كثيراً من المخطوطات النادرة التي يفتقر إليها مجتمعنا ، ويحرص على بثها .
وعهد الى بعض أعضائه وغيرهم من العلماء بتحقيق طائفة من هذه المخطوطات
القيمة ، منها :

- ١ - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : للتنوخي
- ٢ - بحر العوام فيما أصاب فيه العوام : لابن الخنيلي الحلبي
- ٣ - ديوان الوليد بن يزيد
- ٤ - رسالة الملائكة : للمعري
- ٥ - تاريخ حكماء الاسلام : للبيهقي
- ٦ - ديوان ابن عنين
- ٧ - المستجد من فعلات الأجواد : لأبي علي التنوخي
- ٨ - كتاب الأشربة : لابن قتيبة
- ٩ - الدارس في تاريخ المدارس : للنعماني
- ١٠ - ديوان علي بن الجهم
- ١١ - الرسالة الجامعة : المنسوبة للمجريطي
- ١٢ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب : للملك الأشرف
- ١٣ - تاريخ داريا : للغولاني
- ١٤ - فضائل الشام ودمشق : لأبي المالك
- ١٥ - ديوان الوأواء الدمشقي
- ١٦ - الموفي في النحو الكوفي : لصدر الدين الكنغراوي
- ١٧ - ديوان ابن حيوس
- ١٨ - تاريخ مدينة دمشق : (المجلد الأول والثاني) لابن عساكر
- ١٩ - كتاب البيروزة : لأبي عبد الله الحسن بازيار العزيز بالله الفاطمي
- ٢٠ - أمراء دمشق في الإسلام : لصلاح الصفدي

- ٢١ — خريدة القصر وجريدة العصر : لعماد الدين الكاتب
- ٢٢ — ديوان ابن أبي حصينة
- ٢٣ — كتاب التبصر بالتجارة : للجاحظ
- ٢٤ — المشتق من أخبار الأصمعي : للإمام الربيع
- ٢٥ — تكملة إصلاح ما غلط به العامة : للجواليقي
- ٢٦ — صحيفة همام بن منبه
- ٢٧ — الزيارات بدمشق : للقاضي العدوي
- ٢٨ — قضاة دمشق : لابن طولون
- وهناك مخطوطات أخرى تحت الطبع ، وغيرها قيد التحقيق •

تقرير المجمع العلمي العراقي

إشارة الى مذكرتك ذات الرقم ٦٧ / ١٤ عدد ٨٧ المؤرخة في ١٩ / ٨ / ١٩٥٦
نبين لكم ما يلي :

١ - نصت الفقرة (آ) من المادة الثانية من نظام المجمع العلمي ما يلي :
« العناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية لمطالب العلوم والفنون
وشؤون الحياة الحاضرة » . وقد أعار المجمع هذه المسألة عناية ملحوظة ، فألقى
بعض أعضائه محاضرات في هذا الشأن ، وكتب آخرون بحوثاً في سلامة اللغة
العربية ، وفي تيسير قواعد الإيملاء العربي نشرت في مجلة المجمع .

٢ - الترجمة من العربية واليهما : قام المجمع بترجمة كتب عدة من اللغة
الانكليزية ومن اللغة التركية الى العربية ، في موضوعات علمية وفلسفية وتاريخية ،
طبع بعضها ولا يزال بعضها قيد الترجمة والتحقيق ، كما ساعد بعض المترجمين على
نشر ما ترجموه مساعدات مالية . وتجدر أن أسماء هذه الكتب مدونة في قائمة
مطبوعات المجمع المرفقة بهذا الكتاب .

٣ - تشجيع التأليف والترجمة بالموضوعات العلمية : بدرس المجمع كل طلب
يقدم اليه دراسة وافية ، بأن يحيله على لجنة من أصحاب العلم والتخصص ، فإذا كان
رأي اللجنة ايجابياً اتخذ ما يراه بشأنه ، وذلك بحسب أهميته وصلته بخاضر العالم
العربي ، فيقبله بطبعه على نفقته وباسمه أو يمنح العرب نفقات الطبع ، ولا يشترط
عليه تقديم المبلغ نقداً أو عوضاً ، وإنما يعتبر ذلك هبة له ومساعدة . وقد يطلب
من العرب تقديم عدد قليل من المطبوع ، لوضعه في خزانة مكتبه للمراجعة .
ولست للمساعدة حدود ، إنما تقدر بمقدار حجم المطبوع المقدّر ومقدار ما يحتمل
صرفه عليه ، والمجمع هو الذي يعينها بالاستناد الى آراء الخبراء في الطبع .

٤ - المصطلحات العلمية : أولى المجمع المصطلحات العلمية والفنية عناية خاصة ، وقصر منذ عدة سنين معظم جلساته على دراسة ما يرد عليه منها من دواوين الدولة ومن المؤسسات العلمية في الخارج وفي جملتها الادارة الثقافية بجامعة الدولة العربية . وقد نشر قسمان مما فرغ منه في أجزاء مجلته ، وفي كراسة خاصة وطبعت ووزعت أيام انعقاد المؤتمر الهندسي العربي في مدينة بغداد في سنة ١٩٥٥ . كما نشر في أجزاء مجلته القواعد التي يسير عليها في اختيار المصطلحات والطريقة التي يتبعها في وضع المصطلح .

٥ - تحقيق المخطوطات العربية : نشر المجمع جملة مخطوطات عربية ، دونت أسماؤها في قائمة مطبوعاته المرفقة ، ولديه في الوقت الحاضر جملة مخطوطات معدة للطبع قام بعض أعضائه بتحقيقها ودراستها ، كما نشر صورة الأرض للشريف الإدريسي وخوارط لمدينة بغداد والموصل . أما طريقة الاختيار وكيفية التحقيق فقد وضع المجمع قواعدها وأصولها قبل سنوات عديدة . وقد أشار إليها المجمع في مجلته .

٦ - تشجيع التأليف : وضع المجمع له قواعد في تشجيع التأليف والتحقيق والترجمة ، وذلك بطريقة وضع جوائز سنوية للكتب المطبوعة والكتب التي يقترح المجمع تأليفها وإعلانها للكتابة فيها . وهي في موضوعات متعددة مختلفة ، تضعها لجنة خاصة. تؤلف لهذه الغاية في كل سنة ، تضعها حسب رأيها في أهميتها وصلاحها بالحياة العربية . وقد أشير إليها والى شروطها في أجزاء المجلة .

رئيس المجمع العلمي العراقي

صبر القاضي

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

- مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول)
 - مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني)
 - مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث) : جزءان
 - مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الأول من المجلد الرابع)
 - كتاب النعم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الاثري
 - تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الأول)
 - تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثاني)
 - تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الثالث)
 - تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الرابع)
 - القسم السيامي
 - تاريخ العرب قبل الاسلام (الجزء الخامس)
 - القسم الديني
- للدكتور جواد علي
- صورة الأرض للشريف الإدريسي : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الاثري
- والدكتور جواد علي
- موجز الدورة الدموية في الكلبة : للدكتور هاشم الوزري
 - المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد : للحافظ ابن الديبشي ، انتقاء الإمام الذهبي ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد
 - مؤرخ العراق ابن الفوطي : للأستاذ محمد رضا الشبيبي
 - مقدمة للرياضيات : تأليف وبتحيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف
 - الدينار الإسلامي في المتحف العراقي : للسيد ناصر النقشبندي
 - خارطة بغداد قديماً وحديثاً : وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد الصراف

- الوقاية من السل الرئوي والبي - سي - جي : للمرحوم الدكتور شريف عسيران .
- بلدان الخلافة الشرقية : تأليف ليسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكور كيس عواد .
- خريدة القصر وجريدة أهل العصر : للعماد الاصبهاني ، القسم العراقي ، الجزء الأول : حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته ووضع فهرسه الدكتور جميل سعيد .
- منازع الفكر الحديث : تأليف سي . ام . جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .
- الخطاط البغدادي علي بن هلال (بن البواب) : تأليف الدكتور سهيل أنور ، وترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي .
- كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام والمنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد .
- مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والأشغال في الصناعة والملاحة والطيران .

كتب ساعد المجمع على طبعها

- البزيدية : تأليف السيد صديق الدملوجي .
- أنت والوراثة : تأليف امرام شاينفيلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .
- العلوم الطبيعية : دراسة عامة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية وأثرها في سير المدنية الحديثة ، للدكتور نوري جعفر .
- المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف سي . ام . جود وترجمة السيد كريم متي .
- الديارات : للشابثي ، تحقيق السيد كور كيس عواد .
- الشرفنامه : تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندي الروزياني .
- ديوان الشرر : للسيد أحمد الصافي النجفي .
- الدستور وحقوق الانسان (جزءان) : للسيد عطا بكري .

لمحة من أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة
في تبسيط قواعد اللغة وكتابتها ودراسة مصطلحاتها
وتشجيع الانتاج الأدبي وتحقيق المخطوطات

كانت مهمة مجمع اللغة العربية منذ نشأته ، المحافظة على اللغة العربية وصيانتها
والنهوض بها ، وجعلها مطابقة لمقتضيات العصر وحاجاته ، وبذل الجهد لذيوعها وانتشارها .
وقد كان من وسائل المجمع الى غرضه هذا ما يأتي :

- ١ - توسيع أقيسة اللغة وتبسيط قواعدها وتبسيط كتابتها وإملائها .
- ٢ - وضع المعاجم اللغوية .
- ٣ - العناية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة .
- ٤ - تحقيق المخطوطات العربية .
- ٥ - تشجيع الانتاج الأدبي .

فمن ناحية القواعد اللغوية والكتابة ، اتخذ المجمع عدة قرارات لتبسيط القواعد
النحوية والصرفية ، كما درس الإملاء العربي واتخذ لتيسيره عدة قرارات .
ودرس مشكلة الكتابة وخصها بجزء من نشاطه . ودعا الى التفكير في أحسن اقتراح
لعلاجها ، وأرصد لذلك جائزة مالية .

ومن جهة المعاجم اللغوية ، قد أتم المجمع طبع الجزء الأول من معجمين هما :
١ - معجم ألفاظ القرآن الكريم ، يتناول المواد من الهمزة الى التاء ، وقد
شرحت فيه معاني الكلمة اللغوية المتصلة بالمعنى القرآني في استعمالاته المختلفة ،
كما عدت المواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة .

٢ - كذلك طبع السفر الأول من القسم الأول من المعجم الكبير ، ويبدأ
بالهمزة وينتهي الى مادة أخرى . ويشمل هذا المعجم المواد التي جاءت في

أغلب المعاجم القديمة ، ويتجاوزها الى غيرها من الاستعمالات ، فلا يقف بها عند منتصف القرن الثاني كما فعلت تلك المعاجم في الغالب . وهو الى ذلك يذكر أصل الكلمات السامية وغيرها . ويستوفي المادة اللغوية استيفاء مشفوعاً بالأمثلة المختلفة لاستعمالات المادة في الشعر والنثر .

وقد فرغ المجمع أيضاً من جمع مواد معجم مبسط ، أسماء « المعجم الوسيط » ، تضمن كثيراً من مصطلحات الحضارة الحديثة ، وما جد على اللغة من ألفاظ في العصر الحديث ، لبس حاجة الطلاب والمثقفين عامة . وتقوم الآن حالياً لجنة خاصة بمراجعته وإعداده للطبع .

ولدى المجمع أصول معجم تاريخي كان قد وضعه المرحوم الدكتور فيشر ، يعكف المجمع على مراجعته وتنظيم مواده تيسيراً للاستفادة منه .

ولما كانت المصطلحات العلمية هي الرافد الأساسي للمعاجم ، والنهوض باللغة على وجه عام ، فقد أولاهما المجمع من نشاطه عناية مستمرة متزايدة . فعني بألفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها ، في المعرفة النظرية أو في التطبيقات العلمية . وقد توسل المجمع في دراسة هذه الألفاظ وضبطها ، وتحديد المدلولات الجديدة ، بالرجوع الى المصادر العربية القديمة وإحياء ما فيها . كما لجأ الى الاشتقاق ، واستخدم مرونة اللغة في أقبيتها وضوابطها ، وأجاز التعريب في الحدود الضيقة التي يرسمها صالح هذه اللغة ، ولا يتنافى مع روحها وطبيعتها . إذ قبل المجمع أحياناً كلمات معربة للمعاني الجديدة ، وتوخى أن يقترن اللفظ العربي بلفظ عربي أصيل كلما أمكن ذلك . على أن يترك بعد ، للاستعمال العام ، تغليب أحد اللفظين على الآخر .

وقد أقر مجلس المجمع ومؤتمره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات على اختلاف ضروبها ، وهي مجملة في البيان المرافق .

ولدى المجمع غير ما جاء في هذا البيان أضعاف هذا العدد من المصطلحات ،

تمكف لجانه العلمية على إعدادها ، لتأخذ طريقها المتجدد المستمر الى مجلس المجمع ومؤتمره لإقرارها .

ولم يفت المجمع أن يؤثر المخطوطات العربية بالعناية ، لما لها من الأثر في ازدهار اللغة ، فأرصد لتحقيقها ونشرها الجوائز المختلفة ، وقد أجاز ثلاثة مخطوطات قديمة . كذلك عمل المجمع على تشجيع الانتاج الأدبي والفني لإثراء اللغة العربية ، فنظم لذلك المسابقات السنوية ، ليتبارى فيها الأدباء والباحثون في مصر بخاصة ، والأقطار العربية بعامة . وقد منح المجمع حتى اليوم :

عدد	
١٥	جائزة للشعر
١٥	جائزة للبحوث والنقد والتراجم
١٥	جائزة للقصة

وبعنى المجمع أيضاً بنشر البحوث اللغوية والمقالات التي يقوم بها الأعضاء الباحثون ، وينشرها مع غيرها من المصطلحات العلمية في مجلته الدورية التي صدر منها حتى اليوم ثمانية أجزاء . كما ينشر محاضر جلساته في مجلدات دورية تصدر تباعاً .

هذا ويصدر المجمع بين الفينة والفينة كراسات مستقلة ، تحتوي كل منها مجموعة من المصطلحات التي أقرها المجمع في كل علم على حدة ، لتيسير عرضها على الهيئات العلمية والباحثين عامة وتسهيل ذبوعها ونشرها .

هذه لمحة من نشاط المجمع في خدمة اللغة . والمجمع يعمل على زيادة طاقته وببذل كل جهد ، في سبيل تحقيق غايته السامية من إنعاش اللغة العربية وارتقاها مستعيناً في عمله - الى جانب أعضائه العاملين من المصريين والشرقيين والمستشرقين - بالأعضاء المراسلين من مختلف أنحاء الشرق والغرب ، وبالخبراء الفنيين من أساتذة الجامعات وغيرهم في شتى فروع العلوم والفنون .

بيان

عدد المصطلحات وأنواعها وفروعها منذ إنشاء المجمع

نوع المصطلحات	فروعها	عددتها
القانون والاقتصاد والإحصاء	مقدمة القانون والقانون المدني	١٥٠٠
	القانون الدولي العام	١٠٠
	قانون المرافعات المدنية والتجارية	٢٠٠
	القانون التجاري	٥٠٠
	الاقتصاد السيامي	٥٠٠
	الاحصاء	١٥٠
العلوم الاجتماعية والفلسفية		٢٥٠
الجغرافيا والتاريخ	الجغرافيا	تحقيق الأعلام الجغرافية
	التاريخ	٢٥٠
الرياضة والهندسة	الرياضة والهندسة	١٥٠٠
	الهندسة الميكانيكية	٢٠٠
الكيمياء والطبيعة	الكيمياء	٥٠٠
	الطبيعة	٢٥٠
الطب	مصطلحات طبية	١٠٠
	الطب الباطني	١٠٠٠
	التشريح	٣٠٠
	علم الأمراض	٨٠٠
	علم الصحة	٣٠٠
	علم البكتريا	٢٠٠

نوع المصطلحات	فروعها	عددتها
علوم الأحياء والنبات	علم الرمد	٧٠٠
	علوم الأحياء	٣٠٠
	علم الحيوانات	٩٨
	النبات	٥٠٠
	التخيل	٧٩
الجيولوجيا		٥٠٠
ألفاظ الحضارة الحديثة		٥٠٠
	الرسم والتصوير	١٤٩
	الموسيقى	٣٨٨
	الطباعة	١٧

مذكرات الإدارة الثقافية

قدمت الإدارة الثقافية أربع مذكرات تتعلق بموضوعات المؤتمر ، ندرجها فيما يلي :

(١) تيسير الكتابة العربية

كانت الإدارة الثقافية قد دعت الدول العربية الى تعيين أسماء خبراء في شؤون الكتابة العربية وتبسيرها ، حتى يتيسر اجتماعهم في القاهرة للنداول في الموضوع ، وذلك تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة في هذا الصدد (ق ١٦٤ / د ٢٣ / ج ٢ / ٣١ / ٣ / ١٥٥) . وقد تلقت الإدارة الثقافية أسماء مندوبي بعض الدول العربية ، فبعثت اليهم بذاكرة في هذا الشأن لدراستها ، تمهيداً لدعوتهم للاجتماع في القاهرة لبحث هذا الموضوع . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات ، اشتركت في بعضها مع اللجنة المختصة بدراسة هذا الموضوع في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وانتهت الى التوصيات المبينة في المحضر التالي :

« بعد أن بحثت اللجنة في المبادئ العامة ، التي يرجى تبسيط الكتابة على ضوئها ، رأت أن الحل لمشكلة التبسيط يجب أن يقوم على أساس ابقاء صور الحروف العربية ، بحيث لا يبعد بين صور الأحرف العربية المقترحة وصور الأحرف العربية الحالية المألوفة .

ولما كانت لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة مقترحات وتجارب في هذا الصدد ، رأت اللجنة أن تعقد جلساتها في مبنى المجمع ، مع لجنة المجمع الفرعية المشكلة لهذه الغاية .

وقد عقدت اللجنة في المجمع جلستين ، الأولى في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ٢/٤/١٩٥٦ ، والثانية في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء ٤/٤/١٩٥٦ ، جرى في أثنائها بحث الموضوع من جميع وجوهه ، وعرضت مختلف المقترحات والنماذج ، وانتهت اللجنة بالاتفاق مع ممثلي المجمع الى ما يأتي :

- (١) تبقى الكتابة اليدوية الآن كما هي ، لأنها موجزة مختزلة ، مع إجراء الشكل فيها عند الضرورة .
- (٢) الاختصار الآن على تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، وذلك باختصار أشكال الحروف وصورها ، والاستغناء عن الصور المتداخلة والمقنطرة ونحوها ، مع المحافظة على خصائص الخط العربي وجماله .
- (٣) لا بد من التزام الشكل في الطباعة لضبط النطق .
- (٤) يوضع للنقطة مكان ثابت من الحرف لا يعدوه ، نفيًا للاشتباه .
- (٥) يوضع للشكل مكان ثابت لا يعدوه .
- (٦) يعرض ما ينتهي اليه بحث اللجنة الفنية ، حول الصور المقترحة للكتابة على مؤتمر الجامعات اللغوية ، الذي تعقده جامعة الدول العربية في سبتمبر المقبل في دمشق .
- (٧) يطلب الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تنظر فيما يقتضيه تطبيق الطريقة المقترحة من تكاليف لإجراء التجارب .

* * *

وقد تقدم الى الإدارة الثقافية بعد انتهاء أعمال اللجنة السادة نصري خطار ويونس عبد الرازق السامرائي وفيليب موراني وقرهت أرا كليان بأربعة مشروعات ، طلب عرضها على المؤتمر استكمالاً للبحث ، وستعرض على اللجنة الخاصة في المؤتمر .

(٢) التأليف والترجمة والنشر

١ - التأليف :

من أهم الغايات التي تتوخى الإدارة الثقافية تحقيقها ، النهوض بمستوى التأليف في الأقطار العربية ، بوصفه في طبعة الوسائل التي تكفل التقدم الصحيح للأمة العربية ، خاصة التأليف في الحقل القومي العربي . وقد عمدت الإدارة الثقافية الى اتخاذ اتجاهات ثلاثة ، تكفل تحقيق غايتها في هذا المضمار :

- ١ - تأليف كتب في موضوعات تهتم العالم العربي .
- ٢ - تشجيع الكتب المؤلفة التي تحاول تحقيق هدف من أهداف جامعة الدول العربية .

٣ - منح جوائز مالية للفائزين من الكتاب والباحثين في المسابقات التي تعلن عنها الإدارة الثقافية كل سنة .

هذا وقد أتمت الإدارة الثقافية حتى اليوم طبع الكتب الآتية :

- (١) العالم العربي (الجزء الأول والثاني) : ويتضمنان بحثاً ومقالات للفيف من كبار الكتاب والعلماء ، عن أحوال العالم العربي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والأدبية ، الى غير ذلك من الموضوعات الحيوية .
- (٢) الحولية الثقافية (أربعة أجزاء) : وهي تحتوي على كثير من المعلومات والرسوم البيانية والإحصاءات الدقيقة ، عن التعليم في الأقطار العربية ومدى تطوره في الأعوام الأخيرة ، وتشكيلات المدارس والمعاهد والكليات ، ونظمها ومناهجها المختلفة ، وتنضم المراسيم والأوامر التي تنظم الدراسة فيها ، ونسبة الطلاب في كل قطر الى عدد سكانه ، والهيئات المعنية بالشؤون الثقافية في هذه البلاد ونشاطها العلمي وإنتاجها الفكري ، حتى يتيسر لكل مطلع الحصول على صورة واضحة عن الحالة التعليمية والعلمية في مختلف الأقطار العربية .

كما أصدرت الإدارة الثقافية نشرات إحصائية عن التعليم في البلاد العربية في العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، وهي بصدد إصدار نشرة أخرى عن عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ .

(٣) كتاب مؤتمر الآثار العربية ، وهو يتناول الأبحاث والمدارلات والقرارات التي اتخذت في مؤتمر الآثار العربية الذي عقد بدمشق في صيف عام ١٩٤٧ .

(٤) كتاب المؤتمر الثقافي العربي الأول (جزءان) ، يتناول أحدهما البحوث التمهيدية للمؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد ببيروت عام ١٩٤٧ ، ويشتمل الجزء الثاني على الأبحاث والمحاضرات التي أقيمت فيه ، وكذلك على القرارات التي اتخذها بشأن تحديد القدر المشترك في الموضوعات القومية ، وهي : اللغة العربية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والتربية الوطنية .

(٥) كتاب المؤتمر الثقافي العربي الثاني : ويتناول المدارلات والأبحاث والمحاضرات والقرارات التي اشتمل عليها المؤتمر الثقافي العربي الثاني الذي عقد بالاسكندرية صيف عام ١٩٥٠ ، وعالج موضوع تحديد أو إطلاق التعليم . وكذلك موضوع إعداد الطالب للحياة العملية .

(٦) الكتاب الذهبي لمهرجان ابن سينا ، وهو يتضمن كل ما أُلقي من بحوث ومحاضرات في المهرجان الأثني للرئيس ابن سينا ، الذي عقد ببغداد في عام ١٩٥٣ .

(٧) كتاب مؤلفات ابن سينا ، وهو ثبت دقيق ومرجع واف لكل مؤلفات الرئيس ابن سينا ومخطوطاته والمكتبات التي توجد فيها تلك المخطوطات في مختلف ربوع العالم .

(٨) كتاب المؤتمر العلمي العربي الأول ، وهو سجل دقيق لكل ما دار في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد بالاسكندرية في عام ١٩٥٣ من نشاط ومناقشات وأبحاث . وقد طبع في جزئين : الأول يشمل البحوث التي أقيمت باللغة العربية ، والثاني يشمل البحوث التي أقيمت باللغات الأجنبية .

وأما كتاب المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٥٥ فيوشك أن يتم طبعه .

ولا شك أن هذه الكتب تعد سجلاً وافياً لنشاط الإدارة الثقافية في المؤتمرات والمهرجانات التي قامت بها منذ إنشائها حتى الآن .

كما عهدت الإدارة الثقافية الى ليف من الأساتذة المتخصصين أمر القيام بتأليف كتاب مفصل عن جغرافية البلاد العربية ، يكون مرجعاً علمياً دقيقاً لكل طالب ومحقق .

والإدارة الثقافية في سبيل إنجاز تأليف الكتب التالية مستعينة بذوي الاختصاص في البلدان العربية :

(١) كتاب في (تاريخ النهضة العربية) : مشتملاً على أحوال البلاد العربية من سقوط بغداد الى أواخر القرن الثامن عشر ، ومحافظة العرب على تراثهم العربي والإسلامي ، ثم اتصالهم بالغرب واليقظة الفكرية والسياسية وكفاحهم ضد الاستعمار ودعوتهم الى الاتحاد وتأسيس الجامعة العربية .

(٢) كتاب نموذجي في (التربية الوطنية للناشئة العربية) : ويشمل القدر المشترك بين البلاد العربية في هذه المادة ، ويعين على تربية الناشئة تربية وطنية تهدف الى إذكاء روح الوحدة القومية العربية ، ويخصص هذا الكتاب للدراسة في الفصول العليا من التعليم الثانوي ، كما يكون مرجعاً لمن يؤلفون في كتب التربية الوطنية للصفوف الأولى من التعليم العام .

(٣) كتاب مدرسي نموذجي يتضمن (جغرافية البلاد العربية) : ليدرس في الصفوف النهائية من مرحلة التعليم الابتدائي في البلاد العربية ، على أن ينظر في وضع كتاب نموذجي لمرحلة التعليم الثانوي عندما ينتهي تأليف كتاب جغرافية العالم العربي .

(٤) كتاب في (الأدب المعاصر) ، يشمل دراسة الأدباء المعاصرين في شتى أجزاء الوطن العربي وبعض النماذج المختارة لأئمتهم .

(٥) كتاب للمطالعة ، يدرس في صفوف الشهادة المتوسطة وبعض صفوف المدارس الثانوية الى جانب كتب المطالعة المحلية . ويحتوي على نصوص مشروحة ، ترمي الى الاعتزاز القومي وتخليد مآثر العرب ، على غرار الكتاب الذي قامت بوضعه وزارة المعارف العراقية .

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول من أهداف الإدارة الثقافية في مضمار التأليف ، وهو القسم الخاص بتأليف كتب في موضوعات تهتم العالم العربي . أما فيما يتصل بالقسم الثاني من هذه الأهداف ، وهو القسم الخاص بتشجيع التأليف حول فكرة تحقق هدفاً من أهداف الجامعة العربية فقد دأبت الإدارة الثقافية على تخصيص جوائز مناسبة لأحسن كتاب عربي علمي أو أدبي يؤلف ويخدم فكرة تتصل بتحقيق أهداف الجامعة العربية ، وذلك إما بمنح مكافآت مالية للمؤلف أو بشراء عدد من النسخ وتوزيعها على المكتبات والهيئات الثقافية العامة .

وقد منحت الإدارة الثقافية في عام ١٩٥٣ مكافآت مالية لبعض المؤلفين الذين ألفوا كتباً تتفق وهذه الغاية . كما أعلنت هذا العام عن تخصيص جوائز مالية تشجيعاً للتأليف في الموضوعات التي تحقق أحد أهداف الجامعة .

وأما فيما يتصل بالقسم الثالث وهو الخاص بمنح جوائز مالية للفائزين في مسابقات الإدارة الثقافية ، فقد سبق أن أعلنت الإدارة الثقافية عام ١٩٥٢ عن مسابقة في التأليف ، موضوعها المشاكل التي تعوق العالم العربي عن التقدم في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق ، ومنحت مكافأة لمؤلفين اثنين كان بحثهما خير ما قدم الى الإدارة الثقافية في هذه المسابقة ، وقد تم طبع هذين البحثين .

كما أعلنت عام ١٩٥٤ عن مسابقة لتأليف كتاب حول الوحدة العربية وكيف نتحقق .

* * *

ب - الترجمة :

ترمي المعاهدة الثقافية الى توحيد جهود الدول العربية ، في الاستفادة من نتائج الفكر العالمي ، حتى تواصل السير الخيث في ركب الحضارة العالمية . وقد رأت الإدارة الثقافية توجيه أشد العناية الى هذه الناحية الثقافية الجليلة ، فبادرت بتنظيم الاستفادة من المؤلفات القيمة التي أنتجتها قرائح كبار الكتاب والعلماء والمفكرين العالميين ، ووضعت خطة لترجمة ما لم ينقل منها الى اللغة العربية كما يأتي :

١ - حصر مبدئي لأهم الكتب العالمية من قديمة وحديثة في مختلف مواد العلوم والفنون والآداب .

٢ - انتخاب قسم من هذه الكتب الأهم المحصورة ، وتوزيعها على الدول العربية وعلى الإدارة الثقافية .

٣ - قيام كل دولة عربية والى جانبها الإدارة الثقافية بتحقيق ما يقع عليه اختيارها في ترجمته من أهم الكتب .

وقد شرعت الإدارة الثقافية في تنفيذ هذه الخطة ، وبدأت بالقسم الأول منها ، فوجدت بعد البحث والنظر والاستعانة بالاختصاصيين أنه يجب أن يستوحى في حصر أهم الكتب المبادئ التالية :

١ - العناية بالمؤلفات التي أحدثت انجاساً جديداً أو مدرسة جديدة في الثقافة الإنسانية من علم وأدب وفن ، أو بكلمة واحدة المؤلفات التي تعد من عيون الكتب العالمية .

٢ - العناية بأحسن الكتب الجامعة ، التي تستوفي البحث عن أعظم التيارات

الفكرية والأدبية والفنية والتطبيقية العامة التي وجهت البشرية أو لا تزال توجهها اليوم .

٣ — العناية بأهم الكتب التي تتناول بالبحث فروع العلم والأدب والفن بدرجة متوسطة من التفصيل والعمل ، توافق الثقافة العامة .

٤ — العناية بأهم الكتب التي كتبت عن البلاد العربية في شتى نواحيها ، من تاريخية وجغرافية وعلمية واقتصادية الى غير ذلك .

وعلى أثر وضع هذا البرنامج ، اتصلت الإدارة الثقافية ببعض الهيئات العالمية المختصة ، وحصلت منها على كشوف بأسماء الكتب التي تراها تلك الهيئات داخلية في اطار هذا البرنامج ، كذلك عهدت الإدارة الثقافية الى المتخصصين العرب بوضع كشوف بالكتب الهامة على هذا النحو ، كل في مادة اختصاصه . فلما اجتمعت هذه الكشوف كلها لدى الإدارة الثقافية ، شكلت لجاناً لدراستها ونسبتها ، واختارت عدداً معيناً منها يصلح لتوزيعه على الأقطار العربية والإدارة الثقافية ، وأرسلت الكشوف الموزعة على مواد العلوم والفنون والآداب الى البلاد العربية ، لنتخب منها ما ترى أن تضطلع بترجمته ، ولتحيط كل دولة عربية بالإدارة الثقافية بنتيجة اختيارها منها أو بما لم يذكر في تلك القوائم ، مما ترى أنه يصلح للترجمة ، وتنسق الإدارة الثقافية بين رغبات الدول العربية في الاختيار وينتهي من كل ذلك الى توزيع نهائي يشرع في تنفيذ مضمونه . على إن الإدارة الثقافية لم تشأ أن تنتظر نتيجة هذا التوزيع ، فانتخبت من هذه الكشوف كتباً معينة هامة ، وعهدت الى مترجمين اختصاصيين من البلاد العربية بترجمتها :

١ — تطور الزراعة في الشرق الأوسط (The Agricultural Development of the Middle East) ، ألفه الكاتب الانكليزي (Keen) ونقله الى العربية الأستاذ مصطفى نظيف ، وتولى مراجعته الأمير مصطفى الشهابي .

٢ — المجلدات الأولى والثاني والثالث ، من كتاب قصة الحضارة (في ١٠

أجزاء) (Story of Civilization) والمجلد الرابع معد للطبع ، ألفه الكاتب الأمريكي (Durant) ونقله الى العربية الأستاذ محمد بدران .

٣ - معجم الأنساب والأميرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (Manuel de Généalogie) تأليف (Zambaur) وترجمة الدكتور زكي محمد حسن وآخرين .

٤ - تاريخ حقوق الانسان (Histoire de la Déclaration des Droits de l'Homme) ، ترجمة الدكتور محمد مندور .

• - الوحدة الإيطالية : تأليف بولتن كنيج وترجمة العميد طه الهاشمي .

٦ - الدراسة المثلى لنوع الانسان ، تأليف ستيورات تشيس (The Proper Study of Mankind) ترجمة الأستاذ محمود الدسوقي .

٧ - السلطة والفرد (Authority & Individual) تأليف برتراند رسل
ترجمة الأستاذ محمد بكير خليل .

٨ - تاريخ الفكر الأندلسي ، تأليف بالنثيا (Historia de la Literatura Arabigo Espanola) ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

٩ - قضية الأخلاق (Le Problème Moral) ترجمة الدكتور محمد غلاب .

١٠ - (The Scientific Outlook) تأليف برتراند رسل ، ترجمة الدكتور

ابراهيم عثمان نويه .

١١ - وقد عهدت الى أحد العلماء المتخصصين بترجمة كتاب تاريخ الأدب

العربي لبروكمان .

وقد تبين للإدارة الثقافية أن خير سياسة يمكن اتباعها في اختيار الكتب للترجمة ، هي أن تحصر جهودها في ترجمة الكتب المهمة جداً ، والتي تعنى بالشؤون العربية ، أو التي تزيد ثروة المكتبة العربية ، ولا يقدم على ترجمتها الأفراد أو دور النشر ، لقلة رواجها .

وتقوم الادارة الثقافية بنقل آثار شكسبير جميعاً الى اللغة العربية ، وقد تم حتى الآن ترجمة ثماني مسرحيات هي :

هنري السادس ، حلم ليلة في منتصف الصيف ، الملك جون ، تاجر البندقية ،
ضحية فارغة ، زوجات وندسور المرحات ، يوليوس قيصر ، على هواك .
وستتلاقى في فترة قريبة ثماني مسرحيات أخرى ، نلها في غضون عام على
الأكثر باقي مسرحيات شكسبير .

وقد تألفت لجنة لمراجعة ترجمة هذه المسرحيات ، بدأت عملها تمهيداً لطبع هذه
المسرحيات ونشرها ، في مختلف الأقطار العربية .

* * *

ج - النشر :

تري الادارة الثقافية أن نشر الكتب العلمية القيمة ، من المأم الحيوية التي
ينبغي أن تضطلع بها وبتجده اليها جهدها . وهي فضلاً عن توليها نشر الكتب
المؤلفة والمترجمة بمعرفتها ، لا تتوانى عن مد يد المساعدة الى رجال الفكر والمؤلفين
لنشر آرائهم وخلاصة أفكارهم .

ولقد نشرت الادارة الثقافية الطبعة الثانية لكتاب (تراث العرب العلمي في
الرياضيات والفلك) لمؤلفه الأستاذ قدرى حافظ طوقان ، وذلك بعد أن اطلعت
عليه لجنة من ذوي الاختصاص ورأت مدى الفائدة التي يمكن تحقيقها من إعادة
نشر هذا الكتاب .

كذلك اتفقت الادارة الثقافية بعد موافقة المكتب الدائم ، على أن تتولى نشر
ترجمات بعض الكتب الهامة من التأليف الأمريكية . وقد تم طبع ثلاثة
كتب منها هي :

كتات يشتمل على مقالات للكاتب الأمريكي الكبير ايمرسون ، وكتاب
الحرية والثقافة لديوي ، وكتاب انتصار الحضارة لبرستيد .

(٣) تأليف الكتب العلمية وترجمتها ونشرها

عنيت الإدارة الثقافية بهذا الموضوع أيضاً عناية كبيرة ، فكان من المواد التي بحثها المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، وتم الاتفاق في المؤتمر على تزويد المكتبة العربية بالمراجع الأساسية في شتى العلوم ، وهو عمل لا بد فيه من تنسيق وتنظيم ، لتجنب تشتت الجهود وتكرار العمل الواحد ، سواء أكان تأليفاً أم ترجمة ، وللحرص أيضاً على حسن الاختيار . كما بدا في هذا المؤتمر اتجاه إلى أن تكون العربية هي لغة تدريس العلوم في الجامعات .

ولما تكون الاتحاد العلمي العربي ، تضمن قانونه « العمل على نشر البحوث العلمية المبتكرة باللغات الأجنبية » . كما تضمن هذا القانون أن تقوم شعب الاتحاد العلمي العربي في كل قطر عربي ، بتنشيط الحركة العلمية بالتأليف والترجمة والنشر . ونشرت الإدارة الثقافية كتاب « تراث العرب العلمي » للأستاذ قدري حافظ طوقان ، وأنفقت على ترجمة كتابي « النظرة العلمية » لبرتراند رسل ، و « تطور الزراعة في الشرق الأوسط » للدكتور كين ، وساهمت في ترجمة ونشر « كتاب تاريخ العلوم » للأستاذ سارتون .

وقررت اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها الحادية عشرة ، التي عقدت في مايو سنة ١٩٥٦ بالقاهرة أن تعلن الإدارة الثقافية عن مسابقة لتأليف كتابين باللغة العربية ، أحدهما عن تاريخ الطب عند العرب ، والثاني عن تاريخ الرياضيات عند العرب ، ووضعت لذلك شروطاً معينة .

وكلفت الإدارة الثقافية أحد العلماء المتخصصين ترجمة كتاب « أصول الرياضيات » تأليف برتراند رسل .

وهي في سبيل من يترجم كتاب « العلوم الرياضية والفلكية عند العرب » تأليف العالم الألماني سوتر .

كما كانت الادارة الثقافية لفيفا من العلماء المتخصصين بالجغرافيا تأليف كتاب يتناول جميع النواحي الجغرافية للوطن العربي ، ويكون مرجعاً علمياً قيمياً في موضوعه ، ووضعت خطة التأليف مفصلة ، على أن ينتهي الكتاب بجميع أجزائه على مراحل في مدة أقصاها نهاية عام ١٩٥٧ .

٤ (المصطلحات العلمية

عنيت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بموضوع المصطلحات العلمية منذ مدة طويلة ، فقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في صيف عام ١٩٥٣ ، وأدلى كثير من أعضاء هذا المؤتمر بآرائهم فيه . وعلى الرغم من كثرة الآراء والاقتراحات واختلاف وجهات النظر في هذه المشكلة ، فقد تبين بوضوح اتجاه الرأي بصفة عامة فيها . إذ استقر على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعاً ، وأبدت آراء واقتراحات كثيرة عن تعريب المصطلحات وترجمتها وبحثها واستقامتها وما الى ذلك . كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام ١٩٥٥ ، الى بحث هذا الموضوع أيضاً ، وتألقت فيه شعبة للمصطلحات ، درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي :

- ١ - حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك .
- ٢ - حلقة علوم النبات والحيوان والصحة العامة .
- ٣ - حلقة علوم الكيمياء والبيولوجيا .
- ٤ - حلقة علوم المواد الاجتماعية .

وقد استجابت هيئة اليونسكو لرغبة لجنة إعداد المؤتمر الثاني ، فدعت أحد الخبراء الأجانب في موضوع المصطلحات ، وهو العالم الألماني جمبكت ، الذي حاضر المؤتمرين في هذا الموضوع .

ولما عقد مجلس الاتحاد العلمي العربي دور انعقاده الأول ، في المدة من ٢٩ مارس إلى ٣ ابريل سنة ١٩٥٦ بالقاهرة ، وافق على الخطة الآتية بشأن المصطلحات:

أ — الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة في اللغات الأجنبية ، التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع ، وتشتمل المصطلح الأجنبي الدال على المعنى ، وتعريفًا علميًا دقيقًا للمصطلح ، بحيث يكون من اليسور وضع اللفظ العربي وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

ب — توزع هذه المصطلحات على مترجمين إخصائيين في مصر ، ثم توزع على المهتمين لمراجعتها ، ثم تطبع بعد ذلك في قوائم .

ج — ترسل هذه القوائم الى شعب الاتحاد ، ليبدى الاخصائيون من العلماء رأيهم فيها .

د — توافي الشعب مكتب الاتحاد برأيها الموحد في كل مصطلح .

هـ — تؤلف لجنة مشتركة لكل مادة تمثل فيها كل شعبة باخصائي لتوحيد المصطلح وتوحيد ترجمة التعريف .

و — تطبع مصطلحات كل مادة في معجم خاص ، ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

ز — يرحب المكتب التنفيذي باقتراحات العلماء العرب في وضع وترجمة المصطلحات العلمية الحديثة .

هذا وتهتم الادارة الثقافية بوجه خاص في توحيد المصطلحات العلمية المستعملة في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي . أما المصطلحات العلمية العامة والمستعمل منها في التعليم الجامعي فالادارة الثقافية ترى أن الجامع العلمية والجامعات أولى بتعديدها والعناية يبحث توحيدها .

مذكرة

معهد إحياء المخطوطات العربية

قدم معهد إحياء المخطوطات العربية المذكرة التالية المتعلقة بإنشائه وأعماله :

للثراث العربي القديم قيمة كبيرة في الحضارة العالمية ، وأثر كبير في التطور الفكري للبلاد العربية ، ولا ريب أن كثيراً من الآثار العلمية للأمة العربية قد أصبحت تعد مرحلة من مراحل تاريخ العلم في العالم ، وكثيراً من الآثار الفكرية والقانونية والأدبية لا يزال يسير العصر الذي نجن فيه ، ولا يقل عنه في حسن الاتجاه . وأباً كان فهو مادة خصبة يستطيع الفكر العربي الحديث أن يستمد منها ، ونبع فياض يستقي منه الى زمان بعيد ، فيفيد الفكر العالمي .

هذه الآثار طبع قسم صغير منها طبعاً يتفاوت في الجودة ، وأصوله الأولى المخطوطة مبعثرة في أنحاء العالم العربي والغربي والشرقي ، وقد يوجد من الكتاب الواحد مثلاً ثلاث نسخ موزعة على ثلاثة بلاد من بلاد العالم ، إحداها في الشرق ، والأخرى في الغرب ، والثالثة في الشمال ، وقد يذهب عمر الباحث في الوصول الى بغيته ، من أصول عدد محدود من الكتب يرغب فيها ، ناهيك عن بلوغه غايته في أبحاثه كلها ، يضاف الى كل هذا أن الحروب وبالأصف مخربة مهدمة ، فما هو موجود اليوم من مخطوطات فريدة ، قد تلتفه الحرب كما أتلقت مثله في القديم .

لذلك كله رأت جامعة الدول العربية ، أن تجمل من باكورة أعمالها الثقافية جمع صور لما تبعثر من المخطوطات العربية في أنحاء العالم ، ووضعها في متناول أيدي الباحثين .

فأنشأت لهذا الغرض معهداً أسمته (معهد إحياء المخطوطات العربية) ، وذلك بناء على القرار الصادر من مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٤٦ ، وجعلت مهمته ما يلي :

- أ) جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد لتوحيدها في فهرس عام .
- ب) تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القديمة .
- ج) وضع صور هذه المخطوطات تحت تصرف العلماء والباحثين والناشرين .
- د) طبع صور المخطوطات الصحيحة النص ، الواضحة الخط ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى .
- هـ) تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها .
- و) إصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات العربية ، والإشارة إلى ما هو معد منها للطبع .
- ز) إصدار فهرس عام للمخطوطات التي يجمعها المعهد بطريقة التصوير ، ومتابعة إصدار ملاحق لهذا الفهرس ، كلما تجمعت لديه المادة لذلك .

وقد تم تحقيق الآتي منذ بدء العمل في هذا السبيل :

- أ) تجهيز المعهد بالآلات والمعدات اللازمة لتصوير المخطوطات على أشرطة صغيرة (الميكروفيلم) ، وطبع هذه الأفلام مكبرة على الورق ، أو استنساخ صور منها على الأفلام الإيجابية التي من نفس المقاس لعرضها على أنظار الباحثين .
- ب - درس قوائم المخطوطات الموجودة في دور الكتب ، في معظم مكتبات العالم ، لانتخاب الأهم منها .
- ج) درس المخطوطات المنتخبة ، وتسجيل أوصافها على جزازات خاصة .
- د) تصوير المخطوطات المنتخبة ، بطريقة الميكروفيلم .

وقد أوفد المعهد بعثات لتصوير المخطوطات ، الى كل من مصر وسورية وتركيا والهند والقدس ولبنان والمملكة العربية السعودية وتونس وإيطاليا وألمانيا ، فصورت هذه البعثات عدداً كبيراً من المخطوطات ، كما حصل المعهد من جهة أخرى على صور لبعض مخطوطات لندن وإيران والاسكوريال وتوبنجن وباريز وكبريج وليدن . وقد بلغ مجموع مالىدى المعهد من أفلام (١٥) خمسة عشر ألفاً .

هـ) أصدر المعهد في اكتوبر ١٩٤٨ فهرساً بالمخطوطات التي صورها الى ذلك التاريخ ، وفيه ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط .

و) ثم أصدر المعهد في عام ١٩٥٤ ، الجزء الأول من فهرس مطبوع وضعه الأستاذ فؤاد سيد ، فيه وصف ما يقرب من ٥٦٠٠ مخطوط ، يتعلق بالفنون التالية : الكتب السماوية ، القراءات والتجويد ، التفسير وعلوم القرآن ، الحديث والمصطلح ، التوحيد والمال والنحل ، التصوف والآداب الشرعية ، الفلسفة والمنطق ، أصول الفقه ، الفقه الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي ، اختلاف الفقهاء ، علم الفرائض ، فقه المذاهب الأخرى ، اللغة ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض والقوافي ، الأدب ، السياسة والاجتماع ، الجغرافيا والبلدان .

ز) أصدر المعهد في عام ١٩٥٥ مجلة تبحث في المخطوطات العربية والوثائق ، وتدير أبحاثها حول المخطوطات العربية في العالم والتعريف بالمخطوطات . وقد صدر منها المجلد الأول لعام ١٩٥٥ ، والجزء الأول من المجلد الثاني لعام ١٩٥٦ .

ح) عني المعهد منذ عام ١٩٥٥ بنشر بعض المخطوطات القيمة الكبيرة التي لا يستطيع الأفراد والناشرون القيام بنشرها ، وبدأ بتحقيق سير النبلاء للحفاظ على الذاكرة ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، والسير الكبير للشيباني ، والمحكم لابن سيده ، ويقوم على تحقيق هذه الكتب طائفة من العلماء المحققين في البلاد العربية ، ويشرف عليها الأستاذ الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية . وقد صدر الجزء الأول من سير النبلاء في عام ١٩٥٦ .

ط) أجرى المعهد اتفاقاً في عام ١٩٥٥ مع مكتبة ليدن بتبادل الأفلام بدلاً من شرائها ، ويعمل المعهد على إجراء اتفاقات مماثلة مع سائر المكتبات التي تتضمن مخطوطات عربية نادرة .

ي) بدأ المعهد منذ عام ١٩٥٥ بمطي من يشاء من الباحثين أفلاماً إيجابية بدلاً من تكبيرها اقتصاداً في النفقات .

ك) ألف في عام ١٩٥٦ مجلس أعلى للمعهد وضع نظامه الداخلي ونظامه المالي ، وقد اعتمدهما الأمين العام في ٤ / ٤ / ١٩٥٦ .

ل) يعنى المعهد بطبع الجزء الثاني من فهرس المخطوطات المتعلق بالتاريخ .
م) يعمل المعهد على إنشاء مكتبة مصورة على ورق مكبر ، تضم أهم الموسوعات في التاريخ والتراجم .

ن) يعمل المعهد على استنساخ أفلام إيجابية لجميع الأفلام السلبية الموجودة لديه ، لاستعمالها في المطالعة والقراءة عند الحاجة .

س) سيولي المعهد المكتبات الخاصة في البلاد العربية عناية خاصة ، فيعنى بوضع فهرس لها ، ثم يصور منها ما يستحق التصوير ليضمه الى مجموعاته .

ع) سيوالي المعهد إرسال البعث لتصوير المخطوطات ، حسب المنهج الذي اختطه المجلس الأعلى .

أبحاث المؤتمر

قدّم بعض أعضاء المؤتمر أبحاثاً قُرئت في ندوته العامة أو في لجانه الفرعية ،
نشرها فيما يلي ^(١) :

الكتابة العربية

للدكتور منصور فهمي

أيها السادة :

يرجع اليونان الى آلهتهم أو على لسان حكمائهم قولاً مأثوراً فخواه :
اعرف نفسك أو تبين حقيقتك . ومهما تعظم المشقة لاستجلاء الحقائق وتبنيها
في النفوس أو في مختلف الظواهر والاحداث ، فالغبطة تقارن دائماً بمحاولة البحث
عن معالم الحقيقة . ولقد جاء في مأثورات العرب : إن رحمة الله قريبة لمن يعرف
قدر نفسه ، ولقد تكون مسرة النفوس وانتعاشها من نصيب المتحري لأقدار الامور .
وحين استبان العرب لأنفسهم اليوم نهضة شاملة ، وتوضّحوا لبلادهم صحوة باسمه
آملة ، كان لزاماً عليهم أن يثذكروا في تأريخ أفكارهم واقتهم وكتابتهم ،
ليبرزوا صورة لنهوضهم ، ويقدرُوا قيمة أنفسهم ومدى تقدمهم في مختلف الأطوار .
لذلك بدا لي أن نتحدث في تاريخ الكتابة العربية ، بجافز من وحي تلك النهضة
التي تستدرجنا لمعرفة جزئياتها ، بل بجافز من الرغبة في الحقيقة التي تقتضي ربط
الأسباب بالمسببات ، وتقليب مالمدي التاريخ من الصفحات ، ومناجاة الماضي

(١) قدم الأستاذ عز الدين التوخي عضو المجمع العلمي العربي رسالة حول « إصلاح
الإملاء » ، وقد سبق نشر هذه الرسالة في ملحق العدد السادس من مجلة « الملم
العربي » الصادرة في دمشق في نيسان ١٩٥٠ ، فاجتزأنا بذلك عن إعادة نشرها هنا .

ليدلي بما عنده من أثر أو خبر ، بل بدافع عما تراءى للبعض ، حين كان فيهم من دعا الى تغيير كتابتنا وخطنا ، والاستبدال بما كان بيننا منه مألوفاً ومعروفاً ، وتأثير مثل هذه الحوافز والدوافع ، تلهفت في جمع المظان والمراجع ، وتوافدت معها الى خاطري شتى الظنون والفروض ، بلغت بي الحيرة مبلغها البعيد عندما حومت لا إدراك ما صدر من أوائل الإشارات الخطية عند الغايرين الأقدمين ، لأن ما توغل منها في القدم ، لا يشير إلا إلى حدود قريبة نسبياً من تاريخ الإنسان على ظهر هذه الأرض ، ولا يتجاوز العهود القريبة لحياة تلك الانسانية التي مازلنا نتخبط في فهم كنهها عندما نائل أنفسنا : متى كانت ؟ وكيف كانت ؟ ولم كانت ؟ وإلى أي مصير ؟ .

ولم يصل بنا البحث في العلم بتاريخ الكتابة والخط ومربانه بين البشر وكيفية استنباطه ، الى ما يصح أن يعتبر اليقين . فقد اختلف العلماء في الأصول التي ترجع اليها الكتابة العربية ، ففهم من رأى لها نشأة في وادي النيل ، فوصلوا بين المصرية القديمة وبين عدة من الكتابات ، وقدروا أن الفينيقيين حولوا كتابة المصريين ، التي قامت على أساس الأشكال والصور الى حروف هجائية سميت بالخط الآرامي . وعلمها الفينيقيون لليونان قبل المسيحية بنحو ستة عشر قرناً ، وللآشوريين بعد ذلك . واشتق منها اليونانيون خطهم الذي تولدت منه الخطوط في بلاد أوروبا وأمريكا وما إليها . ومن الفينيقي أو الآرامي الأصيل تولدت أكثر الخطوط التي تكتب بها اللغات الشرقية في آسيا وأفريقيا وما إليها ، وذهب بعض الباحثين الى أن الكتابة العربية والآرامية والنبطية بنات أم لم يعثر على تاريخها بعد . وقد اكتشف الآثريون بعد الحرب العالمية الأولى معالم حضارات كانت في الهند وفارس ، وعاصرت حضارة وادي النيل ، وكل ذلك من شأنه أن يدعو الى الأناة قبل البت في أصل الكتابة .

وعندما تشتت فكري بين مختلف مذاهب المستشرقين والآثريين ، ولست

من هؤلاء ، ولا هؤلاء ، رأيت أن أخلد قليلاً الى الراحة من أقوال العلماء واضطرابهم ، وألوذ بما يريح الحائرين مثلي ، فأفر الى أجواء الأخيصة التي تأخذ صور الأساطير . ولو جاز لي الأتس بوحدة منها ، لأنست بما يروى في بعض كتب العرب ، وما يومض من تصوراتهم ، حين ذكروا أن أبانا آدم كتب الخط في الطين ، ثم طجنه وحمله آجرآ . فلما أصاب الأرض الطوفان ، وجد كل قوم حروفاً لكتابتهم ، وجاء اسماعيل فوجد الحروف العربية .

وعلى كل حال ، مما تبلبل فكري بين نظريات العلماء ، أو انبسطت نفسي لتخيلات المتخيلين ، فاني أنزع من البحث عن المنبع الغابر للكتابة العربية ، فراراً الى منبعها الداني القريب .

واني أقصد بالكتابة العربية ما يطلق عليه عرفاً من أعمال القلم لتصوير اللفظ برسم حروف هجائية ، أو هي بعبارة أخرى نقوش معينة تدل على الكلام ، أو هي بلغة أهل الفن قدرة موصولة بحركات القلم بين الأنامل ، وفقاً لمذاهب أو لقواعد ، وصناعة يبدو من ناحيتها صورة الناقد الأخاذ .

وبما أن لمؤرخي العرب أقوالاً مفصلة ومتضاربة ، في نشأة الكتابة العربية ، فلا ضير من الإلماع الى طرف منها . فعن ابن عباس في « كشف الظنون » أن أول من كتب بالعربية ووضعها اسماعيل بن ابراهيم ، وروي عن مكحول أن أول من وضع الخط نفيس ونضر وتباه ودومة ، من أبناء اسماعيل ، وأنهم وضعوها متصلة الحروف ، ففرقها همبسع وقيدار . وفي سيرة الحلبي أن أول من كتب بالعربية من ولد اسماعيل نزار بن معد بن عدنان . وقال المسعودي ان أول من وضع الخط ، بنو المحسن من أهل مدين ، وأسماؤهم أيجد هوز الى آخر هذه الكلمات ، وقيل انهم ملوك مدين ، وقيل أول من وضع الخط ثلاثة من طيء سكنت الأنبار ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريان ، وأسماؤهم بخطهم بخط الجزم ، أي القطع ، لاقتطاعه من الخط الحميري ، وقيل ان أهل الأنبار

تعلموا الخط من أهل الحيرة ، وقيل العكس ، وقيل انتقل الخط الحميري الى الحيرة في عهد المتأذرة ، الذين بنى ملكهم من نحو قرنين قبل الميلاد ، والحميرية هي خط قوم هود ، وهم عاد إرم ، أي عاد الأولى ، وقال المقرئ في الخطط : القلم المسند ، هو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد . وجاء في ملحق الجزء الأول ، من تاريخ ابن خلدون للمرحوم شكيب أرسلان ما ملخصه : ان المستشرق الألماني مورتس يرى أن أصل الكتابة بالحروف كان في اليمن ، فاليمنيون هم الذين اخترعوا الكتابة ، وليس الفينيقيون كما هو مشهور ، وإنما أخذها الفينيقيون عن العربية اليمنية ، فكان العرب هم الذين اخترعوا الكتابة في العالم كله ، وذكر ابن خلدون في مقدمته ، مبلغ الخط العربي من الإجابة والإحكام في دولة التبابعة ، وانتقل منها الى الحيرة ، حيث كان بها من دولة آل المنذر أنسباء التبابعة في العصبية ، والمجددون لملك العرب بأرض العراق . ومن الحيرة لقن الكتابة أهل الطائف وقريش ، ومن أدائهم صفيان بن أمية ، أو حرب بن أمية . ولا أريد أن أسترسل مع هذه البلبلة ، وحسي عبارة المرحوم عبد الفتاح عبادة في كتابه المسمى : انتشار الخط العربي ، إذ قال : من المحقق أن أقدم أشكال الخط العربي : الشكل النسخي ، والشكل الكوفي ، وأولها يتخلف عن الخط النبطي ، وقد تعلمه العرب من الأنباط في حوران أثناء رحلاتهم الى الشام ، وثانيها يتخلف عن الخط السطرنجلي السرياني ، تعلمه العرب من العراق قبل الهجرة بقليل ، وكان يعرف الخط الكوفي قبل الإسلام بالحميري ، نسبة الى الحيرة ، وهي مدينة عرب العراق التي ابنتى المسلمون الكوفة بجوارها ، والكوفة كما هو معلوم اختطت في زمن عمر ، ونزلت فيها قبائل من اليمن نشروا فيها كتابة المسند ، وكانت أوفر حظاً من غيرها من الكتاب ، فسميت الكتابة بالكوفي من باب التغليب ، في حين كان يوجد خط بصري ومكي ومدني ، على نحو هذه القاعدة . ودخل الخط في الحجاز ، حين نزل مكة رجل من كندة ، هو بشر بن عبد الملك ،

وكان قد تعلم الكتابة من الأنبار ، فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان ، فتعلم أبوها حرب بن أمية الخط من بشر ، وكذلك تعلم منه جماعة من قريش ، وفي هذا قال شاعر من أهل دومة الجندل ، يذكر قريشاً بفضل كندة عليها :

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرًا

أناكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شقي مبعثرا

ويروى عن ابن عباس أنه سئل : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربي ، قبل أن يبعث محمد ؟ فقال : عن حرب بن أمية ، فسئل : من أخذه حرب ؟ فقال : من عبد الله بن جدعان ، الذي أخذه عن أهل الأنبار . وهؤلاء أخذوه عن الحيرة ، وأهل الحيرة أخذوه عن طاري ، طراً عليهم من اليمن .

ويلوح من هذه الروايات ، أن أوائل من كتبوا من قريش في مكة ، كان حرباً ، ومعاوية ويزيد ابني أبي سفيان بن حرب ، وعلم الكتابة عمر وعثمان وعلي وطلحة وأبو عبيدة ، وعلمها من النساء الشفاء بنت عبد الله العدوية التي علمت حفصة زوج النبي بأمر منه . أما المدينة فجاء في السير ما يفيد أن النبي حين دخلها مهاجراً ، وجد فيها يهودياً يعلم الصبيان ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون ، منهم سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت وغيرهم ، ومن هذا يبدو أن المدينة تقدمت على مكة في الكتابة . وعني الرسول بنشر الخط عناية بالغة ، فحين أمر المسلمون في وقعة بدر جماعة من قريش ، وكانت فيهم كاتبون ، جعل النبي فدية من يكتب منهم تعليم عشرة من مسلمي المدينة . وبذلك انتشرت الكتابة فيها ، وفيما دخل في حوزة الإسلام من الأمصار ، وتنافس القوم في تجويدها لاختيار الرسول مجودها لكتابة رسائله التي كان يبعث بها إلى الملوك . ومن كتابه المجودين شرحبيل ابن حسنة ، وعلي وعمر وزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهم . وفي أواخر العصر

الأموي وأثناء حكم العباسيين ، دخلت أسباب التحسين في الخط على نحو من التدرج والتوسع ، فأدخل قطبة المحرر أحد الموالى في العهد الأخير لبني أمية قواعد الخط الجليل ، والخط الطوماري ، واشتهر بعد قطبة من أهل الشام ، الضحاك بن عجلان ، واسحاق بن حماد في خلافة السفاح والمهدي . وفي نحو القرن الحادي عشر ، تحسن الخط النسخي على يد الوزير أبي علي محمد بن مقلة . وظهر بعده جماعة من الخطاطين هذبوا طريقته ، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب ، في القرن الحادي عشر ، وياقوت الرومي المستعصي ، في القرن الرابع عشر ، وتفرعت عدة فروع من الخط الكوفي والنسخي ، اشتهر منها الثلث والتعليق والريحاني ، وسار التفرع الى الديواني والقارمي ، وكان عدد الأقلام في أوائل الدولة العباسية نحو اثني عشر قلماً ، لكل منها موضع خاص ، في المحاريب ، وأبواب المساجد ، وجدران القصور ، ومخاطبة الحرم والأمراء ، وكتابة البيعات والعهود والسجلات وهلم جرا .

وفي عصر المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، ووجدت خطوط أخرى ، أهمها : القلم الريامي ، نسبة الى واضعه ذي الرياستين الفضل بن سهل ، وبلغ عدد الخطوط نحو العشرين .

وقد اشتق من الخط الكوفي الخط المغربي ، وهو من أكثر الخطوط انتشاراً واستعمالاً ، اتخذته الأندلسيون في القرون الوسطى ، وكان يسمى خط القيروان ، نسبة الى عاصمة المغرب المؤسسة في القرن السابع الميلادي ، وله سمة الاستطالة ، ولما انتقلت العاصمة من القيروان الى الأندلس ، ظهر فيها الخط الأندلسي أو القرطبي ، وهو يميل الى الاستدارة ، وتولد من الخط المغربي في القرن الثالث عشر الخط السوداني في تمبكتو ، إذ كانت مركزاً إسلامياً تجارياً هاماً . ولما تضعفت خلافة بغداد ، انتقل الخط والكتابة والعلم إلى مصر وما يتصل بها ،

وانتظمت أشكال الحروف ، وفقاً لقوانين معلومة بين الخطاطين ، حفظ لنا القلقشندي بيانات قيمة عنها وعن أواسط عصر المماليك ، في القرن الخامس عشر .

ولما آلت الخلافة الى الترك بعد زوال دولة المماليك ، ورثوا بقايا التمدت العربي الاسلامي وكان لهم اعتناء خاص بالخط ، فتناولوه عن يد الأساتذة الفرس وأنعمشوه ، وأحدثوا فيه خط الرقعة والهايوقي وغيره ، واليهم انتهت الرياسة فيه ، إلى أن ضيعوه في الوقت الحاضر ، بعد أن خدمه الكثيرون من سلاطينهم وذوي المقامات فيهم . ونذكر منهم السلطان بايزيد ، وسليمان القانوني ، وسراد خان ، ومصطفى خان الثاني ، وأحمد الثالث ، الذي دخلت المطبعة العربية في عهده في القرن الثامن عشر . وليس من شك في أن الخط العربي وجد عناية منذ بدايته ونشأته ، وجدها من العلماء كالبخاري ، ومن الخلفاء كالمستظهر بالله والمسترشد ، ومن الوزراء كهبة الله بن حسن صاحب الديوان ، والقاضي نجم الدين أحمد بن الرئيس الدمشقي ، والبوصيري صاحب البردة ، ومن النساء زينب الملقبة بشهادة الدبنورية ، ونبأها لبني كاتبة الخليفة المستنصر ، وقبلها حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، مما يدل على أن العناية بالخط كان لها تاريخ في القديم ، الى أن وصلت الى الزمن الحديث فوجدت من كبار الخطاطين ، مثل عبد الله زهدي الذي علم في المدرسة الخديوية زمن اسماعيل ، والمهندس علي لطفي في الزمن الأخير ، ومصطفى السباعي الدمشقي ، ومحمد مؤنس ، وغزلان ، والرفاعي ، وبدوي ، وبوسف أحمد ، وصيد ابراهيم ، والمكاري ، ونجيب هوايني ، ومحمد مرتضى ، وحسني ، وعمدوح الخطاط الدمشقي ، ومحمد طاهر المكبي الكردي ، الذي أرخ للكثيرين من الخطاطين ، وغيرهم وغيرهم ممن يذكرون على سبيل المثال . ولا أريد أن أفصل تاريخ الخطوط العربية وتطوراتها ومن خدموها ، منذ بدء الإسلام حتى الآن ، لكنني أريد أن أشير الى أن الخط الكوفي هو الحد القريب للخطوط العربية ، وان تعددت صورها الى نحو ثلاثين صورة في عهود الأتراك ، وهذا

الحل المبارك أعيد إنعاشه في زمننا الحديث ، نظراً لحاجات الفن الزخرفي ووسائل التجميل ، لأنه قابل للمطاوعة الزخرفية ، ومرجع الفضل في بثه وإحيائه الى لجنة الآثار العربية المشكلة في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، حين بدأت في دفع عادات الأيام وما أفسده الزمن من خطوط المساجد وزخارفها ، وكان أحد موظفيها من الرسامين والخطاطين هو المرحوم يوسف أحمد ، فكان في مواهبه وفي تعيينه في لجنة الآثار إحياء لهذا الخط الزخرفي العظيم ، الذي تعلم قواعده وصرن عليها من جدران المساجد وشرقات نوافذها ، في مساجد ابن طولون ، والأزهر ، والحاكم ، والسلطان حسن ، والفوري ، وفي شواهد القبور . حتى إذا مكنته عبقريته من فك رموزها ، ومن استلهاها في التحسين ، أرادته الدولة على أن يكتب الأوسمة والروامح والخواصم ، كما أرادته على تدريس الخط الكوفي بمدرسة تحسين الخطوط منذ أكثر من ثلاثين عاماً . ودعت حاجات العصر الحديث والاضاءات الكهربائية الى استلهاهم الابتكارات والتجويد ، فظهر الى جانب يوسف أحمد في مصر أمثال محمود خاطر ، ممن نزعوا الى إتقان الخط الكوفي وتزويده بألوان التحسين ، ومن أراد المزيد في تاريخ الخطاطين فعليه بكتاب محمد طاهر ابن عبد القادر المكي الكردي الخطاط ، وهو مطبوع في مصر .

والخلاصة مما تقدم أن الخطوط العربية الكثيرة ، وإن لم تكن معروفة قبل الإسلام ، وكانت غير مضبوطة عندهم بالنقط والشكل ، فإن الإسلام زاد في الخط وحسن ونشر ، فتفرعت منه الفروع وضبطت ، وانتشرت في البلدان المعروفة بالعالم العربي ، وبعد سكانها بأكثر من سبعين مليوناً ، وفي البلاد الإسلامية التي لأهلها لغات غير العربية ، وهي بلاد تمتد من تركستان الصينية الى غربي الآستانة والبحر الأسود ، وفي البلاد التي تمتد ما بين شرقي الهند الى غربي السند ، ومن أعالي جبال هملايا الى جنوب شبه جزيرة الدكن ، وفي البلاد التي تشمل هضبة إيران ، وفي بلاد افريقية من شمالها وغربها وشرقها وأواسطها . وبالجملة

تصل اللغات التي تكتب بالخط العربي الى نحو ثلاثين لغة ، وبإضافة اللغة العربية الى هذه اللغات ، يقدر عدد الكاتبين بالخط العربي بـ ٢٤٠ مليوناً . فهي كتابة كل بلد انتشر فيه دين الإسلام ، فخلع على هذا الخط قداسة الدين ، وقداسة الانتشار ، مما يجعله متميزاً عن الخط اللاتيني الذي ليست له قداسة دينية . وعلى رغم ذلك كله ، وعلى رغم ما استعمل في تحسينه وتطويره وتزيينه من الجهود في مختلف الأجناس والمبقرات والعصور ، جاء من دعا الى تغييره ، فمنهم من قالها مهموسة ، ومنهم من قالها معلنة جهيرة ، وكان المرحوم عبد العزيز فهمي أظهر من دعا الى تغيير الخط بالكتابة اللاتينية ، وهو رجل ضليع في قوة الحجة ، شجاع في إبداء الرأي ، صادق في حسن النية ، وله مكانته بين ذوي العلم والحجى ، ومن ذلك فان دعوته ، على روعة بيانها ، وقوة سلطانها ، لم تلق من قبول .

ولم تحل سنة ١٩٤٤ ، حتى رأى المجمع ، لإمكان المناقشة في اقتراح الداعين الى تغيير صورة الخط العربي المألوفة ، ان يطبع كل ما قبل حول هذا الموضوع من مناقشات الأعضاء ومقترحاتهم ، وأن يضع جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح يقدم لتبسيط الكتابة العربية ، وكان آخر موعد للاستباق سنة ١٩٤٧ ، فتلقى المجمع من المقترحات ما يربى على المائتين ، وفي سنة ١٩٥١ ألقت لجان فنية من المختصين في الخط والطباعة ، من غير أعضاء المجمع ، لتتولى تهيئة المقترحات التي صنفها اللجان الى أصناف ، فكان منها ما يقوم على أساس الحروف اللاتينية ، ومنها ما يقوم على أساس الحروف العربية ، مع إضافة زوائد للضبط وزيادة على الحركات ، ومنها ما يتخذ حروفاً رفوماً ، تبدو كأنها جديدة ومبتكرة ، ولا أريد أن أزيد في التفصيل ، فتلخيص قرارات اللجان عن المقترحات ينتهي الى أنها جميعها لم تحقق التيسير المنشود ، واتفق على إلغاء الجائزة ، ولولا انقاسح صدر المجمع المصري ، وتقديره للتوسع في حرية الرأي والسخارة

بالإهمال والالئاة ، لكان لزاماً عليه أن يطرح هذا الموضوع ، وكان لزاماً على اللجنة أن تلغي نفسها .

وأخيراً في سنة ١٩٥٥ ، بعد أن تلقت اللجنة طائفة من مقترحات أخرى ، مشاهية لما سبق تقديمه من مقترحات ، لاحظت أن أقوم المقترحات بين أقدمها وأحدثها يلتف حول الاكتفاء بصورة واحدة للحرف ، مع إدخال تحسينات شكلية ، فوكل الى الأستاذين محمد علي المكايي الخطاط ، وشفيق متري الخبير بالطباعة ، أن يقوموا بتجربة تلك الصورة المحسنة ، فقدم خبير الطباعة نموذجاً من الكتابة العربية ، على جهاز الصف الآلي ، اختصرت فيها صور الحروف الى نحو ١٩٠ حرفاً بالشكل التام ، بعد أن كانت تربو على ضعف ذلك . وقدم خبير الخط نموذجاً لطريقة الاكتفاء بصورة واحدة للحروف ، مع وضع مدات صغيرة لوصلها ، وعلامة تدل على انتهاء الكلمة .

ومع ما لهذه الطريقة من محاسن كدستور يجب مراعاته ، فان الكتابة بين مختلف أنامل الناس ، لا بد أن تنسم بخصوصيات تندبها عن الدساتير المثالية ، وكل ما ينشد ألا تنأى الخصوصيات عن دستورها شوطاً بعيداً .

وأحدث ما كان في هذا الموضوع ، أن المجمع تلقى من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية نبأ بتأليف لجنة لتيسير الكتابة ، قد حدد لها شهر مارس الماضي موعداً لاجتماعها ، وقد جمعت بين ممثلين للبلاد العربية والمجمع ، واشترك فيها خبراء الخط والطباعة ، وانتهت هذه اللجنة المشتركة الأخيرة الى ما يلي من قرارات :

١ - بترك الآن موضوع البحث في الكتابة اليدوية ، فتبقى على ما هي عليه ، فهي موجزة مختزلة ، ويمكن تشكيلها عند الضرورة .

٢ - الاقتصار الآن على تيسير حروف المطبعة والآلة الكاتبة ، باختصار صور الحروف ، والاستغناء عن المتداخل منها والمقنطر .

- ٣ - يلتزم الشكل في الطباعة ، وتشير اللجنة بالبده بالتزام ذلك في كتب التعليم في مراحل التعليم العام .
- ٤ - يوضع النقط في موضع ثابت نفيًا للاشتباه .
- ٥ - يوضع الشكل في موضع ثابت ، وأيضًا يراعى فيه الفن الخطي ، بحيث لا يكون السطر أفقيًا ، ولا بأس بأن يمتد في الطول قليلًا .
- ٦ - توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التي لا مقابل لها في العربية ، ويطلب الى لجنة اللهجات بالجمع ، دراسة الموضوع وتقديم مقترحات فيه .
- ٧ - اقترح أن يطلب الى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، أن تدير ما يلزم من التكاليف لتطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة ، وإجراء تجاربها الفنية ، لإدخال التعديلات عليها ، تمهيداً لوضعها في الصيغة المقبولة .
- ٨ - إبلاغ قرارات اللجنة الى الإدارة الثقافية ، حتى تكون هذه القرارات موضع النظر في مؤتمر المجامع (المنعقد الآن بدمشق) . وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً .

أيها السادة :

بعد بحوث طويلة ومضنية ، كانت بدايتها منذ سنتين عامًا أو أكثر ، حين أتفق سفير إيران في لندن ملاً طائلاً ، لتركيب حروف عربية منفصلة ، وطبع بها بعض النصوص من أقوال الإمام علي وكلوستان ، وبعد دعاية ملحّة لها ، فانها باءت بالفشل ، وفي سنة ١٩٣٦ وجد من أراد ادخال حروف منفصلة ، ودعا لها على صفحات المقطم ، ولم يكتب لدعوته النجاح . وفي مجمع مصر توافدت المقترحات التي تزيد على المائتين ، ودرستها لجان فنية وغير فنية ، وبعد ذلك كله ، لم يفضل شيء على ما جرى العرف به ، إلا في أمور ثانوية تنفيذية ، هي كل ما انتهت اليه المحاولات من النتائج المعقولة المقبولة .

ان في تقدم الطباعة ، منذ دخلت المطبعة قبل أكثر من قرن ، أيام السلطان أحمد الثالث ، وفي تحسين شكل الحروف ، وفي ذوق الخطاطين القائم على سنة مستقرة ، وفي دقة الألوان ووضع الشكلات ، وتنسيق النقط ، ما يغني في تعطيل كل اقتراح لتغيير الحروف ، وصد ذلك التيار . ولعل في سريان التعليم ، ورسوخه بوسائل الايضاح المستحدثة ، ومختلف وسائل النشر والإذاعة ، ورفع مستويات المطابع الكبرى في البلاد العربية وتنحية إمكانياتها ، لعل في كل ذلك ما يجعل القول في مشكلة الكتابة أو الحروف ، ضرباً من اللغو والسرف .

أيها السادة :

إن للكتابة العربية ماضياً حائلاً طويلاً ، يرجع عهده البعيد الى نحو ثلاثين قرناً ، وعهده القريب الى نحو النصف من هذا المدى ، فضلاً عما للخط العربي من مزايا الاختزال ، وحسن التشكل الهندسي دون فقدان لجوهره ، وفي الجاذبية الرائعة الأخاذة عند تجويده بوحى الفن الجميل ، بل في ما ابتدع من علاماته ورقومه لتجويد النطق من تغخيم وترقيق ، بل بما تأسس على أوضاع الحروف العربية وعلى صورها ، من معارف وفنون ، تدخل في تاريخ الكد الذهني البشري ولو لم يعمل بها الآن ، بل بوفرة عدد الحروف العربية التي توسع المجال لوضع الكلمات ، ونفي ما يقع بينها من اشتباه ، ولقد صدق الكندي أحد مفكري العرب في القرن التاسع حين قال : « لا أعلم كتابة تحتل من تجليل حروفها وتدقيقها ، ما تحتل الكتابة العربية ، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات » .

أبعد ذلك التاريخ الطويل ، وبعد تلك المزايا للكتابة العربية ، يهون على عربي أن يستبدل بها غيرها ؟

إني لا أحب أن أستبيح لنفسي تقدير سوء القصد ، ولا أرمي به أحداً ممن

نزعوا الى تغيير الخط العربي أو ينزعون ، بعد أن مرّ بأطوار عديدة ، حتى بالغ الأوج منها .

لكني أستبيح لنفسى ادعاء بجانب التوفيق ، لمن دعوا تلك الدعوة .
بقي عليّ بعد ما تقدم ذكره ، أن أقترح على المؤتمر والمهتمين باللغة العربية ، أن يبعثوا الى جامعة دولها يرجاء استنهاض همم حكوماتها ، للمزيد من العناية بالخط العربي في مختلف مدارسها .

إن المستقبل المرموق يربطنا بما لنا من ماضٍ عزيز كريم ، والأمم التي لا تحتفظ بطيب ماضيها تنساق الى مستقبل مضطرب لا يشد الى قرار ، فخصيره الى خواء .

أيها السادة :

لعل في الخوض فيما لا جدوى فيه ، فتنة وبلاء ، وتعميراً للصفاء ، اللهم قنا شرور الفتن ، إنك أرحم الراحمين .

اقتراح بشأن كتابة الهمزة والألف اللينة

للاستاذ ابراهيم مصطفى

رسم الهمزة والألف اللينة :

كل صوت من أصوات الهجاء العربي يمثل في الكتابة حرف ، إلا الهمزة والألف اللينة فإنهما يمثلان بحرفين أو بحروف متعددة ، فالهمزة ترسم ألفاً وياءً وواواً ، وترسم قطعة أيضاً . والألف ترسم في بعض المواضع ألفاً ، وفي الأخرى ياءً .

نعم ان الحرف الواحد ، ربما أخذ صوراً مختلفة بحسب موقعه من الكلمة ، كما نرى في الياء ، إذ تكون لها صورة في أول الكلمة ، وصورة في الوسط وصورة في الآخر . ولكن هذه الصور ، ترجع الى حرف واحد بخلاف الهمزة ، على أن هذا الاختلاف الجزئي قد أحدث في الكتابة مشقة ، يعانيها المتعلم والمعلم والطابع ، فكيف بالهمزة التي ترسم بحروف متعددة ، وقد يختلف العلماء والكتاب فيما ينبغي أن ترسم به في كل موضع .

إنها لصعوبة مجاهدة ، تعددت المحاولات لتذليلها . ولعله مما يساعد على تذليلها ، أن نستعرض السبب الذي من أجله تميزت الهمزة ورسمت بحروف متعددة .

والسبب غير مجهول ، فان قريشاً وأهل الحجاز عامة ، لم يكونوا ينطقون بالهمزة إلا أن تكون في أول الكلمة . وقال أبو زيد الأنصاري من أئمة اللغة المتوفى سنة ٣١٥ : (وأهل الحجاز وهذيل وأهل مكة لا ينفرون ، أي لا يهمزون) . وقال عيسى بن عمر النخعي ، من أئمة النحاة وواضعي النحو (سنة ١٤٠) : (ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز

إذا اضطروا نبروا) . وقال أبو عمر الهذلي : توضحيت ، فلم يهمز وحوّ لها ياء ، وكذلك ما أشبه هذه الحمزة . وبعض العرب ممن لا يهزّون ، كان إذا أراد أن ينطق الحمزة المتوسطة ، تكلف لها فسكت قبلها سكتة صغيرة ، يحاول أن يجعل الحمزة بثابة البدء بها ، ومن هذا أصل السكتة التي نسمعها في القراءات ، فيقرأ حمزة أحد القراء السبعة الأرض ، بسكتة لطيفة بعد اللام قبل النطق بالحمزة ، وكذلك شيء ، ومن آمن .

والحقيقة ان الحمزة صوت مجهور شديد ، يتكلف الناطق له إلا أن يعتاده ، وفي اللغات الهندروية لا يجيء هذا الصوت إلا في أول الكلمة ، وقد لاحظ لغويو العرب ذلك . قال أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) : انفردت العرب بالهمز في عرض الكلام ، مثل قرأ ، ولا يكون في غيرها إلا ابتداءً .

فأراه نظر في ذلك الى اللغة الفارسية ، وهي من اللغات الهندروية ، أما اللغات السامية فإن أكثرها تهمز ، وشدة الهمز وصعوبة النطق بينها ابن سينا في كتابه «أسباب حدوث الحروف» فقال :

أما الحمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهاري الحاضر (لسان المزار) زماناً قليلاً لحصر الهواء ، ثم اندفاعه الى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً .

والمقاييس اللغوية الحديثة تؤيد كلام ابن سينا وتوضحه .

واختلاف العرب في نطق الحمزة المتوسطة ، هو الذي أحدث الاختلاف في رسمها ، فان القرآن لما أُجمع دُون بلهجة قريش ، وحديث عثمان مشهور : « لا يملين في مصاحفنا إلا فتیان قريش وثقیف » .

فكتب الحمزة في وسط الكلمة ياء ، في مثل يستهزبون ، وواواً في مثل يومنون ومومن ، وألفاً في مثل باس ، وكانت تنطق كما كتبت ، فلم يكونوا ينطقون بالحمزة ، ولا يحسون هذا الصوت وسط الكلمة ، وانما صوروا ما نطقوا .

أما في أول الكلمة ، فانهم رسموها ألفاً دائماً معها كانت حركتها ، وبلاحظ أن كلمة (ألف) من كلمات الهجاء ، إنما وضعت اسماً لهذا الصوت المجهور الذي رسمه همزة . ولم توضع أولاً للدلالة على الألف اللينة الممدودة ، ونرى أن جميع أسماء الهجاء قد وضعت لتدل على الصوت الأول منها ، مثل باء امم ب ، وجيم اسم ج ، وكذلك سائر حروف الهجاء ، فألف اسم للصوت ، ولم يكونوا يكتبون الألف اللينة في مثل كتاب ، فهو في المصحف « كتب » ، وظالمين فهو مرسوم « ظلمين » وهكذا ، وإنما أثبتت الألف اللينة في الهجاء متأخرة ، وألحقت باللام في أواخر حروف الهجاء فقبل « لام الألف » .

ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت لهجات مختلفة ، وإن لهجة قريش وأهل الحجاز ، قد غلبت وهزمت اللهجات المتعددة وأزالت خصائصها ، ولكن ذلك لم يكن شاملاً ، بل كان غالباً ، والنخاعة يذكرون « ما » الحجازية التي ينصب بعدها الخبر ، في مثل « ما هذا بشراً » ، وبها قرئ القرآن ، ويذكرون « ما » التيممية التي لا ينصب الخبر بعدها ، وقد غلبت « ما » التيممية على ألسن الكتاب والقراء ، ولا نكاد نرى من القراء والكتاب من يستعملها استعمال أهل الحجاز . وكذلك الهزمة هزمت فيها اللهجة الحجازية ، وشاعت التيممية وتحققت في وسط الكلمة وآخرها ، وأراد القراء أن يقرأوا المصحف ب لهجاتهم ، وأن يمثلوا الهزمة ، فاتخذ كتاب المصاحف في ذلك طرقاً متعددة ، ورسموها نقطة ونقطتين إذا كانت منونة ، مثل : والسماء بنا : ، ورسموها كالرقم ٧ مبعثرة في مثل يستهزئون ، ونجد ذلك مدوناً مفصلاً في كتب القراءات ، ككتاب المصاحف للسجستاني ، والمقنع في رسم المصاحف للداني ، كما نجده مرسومًا في بعض المصاحف القديمة الباقية . واستمر هذا إلى أن جاء الخليل بن أحمد (١٧٠) ، وهو رجل العرب والعربية ، فأصلح الخط ، وكان مما ابتدعه رسم الهزمة قطعة ، وقد كان من أسلوبه في

التفكير ، أن يرجع بالأشياء الى طبائعها ، ويأبى اتباع المؤلف والمضي فيه ، فلما رتب حروف الهجاء رتبها على مخارجها ، لا على ما ألف الناس من ترتيب لا يعرف أصله ولا طبيعة تفكيره ، ذاق الهزمة فوجدتها أقرب صوت الى العين ، ووجد من الناس من يبالغ في تحقيقها فينطقها عبتاً ، فانقطع من العين رأسها وجعلها رسماً للهزمة وكتبها قطعة ، وشاع رسم الهزمة كما شاع اسمها أيضاً . وكانت من قبل تسمى نبرة ، وأبى الناس أن يدخلوا رسم الخليل على المصحف زمناً وراوه بدعة ، على أنه لم يلبث أن شاع وكتبته المصاحف ، ولكن الهزمة أثبتت مع بقاء الكتابة الأولى ، فكتبت يستهزئون بياء وهمزة معاً ، ويؤمنون بواد وهمزة أيضاً ، ليقرأ بالهزمة من حققها ، وبالياء أو الواو من سهلها ، وكان هذا أصل الازدواج في كتابة الهزمة .

فلو انها كتبت حرف لين لمن يسهلها كما ينطقها ، وهمزة لمن يحققها كما ينطقها أيضاً ، لما كان اضطراب ، ولا كان في كتابة الهزمة صعوبة ، ولكن الأمر مضى على هذا الازدواج ، وتبعه اختلاف العلماء واضطرابهم فيما ترسم به الهزمة في بعض المواضع .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، إمام الكوفيين في عصره (٢٩٠) : واختلاف العلماء بأي صورة تكتب الهزمة ، فقالت طائفة تكتب بحركة ما قبلها ، وهم الجماعة (يعني جماعة أهل الكوفة) ، وقال أصحاب القياس (يعني أهل البصرة) ، تكتب بحركة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان ، وإنما يلزم أن تترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال أبو العباس : وهذا هو الكلام . وبقي الاختلاف في رسم الهزمة في بعض مواضعها قائماً بين العلماء الى الآن . ونخلص من ذلك كله إلى ما يأتي :

١ - ان الذين مارسوا الكتابة العربية أول أمرها ، لم يكونوا ينطقون

الهمزة إلا في أول الكلمة ، وانهم رسموها في هذا الموضع ألفاً لم يزيدوا عليها شيئاً ، وإن كلمة « ألف » إنما وضعت حين وضعت ، للدلالة على الصوت الأول من هذه الكلمة .

٢ — وحينما أريد رسم الهمزة في أواسط الكلمة لمن يحققها ، اختلفوا في تصويرها نقطة أو تقطاً ، أو غير ذلك ، الى أن ابتدع الخليل صورة الهمزة مقطعة من العين ، فشاعت وتغلبت على كل رسم ، حتى على الألف التي وضعت لهذا الصوت ، مع أن بعض النحاة ومعهم الإمام أبو علي الفارسي ، كان يرى كتابة الهمزة ألفاً حيثما كانت .

٣ — إن الهمزة قد استعملت مزدوجة ، لا يمكن الدلالة على اللهجتين : المحققة للهمزة ، والمبدلة لها حرفاً آخر . وانتهى هذا الازدواج وترك التسهيل ، ولم يبق من داع للنطق به ، ولا للإشارة إليه .

فاذا أردنا أن نخلص من هذا الازدواج الذي أوقع العلماء في الاختلاف ، والكتاب في الاضطراب ، فإن أماننا إحدى طريقتين :

الأولى — أن تكتب الهمزة ألفاً في كل موضع ، كما رأى الإمام الفارسي ومن وافقه .

الثانية — أن تكتب الهمزة همزة ، أي قطعة كما رسمها الخليل ، وهو رأي واضح البسر والامتقانة .

وقد قيل ان هذا يسهل الكتابة ، ويقرب قواعدها ، ولكن يوقع في اللبس عند النطق ، إذ لا تعرف سأل من سئل مثلاً ، وهذا الاعتراض يرد على حروف الهجاء كلها ، وتلافيه يكون بشكل كل ما يشكل النطق به ، والهمزة والحروف الأخرى في ذلك سواء .

الالف اللينة :

أما الألف اللينة ، فإن كثيراً من أئمة النحاة قالوا بكتابتها ألفاً مطلقاً ، وكثيراً من المخطوطات القديمة التي بأيدينا التزمت كتابتها ألفاً ، وإن ما توارثناه من كتابتها بالياء في بعض المواضع ، إنما كان لنطقها بمالة إلى الياء في تلك الأماكن . ويسرني أن أقتبس هنا كلمة للأستاذ « محمد بهجة الأثري » في بحث قيم قدمه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة برأيه في تيسير الإملاء ^(١) فقال :

والطريقة المثلى للكتابة كما أراها ، تتلخص في أصل عام يسير كل اليسر ، قريب التناول ، ذلك هو أن تقطع صلة الكتابة بالأقيسة النحوية ، والأصول الصرفية ، ولحجات القبائل ، وأن تقيدها على أساس التوافق بين الصوت ودرسم صورته أو رمزها المخصوص ، ويستعان بالشكل أحياناً حين لا تستبين القرينة .



(١) نشرت مجلة المجمع العلمي العراقي في المجلد الرابع ، الجزء الأول (سنة ١٩٥٦) في الصفحة ٣٢٠ وما يتلوها ، البحث الذي كتبه الأستاذ الأثري في (إصلاح قراءد الإملاء العربي) ، استجابة لرغبة مجمع اللغة العربية إليه في إبداء رأيه في هذا الموضوع .

تيسير قواعد اللغة العربية

للأستاذ ابراهيم مصطفى

قواعد اللغة هي نظامها الذي يتبع في نألفها لتبين عن المعاني ، وقوانينها التي ينبغي أن تلتزم في تركيب الكلام ليكون القول دالاً مفهوماً . وبغير هذه القوانين يكون الكلام ألفاظاً لا عقل فيها ، ولا صورة لشيء مما يراد من المعاني . ولا بد لكل لغة من قواعد تلتزم ، ولغاتنا العامة لها قواعد في الاخبار وفي الطلب ، وفي النفي والاثبات ، وفي الاستفهام والجواب .

واطراد قواعد اللغة واتساق أحكامها ، يدل على رقيها وعلى تقدمها خطوات واسعة . وكلما كانت قواعدنا أشمل ، واطرادها أوسع ، كانت اللغة أفضل وأرقى . فقد يقال في اللغات البائدة : الأب والأم والرجل والمرأة والغلالم والجارية والعبد والأمة . فاذا اطراد فيها القياس قيل : الوالد والوالدة ، والمرء والمرأة ، والغلالم والغللامة ، وربما قيل الرجل والرجلة ، والعبد والعبدة ، وكان ذلك أدل على اطراد القياس وتقدم اللغة خطوة .

ولغتنا العربية من أوسع اللغات اطراد قاعدة ، واتساق حكم ، وتلك آية سائدة لتقدمها وسبقها وتعميرها ، وميزة سهلت انتشارها وقربت تعليمها .

وقد توالى الشكوى من صعوبة قواعد العربية وعسر تعليمها ، ودرجت على الألسن درج ما يسلم به ، فلا يسأل بصوابه أو خطئه ، وهي شكوى مخطئة مسرفة ، وأول شاهد يطلانها انتشار اللغة العربية ، وانسيانها في الأقطار ، وهزيمتها لكثير من اللغات من غير جهد لنشرها ، ولا إتفاق على تعليمها ، وما نحن أولاء

نرى الآن الدول الأوروبية ، وما تجاهد به في نشر لغتها ، وما تنفق من المال على تعليمها ، ونرى اللغة العربية قد انساقت في يسر ، وتوسعت في غير جهد ، وتركت أممها لسانها من غير عنف ، فكيف يتسنى هذا مع ما يدعى من صعوبة اللغة العربية ، وعسر تعليمها ، وكثرة قواعدها . أغلب الظن أن مثار هذه الشكوى من بعض المستشرقين ، الذين حاولوا تعلم اللغة العربية ، وهي شديدة البعد عن لغتهم الأوروبية ، في بناء الكلمات ونظام التأليف وعادات النطق . ومقارنة اللغات تشهد بيسر قواعد اللغة العربية ، ونذكر مثلاً التذكير والتأنيث في اللغة الألمانية ، وتشنته وعدم جريه على قاعدة ، والأزمان مثلاً في الفرنسية وصيغها ، وتعدد واختلافها ، حتى علامات الإعراب ، وهي مصدر أكثر الشكوى ، إذا قيست بلغة أخرى كاللغة التركية مثلاً ، فإن علامات الإعراب فيها ضعف ما هي في العربية ، وإن اختلف منهج كل لغة في طريقة الإعراب . فليس لمنصف إذا تأمل وتروى ، إلا أن يشهد للعربية باطراد قواعدها ، ويسر أحكامها ، وقلة تعقيدها ، ونحن لم نرد تبسير هذه القواعد في ذاتها ، ولا قصدنا التخفيف من درسها ، بل نحن نريد أن نستزيد من درس قواعد العربية وفقها ، والتدقيق في فهم خصائصها ، لما جاءت كلماتها على صيغ وأوزان محدودة فجعلت لألفاظها موسيقى ليست لغيرها من اللغات ، ولما كثرت المشتقات فيها وتعددت صيغها ، ولما تعددت أساليب النفي والتوكيد ، والاستفهام والشرط وكثرت أدواتها .

والإمام عبد القاهر الجرجاني يشير الى نفس ما بأبدينا من قواعد النحو ، إذ يقول في «دلائل الإعجاز» : وهل النحر إلا أن نفهم فرق ما بين قولك : إن قام قام ، وإن قام يقوم ، وإن يقيم فهو قائم . . الخ . . و فرق ما بين هذه الأساليب ، لا نكاد نجد في كتب النحو ، على كثرتها وتوسعها وتوفرها على الجدل .

فنحن ندعو الى المزيد من دراسة النحر ، وخصائص اللغة ، وفقه أبنيتها وتراكيبها ،
وندعو إلى إرهاف الحس في تذوق اللغة ، وإلى اصطناع الأساليب اللغوية
العامة في درسها . أما الذي نريد تهويته وتقريبه ، فهو تعليم الناشئين ما ينبغي
أن يأخذوا منه من هذه القواعد ، ليصلوا من قريب إلى تقويم ألسنتهم ، وتصحيح
لغتهم ، والمدرسون جميعاً يرون هذه الصعوبة ، ويجاهدون في تذليلها . ونفوق
المتعلمين بما يتعلمون من القواعد ، يشهد أنها لم تسلك سبيلها ، أو لم تسلك أقرب
سبيلها ، وليس من شك في أن النحو العربي قد اختلط بالفسفة ، وبأنواع من
التعليم قد لا يقرها العلم الآن ، وإذا أقرها فليس للمتعلمين من حاجة إليها ،
وخاصة أولئك المتعلمون الذين يقصدون إلى اللغة ليتكلموا بها ، ثم يتوجهون إلى
ما شاءوا من علوم ، فلهؤلاء نريد أن تقلل من القواعد ، ونهون من تعليمها من
غير أن نبدل قاعدة عربية ، أو نمن أصلاً من أصولها .

وانتشار التعليم الآن ، ورغبة الناس جميعاً في أن يتعلموا ، يوجب علينا أن
لا ندخر جهداً في تيسير التعليم وتقريبه ، مما يمكن قدر ما نهدي إليه من
التقريب ، فإن ساعة واحدة ندخرها من وقت العلم ، تحفظ لنا ملايين الساعات
من أعمارهم وأعمار معلمهم .

وارتفع الصوت بالدعوة إلى هذا التقريب من ناحية الجامعة المصرية بالقاهرة ،
ثم ألفت وزارة التربية والتعليم المصرية ، في زمن وزيرها السيد بهي الدين بركات
سنة ١٩٣٨ ، لجنة للنظر في التيسير ، شكلتها برئاسة الأستاذ الدكتور طه حسين ،
وأعدت اللجنة مقترحات قدمتها إلى مجمع اللغة العربية بمصر ، وإلى المجمع العربية
الأخرى ، وإلى كثير من الجهات العلمية المشغولة بالعربية ، ودرست في المؤتمر
الثقافي العربي الأول ، الذي اجتمع في بيروت سنة ١٩٤٧ .

ويمكن أن نلخص نتائج ذلك فيما يأتي :

١ - الاستغناء عن الأعراب التقديرية والأعراب المحلي ، إذ لا أثر لها في اللفظ ،

ولا يستفيد المتعلم منها في إصلاح عبارة . وقد قيل انه يحتاج اليها لمعرفة حكم الكلمة التابعة ووجه إعرابها ، ولكننا نرى أن إعراب التابع لا يجيء اليه من المتبوع ، بل بما أثر في المتبوع ، فنعت المسند اليه مثلاً أو المعطوف عليه هو مسند اليه أيضاً ، ويجيء حكم إعرابه من هذه الناحية ، لا من إعراب متبوعه .

٣ - الاختصار في الأقسام وتمدد الأبواب ، وقد يغني عن تقسيم المرفوعات الى مبتدأ وفاعل ونائب فاعل ، ويجعل الجميع مسنداً اليه أو متحدثاً عنه ، وحكمها جميعاً في الإعراب حكم واحد ، وقد تبين بتتبع الأحكام في الأبواب المختلفة ألا ضرورة الى هذا التحقيق في الأقسام .

وتقرر أن الجملة تتركب من جزأين أساسيين ، هما المسند اليه والمسند ، أو المتحدث عنه والحديث ، وحكمها الرفع ، إلا في مواضع مخصوصة يثبت .

٣ - وكل ما عدا المسند اليه والمسند في الجملة تكملة ، وحكمها أنها منصوبة إلا إذا كانت مضافاً اليها ، أو مسبوقه بحرف من حروف الإضافة فهي مجرورة ، وبهذا يختصر كثيراً في حكم الإعراب ، ثم تبين أغراض التكملة المختلفة ليحسن استخدامها في موضع الحاجة اليها .

٤ - الأساليب ، وبقيت أنواع من التعبير ، نعب النخاة وأتعبوا في تخريجها ، بما لها من الخصائص ، وهذه ينبغي أن تدرس على أنها أساليب لها صورتها الخاصة المحددة ، وذلك كالتعجب والتفضيل والإغراء والتحذير .

وهذا الموجز كاد يشمل كل ما يحتاج اليه المتعلم من الإعراب ، وقد أرسل موجزاً لمناقشته ، وقبول تأييد وتقدير كثير مفصل معظمه في محاضر مجمع اللغة العربية وفي أعماله .

وأقول بالرغم مما لقي من تأييد أو من نقد ، فانه قد مرى الى المدارس وآثره المعلمون ، فهو يعلم الآن في كثير من المدارس إيثارة للتخفيف ، ولكن المعلمين يختلفون ، والمتعلمين قد يضطربون ، وأرى أنه قد آن الوقت لأن

تُفتَصَل هذه الأصول ، وتشرح في كتاب واسع يكون مرجعاً للمعلمين ، وفي كتب مبسرة مقربة تكون بأيدي المتعلمين .

ومها يكن الرأي في الاعتماد على القواعد مبسرة أو غير مبسرة ، فإنه يجب أن نذكر حقيقة واضحة مؤيدة ، لا يماري فيها ممار ، وهي أن تعلم لغة إنما يكون باستخدامها ، وتطويعها إنما يجبيء باستعمالها ، واللغة ملكة بايها الأذن ، فلا بد أن تسمع الأذن قولاً مستقبلاً صحيحاً لتصح الملكة ، وكل ما تلقفته الأذن وتكرر عليها سرى الى اللسان فطبعه ، وقومده أو عوَّجه .

وقد شاركت الأذن الآن في هذا السبيل العين ، فما نقرأ ويتردد أمام أعيننا من الأساليب ، يطبع أيضاً لساننا ويحكم ملكتنا .

فالسبيل القويمة في تعليم اللغة ، هي أن نمكن للتعلم من أن يسمع عربياً صحيحاً ، وأن يقرأ عربياً صحيحاً أيضاً ، فهذا هو الصواب واضحاً ، والحق مقبولا مقررأ ، ولكن ما سبيله ؟

يجب ألا نستكثر الجهد ، ولا نستبعد الغاية ، وأن نعمل على أن نهي اللغة الصحيحة بيئة نجيا فيها ، جارية على الألسن ، وماضية الى الآذان ، ولا يمكن أن يبدأ بهذه البيئة في الأسواق ، ولا في البيوت ، ولكن في المدارس ، وفي المدارس سوف لا نجد الأمر قريباً ولا يسيراً ، ومنحناج الى جهد والى خطوات من التدبير والتأني . يجب أن نبدأ بمدارس المعلمين وحدها ، فلا بد درس فيها إلا أستاذ يحسن العربية وينطلق لسانه بها سليمة معربة ، ولا نستعمل في معاهد المعلمين إلا اللغة الصحيحة ، أباً كان المدرس ، وأبنة كانت المادة التي تدرس ، ويروض المتعلم لسانه على أن ينطق صحيحاً ، وسيجد الأمر غير يسير ، ومنشئ جيلاً من المعلمين يستخف العربية بأقصر مما يستخف معلونا الآث العامية ، ويضيق بالعامية بمثل ما يضيق معلونا الآن بالعربية ، بهذا المعلم منغرس الحبة التي تنبت سبع سنابل ، في كل سنبله مائة حبة ، لأنه سيدلك باللغة

طريقها الطبيعي ، الذي مهدته يد القدرة من الأذن الى اللسان ، ويسكب العربية في نفوس تلاميذه بغير عناء ، بل بغير تكلف ولا جهد ، بل ولا وعي أيضاً .

لقد شهدنا أن الأجنبي الذي 'نكينا بحكمه' ، يحاول أن ينشر لغته تمكينا سلطانه ، فكان يفرض أن تعلم العلوم بلسانه ، ولكن العربية نفرت وأبت ، وجاهدت وتغلبت ، وكان يجب أن يكون الرجحانها ، فتدرس العلوم بها ، ولكن الرجحان كان للعامة ، تعلمنا بها لأننا لم نكن نستطيع أن نتعلم بالعربية ، لطول ما باعدوا بيننا وبينها ، أما الآن فيجب أن لا نضيع لحظة من غير أن نعمل ، لنتمكن لسلطان العربية الصحيحة السليمة ، في دور العلم ، وفي مدارس المعلمين ، والمعلمون هم حملة المشاعل ، ومرسلو النور ، وباعثو الظلمة إذا شاؤوا بل إذا شاؤوا .

يجب أن لا نستصعب شيئا ، ولا نستكثر جهداً ، في سبيل تغليب العربية الصحيحة ، نهي التي جمعنا بعد تشتت ، ووحدتنا بعد تفرق ، وقاربت عقولنا ووثقت بين قلوبنا ، برباطها المذين المقدس ، وليس بكثير عليها أن نجاهد ، حتى نخلق لها بيئة تحيا بها في مدارس المعلمين أولاً ، ثم في المدارس عامة ثانياً ، ثم - كما أرجو - على لسان كل قائل ، وحديث كل متكلم .

وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها

للدكتور مصطفى جواد

وسائل إنهاض اللغة العربية ، هي معرفة الطرائق اللاحقة الى حل مشكلاتها التي لا تزال عسيرة الحل ، صعبة العلاج ، وتمهيد طرائق جديدة أخرى لتقويتها وتنحيتها وتطويرها ، على حسب طور هذا العصر ، من جميع الوجوه الحيوية والتمدنية . فأولى تلك المشكلات مشكلة المصطلحات ، والثانية مشكلة النحو والصرف ، والثالثة مشكلة المعجمات ، والرابعة مشكلة التعبير ، والخامسة مشكلة رسمها ، أي إملائها كما يقول أهل هذا العصر .

أما مشكلة المصطلحات وهي الكبرى ، فسببها أن ألوف كلم أجنبية أو أعجمية ، قد اصطاح عليها في عدة علوم وفنون عند الأفرنج والأعاجم ، وما زالت محتاجة الى ما يقابلها من العربية من كلمات قديمة غير مستعملة ، وقديمة منقولة بطريق المجاز ، وحديثة مشتقة على حسب طرائق الاشتقاق في العربية . وأكثر هذه الوسائل فائدة الاشتقاق ، إلا أن المجامع اللغوية لم تستطع أن تستفيد منه استفادة تامة ، فاقصرت على إقرار قواعد اشتقاقية أكثرها بديهية ، فتركت مثلاً قياسية (فِعال) وصيغة (فِعالَة) ، كالإطار والعمامة والنظام والجمالة ، ومئات غيرها من أسماء الآلات والأدوات ، مع أن (فِعالاً) ومؤنثه (فِعالَة) للآلة والأداة أقدم في العربية زماناً من صيغة (مِفْعَل) ومؤنثه (مِفْعَلَة) ومشتبهه (مِفْعَال) ، وأكثر استعمالاً وأخف لفظاً وأرشد صيغة . والدليل على ذلك القرآن الكريم ، فقد استعمل (الفِعال) اسم أداة وهو (الخياط) بمعنى (الابرة) في قوله تعالى : « حتى يبلغ الجمل في سم الخياط » ولم يستعمل (الخِياط) مع

وجوده في اللغة ، فهو إذن بفضل (الفِعال) على (المفعول) وغيره ، إذا وجد .
ولقد كان في استعمال (الفِعال) ومؤنثه ، مندوحة من استعمال اسم فاعل الفعل الثلاثي ، و (فَعَال) المعروف عندهم أنه من صيغ المبالغة ، في المصطلحات العلمية والفنية ، وذلك كالحامل والرافدة والرافعة والقارئة والخلاطة والمساكة والكحاجة والعوافة من المصطلحات . إن العرب لم تضع صيغة (فاعِل) ومؤنثه للآلة والأداة ، بل للنسبة ، كالأيل والآهل والدارج والبراج والفارس ، ثم نقلت الصيغة من أسماء الذات ، التي هي عندي وفي رأيي أصل الاشتقاق ، نقلتها إلى المعنويات والعلاجيات كالحائر والمائي ، ولكنها لما أرادت الاستفادة من وزن (فاعِل) في الآلات والأدوات حولت إلى (فاعِل) كخاتم والطابع والقالب والطابق والمالج ، فهل استفاد المجمعون من صيغة (فاعِل) ؟

الجواب (لا) . ثم إن العرب وضعت صيغة (فَعَال) وصيغة مؤنثه (فَعَالَة) للنسبة الكثيرة ، كالمطار والحداد والبقال ، ثم نقلته من المادية إلى المعنوية والعلاجية كالعزام والوقاف ، ولما أرادت الاستفادة منه في الآلات والأدوات حولته إلى (فَعَال) ومؤنثه (فَعَالَة) كخطاف للحديدة ذات الشكل المعلوم ، والنشاب للسهام ، والدوامة للعبة من الخشب للصبيان ، والدراعة لنوع من الملابس ، فهل استفاد المجمعون من الفَعَال والفَعَالَة ؟ الجواب (لا) ، فالعلم بالاشتقاق والاستفادة منه أمران ضروريان في التحقيق الاصطلاحي ، والسرعة والتخفيف لا يؤديان إلى غاية محدودة . علينا أن نستفيد من اسم الآلة والأداة من وزن (فاعول) كرافود وطاحون وراودق ، وجاء (فاروق) للإنسان مستعاراً من الآلة والأداة . ومن الصيغ الاشتقاقية اللاحبة الطريقة التي ينبغي للمجامع أن تستفيد منها في ميدان المصطلحات على اختلاف أنواعها (فَعِيل) و (فَعِيل) المأخوذ من (فاعِلْ يَفْعِلْ) ، فها من أقدم صيغ اسم الفاعل المكتسب للوصفية ، المجرد من الحدث ، وهما أقدم أيضاً من قربهما (فاعِل) خاصة ، فها إذن أقدم

وأرشق وأخف منه ، تقول : مائله فهو مثيله ، وقارنه فهو قرينه ، وشابهه فهو شبيهه ، وما لا يحصى كثرة . هذا في (قَبِلَ) وأما (فَعَلَ) فمثل (بَايَعَهُ) فهو بَيْعَهُ (و (شَايَعَهُ) فهو شَيْعَهُ) ، ولما احتاج بعض المجامع الى وضع كلمة عربية مقابلة للكلمة الفرنسية (Copropriétaire) اختار ثلاثة مصطلحات ، هي : المالك على الشيوع ، المشتاع ، الشريك في الملك ^(١) ، مع أن العلم بالاشتقاق في العربية يوجب أن تكون الكلمة الشيع ، من الفعل : شَايَعَهُ أي شاركه ، قال الفيروزآبادي في قاموسه : (هم شيعاء فيها كفتقها : أي كل واحد منهم شَيْعٍ لصاحبه ككَيْسٍ ، وكذا الدار شَيْعَةٌ بينهم أي مشاعة ، فالشيع إذن شريك قبل أن يكون قسماً أي مقاسماً ، فاذا سميئاه بما يؤول اليه قلنا : (قسم) لأنه 'مقسم' آجلاً أو عاجلاً . فهذه فائدة من فوائد التدقيق في علم الاشتقاق والاستفادة من صيغه المختلفة . وَلَفَعِلَ بمعنى ('مفاعل') قرين آخر هو (فَعِلَ) وهو أخف منه ، تقول (قَارَقَهُ) فهو قرينه وقرئته ، وشابهه فهو شبيهه وشبيهه ، ومائله فهو مثيله ومثله ، وفي قياسية هذا المشتق فائدة جليلة في وضع المصطلحات .

وأين نحن من الاستفادة من صيغة (فُعِلَ) اسم مفعول من الثلاثي ، وهي من أقدم صيغ اسم المفعول في اللغة العربية كالنقطة بمعنى المنقوطة ، والحُضرة بمعنى المحضورة ، واللُّقمة بمعنى الملقومة ، والطُّعمة بمعنى المطعومة ، والكُسوة بمعنى المكسوبة ، والحُزمة أي المحزومة ، والفُرصة بمعنى المفروصة ، والنُّهزة أي المنهوزة ، والضُّحكة أي المضحوك منه . ولطالما سمعت في دروس الهندسة وأخبار السدود والجدران والأسوار كلمة (الفُتْحَة) ، فلما اهتدبت الى هذه القاعدة الصرفية قلت في نفسي : ينبغي أن تكون تلك (الفُتْحَة) ، (الفُتْحَة) على حسب القياس ، ففحصت عن صورتها في المعجمات فإذا هي فيها (الفُتْحَة)

كما استرجحتُ وقستُ ، فهل استفدنا نحن المجمعيين من صيغة "فَعَّلَته" ، فما فِيس على كلام العرب فحكه حكم كلامهم ؟ الجواب : لا .

وكذلك القول في الاستفادة من (الفعل) غير الثلاثي في ميدان الاشتقاق ، لأن أكثر مشتقات العلوم والفنون الحديثة تؤخذ من الأسماء الذاتية ، نقول : نقطه تنفيظاً من النفط ، وكببرته كببرته من الكبريت ، وأقلمه أقلمه من الأقليم ، وزعفره زعفره من الزعفران ، وبلوره بلوره ، وأقلها تؤخذ من الأمور مثل (انفعل انفعالاً) ، وأمم تأمياً من الأمة ، ودوئل تدويلاً من الدولة ، أقول هذا على اعتبار المعنى المراد اليوم بالتأميم والتدويل ، وإلا فهما مباينان للمراد أصلاً ، فالتدويل مشتق لمعنى عام يخالف التأميم . فالتأميم يراد به وقف الشيء على الأمة ، والتدويل يجب أن يكون عند مشتقه وقف الشيء على الدولة ، وكلتا الكلمتين مفردة ، فلماذا يراد بالأولى المفرد وبالثانية الجمع ؟ هذا هو الاضطراب بعينه . وقد قرر في بعض الجامعات العربية نقل المجرد الثلاثي الى صيغة (فَعَّلَ) للتعدية أو التكثير أو النسبة أو السلب ، أو اتخاذ الفعل من الاسم ، فوافقي . وتمرر الجمع المشار اليه ، تطبيقاً لهذا القرار ، على صحة الألفاظ المستعملة الآتية : خَدَّرَ ، حَضَّرَ ، وَرَدَّ ، شَخَّصَ ، جَسَّم ، حَلَّلَ^(١) . وفي هذا القرار ما يستوجب الحساب ، فنقل المجرد الثلاثي الى صيغة (فَعَّلَ) يجعله متعدياً متعدياً مطلقاً ، فيجب أن تقسم التعدية الى أصلية وفرعية ، ولا يستثنى من ذلك إلا قليل من الأفعال ، كطَوَّفَ وَجَوَّلَ وَوَقَّفَ بمعنى وقف ، فالتعدية الأصلية يراد بها إكساب المفعول فعل الفاعل ، على أن (وَرَدَّ وَجَسَّم وَشَخَّصَ) مأخوذات من الورد والجسم والشخص ، لا من ثلاثي مجرد . وأما نقله للسلب أي لاداء عكس معناه مثل (مَرَّضَهُ) تمريضاً ، فهو عبث باللغة العربية ، لأن النقل للسلب يخالف لطبيعة اللغات أصلاً ، ومباين لقواعد اللغة العربية ،

(١) مجلة الجمع اللغوي المصري ، ج ٦ ص ١٧٢

وفي كل الأمثال التي ورد فيها شاذ ، كما جاء في الفرنسية Plumer un oiseau اي نتف ريش طائر ، وكان القياس أن يقال Déplumer .

وكان من المستحسن الاستفادة من معانيه الأخرى ، كصيرورة فاعله إلى أصله المشتق هو منه ، مثل : روض المكان أي صار روضاً ، وعَجَزَت المرأة وثَبَّت وعَوَّنت ، أي صارت عجوزاً وثَبَّتاً وعَوَّناً ، وكجِئته بمعنى تصيير مفعوله إلى ما هو عليه ، كقولنا : سجان الذي ضوَّ الأضواء ، أي صَيَّرَهَا أضواءً ، وحزَّب فلان الأحزاب وجيَّشَ الجيوش . وبمعنى عمَلَ شيء في الوقت المشتق هو منه مثل : هَجَّر ، أي صار في الهجرة ، وصَبَّحَ أتى صباحاً ، وغَلَسَ أي صار في الغلس ، وبمعنى المشي إلى موضع المشتق هو منه مثل (فَوَزَ أي أَدْغَلَ في المفازة وغَوَّرَ أي دَخَلَ الغور)^(١) . وبمعنى صيرورة الفاعل مشبهاً لأصل الفعل من أسماء الذوات ، وذلك نحو : فلَّك ندي الجارية أو فَلَكَت هي : أي صار نديها كالفلانة وهي فلانة المغزل وهي مستديرة ، ودَنَّرَ الوجه صار فيه مثل الدنانير بسبب المرض ، وقَعَبَ الحافر : صار مقبباً كالقَعَب وهو القَدَح الضخم .

وفي اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ألوف كلمات مكسوة أي مختومة بكسعة (able أو ible) مثل Convenable أي لائق دلائم وموائم ومناسب وموافق ، وأصل معناه قابل للملاءمة وما يفي معناها . ومثل Corrigible أي قابل للإصلاح ، فالكسعة (able أو ible) تنيد القبول والقدرة والاستطاعة . وهذا المشتق الافرنجي كثير الاستعمال في لغة العلم والفن والأدب عند الافرنج ، ولم نجتهد نحن في وجدان أو إيجاد اصطلاح يقابله لنهمل عابنا الترجمة ، مع أن صيغة استفعل فهو مستفعل في العربية تقابله حتى المقابلة ، فقد قالت العرب : استرَمَ الحائط صار قابلاً للرَّمِّ والمرَمَةِ ، واستحصَدَ الزرع أي صار قابلاً

(١) شرح الشافية لرضي الاسترأبادي ، ١ : ٩٥

للحَصْد ، واستهدَم البناء : صار قابلاً للهدْم ، واستأْبَرَ واستلقَح النخل : صار قابلاً للأبْر والتلقيح ، واسترقَعَ الثوبُ صار قابلاً للترقيق ، وهو منقول من استفَعَلَ للطلب على حسب التطور اللغوي ، وإذ كانت الأشياء الجامدة واللاإرادية ليس لها طاب دلّ ذلك الوزن (على القبول والقابلية) ، فصيغة مُسْتَفْعِلِ إِنْ تَقَابَلَ فِي مِيدَانِ الْمِصْطَلَحَاتِ ، الْكَلِمَاتِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَالْإِنْكَلِيزِيَّةِ الْمُخْتَوِمة بِـ able ، ible ، وإذا دخل الفاعل في حال الصفة الفعلية ، ينقل من مستفعل إلى (مُفْعِلٍ) : اسم (فاعل) من أَفْعَلَ يُفْعِلُ وهي همزة الدخول والوُغُول ، فتكون صيغة (مُفْعِل) للصفة المتطورة مثل أثمر الشجر وأورق ، وأنجبت المرأة ، وأخصب القوم وأقحطوا ، وأقشع الغيم ، وأنسل ريش الطائر ، وأسرت الناقة : دَرَّ لبنها ، وأظارت الناقة : عطفت على بَوَّها . وبهذا يعلم أن إطلاق بعضهم كلمة مُكْمِل على الطالب الذي لم يكمل النجاح في دروسه غلط مبين ، فهو مستكمل لا مكمل ، فإذا نجح في امتحان الاستكمال فهو مكمل .

وينبغي إجراء قياسية (فَعِل) بمعنى (مفعول) للاستفادة منه في المصطلحات ، وهو لا يكاد يحصي كثرة ووفارة ، كالكسير والأسير والأخيد والجريح ، ولذلك سمى المجمع العلمي العراقي كلمة (Bed load حميل القعر) يريد به حميل الجري ، أي ما يحمله الجري ، والحميل أخف من (المحمول) وأرشق وأدلّ على المعنى وأقدم زمناً . ومن الغريب أن كتاب العصر والمتأدبين استعملوا (الملي) مكان المملوء ، ظناً منهم أنه اسم مفعول من (ملأ) ، والصحيح أنه صفة مشبهة من ملؤ يملؤ ، أي صار قادراً وكافياً وما إليهما من المعاني ، يقال (هو مليء بالدفع وبالشعر وبغيرهما) ، والظاهر أنهم التبس عليهم الأمر ، وما أقربه من الالتباس في قول عجلان بن لأي الغنوي :

على أن كرزا من أناقر وجراق ملي ولكن سطوة الليث أدلّ

أراد (مليء بالآثاء والجرأة) أي كان فيها واف بما يوجبان ، لانه (مملوء) .
ودونه الثباسة قول بعض الشعراء :

مليء بهر والتفات وسعة
ومسحة عشون وقتل الأصابع
وقول آخر :

جمعت صنوف العي من كل وجهة وكنت مليئاً بالبلاغة من كذب
ولا نطيل في ذكر ألوان الاشتقاق المساعدة على حل مشكلة المصطلحات في العربية ،
كالمفصلة بمعنى السبب الذي يحمل على أصل فعلها ، كالمجهلة والمبغلة والمجنبة ،
وهي مقبسة على غرار (مفعلة) الذاتية للدلالة على موضع كثرة الشيء
كالمبعدة والمأسدة . وكالفعالة لقبه الأشياء ، كالنخالة والحشالة والفسارة
والخلاصة ، وأظن أن المجمع اللغوي المصري قد أقر الأولى .

وخلاصة القول أن الاشتقاق هو العون الأكبر ، والملاذ الأخير للغة
العربية اليوم ، في إعداد المصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، فينبغي الاستفادة
من جميع ألوانه الواضحة وأبوابه الواسعة .

واذا ذكرت المساعي اللغوية الجامعية ، أعني مساعي الجامع الثلاثة بأعيانها ،
ولا أقصد المسعاة الفردية ومسعاة العالم أمين المعلوم ، ومسعاة الأمير الشهابي العليم
وغيرهما ، كان للمجمع اللغوي المصري فيها الفضل الأكبر والذكر الأزهري ،
خصوصاً في المصطلحات ، فما فتى يسمي نحواً من اثنين وعشرين سنة في وجدان
المصطلحات وإيجادها بالاشتقاق ، وتمحيص القواعد واقتراحها ، وإصلاح العبارة
العصرية ، وتقويتها ، بطرائق علمية وبحوث موزونة ، وما انك يسجل ذلك في
محاضر موضونة ، وينشر خلاصه في مجلته المنعوتة أجمل النعت ، ولم يفته في
ذلك إلا القليل ، ففي مصطلحات البناء مثلاً لا نجد مقابلاً لما سمي بالفرنسية
(Matériaux) وهو في العربية (الحضرة) . قال الزمخشري في أساس
البلاغة (وجمع فلان الحضرة يريد بناء الدار وهي عدة البناء من الآجر

والجص وغيرهما) ، ولم نر في مصطلحات البناء (الكرياس) ، قال الفيومي المصري في باب الكاف : (الكرياس) فعِيَال بكسر الكاف : الكنيف في أعلى السطح .

ورأينا المجمع أيضاً يستعمل (السائل) (مكان المائع) ، والسوائل مكان المائعات ، مع أن العرب استعملت (المائع) وجمعه السالم ، وهو أدل على المسمى ، قال الشريف الرضي في «المجازات النبوية» في شرح الحديث النبوي : (وبل لأقماع القول ، ويل للمُصْرَتِينَ) ، شبه عليه السلام آذانهم بالأقماع التي تفرغ فيها ضروب القول إفراغ المائعات ^(١) ، وقال في شرح الحديث (أنجشة) : القارور : فاعول من استقرار الشيء فيه ، فكأنه قرار للشراب وغيره من المائعات ^(٢) ، وقال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة الفصل الحادي والأربعون : في تقسيم أوعية المائعات ^(٣) ، وقال عبد الوهاب الشعراني في ترجمة عبد القادر السبكي : «وكان له في خروجه وعاء يشترى فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات ، فكان يضع الشيرج والعسل والزيت الحار وغير ذلك ، ثم يرجع فيعصر من الإناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط» ^(٤) ، وألف الإمام ابن تيمية في ما ألف : قواعد في المائعات والمبايع وأحكامها ^(٥) . فهل يقول مترجم Liquide الأول إن العرب لم تستعمل له كلمة خاصة ، فاختار هو «السائل» ؟ لا ، لا يحق له ذلك القول ، وإنما ذلك تقصير في التنقيح والتنقيب عن المصطلحات في كتب العرب .

وفي مشكلة المصطلحات لا يزال الجدل قائماً في قضية التعريب ، وقد أقر

(١) المجازات النبوية ص ٢٩ طبعة مصر

(٢) الكتاب المذكور ص ٣٣

(٣) فقه اللغة ٢٦٢ طبعة اليسوعيين

(٤) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٥٩ طبعة المطبعة الشرقية بالقاهرة

(٥) العقود الدرية ص ٤٥

المجمع اللغوي المصري التعريب في قراراته الأولى بقوله : « يميز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم »^(١) .

وفي الحق أن هذه الضرورة هي موضع الخلاف ، وقد نشر في جزء القرارات عينه مقالاً في بيان الغرض من قرارات المجمع ، وفي الاحتجاج لما ، فاحتج كاتبه بأن العلماء أجمعوا على أن التعريب سماعي لا يقاس على ماورد منه عن العرب ، وبأنه يخشى من فتح باب التعريب تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على العربية ، فتتحرف على توالي الجهود ، بل تنقرض فتقرض معها القومية العربية ويستفلق القرآن ، ويبيد كل مادوّن باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع^(٢) . وفي ذلك شيء من المبالغة ، فالكاتب نفسه استعمل الفعل « دوّن » وهو مشتق من الديوان الكلمة الفارسية ، وقد استعملت كلمة « الديوان » في اللغة العربية حقيقةً ومجازاً ، كديوان الدولة ودواوين الشعراء والنشأ ، واشتق منه فعل ، هو « دَوَّنَ يُدَوِّنُ تدويناً » ، وصار الاعم والفعل من كلام العرب . والصواب ان أسماء الأمراض الجديدة وأدويتها ، والأدوية الجديدة ، وأسماء الحيوانات التي لم تعرفها العرب ، وأسماء كل ما لم تعرفه العرب من الماديات الساذجة أي الخام كما تقول العامة ، والأسماء الخفيفة أصلاً كالترام ، (أي الترام Tram) والخفيفة اختصاراً كالسينما ينبغي تعريبها واستعمالها ، أو يجوزان في الأقل ، ففي أحوال الالتزام من مصطلحات القانون المدني نرى في مجلة المجمع اللغوي المصري كلمة Terme الفرنسية وبقابلها في العربية (الأجل)^(٣) وهي كلمة حسنة ، وقد استعملت في القرآن الكريم بمعنى مدة العمر ومدة الشيء ، غير أن الترم عُربت في عصر الحروب الصليبية الثانية في المائة السادسة من الهجرة ،

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٢٠٠

(٣) المجلة المذكورة ج ٩ ص ٣٤

قال أبو شامة في أخبار سنة ٥٨٧ هـ الخاصة بالحرب بين صلاح الدين الأيوبي والملوك الصليبيين ، أيام محاصرتهم مدينة (عكا) : وذكروا أن الملوك قد أجابوا السلطان إلى أن يكون ما وقع عليه القرار يدفع في تروم ثلاثة ، أي نجوم ، كل ترم شهر ، حتى حصل لهم ما التمسوه من الأسارى والمال المختص بذلك الترم ٠٠٠ ولم يزالوا يطاولون ويقضون الزمان حتى انقضى الترم الأول في ثامن عشر رجب ، ثم أنفذوا في ذلك اليوم يطلبون ذلك ، فقال لهم السلطان : إما أن تنفذوا إلينا أصحابنا وتسلموا الذي عُيِّن لكم في هذا الترم ونعطىكم رهائن على الباقي يصل إليكم في ترومكم الباقية ، وإما أن تعطونا رهائن على ما نسلمه إليكم حتى تخرجوا إلينا أصحابنا ، فقالوا : لا نفعل شيئاً من ذلك ، بل تسلمون ما نقبضه لهذا الترم ، وتقنعون بأمانتنا حتى نسلم إليكم أصحابكم ^(١) .

ففي الخبر استعمال الترم والنجم دون الأجل ، وأغرب من ذلك ما تقرأه في المنجد في إحدى طبعاته : تَرَمَ له تَرَمًا : عين له وقتًا ، وقد حذفت هذه المادة منه في الطبقات المتأخرة .

والذي قدمناه بدل على تساهلهم في التعبير لما يخفى على اللسان كالترم .

وأما مشكلة الصرف في العربية ، فهي صغرى مشكلاتها ، وقد أدعجنا حل معظمها في الكلام على المصطلحات ، فكلمًا كثر القياس في الصرف زادت ثروة اللغة العربية ، واتسعت آفاقها وتبرأت من القصور المنسوب إليها بهتاناً وعدواناً . على أنه ينبغي أن لا يلتفت إلى الشاذ عن القياس مما نبه عليه الصرفيون ، كقولهم : أورسَ الشجر فهو وارس ، إذا اخضر ورقه ، وأمحلَ البلد فهو ماحل ، وأملح الماء فهو مالح أو ملح ، وأغضى الليل فهو غاض ، وأقرب القوم إذا كانت إبلهم قوارب فهم قاربون ، وأيفع الغلام فهو يافع . فقد ورد أيضاً (مورس) وليس ذلك من الشذوذ ، بل من آداء معنى الثقل بالخفيف على الاستعارة . قال الفيومي

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٨٩

في المصباح المنير : «أشار بعضهم الى أن ذلك ليس باسم فاعل للفعل المذكور معه ، بل هو نسبة إضافية بمعنى « ذو الشيء » فقولهم : «أهل البلد فهو مأهل » أي ذو محل ، وأعشب فهو عاشب أي ذو عشب ، كما يقال : رجل إلابن وتامر ، أي ذو لبن وتمر .

وعلى رأي تغليب القياس في الصرف ينبغي التساهل في جموع التكسير التي هي من خصائص اللغة العربية ، وقد أحسن المجمع اللغوي المصري بإقراره قياسية الغالب من جموع التكسير ، وقياسية جمع الكلمات التي لم تسمع جموعها ، وجموع التكسير للثلاثي المجرد من تاء التانيث ، كجمع «فعل» المعتل العين على فعول وأفعال^(١) كسيف وسيوف وأسياف ، والصواب أن هذا الوزن يشمل المعتل الفاء أيضاً كوسق وأوساق ، ووغد وأوغاد ، ووضع وأوضاع ، ووقف وأوقاف ، والمعتل اللام كنجح وأنحاء ، ويشمل المضعف ، قال الشريف هبة الله ابن الشجري ، في أماليه ، في الكلام على جمع (فعل على أفعال) من الصحيح : وائسع في المضاعف فقيس في ربّ وجذّ وعمّ ومنّ : أرباب وأجداد وأعمام وأننان^(٢) . وقد جاء من الصحيح مما لم يذكره الصرفيون مثل (لحن وألحان ، وبعض وأبعاض ، ولفظ وألفاظ ، ولحظ وألحاظ ، ونجد وأنجاد ، وسطر وأسطار ، وأنف وأنان ، ووهم وأوهام ، وكبش وأكباش ، ووزن وأوزان ، ونهر وأنهار ، ورمس وأرماس . هذا مما ألفتة الأسماع ، ولم أذكر ما لم تألفه ولم تعرفه ، فهو أكثر منه عدداً ، وقد استعمل المجمع المصري كلمة (أبحاث) جمع (بحث)^(٣) ، فاقصره في قرار قياسيته (فعل) على أفعال في المعتل العين يجعله مخططاً في هذا الجمع ، فالصواب إذن إقرار (فعل) على أفعال مطلقاً ، ما لم يحدث ذلك

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ٤ ص ١

(٢) أمالي ابن الشجري ج ١ ص ٣٢٩

(٣) مجلة المجمع المصري ج ١ ص ٧ و ج ٦ ص ٧٢

التباساً ، كجمعهم اليوم مَجْدًا على أمجاد ، مع أن القدماء جمعوا (المجيد) على أمجاد كيتيم وأيتام ، وشريف وأشراف . وهذا غير جمعهم المكسر الأصلي (مَجْداء) والمصحح (مَجْدون) ومنصوبه ومجروره .

وأختم الكلام على مشكلة الصرف بقولي : إنه يجب علينا أن لا نجعل القواعد الصرفية غاية وهي وسيلة ، ولا نبقى متمسكين بمذهب البصريين فيه ، فالقول مثلاً بأن (المصدر) أصل المشتقات قد أصبح خرافة صرفية ورأياً قائللاً ، فالمصدر اسم للفعل وتجرید منه ، ولا يوجد الاسم قبل وجود المسمى ، واللغة سارت في أطوارها من الإشارة إلى العبارة ، ومن التجسيد إلى التجريد ، والفعل تجسيد والمصدر تجريد ، وفرعية المصدر من الفعل قال التحويون : إن المصدر يحمل عمل فعله ، ولم يقولوا إن الفعل يعمل بعمل مصدره^(١) ، فيجب اطراح رأي البصريين ، والأخذ بمذهب الكوفيين في ذلك ، فهو المذهب الحق الذي يفيدنا في هذا العصر ، كما قدمنا في الكلام على (فعل) في أنه يؤخذ في جملة من استعماله من الأسماء الذاتية .

وكذلك ينبغي الأخذ بمذهبهم في النسبة إلى الجمع المكسر كالدُّوَلِي ، وقد أجاز ذلك المجمع اللغوي المصري في قراراته وقال : «المذهب البصري في النسب إلى جمع التكسير أن يرد إلى واحد ، ثم ينسب إلى هذا الواحد ، ويرى المجمع أن ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة لإرادة التمييز أو نحو ذلك»^(٢) ، وقد أوضح سبب هذا القرار الدكتور محمد توفيق رفعة بعد ذلك بقوله : «رأى المجمع في هذا أن النسبة إلى الجمع قد تكون في بعض الأحيان أبين وأدق في التعبير عن المراد من النسبة إلى المفرد ، وبهذا عدل عن مذهب البصريين

(١) تراجع (المباحث التنوية في العراق) ص ١٣ - ١٤ ، محاضرات لكاتب البحث وقائل المقال

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ٢ ص ٣٥

القائلين بقصر النسبة على المفرد ، الى مذهب الكوفيين المترخصين في إباحة النسبة الى الجمع توضيحاً وتبييناً»^(١) .

وفي الحق أن النسبة لا ينظر فيها الى كون المنسوب اليه جمعاً أو مفرداً ، لأنها نسبة اسم الى اسم آخر ، لاتصاله به نسباً أو مكاناً أو مادة أو لوناً أو حزباً أو حرفة أو شيئاً آخر ، كالعربي والتميمي والمكي والحجري والدري والافغالي والشعوبي ، فالنسبة وسيلة إلى الايضاح ، ولا يتم الايضاح إلا بالمحافظة على صورة الاسم المنسوب اليه ، فكما صورته هو الكفيل بفائدة الايضاح ، والتغيير فيه يؤدي الى ضياع الفائدة المرادة بالنسبة^(٢) . ومع هذا البيان وإقرار المجمع اللغوي المصري للنسبة إلى جمع التكسير عند الحاجة اليها ، لا تزال نقرأ قول المعاصرين (الحكم المملوكي بمصر) بدلاً من الحكم المماليكي ، ولا تزال أيضاً نسمع مذيعي محطات الراديو العربية يقولون (الدولي) للاترناسيونال International وهو لا يؤدي المراد أبداً ، لأن الدولي منسوب الى جنس الدولة ، فهو يميز المنسوب عن اللادولي ، إن صح قولي ، كالشيء الخاص بالأمة أو الأسرة أو الشعب أو غير ذلك ، ومع إصرار هؤلاء المذيعين على (الدولي) تجددهم يقولون (الحركة العمالية والقانون العمالي) في النسبة الى العمال ، جمع العامل ، فلماذا لا يقولون : الحركة العاملة والقانون العالمي ؟ !

ومشكلة أخرى من المشكلات الصرفية أصاب أذاها لغة العصر ، وهي النسبة الى (فَعِيلَة) غير مضعفة ولا معثلة العين والواو ، كالطبيعة والبدية والغريزة ، فقد ظن فريق من النحويين والصرفيين أن الياء تحذف منها في النسبة حذفاً عاماً ، لا خاصاً بكلمات معينة ، وذلك الظن صار قاعدة صرفية لسوء الاستقراء ، والصواب أنه خاص بالأسماء المشهورة أي الأعلام الشهيرة ، ولا سيما القبائل والبلدان ، كما يدل عليه تمثيل ابن قتيبة في أدب الكاتب حيث قال : « إذا نسبت

(١) المجلة المذكورة ج ٣ ص ٤

(٢) المباحث اللغوية في العراق ، ص ٢٥ و ٢٦

الى اسم مصغر كانت فيه الياء أو لم تكن وكان مشهوراً أُلقيت الياء منها ،
تقول في 'جَهَنَّة' و'مَرْيَنَة' : 'جَنَّتِي' و'مَرَّانِي' ، وفي قريش : قرشي ، وفي هذيل :
هذلي ، وفي 'سليم' : 'سَلَحِي' ، هذا هو القياس إلا ما أشدوا ، وكذلك الحال
إذا نسبت الى قَصِيْبِل أو فَعِيْلَة من أسماء القبائل والبلدان ، وكانت مشهوراً
أُلقيت منه الياء ، مثل ربيعة وبجيلة تقول : رَبْعِي و'بَجَلِي' ، وحنيفة : حَنَفِي ،
وثقف : ثَقْفِي ، وعتيك : عَتَكِي . وان لم يكن اسماً مشهوراً ، لم تحذف الياء
في الأول ولا الثاني» (١) .

فابن قتيبة لم يشترط العَلَمِيَّة وحدها ، بل أضاف اليها الشهرة ، وأيد قوله
بالشواهد القوية من لغة العرب ، فالقاعدة كما قلت آنفاً خاصة لا عامة ، وكيف
يظنُّ أن العرب تسيء الى لغتها وتهدم جانباً منها ، بحذف ياء (فَصِيْلَة أو فَعِيْلَة)
للجنس بحصول الشرط ، مع أنها تبلغ مئات فتختلط اللغة وتلتبس ، وتصبح تخالط
وأغليط ومجموعة من النصاحيف .

وآخر ما أريد به إصلاح الصرف طرح (باب المطاوعة) وتسميته باب
(الفعل الذاتي) ، وقد ثبت أن المطاوعة خرافة صرفية لا يلتفت الى القائل بها ،
فقد قالت العرب مثلاً : ('هزيم وانهزم) فالثاني للهرب الاختياري .

أجتزئ بهذا القول في مشكلة الصرف ، وأصرف الى مشكلة النحو فهي
مشكلة عويصة جداً ، وهي مبعث الشكوى وسبب البلوى ، فالجمود وعدم التطور
وانقطاع الإبداع ، والنحوض والامتهام من صفات النحو العربي ، إلا ما شذ
أو ما ندر . وإذا درس الإنسان تاريخ قسم من اللغات الحية الواسعة كالفرنسية
وجد أن نحوها كان متغيراً متطوراً بعيداً عن الجمود ، ومِظَنَّة للإبداع وطلب
السكال ، ونعني بالجمود اتباع قداماء النحويين في مرد القواعد ، وإيرادها
من غير عرضها على القرآن الكريم وكلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة

والتزام أقوالهم واعتنائها اعتنائ العقائد ، مما يحرم فيه الاجتهاد . ونعني بانقطاع
الابداع عدم نسخ قاعدة أو الاستبدال بها أو عدم إدماجها في قاعدة أخرى ،
أو خلو النحو من قواعد عامة تعين على الاستعمال المفيد بالمراجعة لكتب النحو
وكتب اللغة .

والمذهب العام إلى إصلاح النحو في رأيي ، هو تقليل القواعد وانتقاء الشواهد
من القرآن الكريم أولاً ، ثم من الحديث النبوي المروي لفظاً ثانياً ، ثم من نثر العرب
الوارد في الأمثال والآيام والمقامات الصحيحة ، ثم من الشعر العربي الجاهلي
الصحيح صحةً نسبية ، الخالي من الضرائر كائناً ما كان نوعها ، ومقياس الضرائر
الآظهر هو مباينتها للنثر العربي على اختلاف ألوانه ، ثم من شعر ما بعد الجاهلية .
إن القرآن الكريم هو أعلى نثر عربي وأفصحه وأنصحه ، واستخراج الشواهد
النحوية منه بادي الرأي أقوى برهان على صحة القواعد وقدمها وثافتها . ولطالما
رأبنا تجافياً من جماعة من النحويين عن أخذ الشواهد منه ، بلبّة جماعة من
المبشرين المتعصبين باللبّة الذين يرتكبون أشنع الافك وأفظع الجهل بدعواهم أن
في القرآن غلطاً نحوياً ، يستدلون على إثباته بالشعر الجاهلي الظنين . ومن الذين
يدعون العلم بالعربية ونحوها ، من لا يعوجون على القرآن يتأملون شواهدهم وينتقون
فرائده ، ويظنون أن دعواهم حقّة ، قال الكاتب أسعد داغر في كتيبه
(تذكرة الكاتب) ص ١٤٢ في تخطيط الكتاب وإصلاح خطهم على زعمه :
« وكثيراً ما يستعملون الحرف (لو) مكان (إن) فيقولون : وليعلموا أني
لا أهرب جانبهم ولو كنت وحدي ، وسبقني بخيلاً ولو صار غنياً . والصواب :
وإن كنت .. وإن صار .. »

وهذا القول يدل على أن الرجل لم يقرأ القرآن قراءة نحوية ، ولا قرأ شعر
الأخطل النصراني القائل في مدح بني أمية :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

فقد وضع (لو) مكان (إن) مختاراً غير مضطر ، لأنه كان في قدرته أن يقول (وإن باتت بأطهار) ، وقد استشهد أبو العباس المبرد على صحة قول الأخطل المنظوم نثر القرآن الكريم ، قال : قوله : ولو باتت بأطهار ، فلو أصلها في الكلام أن تدلّ على عدم وقوع الشيء لعدم وقوع غيره تقول : لو جئتني لأعطيتك ، ولو كان زيد هناك لضربته ، ثم تنسع فتصير بمعنى (إن) الواقعة للجزاء تقول : أنت لا تكرميني ولو أكرمتك ، تريد وإن أكرمتك . قال الله عز وجل : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ، فأما قوله - عز وجل - « فلن يقبل من أحد ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » ، فلو بمعنى (إن) ^(١) .

فتأمل بفكرك واحكم في تلك الدطوى .

ومن أبواب النحو التي نستطيع أيسادها باب « أسماء الأفعال المرتجلة وأسماء الأفعال المنقولة » ، فالمرتجلة ماهي إلا أفعال جامدة قديمة ، ومنها ماهو في طور الانتقال من الجمود الى التصرف الساذج مثل : (هلم يارجل) أي تعال يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر في لغة أهل الحجاز ، وبها جاءت لغة القرآن الكريم في هذا الحرف : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » ، وأهل نجد كانوا يصرفونه ويقولون : هلم وهلمتي وهلموا وهلمسن . وأما المنقولة فدعوى نقلها واضحة البطلان ، ولا يصدق الفكر الثاقب بنقلها لاستحالة ، فليس في النحو مختبر كيميائي نحوي يحيل العبارة الى غير أعيان كلماتها ، وليس فيه مذهب تناسخ ، فقولهم : « عليك حقك أي الزمه » ، واليك عني أي ابعده ، ودونك الكتاب أي خذه ، إنما هو مختصر جمل ذات أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال ، وهذه الجمل المنطوق بها إنما هي بقاياها ، والمحذوفات في اللغة العربية كثيرة جداً ، والحذف مع تمام الدلالة من عناصر البلاغة ، إنك إن تحلل قول القائل : « من لي بفلان » وكيف لي بذلك » تجده عجيباً من القول ، ولولا أن الألفهام

(١) الكامل في الأدب ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٥ طبعة الدبجوني الأزهرى

العربية تدرك المفقود بالموجود ، لكان ذلك لغزاً من ألغاز التركيب ، فالأصل في العبارة الأولى : (من مظفر لي بفلان) ، أو ما جرى مجراه ، وفي العبارة الثانية : كيف الظفر لي بفلان ، وما نحا منناه ، وعلى هذا يكون أصل : عليك حقك : (أمسك عليك حقك) ، كقوله تعالى في سورة الأحزاب : « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله » فحذف العرب الفعل في مثل هذه الآية تخفيفاً ، نقالت العرب (عليك نفسك) اختصاراً ، والأصل في (اليك عني) هو (ابتعد إليك عني) أي ابتعد من الجهة التي أنت فيها ، و (دونك الكتاب) واضح تقدير أصله ، فهو (خذ الكتاب دونك) أي خذه وهو دونك ، وفي ذلك إشارة إلى قرب موضعه من المأمور بالأخذ .

ومن المعلوم أن العرب حذفت الأفعال في الإغراء والتحذير والخصوص المعروف بالاختصاص ، وفي قولهم : (الناس مجربون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر) ، وقول النعمان بن المنذر للربيع بن زياد العبسي :
قد قبل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من شيء إذا قبلاً؟
وحذفت الفعل في (قل حقاً وإلا فاسكت) ، وهو كقول الأحموس بن محمد الأنصاري :

فطلقها فليست لها بكف ، وإلا يعلُ مفرقك الحسامُ

ومن الحذف قولهم (خير مقدم) أي قدمت خير مقدم ، و (هنيئاً لك) أي ثبتت هنيئاً لك . وهكذا يسد باب من أبواب النحو بفضل القرآن الكريم ، وهو باب أسماء الأفعال .

وما غفل عنه النحويون أن التعدي في الفعل هو الأصل ، لأن الحياة على اختلاف أنواعها ، وتباين طرائقها تعتمد على التعدي ، فاللزم في الفعل أمر طارئ إذت .

وعلى هذا القياس تكون الأفعال التي أصلها اللزوم ، كفرح بفرح ، وسهل

يسهل . حديثة الوجود في ، اللغة بالنسبة الى غيرها من ضروب الفعل الثلاثي المجرد ، لأن التمدن وفهم الأسباب بعثا العرب على اشتقاقها .
ذكرت هذه الأمثلة للبيان عن إمكان الاختصار والإبداع والاستبدال في النحو .

ومشكلة المعجمات تظهر في جمودها أيضاً ، وسوء ترتيبها والتقصير في شرحها ، فالجمود يمكن أن يُزال بمطالعة كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعراء والنثر والسياحات والرحل والمعجمات بأعيانها لتسجيل ما ورد فيها ، مما ليس في المعجمات ، أو ليس في بابها منها ، كما فعل (رينهارد دوزي) في كتابه «تكملة المعجمات العربية» و (اين) المستشرق الانكليزي في معجمه العربي الانكليزي ، وقد جمعتُ معجماً للمولد من الكلم ، وللتعابير المولدة بشواهد المفعلة ، وهو لا يزال في تسويده ، ولم ألق ما يشجعني على إخراجه ، لأننا نقول ولا نعمل ، ولأن من سوانا من الأمم المتدنة يفعلون ثم يقولون .

وأما سوء الترتيب ، فمعلوم عند الذين يراجعون المعجمات العربية ، ولا حاجة الى الكلام فيه ، فالأمم تجده أحياناً قبل الفعل ، والسداسي قبل الثلاثي ، والخماسي قبل الرباعي ، والتكرار شائع وخصوصاً في لسان العرب ، لأنه مجموعة معجمات يحصر مؤلفه على أن يورد أصولها وفصولها ببيئاتها الأصلية .

وأما شرحها فمضطرب أو مقصر فيه أو مختصر ، ويغلب عليها إيراد المفردات مفردة على الشرح اللفظي ، ويقل فيها إيراد الجمل ، وإذا أوردت جملاً أوردتها على النحو القديم غالباً . والتحقيق أن للكلمة العربية قيمتين دائماً : قيمة معجمية وهي قيمة جامدة لا حياة فيها ، ربما تؤدي الى سوء فهمها ، وقيمة استعمالية وهي القيمة القابلة للتطور ، لأنها تؤخذ لها من صميم كلام العرب أو كتبهم على تعاقب الأزمان واختلاف البلدان ، ألا ترى مثلاً اننا نستعمل اليوم (تنازل عن العرش وتنازل عن حقه) ، والذي في المعجمات : تنازل القوم : نزولوا عن إبلهم

إلى خيلهم فتضاربوا ، أو نزلوا الى ساحة القتال فاضطربوا ، أو تنازلوا في السفر أي أكلوا عند هذا نزلة أي مرة ، وعند ذاك أخرى ، فتنازل في كل هذه العبارات يدل على الاشتراك بين اثنين فأكثر منها ، ولم يرد للواحد ، ولكننا نجد في شرح قصيدة ابن عبدون تأليف عبد الملك بن بدرون قوله ، وهو بقص تاريخ الفرس :

ثم ملكك بعد أردشير جمانة أو خماني ابنته . . ولم يلبث ملكها إلا ثلاث سنين ، فانه لما بلغ أخوها أشده وهو دارا الأول (تنازلت عن الملك) وسلمته اليه ، فلما استلم زمام السلطة ضبطها بشجاعة ^(١) .

وقد استعمل (تنازل) بمعنى تخلى وترك وخلع نفسه ، وقد كنت أظن قولهم تنازل عن الملك غلطاً ، ثم بان لي أنه مولى مستعمل في لغة أدباء من الأندلس لا يستهان بهم ، وانظر رعاك الله الى قوله (استلم زمام السلطة) ، بدلاً من قوله (تسلمه) ثم اقرأ ما كتبه في هذه العبارة أسعد خليل داغر في « تذكرة الكاتب » قال : (ويقولون استلم فلان الشيء ، أو أمضى وصول الاستلام ، وهو شائع مستفيض بين كثير من الكتاب . فيستعملون هذا الفعل ومشتقاته بمعنى الأخذ والتناول ، على خلاف المعنى الموضوع له وهو المس بالقبيل أو باليد أو المسح بالكف ، ومنه نمين الحجاج في مكة المكرمة باستلام الحجر الأسود ، الذي قيل له ذلك لأنه أسود من لمسهم له عند استلامه ، أما الفعل الذي يفيد معنى الأخذ والتناول فهو تسلم ، يقال : تسلمه وسلم اليه الشيء فتسلمه وأمضى وصول التسلم) ^(٢) . فلا شك عندي في أن الذي استعمل (استلم) بمعنى تسلم كان قد وجده في شرح قصيدة ابن عبدون ، فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المئة السادسة

(١) شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٠ طبعة مطبعة السعادة

(٢) تذكرة الكاتب ص ٣٠

من الهجرة في أقل اعتبار ، أفيجوز أن نخطئ قائله وهو محمول على المجاز المفتوح الباب في لغة العرب ، ولولا هو لكانت اللغة مع اتساعها أضيق من الميدان على الجبان ، فالملازمة مثلاً معروفة ولكنها نقلت الى المباشرة والمضاجعة ، والتسلم والاستلام يجمع بينهما اللبس ، فيستعار الاستلام للتسلم ، وقد استعير واستعمل قبل مئات السنين كما نقلت آناً ، واستعمل الأندلسيون (صلح تصليحاً) ولم تعرفه المشاركة ، وهو مشهور اليوم .

وأمثلة ما ليس في مادته ، منها ما جاء في المصباح المنير من ذكر (الكجاجة) في تفسير العمارة ، وذكر (البر كسطوان) في التجفاف ، وقد أحصيت على النجوم في مصباح المنير ستاً وعشرين وثلاثمائة كلمة لم يذكرها في موادها ، واستعملها في غيرها . أحصيتها لإثبات أن اللغويين يستعملون في الأحيان من الكلم ما لا يثبتونه في معجماتهم العامة .

ومشكلة التعبير متصلة بمشكلة المعجمات ، ولأن الكتابة العربية صناعة لا سليقة ، وقد طورتها الصحافة العربية من جرائد ومجلات في النهضة العربية الأخيرة تطويراً بالغاً ، بحيث إذا قرأ الانسان اليوم مجلة عربية يجد فيها طائفة من الكلمات المولدة والكلمات المعربة حديثاً والعبارات الغربية المترجمة ، حتى يصعب على العربي غير المعاصر لنا فهم أشياء فيها ، وما يبعث السرور والابتهاج الاجتهاد في نشر اللغة العربية الصحيحة وإزالة الأمية ، والتربية والتعليم النسويان ، فالعامة اليوم في الأقطار العربية والأقطار التي استروحت رائحة العروبة ، يميلون كل الميل إلى تقليد الكتاب والخطباء والافتباس من أقوالهم ، في محاوراتهم حتى ارتقت لغتهم . والتعليم النسوي في بلاد العرب اليوم لم يبلغ ما هو عليه اليوم في عصر من عصور الاسلام السالفة ، مع أنه في أول نهضته المباركة .

ومن البين للمتأمل أن أكثر الألفاظ السياسية ، وكثيراً من المصطلحات المالية والمصطلحات العسكرية والعلمية والفنية ، قد استعارها العرب في العصر الحاضر

لاحتياجهم اليها في مباشرة شؤون الحياة ، وقد ترجموا منها ما ترجموا ، وعربوا ما عربوا ، وقد أشرت الى مساعي الجمع اللغوي المصري في ذلك خاصة ، لأنها لم يكن لها مثيل ، ولأنها على العمل المثمر أدل دليل ، ولم يكن بد من هذا النضال اللغوي لانبثاق السلسلة عندهم ، وانقطاع الجري الفني فيهم . وقد كثر المترجمون في أول هذه النهضة ، وقصر أكثرهم في النقل ، لضعف في لغتهم العربية ، وقد ذكرنا أنها صناعة ، والمترجم إذا ضلّت عنده إحدى اللغتين كثرت إساءته للترجمة ، وزادت الإساءة الى اللغة الضعيفة عنده ، فنحن لا نزال نقامي أذى تبنككم الإساءتين بما خلفناه من أخطاء ، أقول هذا ، مع اعترافنا بفضلهم وسبقهم إلى استفادة أنفسهم وإفادة العرب .

وتعابير لغتنا العصرية الخالية من صبغة الترجمة والاقتراس لا تزال ضعيفة ، بالنسبة الى أسلوب فصحاء العرب ، لانقطاع الصلة بين هذا الأسلوب وذلك ، إلا في النادر ، ولغلبة الأسلوب الأعجمي المترجم المعبر عن المراد في هذا العصر ، وهذا الأسلوب يكون بنجوة من التبع والمواخذة في الأمور العلمية والمباحث الفنية ، إلا أنه في الكتابة الأدبية معيب منتقد على صاحبه ، وقد استنفذ جماعة من الفضلاء مجهودهم في إصلاح تأليف الكلام وتقويم اللسان والقلم في المفردات وفي الجمل ، فمنهم من مضى ، ومنهم من هو غير غير عابر ، وألفت في ذلك كتب صغار ونشرت مقالات ، غير أنه قد دخل في طائفة المصلحين من لم يسم الى مقام الإمامة في الإصلاح ، وتزبب وهو لا يزال حصرماً ، حتى أنكر ما ورد في القرآن الكريم وهو لا يدري بما فيه ، وبما ورد في الحديث المنسوب الى النبي (ﷺ) قبل أكثر من ألف سنة كالسكة الحديد ، قال المرحوم الشيخ أحمد الاسكندراني في وصف المتزبين : « حتى أصبح النقد اللغوي وحده ديدن النقاد كافة ، وحتى تدخل في أهله كل قليل البصر بالنحو والصرف والبيان ، وإذا رأى أن نحو خمسين أو ستين كلمة يزعم أن الناس يحرفونها عن

مواضعها كافية للتشهير^(١) بكبار المؤلفين والكتاب والشعراء ، فوقع الناس من هذا وأضرابه في بلاء عريض وعنت مقيت ، ولكن الله أرحم من أن يترك حماة اللغة هدفاً لعباد المعجمات ، فألهم أعضاء مجمع اللغة العربية في أثناء بحثهم عن وسائل سلامة اللغة والتوسع في أقبستها ، لجمعها أداة صالحة لنشر العلوم والفنون ، أن يبدؤوا بوضع حدود للاستفادة من المعجمات وكتب القواعد معاً ، فوجدوا أن معظم نقد هؤلاء المعجميين يرجع إلى مسائل لزوم الفعل ، أو تعديه بنفسه ، أو بحرف خاص دون حرف^(٢) .

ثم ذكر الاسكندري رحمه الله الوجوه التي أخطؤوا فيها من تخطئتهم للكتاب والمؤلفين ، وأكثر كلامه في هذا الأمر الحيوي من أمور اللغة العربية معقول مقبول ، لأن باب المجاز مفتوح ، والاستعارة الجميلة مباحة والاشتقاق لاجب ، ولأن ترجمة المجاز جائزة وسائغة ، لأن طرائق التعبير بين اللغات الرافية متشابهة ، فقلما تجد في إحداها استعارة أو كناية أو حقيقة ، لا تجد مثلها أو ما يقاربها في أخرى ، فالفرنسيون يقولون في بعض كنيائهم *Jeter des perles aux pourceaux* أي ألقي بالآلى إلى الخنازير ، كناية عن عرض الإنسان على آخر ما لا يدرك قيمته ولا فضله ، وقريب منه في العربية ما ورد في أخبار شعبة المحدث قال : رأني الأعمش وأنا أحدث قوماً ، فقال : (وبجك يا شعبة تعلق الأواؤ بأعناق الخنازير)^(٣) :

وقد عالج موضوع الأساليب هذه - أي العبارات المترجمة - المجمع العلمي العربي بدمشق قديماً ، وكذلك فعل بالكلمات التي سماها بعض الفضلاء (غير القاموسية) ، مما هو مثبت في بعض مجلدات مجلة المجمع المذكور ، ثم نشر المرحوم الشيخ

(١) الصواب : في التشهير

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ١٧٨

(٣) تذكرة الناصر والمتكلم في أدب العالم والملم ، لبدر الدين بن جماعة الكنتاني ص ٥١ في الحاشية

عبد القادر المغربي مقالة في مجلة المجمع اللغوي المصري عنونها بـ (تعريب الأَسَالِيب) ، وقال في أولها : « نريد بتعريب الأَسَالِيب ما أراد به مجمع اللغة العربية بتعريب الكلمات مذ قال في القرار السادس من قراراته : التعريب هو إدخال العرب في كلامها كلمة أعجمية ، ونحن نقول في تعريب الأَسَالِيب : هو إدخال العرب في أساليبها أسلوباً أعجمياً ^(١) . وليس بين أدبائنا كبير نزاع في أمر قبول الأَسَالِيب الأعجمية وعدم قبولها ، وجل ما اشترطوه في قبول هذه الأَسَالِيب أن لا تكون مخالفة في تراكيبها لقواعد اللغة العربية ، وأن لا تكون نائية عن الذوق السليم ، ولم يشترطوا قط في إدخالها إلى أساليبنا ضرورة كما اشترطه المجمع في تعريب الكلمات » . « فالباب مفتوح للأَسَالِيب الأعجمية تدخله بسلام ، إذ ليس في هذه الأَسَالِيب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي ، وإنما هي كلمات عربية محضة ، رُكبت تركيباً عربياً خالصاً ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بذلك الكلمات ^(٢) » .

وكلام الشيخ المغربي - رحمه الله - يشعر بأنه أراد نقل الأَسَالِيب وترجمتها لا تعريبها ، لأن كلمة التعريب معنى علمياً معيناً لا تنقضه إرادتي ولا إرادة غيره به (الترجمة والنقل) . وقد ذكر من الأَسَالِيب الأعجمية (طلب فلان يد فلانة) كناية عن كناية عن خطبته إياها على نفسه ، و (ألقيت حبل القلم على عنقه) كناية عن تسببه ، و (رمى بآخر خرطوشه لديه) كناية عن استنفاد ما عنده من الوسائل ، و (المرء يعود أبداً إلى حبه الأول) ، و (افتح أذنيك) أي أحسن الإصغاء والاستماع ، و (خائنه قواه) ، و (مرق بأسنان جميلة ، وضرب ضربات أسنان) كلاهما كناية عن الغيبة ، و (شرب الكأس حتى الثمالة) و (فلان ما عاد يقدر أن يسافر) ، و (فلان ما عدت رأيت له أو لم أعد أراه) ، و (تبادلا

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣٢

(٢) المرجع المذكور في الصفحة عينها

التجبات والشتائم) و (بكي بدموع حارة) و (قبل قبله حارة) و (سأسافر غداً برغم المطر) ، و (أثر على فلان) و (قرأ لامارتين ودرس هو كوكو) و (ألقى المسألة على بساط البحث) و (هذه مسألة جوهريّة) و (أعطى رأيه في القضية) و (سهر عليه) و (قتل الوقت) و (عمل ضد فلان) و (لقحه ضد الكوليرا) و (بالنظر الى كذا جرى الأمر) و (في الوقت نفسه جاء فلان) و (هو يمثل المجمع في الحفلات الرسمية) و (هم عشرة على الأقل أو على الأكثر) و (المسألة تحت الدرس) و (الأمر كذا وكذا ، وبعبارة أوضح أو أصح هو كيت وكيت) و (جو السياسة مكرب) .

ثم قال - رحمه الله - : أما الأساليب التي لا نزاع في عجمتها فكثيرة جداً ، منها قولهم : ذر الرماد في العيون ، وفلان يكسب خبزه بعرق جبينه ، وفلان لا يرى أبعد من أرنبه أنفه ، وهو يلعب بالنار ، ولا جديد تحت الشمس ، وأعطاه فرماناً على بياض أي أعطاه ملء السلطة وأعطاه صوته في الانتخاب ، وقبض على دفعة الحكومة ، وأزهر العمران والمعارف ، وازدهرت التجارة ، وساد الجهل ، ولعب دوراً أو مثل دوراً في هذه القضية ، وفلان يؤيده الرأي العام ، وفلان رجل الساعة وهو الذي ينقذ الموقف ، وكلمته بطرف شفيعه أي باحتقار ، وأقول أنا في دوري ، وتوترت العلاقات بين الحكومتين ، وتلبذ جو السياسة بالغيوم ، وهذا حجر عثرة في سبيل كذا ، وإلى الملتقى وإلى الغد ، وفلان يصطاد في الماء العكر ، وشرب على صحة فلان أو شرف فلان ، وضحك ضحكة صفراء ، وتأثير الوسط أو الأوساط السياسية ، وفعله بصفته حاكماً للبلاد ، وفعل كرجل عاقل ، وقال كمؤرخ أو شاعر ، ومسألة بسيطة ورجل بسيط ، وقاله ببساطة ، وترجمه ترجمة سطحية ، ومعرفة سطحية ، ودسائسه تغذي الفتنة ، الصحافة تغذي الرأي العام ، وتصفية المحل التجاري ، والتصفية القضائية ، وكانت الحفلة تحت إشراف فلان ، وتأثر إلى حد كذا أو درجة كذا ، وحتى

نطلع الرأسين سواء ، وهو عظيم بكل معنى الكلمة ، وضميري بعذبي ، وتوبيخ الضمير ، وكلمة شكر بريئة ، ونقد بريء ، وفعل كذا على ضوء الشيء ، وكان القوم متحمسين ، وخصص عمره بالأدب أو بالأدب وحده ، ولكل جريدة خطبتها ، وعناصر القصة في الأدب ، وتحليلها إلى عناصرها ، والمدرسة الأفلاطونية ، وتأثر بالمدرسة الفلانية ، وهو صاحب كرمي في الجامعة ، وعلى قدم المساواة ، وبشر بالدين أو المذهب ، ومبارك هو الرب ، وشريرة هي المرأة التي تفعل كذا وكذا ، وصب عليه جام غضبه ، وعمل في حق الوطن ، وأنفذ عصارة دماغه ، وهو دودة كتب ، وإن كتبه كلها آذان كلاب ، كناية عن طبع أطرافها ليرجع إليها ، ومات ولم يعرف امرأة أي لم يتزوج ، وأحرق البخور أو بخور الشاء بحضرة فلان ، واعتنق فلان الدين الإسلامي ، وضحاه على مذبح أغراضه ، وذهب ضحية مبدئه ، وعاش ستة عشر ربيعاً ^(١) . هذا ما ذكره المرحوم الشيخ المفري . وتزيد عليه قولهم : أوصل سفينة الدولة إلى شاطئ السلامة ، وقولهم هضم فلان هذه المعلومات ، وجمده وعزله عن النشاط التجاري ، وهذه النصائح تنعكس على الشباب أي تشع عليهم ، وغيرها كثير يطول تفصيله ، وأنا أرى أن من هذه العبارات التي جزم المفري بأعجميتها ماله وجود في اللغة العربية ، فقولهم مثلاً : (اعتنق المذهب الفلاني) استعارة معروفة فيها ، قال الفيومي في المصباح المنير : (واعتنقت الأمر أخذته بجد) ، وقال الزمخشري قبله في أساس البلاغة : (واعتنق الأمر لزمه) . ونعود إلى شرح قصيدة ابن عبدون لينأكد لنا أنه قد أثر تأثيراً واضحاً في لغة العصر ، قال ابن عبدون في سرمد تاريخ النرمس المعروف في زمانه : (لبث ملك لهراسف مائة وعشرين سنة ، ثم ملك بعده ابنه كي بشتاسف ، وهو الذي بنى مدينة فسا ، وظهر في عهده زرادشت

واعتنق دينه ^(١) . فهذا نص على أن العبارة العربية قديمة وافقتها العبارة الفرنجية في وجه استعارتها ، وإنها أقدم من الفرنجية ببضع مئات سنين .
وكذلك القول في (ضحى به على مذبج أغراضه) ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : كان يقال (ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء ، وضحى بنو مروان بالمرودة يوم العقر . فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه) .
وبوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه ^(٢) . وذكر القول أبو الفرج الأصفهاني في ترجمة كثير عزة قال : قال حفص الأموي : كنت أختلف إلى كثير أتروي شعره ، فوالله أني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قتل آل المهلب بالعقر فقال : ما أجل الخطب ، ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، ثم انتضحت عيناه باكياً ^(٣) . وذكر الخبير بصورة أخرى ابن خلكان قال : (ولما قتل يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وجماعة من أهله بعقر بابل وكانوا يكثرون الاحسان إلى كثير ، فلما بلغه ذلك قال ضحى بنو حرب ... ^(٤) إلى آخر الخبر وفيه « وأسبلت عيناه بالدموع ») .
ونسى ابن خلكان هذا القول فقال في ترجمة يزيد بن المهلب : (قال الكلبي : نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر) ^(٥) .
فالعربية قد سبقت اللغات الأفرنجية إلى استعمال (ضحى) استعمالاً مجازياً على طريق الاستعارة كما نقلت في الخبر .

وأما قولهم (عاش ستة عشر ربيعاً) فعربي أيضاً ، والعرب عرفت فضل الربيع وجماله كما عرفت الأمم ، قال ياقوت الحموي في ترجمة أبي القاسم الحسين بن

(١) شرح قصيدة ابن عبدون ص ١٩

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٤٨ طبعة الدجواني بمصر

(٣) الأغاني ٩ - ٢٢ طبعة دار الكتب المصرية

(٤) الوفيات ج ٢ ص ٤ من طبعة بلاد العجم

(٥) الوفيات ج ٢ ص ٤٢٩ من الطبعة المذكورة

علي المغربي الأديب الشاعر الوزير : وحفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيراً من الشعر ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ، ولم يبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً^(١) . فتأريخ العرب بالربيع بمعنى السنة سابق لتأريخ الفرنج به ، لأننا نستطيع أن نثبت تأريخ عبارتنا ولأنهم لا يستطيعون ، وها هنا أعود الى قولي مكرراً : (ان التشابه في طرائق التعبير بين اللغات الراقية كثير) ، فمن العسر بمكان أن يجزم الباحث أن هذه العبارة الجازية استعمالها لغة دون أخرى ، وعلى هذا تكون الاستعارات في لغة ما صالحة للنقل الى لغة أخرى ، سواء أعرف لها مثيل أم لم يعرف ، إلا أن الكنايات ليست صالحة دائماً ، لأنها متعلقة بالمكنى عنه بغير علاقة التشبيه ، كما يقال بالفرنسية *Payer rubis sur l'ongle* دفع ياقوتاً أحمر على الظفر ، يريدون وفي ديبته كاملاً ، وهو كناية لا يمكن فهمها إلا بمعرفة قائلها ، وسبب قوله إياها ، وتأريخ القول كالأمثال .

ومشكلة رسم اللغة أي إملائها من أعوص المشكلات أيضاً ، فالحروف العربية ناقصة بكون الحركات هي التي تعين صورة لفظها في الكلم والجمل ، وإذا كتبت بغير حركات زالت منها البركات ، إلا عند ذوي الثروة اللغوية السليمة والنحو المبين ، فالكلمات غير المشكولة مظهنة للالتباس والاشتباء دائماً وأبداً ، واسقنان المطابع المصرية - كثرها الله - إخلاء الباء الآخرة من التنقيط ربك رسم العربية ربكاً ظاهراً أثره فيما يقرأ طلاب العربية من الكتب المصرية الطبع والتأليف ، ولرسم المحزة في العربية حديث طويل وبلاء عريض ، وفيه تناقض بين ، وأعجب من كل ذلك أنك إذا كتبت كلمة ذات وجهين في الرسم واخترت أحدهما ظهر لك من بعيد عليك ، ذلك لأنه اختار الوجه الآخر ، وهكذا دأبت جماعة على المؤاخذه في قسور اللغة وغلفها ، مع أن الخلاف لا يزال قائماً على أشده في الرسم ، ولم تصب اللغة بضرر من ذلك ، فالضرر مستقر في لفظ

(١) معجم الأدباء ٤ - ٦ طبعة مرغليوث

الكلم لا في رسمه ، كما في (اخشوشن) في الحديث العمري : أهو اخشوشنوا أم اخشوشبوا أم اجشوشبوا ؟ . وهي الدينور التي نسب اليها ابن قتيبة أم الدينور ؟ وهو المقرئ أم المقرئ ؟ ويقولون اليوم (الاكفاء) جمع الكفيف مكان الاكفاء جمع الكف ، والاختصائي مكان الاختصائي ، والقهقري بدلاً من القهقري ، وحصل مكان حصل ، وأمل مكان أمل ، وقد يقع الدّين مكان الدّين أو العكس ، والفخار مكان الفخار ، والأرّم مكان الأرّم ، والأرّب أو الارّب مكان الارّب أو العكس ، وما لا يحصى من المتشابه الخط ، المختلط اللفظ كالدولة الحميمية بدلاً من الحميمية .

أما النصحيف في كتب العرب فحدث عنه ولا حرج عليك ، فهو أكبر الداء والبلاء ولا يزول هذا الالتباس إلا بالشكل ، أي وضع الحركات مع الحروف ، وهو عمل عسير على الذي يكتب ، ويقتضي منه زماناً طويلاً بالنسبة الى زمان الكتابة الغفل ، أي الخالية من الحركات ، والظاهر أن منشأ ذلك كله هو أشكال الحروف . وقد جرت محاولات كثيرة لإصلاح الحروف العربية ، ولكنها أخفقت ، لأن هذه الحروف معيبة موءوفة في أصلها ، فلا يفيدها الإصلاح الفرعي ، ولأن قسماً منها دقيق الصورة الخطية فلا يحتمل إضافة رسمية موضحة ، أما الحركات الموضحة التي نستعملها ، فهي كما هو معلوم ، رموز أصوات صغيرة مستقلة ، فالفتحة مختصرة من (آ) ، والكسرة من (إي) ، والضمة من (أو) ، فمشابقتها للألف البائسة والياء والواو هي موضع الصعوبة من محاولة إلحاقها بالحروف ، وعلى هذا أرى أن كل محاولة لإصلاح الخط حابطة .

إلا أننا نستطيع أن نحاول إصلاح الرسم أي الإملاء بأن نكتب الكلمات كما نلفظها ، وأن نعد مقياس تلفظها اعتباراً أنها واردة في أول الكلام . فالاختبار والاستعلام تثبت الحمزة في كتابتها لأنها تثبت فيها في أول الكلام ، وعلى هذا يكون اللفظ العارض الطارئ والاختصار العارض الطارئ كالأمر العارض ، فلا يكتب التنوين

نوناً لأنه ليس في أصل الكلمة ، ولا يلتفت الى تأثير الإدغام في الحروف الشمسية لأنه عارض لا أصلي . وقد رأيت كثيراً من المخطوطات العتيقة تكتب هاؤلاء وأولائك ولا كن وهاذا ، على اللفظ أي بالألف لا على الرواية . وأما الهمزة ففيما عدا أول الكلمة تكتب على الحرف المجانس لحركتها مثل : (يقرؤن) على الواو ، (تقرأين) على الياء ، ويقرأ هو على الواو ، ولن يقرأ على الألف ، وإذا سكنت في آخر الكلمة مثل (لم يقرأ) فتعد كأنها في أول الكلمة إلحاقاً للآخر بالأول ، هذا رأيي ، ورأي آخر هو كتابة الهمزة بالحرف الذي تخفف إليه ، مثل : (أوماً) أوما ، ينيئنا : ينيئنا ، مسؤولنا : مسؤولنا ، ثم تحذف الواو الثانية .

وفذلكة القول في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، هي توسيع الاشتقاق فيها ، والانساع في النقل على سبيل المجاز ، والأخذ بالتعريب عند الضرورة ، وذلك لتفي بواجبتنا في المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية وغيرها . أما نحوه فيجب اختصاره ، أو إدماج مواده الواحدة في الأخرى ، فقد اقترحت حذف باب (أسماء الأفعال) مثلاً وإدخال المرتجلة في الأفعال الجامدة ، والمنقولة في باب المحذوف منه من كلام العرب ، وكذلك يجب إدخال صيغتي التعجب في أبوابها الأصلية ، فما أفعله داخل في 'جمل الاستفهام' ، لأن أصل التعجب الاستفهام التعجبي ، وأفعيل به داخل في باب الأمر ، ويحسن إدماج باب الفاعل ونائبه في باب المبتدأ أو الخبر ، وتسمية الاسم المرفوع المتحدث عنه في الجملة (المخبر عنه) وتسمية المتحدث عنه (المخبر) ، فكلمة (الشمس) في قولنا : طلعت الشمس و (الشمس طلعت) ، وكلمة (المجرم) في قولنا (عوقب المجرم) و (المجرم عوقب) ، كل منها مخبر عنه ، والفعلات (طلعت) و (عوقب) كل منها مخبر ، فيكون الخبر تارة مقدماً على المخبر عنه ، وتارة أخرى مؤخراً عنه ، على حسب إرادة المتكلم أو الكاتب .

ويحسن إلحاق المنادى العلم والنكرة المقصودة بالأسماء المرفوعة ، كما فعل الكوفيون ، مثل (يا علي) و (يارجلان) ، فان بقاءهما مرفوعين ومعدودين في المنصوبات غلط ظاهر ، ويحسن جواز مجيء الحال بجامدة باطراد لتكوين أخبار كان واخواتها أحوالاً ، وتدخل مرفوعاتهما في باب الفاعل أي (المخبر عنه) في الاقتراح الجديد .

ويستحسن حذف باب الممنوع من الصرف ، لأن منعه متعلق بموسيقية اللفظ ، لا بأثر إعرابي ، ولأن صرفه إلحاق له بالباب ، وإظهار لأثر الإعراب على حقيقته ، وهو الأصل .

ويحسن إلحاق أفعال المقاربة بالأفعال الطبيعية ، ما دام خبرها غير متأثر تأثراً ظاهراً ، وكذلك أفعال الشروع والرجاء . ويجب حسابان المفعول الثاني لظن واخواتها أحوالاً كأخبار كان وأخواتها ، وتسمية كل من المفعولات الخمسة (المنصوب الفعلي) ، لأنها ليست مفعولات ، فمعنى المفعول المصنوع والمعدول ، وهي ليست مصنوعة ولا معدولة .

ويحسن جمع الاختصاص والتحذير والإغراء في باب المحذوف فعله في العربية ، وكذلك النصب على المدح أو الذم . وأخيراً يجب وضع قواعد عامة لتسهيل إتقان اللغة العربية ، وقد ذكرت ست عشرة قاعدة عامة في كتيبي للمباحث اللغوية في العراق^(١) ، منها أن (على) تفيد التسلط والتعدي والأذى ، فضلاً عن الاستعلاء المألوف ، فلذلك تصحب كل فعل أريد به العدوان والأذى والتسلط ، مثل : (نتم عليه ، وحكم عليه ، وتطرق عليه ، ووجب عليه ، وعاب عليه ، وانتقد عليه قوله) ، ومنها أن الفعل إذا وقع على المفعول بتسلط أو علو ، جاز تعديبه بنفسه أو بعلى ، مثل : (قبضه وقبض عليه ، وعضه وعض عليه ، وركبه وركب عليه ، واحتذاه واحتذى عليه) . وهذه القاعدة التي استدر كتبها

(١) المباحث اللغوية في العراق ص ٤١ - ٤٩

علمت أن (على) هي ظرف مكان غير متصرف لا حرف جر، فهي مثل (لدى)،
ولولا ذلك ما جاز أحد التعبيرين .

ومنها أن الأفعال الدالة على دفع وحركة في التعدي، يجوز إدخال حرف
على مفعولها، نحو: دفعه ودفع به، وحذفه وحذف به، وألقاه وألقى به، ورماه
ورمى به، وأداه وأدى به، ومن المعروف أن أكثر الكتاب اليوم يستعملون
(أدى به) مكان أداه، مع أن المعجمات لا تذكر (أدى به) بل (أداه)،
فهل نعد استعمال الكتاب خطأ؟ إن هذه القاعدة التي استندركها تدل على
جواز (أدى به)، فهل ورد استعمالها على هذه الصورة في كلام العرب؟ نعم،
قال أبو بكر الرازي في بعض رسائله (وأدى به الأمر إلى الهلاك) ^(١)،
وقال ياقوت الحموي: (كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب
يؤدي به إلى العطش) ^(٢)، وقال عبد الحميد بن أبي الحديد: (وأيضاً فإن
المرأة قد تؤدي بها الغيرة إلى ما يكون كفراً على الحقيقة كالسحر) ^(٣)، وقال
مسلم بن معبد الوالي:

وإياهم جزى عني وأدى إلى كل بما بلغ الأداء ^(٤)

ومنه ما نقلنا في خبر كثير عنزة آنفاً (وأسببت عيناه بالدموع) والأصل أسببت
عيناه الدموع . ومنها جواز تعدي (فَعَلَ يَفْعَلُ) لغير العيوب والعاهات الظاهرة،
بحرف الجر وبنفسه نحو: (أنف منه وأنفه، وأمن منه وأمنه، وخشي منه وخشيته،
وسئم منه وسئمه، وفرق به وفرقه، ولحق به ولحقه، وعلم به وعلمه، وظفر
به وظفره، وضجر منه وضجره) وهذه القاعدة تكشف لنا عن تطور (فَعَلَ)
الموضوع في الأصل للزوم، من حالة اللزوم إلى حالة التعدي .

(١) رسائل الرازي ص ٤ طبعة بول كراوس

(٢) معجم الأدباء ٣ - ٢١ طبعة مرغليوث

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٠٢

(٤) خزانة الأدب ج ٢ ص ١١٣ طبعة دار المصور

هذا وينبغي الاستعانة بعلم المعاني أيضاً على حل مشكلات النحو وإزالة الشذوذ ، وذلك للتفادي من التحلات والتأويلات الباردة . كما فعلوا في (سلام عليكم) و (ويل له) وأمثالهما ، فمقتضى الحال هو الذي أجاز الإخلال بالقاعدة النحوية التي قرروها ، وما استطاعوا الحفاظ عليها ، وهذا يعني تحكم المعنى في النحو ، والرجوع عن النظرية اللفظية الصرف ، فكل ما خالف المعنى من التراكييب النحوية إنما هو من الخطأ ، فإذا أردنا بيان الاهتمام بالخبر عنه قلنا مثلاً : (حرب نشبت بين دولتين) ولو خالفنا القاعدة المقررة ، وذلك لأن هذا التركيب هو قاعدة أسسها مقتضى الحال .

وبهذا الأسلوب نستطيع إدخال علم المعاني في النحو ، ذلك الذي يستند إلى القرآن قبل كل شيء ، كما هو الحال في النحو تقريباً ، ويبقى علم البلاغة فنجتري منه بالحقيقة والمجاز (ومنه الاستعارة) والنشبيه ذي الأداة اللفظية والأداة الممنوية ، وباسم عام من علم البديع هو (المحسنات فقط) ، وبكثي من المجاز بالكناية وتسمى (المجاز الكنائي) وبالمجاز المرسل والمجاز العقلي دون المجاز المركب ، وعلى هذا نأمل أن نرى باب القصر من علم المعاني في باب الاستثناء وغيره من أبواب النحو ، ونرى أكثر أبواب البلاغة راجعة إلى ما يشبه كلام الشريف الرضي في كتابه « المجازات القرآنية والمجازات النبوية » ، وإنما طرحنا المجاز المركب مثلاً لأنه متطفل على أبواب البلاغة ، فبابه عندي (المجاز الكنائي) أو الازداف عند من يميز بينهما ، فالاستعارة التمثيلية هي المجاز المركب ، والأمثال السائرة كلها من الاستعارة التمثيلية كما هو معلوم ، والتحقيق يوجب أن تكون الأمثال من المجاز الكنائي .

هذا ما سمح الوقت القصير بقوله وكتابته ، والله الموفق للصواب .

تعاون المجامع على عمل المعاجم اللغوية

للأستاذ إبراهيم مصطفى

عمل المعاجم اللغوية من أول واجبات المجامع .

واللغة العربية الآن في أشد الحاجة الى معاجم متعددة مختلفة : الواسع المحيط الذي يفي برغبة الباحثين ، والمتوسط الواضح الذي يسد حاجات المثقفين ، وما قد يختص بمصطلحات مادة أو استعمال عصر ، ليتوفر للغة العربية ما توفر لأخوانها من اللغات القوية الحية .

والمتقدمون من علماء اللغة ، قد تركوا لنا تراثا يمثل قوة لغوية عبقرية جديرة بالتخليد ، ولكنها ثروة تحتاج الى تنظيم والى عرض جديد ، والى استكمال ما أهمل وتوضيح ما أبهم ، والى أن يضم الى عملهم ما استحدثت اللغة في حياتها من بعدهم ، وتحتاج أشد الحاجة الى منهج علمي عصري في تدوين المادة وسبيل تقديمها . ولا بد لذلك من أن نرجع الى النصوص الوثيقة ، ونجمع منها الكلمات ، ونتبع استعمال كل كلمة في مواضعها المختلفة ، لنوضح المعنى ، ولنحدد طريق الاستعمال ، وليكون مع كل قرار حجة وبيته .

وقد بذل في هذا السبيل بعض الجهد ، فجمعت ألفاظ القرآن الكريم ، وكان أتم عمل في ذلك ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) المطبوع في مصر . وألفاظ الحديث النبوي تصدى لجمعها المستشرقون والاكاديميات الغربية ، واستعانوا ببعض أبناء العربية ، وأخرجوا أجزاء من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وقاربوا ثلث العمل ، وبقي شيء كثير جداً : دواوين الشعراء ، وآثار الكتاب ، وكتب المؤلفين الذين يمثلون لغة عصرهم كالجاحظ ،

وابن حيان ، والطبري ، وكتاب السيرة . وهذا جهد كبير يحتاج الى وقت طويل وعمل متواصل ، قد تتعاقب عليه الأجيال ، ولكنه السبيل الصحيح لإخراج معاجم واضحة وثيقة مؤيدة ، واللغة العربية في نهضتها تستحق هذا الجهد ، بل توجب على العاملين من أبناءها ألا يتوانوا عنه ، ولا يترثوا فيه .

ولهذا أقترح على المؤتمر أن يشكل لجنة :

- ١ - تنظر في تنظيم هذا العمل ، وترمم طريق التعاون بين المجامع عليه ،
- ٢ - وتختار من النصوص ما يجب أن يدرس ، وتستخرج ألفاظه وتبين استعمالها فيه ، وتضع كل استعمال في جزاة .
- ٣ - وترسم مثالا موحدا لهذه الجزايات ، وطريقة التكوين فيها ، وتجعل لكل جزاة رقما .

٤ - وتبادل المجامع هذه الجزايات ، لتتكون في كل مجمع مجموعة منها تحفظ في مراجعه العلمية ، وتتكون هذه الجزايات على الزمن مكتبة لغوية منظمة شاملة قريبة التداول ، وتكون الوسيلة لتوضيح الكلمات ، وتحديد استعمالها ، والأصل لكل معجم .

ومؤتمر المجامع حري أن يجعل من ثمرات اجتماعه هذا ، توثيق الصلة بين المجامع ، ورسم الطريقة القوية ، لتنضي جميعا متعاونين على هذا العمل للعظيم النافع .

تصنيف معجم انكليزي افرنسي عربي في المصطلحات العلمية للأ مير مصطفى الشهابي

إذا ألقينا نظرة على المعجمات الأعجمية العربية المشتملة على مصطلحات علمية ، نجد أنها جميعاً أعمال أفراد ، لا أعمال جماعات ولا أعمال حكومات . والفرد مهما تسم منزله في معرفة لغتنا الضادية ومفرداتها ، ومعرفة العلوم الحديثة والفاظها ، لا يستطيع أن يؤلف مجعاً أعجمياً عربياً في ألفاظ جميع تلك العلوم . ودو إن حاول ذلك ذات قدمه لا محالة ، وأتى بالغث والسمن من المصطلحات العربية . ومتى شاعت الأغلاط التي تكون مبثوثة في مثل هذا المعجم تصبح أضراره متفوقة على منافعه .

والعالم في ديار الغرب لا يضع اسماً جديداً من أسماء الأعيان وأسماء المعاني إلا في العلم الذي اختص به ، واشتهر بالتبحر في موضوع أو أكثر من مواضعه . ولا يصبح هذا الاسم الجديد ثابتاً ما لم يقبله ويستعمله العلماء الآخرون في بلاد ذلك العالم ، وما لم يقره المجمع اللغوي في تلك البلاد .

وكذلك الأسماء العلمية ، ولا سيما أسماء المواليد العلمية من نبات وحيوان وجماد ، فهي لا تصبح ثابتة إلا بعد إقرارها في مؤتمرات دولية . والمؤتمرات الدولية تعقد في الديار الغربية للبحث في مواضيع كثير من العلوم ، ومنها موضوع الأسماء العلمية فهي متى أقرت ، أصبحت مشتركة بين الأمم ، واستعملت في جميع اللغات الحية ، وخصوصاً في التعليم العالي .

ولقد ثبتت مصطلحات العلوم منذ سنين عديدة ، في لغات الغرب الكبيرة . وكما وضعت أو شاعت فيها ألفاظ علمية جديدة ، نظرت فيها مجامعها اللغوية ،

فأقرت ما هو صالح منها ، فالتزمه العلماء وكفوا عن استعمال غيره . ولذلك لا يجد المؤلفون والكتاب في تلك البلاد صعوبة لغوية أو أقل صعوبة اصطلاحية في تأليف الكتب أو كتابة المقالات العلمية ، ويقتصر عملهم في ذلك على معالجة الناحية العلمية وحدها .

أما في بلادنا العربية فأكبر هم المؤلفين والكتاب تحري المصطلحات العربية التي يجوز أو لا يجوز استعمالها ، وهو عمل شاق يقض مضاجع الحرساء على سلامة لغتنا من العبث . فهم لا يجدون معجماً عربياً شاملاً لهم من الألفاظ العلمية . وإذا أرادوا مراجعة المصطلحات العربية المنشورة في مجلات مجامعنا وفي المجلات العربية السائرة أضاعوا في بلوغ هذه الطلبة وقتاً طويلاً . فليس من السهل على كل كاتب أو مؤلف الحصول على مجلدات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، أو مجلة المجمع العلمي العراقي ، أو مجلة المعهد الطبي بدمشق ، أو مجلة المقتطف ، أو مجلة لسان العرب ، أو فهارس المصطلحات الملحقة ببعض الكتب العلمية العربية ، أو غير ذلك من المراجع المتفرقة التي فيها شيء من المصطلحات .

وكذلك ليس من السهل تدارك نسخ من المعجمات التي وضعها أفراد في ألفاظ علم أو أكثر من العلوم الحديثة ، إما لوفاء مصنفها ، أو لنفاد نسخها ، أو للسببين جميعاً ، مثل معجم الحيوان ، ومعجم أسماء النبات ، ومعجم الألفاظ الزراعية ، والمعجم العسكري وغيرها .

ومن العبث ذكر أسماء المعجمات الانعجمية العربية الحديثة التي يشتمل واحدتها على ألفاظ علوم كثيرة مختلفة . فأغلاط المصطلحات فيها لا تعد ولا تحصى . ثم ان هنالك علوماً كثيرة ، فيها الآلاف المؤلفات من الألفاظ العلمية ، لم يتناولها مجمع ولا فرد بالبحث والتحقيق ، بغية إيجاد ألفاظ عربية أو معربة صالحة لأن توضع أمام الألفاظ العلمية الانعجمية المذكورة .

وقد نتج عن كل ذلك وضع عجيب مؤلم تعرفونه حق المعرفة ، وهو ان بعض المؤلفين الذين لم يهتدوا في عملهم الى ألفاظ عربية أو معربة ، صحيحة أو راجحة ، راحوا يستعملون ألفاظاً عامية ، كثير منها لا وجه له بتاتاً ، أو راحوا يضمنون المصطلحات العربية جزافاً ، على الرغم من جهلهم بأسرار لغتنا العربية ، وبما حوته من ألفاظ علمية ، وعلى الرغم من عدم تعليمهم بكثير من الصفات ، التي يجب على واضعي المصطلحات العلمية أن يكونوا متحليين بها .

وكانت مغبة هذا الوضع الشاذ أننا صرنا نرى كتباً علمية فيها من الألفاظ العامية ما بأباه كل عربي حريص على سلامة لسانه المبين ، وصرنا نرى للمعنى العلمي الواحد مصطلحات مختلفة ، وضعها أو استعملها مؤلفون في أقطار عربية شتى ، بل في قطر عربي واحد أحياناً . وأنتى من وضع المصطلحات السقيمة تثبت واضعها بها ، حتى لو كان سقمها واضحاً كالشمس . فالأثر في بعض البشر كثيراً ما تكون داءً ليس من الميسور البرء منه ، ولا يستطيع أن يثني أمثال هؤلاء الناس عن غيهم ، إلا بجمع لغوي قادر على فرض إرادته على المؤلفين والكتاب . وبتضح من كلامي هذه أننا نشكو اليوم علتين : الأولى نقص المصطلحات العلمية في لغتنا العربية ، والثانية تعدد المصطلحات العربية للمعنى العلمي الواحد . فأما العلة الأولى فسببها الأول عدم تمكن الكثرة من علمائنا الأثبات من الانقطاع الى وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها ، لما يلزم لهذا الانقطاع من وقت ومن مال . فمعظم علمائنا القادرين على هذا العمل ليسوا من أرباب اليسار ، وأعمالهم المعاشية تستنفد معظم أوقاتهم . وليس من المعقول أن ينصرفوا عن موارد رزقهم ، ليأتوا بالمجان أعمالاً ، قلما يصيبهم منها غير النصب ، مضافاً اليه نكران الفضل في كثير من الأحيان .

فتلاني النقص في المصطلحات العلمية إذن إنما يكون في حسن انتقاء الأثبات من علمائنا ، وفي تهيئة الوسائل الناجعة لهم ، لكي يضطلع كل واحد منهم

بتصنيف معجم صغير أعجمي عربي لألفاظ العلم أو فرع العلم الذي اختص به ،
على أن يضع أو يحقق أصح الألفاظ العربية أو المعربة ، وعلى أن يعرف
ألفاظ المعجم بالعربية تعريفاً علمياً دقيقاً موجزاً .

وأما العلة الثانية أي تعدد المصطلحات العربية للمعنى الواحد ، فدواؤها جمع
تلك المعاجم الصغيرة في معجم كبير واحد ، بعد إقرار ألفاظه العربية من قبل
مراجع علمي لغوي موثوق به .

ومن الواضح أن المال هو أهم الوسائل التي يجب أن تيسر للعلماء والمرجع
العلمي اللغوي على السواء ، لكي ينهضوا بهذا الحمل الثقيل وهو تصنيف المعجم
الشامل الملحق اليه . والمال لا يهبط على العلماء بقفّة من السماء . وكل محب للغة
حريص على جعلها صالحة للتدريس العالي والتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة
يرى من أهم واجبات الحكومات العربية تقديم المال اللازم لهذا العمل ، وكل
مسؤول عن العلم واللغة والثقافة في تلك الحكومات يدرك الفوائد الجليلة التي
تحصل عليها من تحقيقه ، بل يدرك حاجتنا القصوى الى تحقيقه .

فكل كتاب مدرسي أو غير مدرسي يؤلف أو يترجم بالعربية يجب أن
تكون ألفاظه العلمية صحيحة وموحدة . وكذلك ألفاظ الموسوعة العربية التي
طالما سمعنا عن ضرورة تصنيفها . فما الفائدة من موسوعة عربية تكثر في مصطلحاتها
الغالط والمزالت ؟ إن المعجم الذي نتكلم عليه هو في الحقيقة حاجة ملحة ، وهو
لا غنى عنه للعلماء والأدباء فيما يؤلفون أو يترجمون . ولذلك ما برحنا نقول
بضرورة المبادرة الى تصنيفه ، ترجيحاً له على غيره من مشاريعنا العلمية والثقافية .

كيف يتحقق هذا المشروع ؟

ذكرتُ في آخر كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » السبيل الذي
أرى سلوكه تحقيقاً لهذا المشروع ، وأسببت في ذكره أيضاً في بحث ألقته على

زملائي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فاسمحوا لي بأن أخلص رأيي هذا في
أسطر قليلة .

فمشروع معجم المصطلحات العلمية يحتاج في تحقيقه الى أدوات ثلاث :

الأولى — علماء يضعون أو يحققون المصطلحات العربية لقاء تعويض مجز وعادل .
والثانية — مجمع لغوي ينظر في تلك المصطلحات ، ويقر الصالح منها ،
ويجمعها في معجم أعجمي عربي شامل .

والثالثة — جهاز قادر على تدارك المال لهذا الغرض ، وعلى تعاقد المشروع ،
تحقيقاً لطبع المعجم ، ونشره في الأقطار العربية .

فأما العلماء القادرون على وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها فهم منبثون في
البلاد العربية ، وليس من الصعب الاهتداء اليهم ، على قلتهم .

وأما المجمع اللغوي الذي يجمع عمل العلماء وينسقه ويقره ، فهو في نظري
مجمع اللغة العربية في القاهرة . فهو المجمع الوحيد الذي يستطيع أن يؤلف من
أعضائه وخبرائه لجاناً محترمة قادرة على تمييز الفث من السمين في المعاجم الصغيرة
التي يضمها العلماء . ومتى كوفي الجميع على أعمالهم بتعويضات مجزية وعادلة سارت
تلك الأعمال في دقة وعجلة .

وأما الجهاز القادر على تدارك المال من الحكومات العربية فهو الأمانة العامة
لجامعة الدول العربية ، فعليها المعول في هذا الموضوع .

وأنا واثق من أن جميع دول الجامعة العربية تشارك عن رضى في نفقات
هذا المشروع ، اذا تبناه ودعا اليه رئيس مجمع اللغة العربية والأمين العام للجامعة
العربية ورئيس لجنتها الثقافية ، وقد دلتني أحاديثي الخاصة فيه مع رؤساء الوزارات
والوزراء ، الذين كنت أجتمع بهم في مجلس جامعة الدول العربية ، أنهم جميعاً
يحبذون تحقيقه ، وان حكوماتهم لا تعارض في إضافة ما يلزم لهذا الغرض من
مال على موازنة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

والمال اللازم لتصنيف هذا المعجم ، لا يتجاوز في نظري ستين ألف جنيه مصري في الفرط ، وهو مبلغ صغير ، لأن المعجم إذا احتاج إلى اتمامه إلى أربع سنوات من الزمن ، يكون المبلغ السنوي الذي يضاف على موازنة الأمانة العامة للجامعة العربية خمسة عشر ألف جنيه ليس غير . وما قيمة هذا المبلغ يوزع على الدول العربية كافة ، إذا قيست بفائدة المعجم الكبيرة ؟

وبعد أرجو أن يتذاكر أعضاء المؤتمر في هذا الموضوع ، حتى إذا وجدوا مثلي أن ثمة ضرورة للاسراع الى تحقيقه ، خرجوا بنوصية مؤداها أن تتخذ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الوسائل الآيلة الى تصنيف معجم انكليزي - افرنسي - عربي ، للمصطلحات العلمية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، تعرف فيه الألفاظ بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً ، على أن يتم تأليفه وطبعه ونشره على الاقطار العربية في أقصر مدة ، وعلى أن يباع ثمن بخس تعميماً لفائدته .

المصطلحات العلمية

للاستاذ قدري حافظ طوقان

لقد عُني المجمع اللغوي بأمر المصطلحات العلمية ، وكذلك عني بأمرها المؤتمر العلمي العربي الأول ، والمؤتمر العلمي العربي الثاني ، والاتحاد العلمي العربي : واشترك في هذه العناية جماعات من المختصين من الجامعات المصرية وغير المصرية ، وجرت محاولات لتنسيق هذه الجهود وتوحيدها ، ولكن هذه المحاولات لم تصل بعد الى عمل إيجابي .

وخصص المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٥٥ عدة جلسات لدراسة مشكلة المصطلحات ، وكانت اللجنة الإعدادية للمؤتمر قد أعدت قوائم ضمنتها نحو عشرة آلاف مصطلح ، وأمام كل مصطلح الترجمة العربية المستعملة في الأقطار العربية ، وقد عرضت على المؤتمر بنية توحيدها .

وحضر الى المؤتمر أحد خبراء (اليونسكو) في موضوع المصطلحات ، وكان قد استدعي لهذا الغرض ، فقدم بعض التواصي والمقترحات .

وكان من جملة الاقتراحات إنشاء مكتب دائم للمصطلحات ، ورأى بعض الأعضاء أن إنشاء الاتحاد العلمي العربي ، سيساعد في دراسة هذه المشكلة ، والعمل على توحيدها وإذاعتها .

وتبنى الاتحاد العلمي العربي مشكلة المصطلحات ، واستبقى خبير اليونسكو بضعة أشهر ليعاودن في جمع مصطلحات علم الطبيعة من القوائم العالمية المعيرة ، وترتيبها ونقلها بتعريفاتها الأجنبية من المراجع الى بطاقات خاصة تحمل أرقاماً معينة . وجرى توزيع هذه البطاقات على المختصين لترجمتها الى العربية . وبعد أن روجعت

هذه وتلك نقلت ثانية في مجموعتين ، تمهيداً لعرضها مرة أخرى على المختصين في علم الطبيعة في البلاد العربية ، لا بداء ملاحظاتهم بشأنها ، ثم عرضها أخيراً على لجنة مشتركة في البلاد العربية ، للاتفاق على ترجمة موحدة ، وذلك وفقاً للخطة التي أوصى بها مجلس الاتحاد العلمي العربي الذي عقد في نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٦ .

هذه لمحة موجزة عن جهود الاتحاد العلمي العربي في قضية المصطلحات .

وفي رأبي أنه يمكن للإدارة الثقافية ، بالتعاون مع المجمع اللغوي والاتحاد العلمي ، أن تقوم بجهود عملي تمهيدي ، وهو إنجاز المصطلحات العلمية الواردة في الدراسة الثانوية ، وهذا لا يتعارض مع جهود المجمع اللغوي ، أو جهود الاتحاد العلمي العربي . فهناك جهود في هذا السبيل للمجمع اللغوي يمكن الاستعانة بها والاعتماد عليها ، وهناك مصطلحات علم الطبيعة التي أنجزها الاتحاد العلمي العربي ، وفيها كثير من المصطلحات الواردة في الدراسة الثانوية ، ومن هذه الجهود جميعها يمكن للإدارة الثقافية أن تخرج بمصطلحات الدراسة الثانوية ، ونشرها وإذاعتها وإلزام المؤلفين بها .

الاصطلاحات الفلسفية

للدكتور جميل صليبا

اللغة العربية من أغنى اللغات ، وأوسعها اشتقاقاً ، وأدقها تعبيراً ، صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضعة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية أنها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة الخارج ، فيها ألفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة^(١) . وربما وجدت فيها أيضاً ألفاظ مختلفة دالة على معانٍ متقاربة ، وإن كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على أحوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الألفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والإشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لأن الأصل في الكلام اختلاف الألفاظ باختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ أن يكون الأمم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً^(٢) .

ولكن العلماء الذين أخذوا في عشرات السنين الأخيرة بدوّنون علوم العصر ، ونقلونها من اللغات الأوربية إلى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الأصل الذي

(١) المتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها ألفاظ واحدة بعينها ومعانيها مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف ألفاظها ومعانيها واحدة .

(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .

قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، أو الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة . فعرض لهم من الخلاف في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء وأصحاب السجع من استعمال الألفاظ المترادفة والمتواطئة ، وإن كانت متباينة بالحقيقة . فأدى فعلهم هذا الى الإلباس والإشكال ، وإلى كثير من الغلط والخطأ . مع أنه كان ينبغي له إذا وجدوا ألفاظاً مختلفة متقاربة المعاني أن ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها ليضعوا الكل معنى لفظاً مطابقاً له ، إلا أنهم قلدوا في ذلك البلغاء والشعراء والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض ، وعلومهم قليلة الوضوح والضبط .

والدليل البين على أن الأمر على ما ذكرناه أن الشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Déduction) تارة بالامتدلال وأخرى بالاستنتاج أو بالاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence) ، و (Raison) ، و (Bon sens) كلها بكلمة عقل .

وإذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ، فما بالك بالترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم ؟ وما بالك بالقارئ الذي لا يفهم اللغة الأجنبية ، هل يفهم ما يقوله هؤلاء وما يكتبونه ؟

إن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها الكاتب والقارئ ، إنما هو الفهم والإفهام . فإذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح ، وكيف تفهم ؟ إن التفاهم بالألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدلة القيم ، فلا بد للعلماء إذن من الاتفاق على معاني الألفاظ ، ولا بد لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . أن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية

هو الحجر الأساسي في بناء العلم . فاذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها .

على أنه قد يقال أن الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وإن الحقيقة إذا كشفت فبأي لغة بلغت الأفهام فذلك هو البيان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية أساسية من الاصطلاحات العلمية ، وهي أن السبب الذي من أجله احتيج إلى وضعها لا يقتصر على الإفهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمه معها تكن اللغة ، التي تستعملها في تفهيمه إياه ، ركيكة ومضطربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء وحدهم ، بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله إذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

أما الفائدة في التربية فهي أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تجديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . وفي ذلك تبسیر لعمل المعلمين والمتعلمين معاً . لأن المعاني إذا كانت محدودة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الألفاظ إذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم . وقد عرفنا بالتجربة أن التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون أن نشرح لهم اصطلاحاتها يضيعون زماناً طويلاً في تفهم ما يقرأون دون أن يصلوا إلى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الأمر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى أن بعضهم وإن نجح في فحوصه يعتاد استعمال الألفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كالبيغاء أو يلوكه كما يلوك الطفل طعامه ، وهذه العقول البيغائية التي ترداد الألفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الإنتاج العلمي . وربما كانت نماذج الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الألفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية خير وسيلة لشفاء هذه العقول من البيغائية الفكرية ، لأنها تمنعها من استعمال ألفاظ لم تتضح معانيها ، وتعودها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون أحدهما زائداً على الآخر .

وأما الفائدة الاجتماعية فهي أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . إن معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى أن الناس لم يحددوا معاني الألفاظ التي يجادلون فيها . فالحرية والعدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاشتراكين والممولين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل أسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون أكثر الألفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لأنهم كما قلنا ، لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك أن بعضهم يترجم كلمة (Intuition) بكلمة حدس ، ويترجمها الآخر بالبداهة أو الاكتناء ، أو الاستبصار ، وكذلك كلمة (Conscience) بعضهم يترجمها بالشعور ، وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الأمر على هذه الحال أدى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لأن النقلة ، إذا لم يوحدها اصطلاحاتهم عجزوا هم أنفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي أن تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفويّاً حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بالألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا أدى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بد إذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي إنشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي اعتدى اليها النقلة المتخصصة اصطلاحاً واحداً يثبت ويحله حظيرة اللغة ، لأن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً . ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع

الاصطلاحات وإنما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم ، ينقح ما يكشفه العلماء ، ويحصه وينظمه ، ويثبتته . وإذا خرجت المجامع العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها أن تقف عنده عرّضت نفسها لكثير من الخطأ والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية ، والعلماء المتخصصون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فأنت لا تفهم معنى كلمة (تفاعل) إلا إذا كنت كيمائياً ، كما أنك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية إلا إذا كنت فيزيائياً . ومن كان طبيباً كان قادراً على الكلام عن المرض بلغة لا يفهمها المريض . وكذلك لما كانت الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة لا تختلف عن الألفاظ التي يستعملها الأدباء والصحافيون والمحامون كان هذا الاتفاق فيها أدعى إلى الاشكال والاضطراب . ان رجال الأدب لا يستغنون عن اصطلاحات علم النفس ، كما ان رجال السياسة لا يستغنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والاخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وإرادة لا يبلغون غايتهم إلا إذا كانت هذه المعاني المتصورة في أذهانهم محدّدة معرفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الألفاظ في أذهانهم معان مخالفة لما يتصوره المحامون والأطباء والمهندسون . فينبغي لنا إذن إذا شئنا أن نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي أن نعتمد في ذلك على أرباب الاختصاص لأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه . ومتى عرض علينا المتخصصون ألفاظهم نتقنها ومحسناتها واخترنا أوفقها وأصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

القاعدة الأولى : هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح

مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فإذا وجدناه مطابقاً له أطلقناه عليه دون تبديل أو تغيير ، مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ (الجوهر) على المعنى

الذي تدل عليه كلمة (Substance) ، وأطلقوا لفظ (المقولات) على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Catégories) ، فإذا أردنا أن نترجم هذه الألفاظ أطلقنا عليها الأسماء التي سماها بها من عرفها من أصحاب اللغة .

والقاهرة الثانية : هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ، فيبذل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ (Intuition) فقد أطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد أن وسعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته : « هو معرفة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب وبقائه الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف » ، والحدسيات عنده هي : (ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه إلى واسطة بتكرار المشاهدة » ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : « ان من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور لأن استعداده أقوى ، فان كان ذلك الإنسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كبير شيء ، وإلى تخريج وتعليم » . ثم يقول : « الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط . والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس . فان الأشياء تنتهي لا محالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس . ثم أدوها إلى المتعلمين . فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتعل حدساً ، أعني قبولاً للإلهام العقل الفعال في كل شيء ، فترسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء إما دفعة وإما قريباً من دفعة » ^(١) . ويقول أيضاً في كتاب الإشارات : « وأما الحدس فهو أن يتمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة ، إما عقيب طلب

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ من طبعة القاهرة .

وشوق من غير حركة ، وإما من غير اشتياق وحركة » ^(١) . فهذه النصوص كلها تبين لنا أن معنى الحدس عند القدماء هو إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب ، أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجمله سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس (Intuition) عند الفلاسفة المحدثين ، ولكننا نلاحظ أن للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداة ، وهناك حدس حسي ، وحدس نفسي ، وحدس فلسفي كالذي تكلم عنه « برغسون » . فإذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فإن اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من إطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى ، لأن البداة إنما تقابل كلمة (Evidence) لا كلمة حدس . فيكفي إذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل معناه وتحديدته تحديداً جديداً .

والقاهرة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق

العربي ، كأن يستعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ، وللفظ الاستبطان للدلالة على (Introspection) ، وللفظ الاهتمام للدلالة على (Intérêt) ، وللفظ الانتحاء للدلالة على (Tropisme) ، وللفظ التكيف أو الموائمة للدلالة على (Adaptation) . فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ، ولكننا نستعملها مطمئنين ، لأنها مطابقة للأصول التي وضعها أصحاب اللغة . وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على (Puissance) وكلمة فعل للدلالة على (Acte) وكلمة صورة للدلالة على (Forme) ، وكلمة إمكان للدلالة على (Possibilité) ، فقالوا إن الإمكان في الشيء هو جواز إظهار ما في قوته الى الفعل ، وطبيعته بين الواجب والممتنع ، فاشتقوا من الإمكان

(١) ابن سينا : الإشارات ، ص ١٤٣ - ١٥٦ من الطبعة الخيرية ، القاهرة .

التمكين بمعنى إخراج الشيء من القوة الى الفعل بالإرادة ، وقد يجبي . التمكين عندهم بمعنى آخر وهو أن يكون تفعيلاً من المكان . فتقول مكنت الحجر في موضعه إذا وفيت حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب ، وليس في استعمالنا اليوم لفظ الحتمية (Déterminisme) والموضوعية (Objectivité) ، والوضعية (Positivisme) شطط ما دام القدماء من علمائنا لم يحجموا عن استعمال لفظ الهوية والانية والصوفية وغيرها . ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون أن يخرجوا عن قفص المعاجم ، كأن الألفاظ التي اصطنعها علماؤنا القدماء في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعات لم توضع إلا اعتباراً .

والقاعدة الرابعة : هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ

صياغة عربية كقولنا (هرمية) في ترجمة (Hormique) وقولنا (الراد) في ترجمة (Radium) أو قولنا (المناد) في ترجمة (Monade) ، أو قولنا الديمقراطية في ترجمة (Démocratie) . ومن البدعي أنه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة إلا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فإذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ نقبسه كما هو أو تبدله ، وكانت اللغة نفسها لا تشتمل على اسم قريب من المعنى نشق منه فعلاً أو صفة ، كان استعمال اللفظ الأجنبي أدنى بالقصد وأقرب الى الوضوح من إطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرض على العلم فرضاً . إن علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاصاً من حقوق اللغة العربية ، فإذا استعملنا اليوم كلمة (فيزياء) للدلالة على (Physique) وكلمة ديمقراطية للدلالة على (Démocratie) فإنا لا نكون أقل منهم إصابة . فهم قد استعملوا كلمة البخت مع أنها لا وجود لها في لغة العرب . يقول صاحب كتاب الهوامل

والشواغل في الجواب عن إحدى المسائل : « على أني رأيتك تستعني أن تفهم ... حقيقة إلا أن تكون في لفظ عربي . فان عدمت لغة العرب رغبت عن العلوم ، لكننا أبديك الله لا نترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت »^(١) . وهذا القول يدلنا على أن القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند افتقار اللغة العربية الى لفظ أجنبي لا يدل على المعنى الجديد إلا به ، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعه . فنقول مثلاً تلفون ورادار كما نقول سينما وتلفزة دون أن نخل بلغة العرب ، لأن انتشار هذه الألفاظ على ألسنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية أدق بالفصد من استعمال لفظ الهاتف والارزير والصور المتحركة وغيرها . فاللغاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة^(٢) ، وإنما تجيء تلك المعاني في ذكر الناس لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها . ومما يمكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المؤلف فانه اذا انتشر على ألسنة الناس كان أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار . والخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المجهور .

هذه أربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الإشارة لاعلى سبيل الإحاطة . ولا نزعهم أبداً أننا استقصينا بها جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم . إن العلماء الأوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية واليونانية . وفي وسعهم أن يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثر ، أو أن يضموا السوابق (Préfixes) واللاحق (Suffixes) الى جذر المادة الأصلية

(١) المروامل والشواغل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، ص ١٠٤ ، القاهرة ١٩٥١

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص ٦٨

بحيث تتألف منها كلمات متشابهة دالة على معان متباينة . مثال ذلك أن (Synthèse) و (Parenthèse) و (Antithèse) و (Hypothèse) تدل على معان مختلفة مع أن جذرها الأصلي واحد . أما الاشتقاق في اللغة العربية فإنه يغير الأصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة ، وليس في اللغة العربية سوابق ولواحق مضافة على الأصل ، كما أنه لا يمكنها الآن أن تستمد من غيرها من اللغات القديمة ما تستمده اللغات الأوروبية من اللاتينية واليونانية . . . وهذه صعوبة أخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من سعة المناهج ولطف الخارج وسهولة الاشتقاق .

مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية

للأستاذ أحمد حسن الزيات

أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الشهر الأخير من سنة ١٩٣٢ ، وكان في مصر حينئذ بقية من شيوخ الأدب الذين فقهوا علوم الدين في الأزهر ، وحذقوا فنون اللغة فيه وفي دار العلوم ، فكانوا يحكم ثقافتهم وطبيعتهم بيثمتهم ، يعتقدون بحق أن اللغة التي اتخذها الله ترجماناً لوحيه ، ولغة لكتابه ، ومعجزة لرسوله ، ولساناً لدعوته ، هي جزء من حقيقة الإسلام . فالمحافظة عليها محافظة عليه ، والتفريط فيها تفريط فيه . لذلك كانوا يؤثرون السماع ، ويتشددون في القواعد ، ويتقيدون بالمعجم ، وينفرون من المولد والدخيل ، ويرون أن العربية هي لغة العرب الأولين ، الذين انقضى عهدهم في آخر المائة الثانية بالأمصار ، وفي آخر المائة الرابعة بالبوادي ، فلا يملك المولدون أن ينقصوا منها ، ولا أن يزيدوا فيها . ويقفون من الكتاب والصحفين موقف المعلم المرشد ، أو الناقد المنكر ، يرشدونهم إلى الألفاظ العربية والأساليب الصحيحة ، ويصدونهم عن الكلمات الدخيلة ، والتراكيب الأعجمية . ويحاولون أن يضعوا لكل مصطلح من مصطلحات العلوم الحديثة ، ولكل أداة من أدوات الحضارة الغربية ، لفظاً عربياً ، بطريق القياس أو المجاز أو الاستعارة ، ولا يقبلون المولد والمعرب والدخيل إلا في الضرورة الشديدة . ولقد دخل المجمع في عهده الأول طائفة من هؤلاء الفضلاء ، فذهبوا به هذا المذهب ، وصبغوه بهذه الصبغة ، وجروا في وضع المصطلحات العلمية والمسميات الحديثة ذلك الجرى . فصرفوا النظر عما اصطلاح عليه الخاصة في التعليم والتأليف ، وعما تواضع عليه العامة في البيت والشارع والسوق والمعمل

والحقل ، ووضعوا للهيدروجين المائه ، واللاكسجين المحر ، وللترام الجماز ، وللتليفون الارزيز ، وللينزين الضريم ، وللترمس الكظيخمة ، ولالريال أو الدولار الرقين ، وللقرش النعية ، الى آخر هذه الألفاظ التي ظلت موضوعاً للتندر زمننا طويلاً ، في الصحف والمجالس ، ثم ذهبت جفاءً كما يذهب الزبد .

ثم مضى عهد المطهرين محموداً غير مذموم ، ومعذوراً غير ملوم ، لأن المطهرين في العربية ، كالبوريس في الفرنسية ، شيعة لغوية ، دعاهم حبهم للغتهم ، وتعصبهم لها الى أن يبالغوا في تنقيتها من العامية ، وتطهيرها من الدخيل ، فكان لهم أجر المؤمن وإن أمرف ، ونصيب المجتهد وإن أخطأ ، وعذر إخواننا الداهيين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا أدباء ولغويين ونحويين ، ولم يكونوا كتاباً ولا مترجمين ولا صحفيين ، ممن يكتبون للجمهور ، ويتصلون بالعامية ، ويدفعون الى مزالق التعبير عن المعاني المستحدثة ، والأعيان المخترعة . ثم خلف من بعدهم خلف من الكتاب والصحفيين ، فحاولوا أن يخرجوا المجمع من حدود الزمان والمكان التي حصروا فيها حق الوضع والتعريب ، وأن ينبهوه الى أن بجانب الفصحى التي قيدها أو جمدها ، لغة أخرى هي العامية التي سيطرت على حياة الأمة العربية في شؤونها العامة ، وأغراضها المختلفة ، لأنها هنزة تنبؤ على القيد ، وطبيعة تنفر من الصنعة ، فهي تقبل من كل لسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة ، في المنزل والحديقة والتجر والورشة والغيط . والناس في سبيل التفاهم ، يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون التعريب . وتختلف اللغة عن مسايرة الزمن وملائمة الحياة معناه الجمود ، والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية وحلولها محلها ، إذ تكون بسبب مردنتها وتجدها ، أدق تصويراً لأحوال المجتمع ، وأدق أداء لأغراض الناس .

بدأت هذه المحاولة في الدورة الثالثة عشرة للمجمع سنتي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ،
 إذ قدم أحد الأعضاء الكتاب الى مجلس المجمع بحثاً في : «موقف اللغة العامية
 من اللغة الفصحى» ، ألم فيه بنشأة اللغات العامية من أمهاتها الفصحى ، وبين
 العوامل التي تؤدي الى ذلك ، وذكر كيف نشأت العامية العربية من فصحاها ،
 وما نالها من تغير في الألفاظ وفي الأساليب ، ثم انتهى الى استخلاص هذه الأمور :
 الأمر الأول : ان أكثر الألفاظ العامية عربية ، أصابها التجريف في
 النطق للتخفيف والتيسير .

والأمر الثاني : ان أسلوب العامية قد استقر على صورة تعودها الناس ،
 وهو يختلف عن الأسلوب العربي الفصيح .

والأمر الثالث : ان العامية لا تزال تتطور ، وهذا التطور ناشئ من حياة
 الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها ، ولها من المرونة ما في الكائن الحي .

والأمر الرابع : انها لا تصلح إلا للتعبير الأدبي الساذج ، فاذا أرادت أن
 تعبر عن المعاني الدقيقة الرفيعة حاولت الاقتراب من الفصحى .

والأمر الخامس : ان العامية ليست مسخاً مجرداً للفصحى ، وإنما هي لغة
 قائمة بذاتها لها قواعدها وأصولها ، فاذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريقة
 مقررة ، ثم دعا الباحث الى التقريب بين اللغتين ، فألقى على المجلس هذه الأسئلة :
 كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى ، وهي الإعراب وعلى الأخص
 في أواخر الكلمات ؟

ألا يجوز أن نقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟
 هل نجعل الأصل منع ما لم يستعمل في الفصحى من قبل ، أو نجعله إجازة
 كل استعمال مادام قائماً في الحياة ؟

ألا يمكن أن نتجرد من التعصب لأساليب القدماء في الكتابة والكلام ،

إذا كانت لا تعبر حقاً عن إحساسنا وتفكيرنا ؟ اننا لو فعلنا ذلك لسهل علينا تطوير الفصحى ، حتى تقترب من العامية دون أن يصيبها ضرر من ذلك .

سمع مجلس المجمع هذا البحث ، ثم أحاله الى لجنة من أعضائه ، فدرسته وناقشته ثم فصلت رأيها في تقرير قدمته الى مؤتمر المجمع في دورته التالية ، استنكرت فيه أن يكون للأمة لغتان : لغة للحديث والإبانة عن مطالب الحياة ، وأخرى للكتابة أو التعبير عن مشاعر النفس . فان الفرق الذي بين لغة العيش ولغة الفكر إذا زاد قسم الأمة الى قسمين : قلة متعلمة تتأثر بالفكر السامي والفن الرفيع ، وكثرة جاهلة لا تستطيع أن تتعدى حدود العامية الشائعة في الحياة والمعاملات . ومحال أن تستقر حياتنا الحديثة على هذا الانقسام ، فان أقطاب الفكر والعلم ، ونوابغ الأدب والفن ، لا يتحقق النفع منهم للأمة إلا إذا بلغت رسالاتهم الى الخاصة والعامية على السواء . فمن الخير الذي لا بد منه أن يرفع الحاجز الذي يفصل بين القلة الشاعرة المفكرة ، والكثرة العاملة المنتجة . والعالم العربي كله لسان واحد على حيطة الفصحى من العبث ، ومدّها بالعوامل المحددة والوسائل الميسرة ، لتكون رابطة فكرية وصلة وجدانية بين طبقات الشعوب التي تتكلم بها .

وأقرب الطرق الى ذلك ، أن اللفظ الدائر على ألسنة الناس إذا كان عريباً صحيحاً كان أولى بالاستعمال ، بغض النظر عن صيانه وابتذاله . فاذا كان عريباً غير صحيح أبقيناه ورددناه الى الفصاحة . وذلك يستلزم دراسة العامية في جميع الأفطار العربية دراسة شاملة ، لنستطيع أن نعرف المشترك من الألفاظ والمختص ، فالمختص نتركه لأهله ، والمشارك نستعمله في الفصحى ، ونفضله على غيره من مهجور المعاجم ، فان اشتراكه في جميع اللهجات العامية دليل على أصالة في العروبة ، والمعاجم لم تستوعب المادة اللغوية كلها .

أصغى مؤتمر المجمع لهذا البحث ، ودار النقاش فيه والتعقيب عليه ، فأيده من أيده ، وفنده من فنده ، ثم خرج منه على أن التزم في الفصحى بضر ، والتسامح مع العامية يفيد ، على شرط أن تظل الأصول مرعية ، والقواعد سليمة .

وفي الدورة السابعة عشرة للمجمع ، ألقى في مؤتمره بحثاً في « الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه » ذكرت فيها ذكرتُ به أن إنكار الوضع على المحدثين حرم الفصحى كل ما وضعه المولدون من الألفاظ ، وما اقتبسوه من الكلمات ، وما ألفوه من الحكايات ، ونظموه من الأغاني ، وأرسلوه من الأمثال . ولو أن اللغويين قبلوا تلك الألفاظ ، والأدباء دونوا ذلك الأدب ، لو فروا للغة الفصحى وللأدب العالي مورداً لا ينضب ومادة لا تنفذ . ولو أنهم أزالوا السد الذي جعلوه بين اللغتين لا كتسبت الفصحى من العامية السعة والمرونة والجددة ، واكتسبت العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو ، ولكان لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك ، فأما مساوئ الفصحى أو عيوبها فتبوت كما تبوت الحوشي المهجور في كل لغة ، وأما مساوئ العامية أو عيوبها فتبقى على الألسنة التي تستذيقها من الطبقات الدنيا ، وتكون هي اللغة العامية التي لا بد منها في كل لغة من لغات العالم ، ولكن بالنسبة القليلة التي لا تطفئها على الفصحى ولا تفرضها على الناس . ثم اقترحتُ لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى ، أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز ، وأن يرد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاصه العرب وما لم يقبضوه ، وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ، ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والتجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد أقر المؤتمر هذه المقترحات ، وأخذ المجمع يطبقها فيما يضع من مصطلحات العلوم والفنون ، وفيما يسجل من ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، فهو في

الغالب لا يضع المصطلحات ولا الكلمات ، كما كان يضع في عهده الأول ، وإنما يسجل ما تواضع عليه العلماء في التعليم والتأليف ، وما اصطلاح عليه العامة في التعامل والعمل ، بعد أن يجربه على منطق اللغة ويطبعه على ذوق اللسان ، فقبل الأكسجين والهيدروجين والترم والتهليون والتلفراف والبطانية والطاقيّة والبنطلون والكنبة والولاعة والسماعة والترمس والبنزين والدخان والحشيش وآلافها من مثل هذه الكلمات التي وضعها أولو الحرف والممن والمضطربون في الحياة العملية اليومية من أهل السوق والمصنع والورشة والحقل . ولا حيلة لنا فيما نشأ فيها من الدخيل ، فإن ألفاظ الحضارة إنما ترد إلينا من خارج البلاد العربية ، والناس متى رأوا الشيء سموه ، والمسحون في الغالب من سواد الأمة الذين لا يبالون أن ينطقوا على أي صورة ، ما داموا يقضون حاجتهم من التفهم والافهام . ويحيى بعد ذلك الصحفيون والكتاب ، فيبدون اللفظ قد شاع ، فإذا وجدوه سهلاً في النطق ، ساءت في الذوق استعماله ، وإلا أهملوه أو بدلوه . فالصحافة والعبارة تتنافسان في الوضع والنقل والتعريب ، لا تهادن إحداهما الأخرى . فأيتها سبقت إلى الشيء الجديد يوم يرد إلينا سمته ، وفرضت تسميته على الألسنة . (فالتنكس) مثلاً أدركها الصحفيون وهي لا تزال في الميادين الحربية الأوروبية ، فنقلوا لها لفظاً عربياً قديماً هو الدبابة ، وأذاعوه في البرقيات والأخبار حتى عرفه كل قارئ ، ورددته كل سامع . فلما رآها الناس بعد ذلك في مصر ، لم ينكروا الاسم ولا المسمى . وأما الاتومويل فقد ورد البلاد العربية قبل أن يسمع له الناس اسماً عربياً من قبل ، فنطقوا اللفظ الأجنبي بلغات عشر كما كان ينطق العرب القدماء لفظ أصبع ، ووضع الكتاب له بعد ذلك لفظ السيارة ، وحاولوا أن يعمّموه فما استطاعوا ، وظلت الكلمتان دائرتين في لغة الناس : العربية للكتابة والأعجمية للكلام ، وهيات أن تسلم إحداهما للآخرى ، ومثل ذلك يقال فيما وضعه مجمع اللغة في عهده الأول ، كالجائزة للجرس ،

والدراعة للبلوزة ، والمنطق للجوئلة ، والمدرعة للجاكّة ، والسراويل للبنطلون ، فان هذه الكلمات على عرسيّتها ، وانطباقها على المسميات الأوربية بنوع من التخرّيج لم تستطع أن تسير على الأفواه ، ولا أن تجري على الأقدام ، لأنها وضعت بعد أن فشت الألفاظ الأجنبية في الناس ، ومكّن لها الزمن في الألسنة ، وسوّغها التكرار في الأسماع .

فالمسألة إذن مسألة سباق بين الفصحى والعامية ، من تسبق منهما إلى المعنى الجديد أو المخترع سمته وفرضته على الأخرى كما قلت ، ولكن السنة الفصحى أقل ، ووسائلها في النشر أضعف ، فتغلّبها على العامية أبعد عما نظن . فلم يكن بد من قبول الشائع السائع مما تضعه العامة على ما فيه من شائبة العجّة ، أو مخالفة القياس أو تغير المدلول ، لأن اللفظ متى شاع في معنى أو ذات ، صعب محو من الكلام وطرده من اللغة . وإذا وضعنا بجانبه لفظاً آخر من العربي الفصيح وضعناه ميتاً ، لأن ثلاثة أرباع الشعب لن يستعملوه ، والقليل الباقي من أكثر الناس لن يقبلوه . وإذا قبلوه واستعملوه اتسع الخلاف بين لغة القلم ولغة اللسان ، وانقطعت الصلة بين أذهان الخاصة وأذهان العامة . على أن عمل المجمع المصري للتقريب بين اللغتين ناقص من وجه . ذلك أننا نعتمد في ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة على اللغة المصرية وحدها ، وهي كثيراً ما تختلف عن لغات الأقطار العربية الأخرى . فالتنوين والنمير والترقية والإذاعة والتليفون والتلغراف في مصر يقابلها الإغاشة والإعمار والترفيغ والبث والهاتف والبرق في العراق . والألفاظ الدخيلة في عامية مصر أكثرها من الفرنسية والإيطالية ومعظمها من الكردية والتركية والفارسية والأوربية ، فقبول المسموع الشائع من هذه اللغات جميعاً بوقتنا في الترادف والبلبل . والطب لهذه العلة لا تتمكّه إلا المجامع اللغوية مجتمعة ، ومنهاج العمل الذي أقترحه . بني على اقتراحات ثلاثة: الأول — أن تتألف في المجمعين السوري والعراقي لجنة لألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، على مثال اللجنة المؤلفة لذلك في مجمع اللغة العربية .

والثاني - أن يكتسب مؤتمر المجمع اللغوية صفة الدوام والنظام ، فيجتمع كل سنة لتنسيق الجهود وتوحيد المصطلحات وتبادل وجهات النظر .

والثالث - أن يقوم كل مجمع في بلده بتعبئة قواه ، أو أكثرها ، لجمع الألفاظ الحضارية : الموضوعية والمسموعة والمنقولة ، فيكلف محرريه أن يصنعوا ما كان يصنعه رواة اللغة الأولون من خروجهم الى البوادي ، ومشافهتهم للأعراب والأخذ عنهم ، فيخرج المحررون الى المتاجر والمصانع والمزارع ، فيسألون كل ذي سلعة وكل ذي صنعة ، وكل ذي آلة عن اسمها العام ، واسم كل جزء من أجزائها ، وكل نوع من أنواعها ، ثم يدونون كل ذلك بأوصافه وصوره ، ويقدمونه الى اللجان المختصة ، فنصفه وتغربله وتعرفه . ثم تتبادل المجمع الثلاثة هذه الألفاظ فتقرر قبول العام منها ، ثم تحرر بالخاص قوائم تثبت ما يقول كل قطر في كل مسمى ، لتعرض على مؤتمر المجمع اللغوية حين يجتمع ، فينظر فيها ويوازن بينها ثم يختار منها أو يصرف النظر عنها .

أما منهاج العمل في لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، التي ألفها مجمع القاهرة فهو أن تنتبج اللجنة ما وضعه الناس في حياتهم الاجتماعية ، وما اقتبسوه في معاملاتهم اليومية ، من ألفاظ لم يضعها الأولون ، فتجمعها ثم تحقّقها ثم تعرفها ثم تعرضها على مجلس المجمع ، فإذا أن يسجلها كما هي إن بلغت من الشيوع مبلغ الإجماع ، وإما أن يؤجلها إذا كان استعمالها لا يزال محصوراً في بلد ، أو مقصوراً على طائفة . فإذا تألف في المجمعين الآخرين مثل هذه اللجنة كما اقترحت ، وأقر أعمال هذه اللجان الثلاث هذا المؤتمر ، رجونا أن يجتمع لدينا في زمن قريب محصول دافر من الألفاظ الحديثة المشتركة تصل ما بين اللغة والحياة ، وتقرب ما بين الفصحى والعامية .

وقفنا الله جميعاً لخدمة أمتنا عن طريق الوحدة اللغوية والثقافية ، لتعود أمة التوحيد ، كما كانت متحدة في العقيدة والقبلة والكلمة والسياسة ، إنه سميع قريب .

اللغة العربية بين الفصحى والعامية

للأستاذ عارف التكدى

(الإنسان مدني) ، هذا ما قاله الفقهاء ، والفلاسفة من قبلهم . وسواء
أكانت مدنيته هذه بطبعه ، رغبة منه في الاجتماع ، أم كانت الحاجة له الى
التعاون طلباً للمعاش . فهو في الحالتين لا بد له من مجتمع بشري يعيش فيه .
والاجتماع يقتضي التعارف والتكامل ، ولا سبيل إليهما إلا باللغة .

واللغة بدأت أول ما بدأت ، صرخات وصيحات نفعية ، كان يعبر بها الإنسان
عن خليجات نفسه وعن حاجاته . ثم ارتقى فارتقت ، فصارت أصواتاً وحركات
وإشارات . ثم تحوت ألفاظاً اتفق عليها الجمهور للافصاح عن أغراضهم ومقاصدهم .
وبدأت اللغة ضيقة ، على ما يبدأ الطفل لفته ، يعبر بها عن الأشياء الضرورية له ،
المحيطة به . ثم جمعت تنسع مع الأيام ، وتزداد بازدياد حاجات الإنسان ،
وتنوع أغراضه . ثم أخذت ترتقي ولا تزال ، بارتقاء أبنائها في التفكير وفي
العلوم والآداب ، وباتساع الدولة وامتداد سلطانتها ، وما ينبع ذلك من مدنية
وحضارة وسائر مقومات العمران .

وقد تكون اللغة نشأت واحدة ، على فرض الإنسان الأول كان واحداً .
ثم تشعبت هذه اللغة وتفرعت ، بتشعب الشعوب وتفرقهم ، فصارت لهجات
ولغيات ، ثم لغات مستقلة منفصلة بعضها عن بعض ، هذا مذهب علماء اللغات .
وقد تكون نشأت منذ نشأت لغات عديدة تبعاً لتعدد الأنامي الأولين ،
وتعدد مواطنهم ، وهذا مذهب علماء الأحياء .

وبأي الرأيين أخذنا ، فقد انتهى الناس الى أن يكون لكل أمة منهم
لغة مستقلة منفصلة عن غيرها ، ولو كان بعضها واحداً ، الى زمن غير بعيد .

وصرنا الى يوم تعد فيه وحدة اللغة ، دليلاً على وحدة القوم ، بل وحدة الأمة ، فليس الناس بأبناء الدم الواحد ، وإنما هم أبناء اللغة الواحدة . والقول بأن الأمة تؤلف وحدة دموية بفعل التكاثر بالتوالد ، لا يخرج عن أن يكون خرافة يكذبها التاريخ ، بما وقع فيه من فتوحات أدت الى اختلاط العناصر وازدواجها وتداخلها بعضها في بعض تداخلاً لا سبيل الى فصله ولا الى تمييزه . واذا صدقت هذه القرابة الدموية على شعب من الشعوب ، فانما تصدق على القبائل البدائية المنزلة التي لم تؤثر في الحضارة العالمية ، ولا أثرت هذه الحضارة فيها . فالأسم والشعوب المعروف تاريخها ذوات الحضارات والوحدات السياسية والقومية ، ما تمت وحدتها بالقرابة الدموية ، بل بالقرابة الصناعية من وحدة الإقليم ، والعادات ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة . وأهم من هذا كله والعامل فيه وحدة اللغة .

هذا كان في الأمم الغابر البعيد ، وهو كائن الى اليوم . فليس في الأمم أمة يجمعها الدم الواحد ، وإنما هي جماعات جمعتها اللغة الواحدة .

فالأميركان ، إن هم إلا مجموعة من شعوب الأرض . والفرنسيون خليط من الغول والجرمان وغيرهما . والانكليز أنفسهم ، على اعتدادهم بأنفسهم ، لا يخرجون عن أن يكونوا مزيجاً من شعوب كثيرة ، وأن تكون لغتهم تجمع بين السكسونية واللاتينية . وملوكهم دمهم سكسوني وجرماني الى اليوم ، وسيكون سكسونياً وجرمانياً ويونانياً غداً . ونحن العرب على غنبيتنا الجاهلية ، وإبائنا السابق أن نصر الى غير عربي ، وامتناع العرب أن يدبثوا لهجين - ولو أنه سليمان بن عبد الملك - نحن العرب فينا أيضاً العرب المستعربة ، وهم قوم نعلموا العربية واتخذوها لغة ، فصيرتهم عرباً . وقد يما قال أفصح من نطق بالضاد : (ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي) .

واذا كان في الأمم أمة خرجت عن هذا ، فلا سبب إقليمية أو تاريخية ليس هنا موضع تفصيلها .

عرف العرب قيمة اللغة ومكانتها ، فحرصوا على لغتهم ، وبالغوا في صيانتها وتهذيبها ، حتى كان الغريب عنهم ، إذا هو انتسب إليهم ، ودخل فيهم فاستعرب ، جرى على سننهم ، فسهر ليلاليه يتلمس العربية في مظانها مستغرقاً جهده ، مستنفداً وكده ، حتى يخرج وكأنه واحد من آحادهم : لغة وأدباً ، وبلاغة وفصاحة ، في شعره ونثره وفي أماليه وتآليفه .

بل هم جعلوا من أسواقهم التجارية ، أسواقاً أدبية ، كانت من أسباب نقاء اللغة وصفائها ، وتقريب مصطلحاتها وتهذيب ألفاظها . إلى أن نزل كتاب الله فآلئى إليه العرب بمقادير والعربية بمقاليدها . فكان دستورهم الأعظم ، يؤخذ عنه ويرجع إليه .

فلما أن انتشر العرب بالفتح ، وامتد سلطانهم إلى الشرق والغرب : في آسية وأفريقية وأوربا ، وطال بهم الزمن ، ووقع لهم الاختلاط بمجاوريهم وكثر بينهم الازواج والاصهار ، وتعددت المعاملات من تجارية وزراعية وصناعية بينهم وبين جيرانهم ، كان من نتيجة ذلك وطبيعته أن تفسد اللغة ، وأن يكون للعامة لغة سوقية لم تقف عندهم ، فتعدتهم مع الزمن إلى الخاصة .

يقول أبو عبيدة في الرقاشيين :

(وكان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدهم . وكانوا خطباء الأكلمة . فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام ، وفي جزيرة العرب تزعم ذلك العرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة مقامهم في أهل تلك اللغة . فيهم شعر وخطب ، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرياء إليهم . ففسد ذلك العرق ودخله الخور) .

وزاد الأمر بلاءً ، واللغة فساداً ، ضعف الدولة العربية ، ثم صيرورة الحكم إلى غير العرب . فكان من الملوك والأمراء من لا يعرفون من العربية كثيراً

ولا قليلاً . فرغب الناس عن العريضة وعلومها لكساد سوقها ، وعاد اللغوي والأديب لا يجد في العلم رزقه ، بعد أن كان الأدب واللغة سبباً من أسباب المكاسب والجاه والمناصب .

وكان الخطأ واللحن في الصدر الأول وما بعده ، تقيصة وضلالاً . قال (عليه السلام) لنفر لحن صاحبهم : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » . وقال المازني : سهرت عند المأمون فأجري ذكر النساء فقال : (إذا تزوج الرجل امرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز) ، قال المازني فقلت : نعم يا أمير المؤمنين عن رسول الله : (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز) . قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : كيف قلت (سداد) ؟ قلت : نعم لأن السداد هنا لحن . قال أو تلحنني ؟ قلت : إنما لحن هشيم - وكان لحناً - فتبع أمير المؤمنين لفظه .

وكتب رجل للصاحب بن عباد يطلب إليه عملاً . وختم كتابه بقوله : فإذا رأى إشغاله (يريد نفسه) في بعض أشغاله (يريد أشغال الصاحب) فعل إن شاء الله . وكأنه أراد من هذا التجانس بين إشغاله وأشغاله إظهار بيانه تقريباً من الصاحب وهو هو بأدبه وفضله . غير أن الأمر وقع خلاف ما أراد ، إذ وقع له الصاحب : من يقول إشغالي لا يصلح لأشغالي .

ويروى عن سيف الدولة بن حمدان : أنه ما قال لقائم : اجلس .

إلى كثير من أمثال ذلك مما يروى عن الخلفاء والأمراء والوزراء ، من المبالغة في سلامة اللفظ ، والرغبة في تجنب الراجح السليم من الألفاظ ، وبند المرجوح السقيم ، والابتعاد عن معرة الخطأ واللحن .

وتراخى الأمر حتى ما كان تقيصة وضلالاً صار فضيلةً وجمالاً ، ولزم الخطأ المأمور والأمير ، والصغير والكبير . فقد أمر أحد الوزراء ببناء يوضع عليه

اسم الأمير . فكتب الوكيل : (أمر ببناء هذا المكان أبو فلان) ، وكان
الوزير كان يرى أن (أبي) أجل قدراً وأرفع شأنًا للتعبير . فلام الوكيل
أن استعمل (أبو) بدلاً من (أبي) ، فاعتذر له الوكيل بأن الإعراب اقتضى
الرفع ، ف (أبو) هنا فاعل . فغضب الوزير وقال : ومتى رأيت الأمير فاعلاً
يحمل الطين والحجارة .

يقول ابن حزم :

« ان اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم
في أمكانهم ، أو بتقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فانما يفيد لغة الأمة
وعلمها وأخبارها ، قوة دولتها ونشاط أهلها . وأما من تلفت دولته ، وغلب
عليهم غدوهم ، واستقلوا بالخوف والحاجة والذل ، وخدمة أعدائهم ، فمضحون
منهم موت الخاطر . ولربما كان ذلك لشتات لغتهم ، ونسيان أنسابهم ،
وبيود علومهم .

هذا موجود بالمشاهدة ، ومعلوم بالعقل ضرورة .

فتلف الدولة العربية ، واختلاط العرب بغيرهم ، وغلب المعجم عليهم ، أفقد
العربية ، ولولا كتاب الله لذهب بها جملة . »

هذا الفساد جعل من اللغة العربية الواحدة لغتين اثنتين : لغة فصحي ، ولغة
عامية ، وهي مشكلة لغوية وقومية ليس عند غيرنا من الأمم مثلها . نعم ، قد
يكون عند بعض الأقوام ألفاظ وتعايير تستعملها العامة ، وأحياناً بعض الخاصة ،
في أحاديثها الخاصة وفي بعض شؤونها البيتية اليومية ، تختلف عن لغة الكتابة
وقد لا تدخل فيها . ولكنها ألفاظ وتعايير محدودة ، لا تبلغ أن تكون لغة
مستقلة ، كما يكاد يكون الحال عندنا . وليس من شك أنها مشكلة من أعقد
المشاكل ، أن يكون للأمة الواحدة لغتان أصليتان . هذه المشكلة فتحت علينا باباً
للبحث في اختيار إحدى هاتين اللغتين ، واعتمادها اعتماداً عاماً شاملاً للكتابة والخطاب .

ولعل المستشرقين كانوا أول من فتح هذا الباب ، وعالج هذا الموضوع .
 وكان أكثرهم أو كلهم ينزعون الى اللغة العامية . وقد يكون الدكتور
 (فولارس) الألماني من السابقين ، أو كان السابق الذي تناول هذا البحث .
 فألف كتاباً بالألمانية جمع فيه - على زعمه - قواعد اللغة العامية المصرية . كان
 ذلك لستين سنة أو تزيد ، ثم تابعته طائفة من إخوانه المستشرقين ، منهم - في
 رأيهم - عن رغبة في توحيد اللغة العربية وتسهيلها ، ومنهم - عن سوء نية -
 خدمة للاستعمار لتزريق وحدة الأمة العربية اللغوية ، تمكيناً لتزريق وحدتها
 السياسية والقومية .

ولم ينحصر هذا البحث في المستشرقين ، فمالجته جماعة من العرب كانوا
 لساناً واحداً في جانب اللغة الفصحى وتأبيدها ، إلا نقرأ قليلاً جداً ذهبت به
 شعوبيته وعداؤه للعرب وللعربية الى الانتصار للعامية .

والذين انتصروا للعامية ولا سيما من المستشرقين كتبوا عنها وألفوا لها ،
 بلغاتهم لا بها . عجزاً منهم ومنها أن يؤدوا أغراضهم بها ، لاستحالة القراءة
 والكتابة بالعامية إلا بالجهد والمشقة .

إلا أن واحداً من أبناء العرب ، كتب كتاباً بالعامية ، جاء أضحوكة الأضحيك
 لا بقرأ ، وإذا هو فرى بعد كدّ الذهن وإعمال الروية فلا يفهم إلا بالتفسير
 والتأويل والترجمة . ثم هو بعد يحتاج إلى الاستعانة بأبناء القرية التي أنجبت عالمنا
 النحرير ، وسكت المؤلف بعد ذلك سكوت أهل الكهف ، انقطع صوته ،
 ومات كتابه ، ومات فكرته معه .

والمقارنة بين اللغتين : الفصحى والعامية مقارنة مع الفارق ، لا تحتاج إلى
 دليل إلا إذا احتاج النهار إلى دليل . فصلاح اللغة الفصحى شامل لكل غرض
 من أغراض الحياة ، وللتعبير عن كل جليل ودقيق من المعاني الجليلة الشريفة
 الرفيعة ، الى الحاجات العادية السوقية الوضيعة . هذا على حين أن اللغة العامية

عاجزة عن تأدية معنى يخرج عن المعاني الساذجة العادية المتعارفة . لذلك كان صوت الفائلين باللغة العامية يتقطع بين حين وحين ، ويخرج ضعيفاً خافتاً ثم تذهب به الريح . وتبقى هذه اللغة الفصحى مرفوعة الرأس ، ثابتة البنيان . والفصحى التي لم تؤثر فيها صروف الزمان ، ولا تحكّم الأعاجم ، لا تقوى عليها محاولات استعمارية هزيلة وحجج واهية . ولا سيما بعد أن زادت قدمها رسوخاً بانتشار العلم ، والصحافة والإذاعة ، وقيام دول عربية لها مجالسها النيابية وقوانينها وبلاغاتها ومنشوراتها ، وكلها لا تصلح لها إلا اللغة العربية الصحيحة الفصيحة . نعم ، إن الفارق لعظيم بين اللغتين من حيث الصلاح والقابلية ، بما يجعل المفاضلة بينهما مضيعة للوقت . غير أنه بحث أريد ، فلا بد لنا من أن نلم به على عجل متسائلين :

إذا شئنا أن نعدل عن الفصحى الى العامية ، أنجعل هذه العامية عامة لجميع الأقطار العربية ، أم نجعل لكل قطر لغته ؟

فإذا كانت الأولى ، وأردنا أن نوحّد هذه اللغات العامية فجعلها لغة واحدة ، أفقدّر هؤلاء الهازلون مبلغ الصعوبة التي تواجه هذا العمل العسير بل المستحيل ؟ أليس رفع العامية الى مستوى الفصحى أيسر وأهون سبيلاً ؟

فأي قطر ينزل عن عاميته لعامية قطر آخر لم يألفها ولم يفهمها ؟ إن مثل اللغة العامية في قطر بالنسبة الى اللغات العامية في الأقطار الأخرى ، مثل الطفل في لغته ، يسمع الكلمة من أبويه فيعيدها محرفة . فإذا هو كبير كان بين أن يمضي على لغته المحرفة ، أو يعدل الى لغة بيئته . ولما كان يصعب عليه أن يفهم الآخرين لغته ، وأن يتفاهم وإياهم بها ، كان مستحيلاً عليه أن يفرض عليهم لغته ، كان لا بد له من أن يستعمل لغة قومه وبيئته .

هذا مثلنا مع اللغة العامية ، لا نملك أن نفرض عامية قطر على عامية قطر آخر ولا سبيل الى التفاهم بها ، فعلياً أن نستعمل اللغة الفصحى : اللغة التي يرضى عنها جميع العرب ، ويفهمونها في جميع أقطارهم ، إلا من شذء وقليل ما هم .

وإذا كانت الثانية ، وأريد لكل قطر لغته العامية ، لغة خاصة به مستقلة عن أخواتها ، فقد مزقنا هذه الوحدة اللغوية الجامعة لمختلف الأقطار العربية ، وفيها عشرات الملايين من البشر إخوان في الحضارة والتاريخ ، وأبناء اللغة الواحدة . نفعل هذا في زمن يقوم فيه بعض العلماء على وضع لغة عالمية واحدة يتفاهم بها الناس أجمعون .

ثم لمصلحة من نمزق هذه الوحدة ، وتقضي على هذه اللغة ، فتصير اللغة الواحدة لغات ، ونعود الأمة الواحدة أمماً وشعوباً ، شتات شتات ؟ !

وهبنا تغلبنا على هذه المستحيلات كلها ، أفلا نريد لهذه العامية أن تصبح لغة حية ، وهل في اللغات الحية لغة لا قواعد لها ولا ضوابط . والقواعد والضوابط تستخرج في وضعها الأول من اللغة نفسها : من صحيح ألفاظها ، ومن ثابت استعمالاتها ، ومن وحدة أساليبها ، وما فيها من قياس ومن إجماع أو اتفاق . فأين نجد هذا أو بعضه في اللغة العامية ؟

والأمر أدهى وأمر ، إذا نحن تركناها مطلقة لا ضابط ولا قاعدة ، خلافاً لكل لغة ، باب مشرع على مصراعيه ، وحبل ملقى على الغارب . ومع هذا الباب المفتوح ، والحبل المطروح ، يأتي يوم يكون لهذه اللغة العامية لغة عامية أخرى في جانبها ، ما دام الاختلاط واقعاً ، والمصالح متشابكة . واللغة لا وازع لها ولا ضابط ، ومعنى هذا أنا في قلتي دائم وتطور مستمر ، ولغة تتجدد في كل عصر .

ثم ما عسى أن نفعل بهذا التراث التليد الجليل الضخم الجبار الذي نعيش به وفيه منذ ألني سنة وتزيد . أنظرحه كله غير مأسوف عليه وهو مفخرتنا الخالدة ، ومأثرتنا المعجبة ؟ وتاريخنا الصادق الناطق مملوء الصفحات بالعلم الثاقب الرفيع ، والأدب الرائع البديع ، من شعر ونثر ، أفترك هذا كله من أجل لغة عامية سقيمة ركيكة ، لا تاريخ لها ولا آداب فيها ؟ !

وشيء نعيده ، وهو ان هذه اللغة العامية لا تصلح للكتابة ، وإذا هي كتبت صعبت قراءتها ، وعنّ على المجموع فهمها . وعلى العكس ما يكتب باللغة الصحيحة تفهمه ، حتى العامة التي لم تؤت نصيباً من العلم ، ولا حظاً من الدراسة ، تفهمه كما تفهم ما تنشره الجرائد ، وتذيعه الإذاعات ، وما يلقى من خطب ، وما يصدر من منشورات ، وهي لغة عامة لكل قطر يفهمها أهلوه فهماً صحيحاً مستقيماً . وهذا كتاب الله ، على قدمه ، وعلى علو أسلوبه ، ومحكم مسبك ، قل ما يخفى من ألفاظه ومعانيه ، حتى على الطبقة العامية ، فكيف يعدل عن الصحيح الراجح الذي يفهم ، الى السقيم المرجوح الذي لا يفهم ، فنبدل ما هو خير بما هو أدنى ؟ !

ان العدول عن الفصحى الى العامية فكرة عقيمة ، ومحاولة فاشلة . فالعربية العامية غير صالحة للحياة ، إنها وليدة الجهل ، وقد بدأ الجهل ظلامه ينحسر ، والعلم نوره ينتشر . وما خلقه الجهل لا بد أن يميتته العلم . غير أنه مهما كان من صواب هذا الرأي ، ومن اعتقادي بأن اللغة العامية لن تكون لغة علم وأدب ، فان ثمة حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، وهي أن وجود لغتين اثنتين لأمة واحدة ، مشكلة صعبة معقدة ، وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف من سائر اللغات الحية .

فلغتنا الفصحى تعيش في نطاق محدود لها مواقف خاصة ، ومواطن خاصة . وليست هذه حال اللغات الحية . فاللغة الحية تكون واسعة الآفاق ، عامة الاستعمال في الكتاب والكلام ، دائرة على لسان كل طبقة من طبقات أبنائها ، معبراً بها عن كل غرض من أغراضهم في كل ناحية في مصروفهم ، لا تختلف إلا بالأصليب من حيث الفصاحة والبلاغة ، لا من حيث اللغة نفسها .

نعم يجب ان تخرج العربية الصحيحة من خدرها الى السوق والى المعمل والى المزرعة ، فتكون لغة أصحاب التجارة والصناعة والزراعة . وإلا كانت

الحجة علينا بأن اللغة الفصحى لغة غريبة عنا ، تعلمها ككل لغة أجنبية . وهي حجة المستعمرين وصنائعهم من المستشرقين ، وأتباعهم من العرب المعجميين .

إن تعميم اللغة الفصحى ليس بالأمر الصعب ، ولا هو بالأمر يعوزه الامكان على قدر ما تعوزه الإرادة . ولا بد لنا قبل البحث بالوسائل الممكنة لتعميم العربية الصحيحة من أن نعهد لكلامنا بهذه الكلمة : ليست مسافة الخلف بين اللغة الفصحى واللغة العامية بالمسافة التي بعدت شقتها ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما ورجع وحدتهما . فقد ندر أن تستعمل العامة كلمة عامية - إذا استثنينا الألفاظ الأجنبية الدخيلة - إلا وهذه الكلمة أصل في اللغة الفصحى ، أبعدها عن أصلها هذا ، خطأ في لفظها ، أو تصحيف أو تحريف في بنيتها ، بتقديم حرف على حرف أو بتأخير عنه ، أو بنقل حرف الى حرف آخر مخرجه أو لفظه قريب منه ، أو بزيادة حرف الزيادة في المعنى الأصلي ، أو بنحت كلمة من كلمات .

أما التعريف بالتقديم والتأخير ، وبالتبديل والتغيير ، فالخطب فيه سهل ، ترد الكلمة الى أصلها ، والزيادة الخطأ لغير معنى تحذف ، وتقر الزيادة بمعنى جديد يتصل بالمعنى الأصلي . وهي الطريقة التي جرى عليها العرب الأولون .

وتقر الألفاظ العربية الفصيحة التي تستعملها العامة مجازاً أو استعارة أو اشتقاقاً فيما لا بد منه من معنى جديد .

وكذلك اللفظ فيه لفتان : بناءً أو ضبطاً ، اختارت العامة منها اللفظة المرجوحة لخفتها في السمع والاستعمال .

أما الألفاظ الأجنبية ، فالجامع العلمية اللغوية كفيلة بأن توجد لها مترادفات عربية ، وهو مبسور في جملة . حتى فيما يظن أنه من أحدث المسحيات التي اقتضتها المدنية الحاضرة .

لعل هذا مجمل الخلاف بين الفصحى والعامية من حيث اللفظ المفرد ، أما من حيث الخطأ في تركيب الجمل فانتشار العلم يصلحه .

ومن ينكر على اللغة العامية أنها خطت في هذه الثلاثين السنة الأخيرة نحو اللغة الفصحى خطوات واسعة ، فلقد أدركنا من العلماء من لا يشق لهم غبار في معرفة اللغة ، والتضلع من النحو . استنزفوا أيامهم في طلب هذين العلمين ومعاناتهما وتخرج طلاب الآداب فيها . وقد لا يكون في يومنا هذا نظراء لهم في موضوعهما . كانت هؤلاء الأعلام يلقون دروسهم بلغة موقية محضة ، أو قروية بحتة ، كأنهم ما أدركوا شذوآ من اللغة ، ولا ذرأ من النحو . وليس بين أساندة اليوم من يرضى لنفسه بأن يلقى درساً بهذه اللغة التي كان يرضاها أولئك الأعلام . هذه الخطوات السديدة نحو اللغة الفصحى ، موصلة حتماً الى توحيد اللغتين بموت العامية واستقلال الفصحى بالأمة وحدها ، نعبّر بها عن كل غرض من أغراضنا في كل شأن من شؤوننا الخاصة والعامة .

ولكن هذا السير سير بطيء ، متروك للزمن أن يحققه على مهل . وليس هذا من الصواب ولا هو من فعل الأمم الحية . فالأمة الحية الواعية تسبق الزمن وتختصره ، تلتقي بين عينيها همها ، وتنكب عن ذكر العواقب والعوائق الى أن تصل الى هدفها .

والسبيل الى هذا يكون على أركان منها :

١ — التربية البيئية : يعمل الوالدون على تلقين أبنائهم الصحيح المأنوس من الألفاظ ، ويجنبونهم الملحون والمغلوط والمحرف . يبدأون أول فأول في ما يحتاج اليه من كلمات تعبر عن أغراضهم وما يحيط بهم ، وهذا حق اللغة والوطنية على المتعلمين من الآباء ، يؤاخذون في التقصير عليه ، إذ ليس لائقاً أن تكون لغة المتعلمين المثقفين وأبنائهم ، كلغة الأميين الجاهلين وأبنائهم ، وأن يعنى كل قوم بتقويم ألسنتهم وألسنة أبنائهم إلا نحن .

٢ — التربية المدرسية : ثم تنتقل هذه المهمة الى المدرسة في نطاق أوسع ، تكون اللغة الفصحى العمدة في إلقاء الدروس وفي مراجعتها وفي المذاكرة فيها ،

ويكون لها النصيب الأوفر في الحوادث والمعاملات ، فإذا مضى المتعلمون على هذا ، ألفتهم ألسنتهم واستساخته أسماعهم ، فأصبح ملكة يحرون عليها في المستقبل . واختلاط المثقفين بالعامية كقيل بأن ينقل اليها كثيراً من لغتهم ومصطلحاتهم وتعابيرهم فتقلدهم فيها ، فيكون ذلك من قبيل رد الفعل ، فكما أفسد على العرب لغتهم اختلاطهم بغيرهم ، يعود هذا الاختلاط المثقف فيصالح ما يمكن إصلاحه من هذه العامية .

ويكون حسناً إذا وضعت وزارات المعارف والمدارس جوائز للمتفوقين في حسن التعبير وصحة اللغة ، ومن المفيد أن يكثر المتعلمون من الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم وبالشعر وبالأمثال والحكم ، تلقى بلفظها العربي الفصيح .

٣ - القضاء : يجب أن تكون لغته صحيحة سليمة ، لغة القاضي ولغة المحامي ، كما هو واقع في كل لغة عند كل أمة ، ولقد كانت عندنا في الأمس المحاكم المختلطة ، وكان القضاء والمحامون العرب يأخذون أنفسهم بالتعبير الأجنبي الصحيح ، ويفتخرون به إذا هم رافعوا أمامها . فإذا هم عادوا إلى المحاكم الوطنية ، عادوا يفخرون بجهلهم لغتهم ، وهل من شيء أدعى إلى اللوم وأدل على الجهل من أن يعرف العربي اللغة الأجنبية أو شيئاً منها وأن يجهل لغته ؟

ولعل أغرب ما يستشهد به في هذا الباب ، ما وقع أخيراً في محاكم مصر ، يوم كان القاضي الدارس المثقف ، يمنع المحامي الدارس المثقف مثله أن يرافع بالفصحى ، ويأبى إلا أن تكون مرافعته باللغة العامية .

٤ - المجالس النيابية : لسنا نذكر على السواد الأعظم من النواب ، أنهم أخذوا في استعمال اللغة الفصيحة . ولكنه استعمال على مدى لا يزال محدوداً وضعيفاً ، ومكانة اللغة تقضي على النائب أن يجيد لغته ، إجادة تامة ، فسلحه علمه وحجته ، وعمادهما ومظهرهما في حسن التعبير وسلامته .

٥ — الجنديّة : وفي الجيوش العربية أمراء ملكوا ناصية العريضة فأحسنوا التعبير بها ، وأجادوا في اختيار الألفاظ الفنية ، تدل على ذلك مكثوباتهم ومنشوراتهم ، وفوق هذا معاجهم العسكرية التي وضعوها . ولغة الجنديّة لغة الحزم والعزم والجزالة ، وهي مطالب لا يستقيم أمرها بالعامية ، ولا يصلح لها إلا اللغة الفصحى . فلو اشتد الضباط في أوامرهم ومعاملاتهم في استعمال اللغة الفصحى ، لانتقل هذا من الأمر إلى المأمور ، ومن الجندي إلى السوق بحكم التعامل .

٦ — لغة الدواوين : وقد صلحت كثيراً عما كانت عليه من قبل ، وهو شيء يحمد الحكومة عليه ، على أننا نطلب منها المزيد ، صيانة للغة وحفاظاً عليها .

٧ — الصحافة والإذاعة : والخطابة في المنتديات العامة كان لها كثير من من الفضل في إصلاح كثير من السكّ واللفظ ومن تقريب العامية إلى الفصحى ، ولكنه إصلاح جاء أكثره عفواً عن غير عمد ولا تعمد . والذي نريده ، أن تلقى محاضرات للخاصة والعامية فيها التنبيه إلى الأغلط والحث على تصحيحها ، وبيان فوائد هذا الأمر من الناحيتين العلمية والوطنية .

ومهمة الصحافة أن تنشدد على الذين يهملون شأن لغتهم ، ويكون لها ما يشبه المراقبة ، تحققه بالنقد الصحيح على المدارس والمعلمين ، وعلى النواب والخطباء والقضاة والمحامين ، وعلى سائر المعاملات الرسمية ، حتى يمتنع بعد ذلك أن يعالّن رجل يجهل لغته .

على أن العامل الأول في هذا الأمر مرده إلى عزة النفس وعلو المهمة ، والغيرة الوطنية والإباء القومي . فنحن إلى اليوم تأخذنا العزة بالجهل ، فيقول لك أحدنا إذا أنت استدركت عليه خطأ : لستُ سيئوبه ولا أعرف العربية . وقد يكون هذا القائل من أبناء العلم ، قاضياً أو محامياً أو مدرساً أو طبيباً

مفروضاً فيه وفي من هم من طبقتهم معرفة لغته ، وليس في الأمم الأخرى طبقة من أمثال هذه الطبقة ، تنسكركم للغتها ثم تفاخر بجهلها لها .

نحن نفخر مرتين ونخجل مرتين ، نفخر أننا نجهل لغتنا ، واننا نعرف لغة أجنبية أو شيئاً منها ، ونخجل أن نجهل لغة أجنبية أو ألفاظاً منها وأن نستعمل في لغتنا الدارجة الألفاظ العربية الصحيحة المأنوسة .

وتجاوزنا هذا الحد في الاستهانة بلغتنا ، فأردنا لها أن تخضع في كثير من نواحيها الى اللغات الأجنبية .

وزاد الأمر شناعة أن قام فينا من يطلب أن يستبدل بحروفنا العربية حروفاً لاتينية ، وللعربية اشتقاقاتها وتصريفاتها وضمائرها وإعرابها ، وأكثرها يختلف عما هو في اللغات الأجنبية . واللغة الأصلية لا يستقيم أمرها إلا على أصولها وقواعدها التي جرت عليها .

ومن المستغرب أيضاً الدعوة الى إصلاح الإملاء العربي ، هذا الإملاء السهل المبني على أصول صحيحة مدروسة ليس أيسر منه في لغة من اللغات الأجنبية التي نعرفها أو نعرف عنها ، فلكل حرف في العربية نطق خاص به ، لا يختلف باختلاف موقعه في الكلمة أو وضعه من الحروف ، فالسين لا تكون إلا سيناً ، والثاء ثاء ، والذال ذالاً ، والزاي زايًا ، والضاد ضاداً ، والظاء ظاءً . وليس من حرف يُقرأ ولا يُكتب ، أو يُكتب ولا يُقرأ إلا هذه الألف التي دعوها ألف الإطلاق تقريباً بين المفرد والجمع ، وإلا واو عمرو تمييزاً له عن عمر ، هذا ومثل - إن كان له مثل - قاعدة لها ضابط معروف وفيه من الحرص على اللغة والدقة في الرسم واللفظ ما يقضي بالحمد لا بالنقد ، فأين هذا من اللغات الأجنبية ومن شذوذها في إملائها ورسمها ، ومن غرابتها في أحرفها وفي وضعها ، فقد تنقلب السين عندهم زايًا ، وتصير الجيم غينًا ، والثاء شيئًا أو سينًا ، والياء ألفًا ، وتأتي بحرفين لتؤدي لفظ حرف واحد قد يكون له مثيل عندهم ، وتترك حرفاً أو أحرفاً لا تلفظها ، وتلفظ حروفاً لا وجود لها . وعلى الجملة فإن إملاءهم خطأ في خطأ ، يحفظه - إذا استطعت - حفظاً من غير قاعدة تجري عليها .

وعلى الشذوذ عندهم والاطراد عندنا ، لا تسمع لهم أصواتاً أو مقترحات أو اعتراضات ممن يوثق بعلمهم تستنكر هذا الشذوذ .

وكلمة أخيرة هي أن اللغة تحتاج الى مرجع يرجع اليه في ضبطها وتوحيد مصطلحاتها . وقد كان هذا المرجع عندنا من قبل أهل البادية وأبناء قريش ، - قبل أن خالطوا وخولطوا ففسدت لغتهم - ، ثم كان القرآن ولا يزال .

والسلطة اللغوية اليوم عند الأمم في يدي مجامعهم اللغوية ، فلا بد لنا من أن نجري على ما جروا عليه ، غير أن المجامع عندنا تعددت وليس بينها ارتباط وثيق يساعد على وحدة العمل فوحدة اللغة ، ودواء هذا وعلاجه في أن يكون أكبر المجامع العلمية الرأس الجامع لهذه المجامع ، يكون المرجع والضابط غير ملون بلون إقليمي ولا مصطبغ بصبغة موضعية . ويكون الرئيس ونائب الرئيس في المجامع العلمية الأخرى عضوين طبيعيين في المجمع الآخر بنص قانوني غير محتاج الى ترشيح وانتخاب . هذا عدا عن يجوز أن ينتخب انتخاباً الى المجمع الأعلى من مجامع الأقطار العربية الأخرى .

تبادل المجامع اللغوية الآراء في اختيار الألفاظ وفي إقرارها ، وذلك بأن يبعث كل مجمع برأيه ومقترحاته الى المجمع الآخر ، وهذا يعيدها اليه مقرونة بدراسته وملاحظته ، فاذا اجتمع هذا كله عقد له المجلس الأعلى جلسة عامة للمذاكرة الأخيرة ، فما وقع عليه الإجماع أو الاتفاق 'عد' في الكلمات والمصطلحات المعجمية ، ويكون الأخذ بها صواباً ، والخروج عنها خطأ . ولا يقول قائل إنها طريقة طويلة ، فأطول منها أن تبقى الأمور على حالتها الحاضرة ، وفي المجامع اللغوية الغربية من الألفاظ ما يبقى عشرات السنين قبل أن يثبت فيه برفض أو قبول .

هذه آراء نعرضها على أنظار أقطاب اللغة وعلى مجامعنا اللغوية ، قابلة للتعديل والتصحيح إذا هي استحققت النظر والدراسة .

والشيء الذي نريده أن يكون اتصالنا بلغتنا اتصالاً أكيداً وثيقاً فتكون منا ونكون منها ، فتصبح لغة العرب الحاضرين كما كانت لغة آبائنا الأولين .

بين اللغة العربية الفصحى والعامية

للأستاذ علي حسن عودة

أيها السادة الكرام :

هل في الإمكان أن تقضي على اللغة العامية ، ونحل محلها لغة تعبير وتخطاب عربية فصيحة سهلة التداول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الفناء في الحياة الاجتماعية في كافة مرافقها ؟

لو كان المتكلمون بالعربية منحصرين في قطر واحد ، وكانت اللغة العامة التي يتفاهمون بها لغة واحدة ، لعدنا تحقيق هذه الأمنية من الممكنات في أقل من عقدين من السنين ، ولحلت لغة عربية فصيحة سهلة محل العامية عند الفناء الجديد أولاً ثم عند سائر طبقات المجتمع بالتدريج ، وبحكم المراتبة وكثرة الممارسة . غير أن المتكلمين بالعربية منتشرون في كثير من الأقطار ، ولهجاتهم العامية تختلف في القطر الواحد عنها في القطر الآخر كثيراً ، فبينما نجد اللغة العامية في أحد هذه الأقطار قريبة من الفصحى بمفرداتها وتراكيبها ، نجدها في قطر آخر بعيدة عنها كل البعد ، ولا تكاد تمت إليها بصلة ، ومرد ذلك إلى أسباب متغلغلة في القدم ، أهمها أن العرب الذين هبطوا هذه الأقطار أيام الفتوح الإسلامية الأولى ، وجدوا فيها وفي ما جاورها أقواماً لهم لغاتهم ولهجاتهم الخاصة ، فكان لا بد أن يكون لهذه اللغات واللهجات تأثير في لغة الفاتحين ، وأن يعظم هذا التأثير مع الزمن بشتى العوامل ، فتعدو لغة التخاطب في هذه الأقطار مزيجاً يكاد لا يفهمه إلا أهله .

ولذا كان مطلبنا وهو القضاء على العامية مطلباً ، يختلف يسراً وعسراً في

قطر دون آخر ، ولكنه ليس متعذراً كما ذهب اليه بعض الفضلاء ، بمن عنوا بمثل هذا البحث ، وانتهوا إلى أنه لو أتيح لنا أن نجعل جميع الناس في البلاد العربية يتحدثون بالعربية الفصحى ، أو بما يقرب منها ، فإن هذه اللغة المصطنعة لا بد أن يصيبها باختلاف العوامل عليها ما أصاب اللغة الفصحى في أول عهدها من الانقسام إلى لهجات مختلفة ، فتعود المشكلة التي نحن في سبيل حلها فتنبعث مرة أخرى .

وقد ذهب اليأس بهذا البعض من إمكان التغلب على العامية ، بأي وسيلة من الوسائل ، إلى القول بترك الأمور تجري مجراها الطبيعي ، وأن تبقى اللغة على حالها لكل قطر لهجته الخاصة ، ولغته العامية الخاصة ، إذ من العبث على رأي هذا البعض ، أن نحدث أي تغيير في ما أحدثته العوامل المختلفة على مر الأيام من الاختلاف والتباين ، في اللغات المحكية عند الشعوب العربية في مختلف أقطارها .

ولست أشاطر هذا البعض رأيه ، فإن لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يبذل في حيل ترقية لغة التخاطب في البلاد العربية ، ويضمن البقاء والتقدم أيضاً ، لكل لغة عربية فصيحة يتواءم عليها ، تستوعب مصطلحات المستجد من آثار العلوم والفنون . إلا أن هذا المجهود يجب أن يبذل ، وأن لا تبقى آماني الراغبين في الإصلاح المنشود محاولات تسطر ، وتلقى من التأييد الكثير أو القليل ثم تطوى ويعالجها النسيان .

هناك وسائل بشي لم تكن متبصرة في الماضي ، من شأنها أن تعين على النجاح في كل محاولة تبذل ، ويشترط لنجاح هذه الوسائل تعاود السلطات الحاكمة في كل قطر عربي ، لكي تجعلها ذات فاعلية وتأثير ، بأن تعتمد بطرقها الخاصة إلى استخدام هذه الوسائل على وجه يضمن لها ذلك النجاح .

إن اللغة الفصحى لا خوف عليها في أي قطر من الأقطار العربية ، فإن لها من كتاب الله الكريم سنداً يتكفل بحفظها على مدى الأزمان ، كما تكفل بحفظها حتى الآن ، وهي عدا ذلك مقيدة بالوسائل الفنية الحديثة ، من اتساع

نطاق النشر ، وكثرة دور الإذاعة ، وسهولة التواصل بين الأقطار العربية في هذه الأيام ، وإتانا لنحكم بما يصل الى آبدبنا من نتاج كافة الأقطار العربية ، بأن لغتنا الفصحى في سبيل نهضة مباركة ، وإن كانت لا تزال على شيء من الركود في بعض هذه الأقطار ، لافتقارها الى المزيد من وسائل النهوض والارتقاء .

يد أن المتعلمين والذين يحسنون استعمال الفصحى في الكتابة والخطابة ، لا يزال عددهم قليلاً ، وهم يختلفون في القطر الواحد عنهم في القطر الآخر ، قلة وكثرة ، ونحن نريد أن تكون هناك لغة عربية صحيحة فصيحة ، بعم استعمالها الخاص والعام ، تنقنها الأم في بيتها وبأخذها عنها طفلها ، فينشأ عارفاً لبعض أصول لغته ، ولا يحتاج عندما يحين له زمن التعليم أن يقضي إلا القليل من الوقت ، ليضبط قواعد هذه اللغة ، التي ينبغي ألا تكون لغبر الاخصائيين من علماء اللغة سوى أداة وحسب ، يتوصل بها الى الثقف والتعلم .

تمتاز العربية بكثرة مفرداتها و مترادفاتها إلى حد ليس له نظير على ما أعلم في لغة أخرى من لغات العالم ، ولذا كان من العسير على المتعلم حتى على كبار علماء اللغة أنفسهم أن يحيطوا بكل هذه الكثرة ، وكان من الضروري أن يقتصر في الاستعمال على ما فضل غيره وأبقاء الزمن في متناولنا ، وإذا ما صادفنا من هذه المفردات شيء غير مألوف في ما ورثناه عن أسلافنا في شعرهم ونثرهم ، رجعنا الى المعاجم المطولة لتحقيقه .

فكان لازماً والحالة هذه ، على هيئة عامة كجامعة الدول العربية أن تُعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفي فيه بالمفردات التي يحتاج اليها في كافة مرانق الحياة ، وتتشدد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة ، ثم بلجأ في تعميم هذه اللغة العربية الفصيحة العامة ، الى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ، ابتداءً من المدارس البلية التي

يحمل العمال والمشتغلون في النهار على غشيانها ، وفي المدارس الابتدائية التي
بتكفل القائمون عليها بتعليم الأطفال في كتب خاصة ، تقيدهم مؤلفوها بالفاظ
هذه اللغة ، وبتعويدهم هؤلاء الأطفال التحدث بالفصحى المقترح فضلاً عن القراءة .
ويجب في ما يلجأ اليه الى نشرات دورية خاصة ، يعمم نشرها في كافة
الأقطار العربية ، والى دور الإذاعة والى غيرها من الوسائل التي تتكفل بتعميم
هذه اللغة العتيقة ، وهذا التعميم يحتاج الى بعض الزمن حتى يكون بحيث
ترضى عنه النفس ، ولكنه على كل حال مضمون حتماً ، إذا ضمنت له الإرادة ،
وحشدت له الجهود ، وتجاوز هم المعنيين بهذا الأمر من الاقتراح والتمني الى
العمل المجدي ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ماذا ننشر من المخطوطات القديمة وكيف ننشر ؟

للدكتور صلاح الدين المنجد

(١)

سبقنا العلماء المستشرقون في أوروبا الى نشر تراثنا العربي ، على أسلوب علمي ، بأكثر من قرن كامل ، وقد اختاروا في نشرهم على الغالب الأصول التي لا بد منها لعرفان الثقافة العربية في وجوها مختلفة : من لغة وأدب وتاريخ وجغرافية وطب وفلسفة وفلك وغير ذلك . وكانوا يهدفون من نشرهم الى كشف ماضي الشرق الإسلامي إبان عظمته وأيام انحطاطه ، عن طريق ما تركه علماؤه وأدباؤه وفلاسفته وشعراؤه ، من آثار علمية وأدبية وفكرية . فكان ما نشره أصولاً قيمة ما تزال نحس ، حتى يومنا هذا ، بفائدتها وشأنها ، إنهم لم ينشروا جميع الأصول ولا كل المصادر ، فالتراث العربي أوسع من أن يكفي لنشر عيونه قرن ، ولكنهم اختاروا فكان هناك حسن اختيار .

فطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ اليعقوبي ، والمكتبة الجغرافية كلها ، ومعجم البلدان ، ورحلة ابن جبير ، وتراجم علماء الأندلس ، وحماسة أبي تمام ، والكامل للمبرد ، ودواوين الشعراء الجاهليين ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والمقامات ، وكتيلة ودمنة ، وفهرست ابن النديم . . . هذه الأسماء كلها تدلنا أن اختيارهم كان حسناً ، وإن ما نشر كان ذا شأن ، وكان لا بد من نشره وعرفانه .

ثم أمسكنا نحن بعد زمن طويل بالزمام ، وأخذنا ننشر تراثنا ، وظهرت في السنوات الأخيرة رغبة شديدة في نشر المخطوطات عند العلماء والمبتدئين ،

ووجد الناشر في بعض هذه الكتب القديمة ربحاً ، ولكن هذه الرغبة رافقها بعض الفوضى ، فصرنا ننشر على غير هدى معروف ، ولا نهج مرسوم ، وبلا غاية مقصودة ، وصار المحقق يتبع هوى الناشر فيما يختاره ويحققه ، لأن الناشر يفضل على الأصول المفيدة الفروع الراجحة ، وبوثر ما يقبل عليه العامة ومتوسطو القراء على ما تحتاجه المكتبة العربية . ومن هنا اضطرب الأمر في الاختيار ، فنحن نجد الآن الكتاب الجيد الى جانب كتاب لا شأن له ، ونلاحظ فقدان الوحدة فيما يختارونه في الموضوع ، أو في المستوى . صحيح ان التراث العربي ينبغي إخراج كلة ، وينبغي وجدانه كلة ، ولكن الأصل يقدم على الفرع ، والأهم على المهم . وما تزال نجد - حتى فيما نشر منذ قرن ونصف قرن - أصولاً كثيرة نحن بحاجة اليها ، وهي تسد ثغرات في مجموع ما نشر الى اليوم . فلا بد والحال هذه أن نخط خطة ، يستهدي بها الناشر والمحققون . إن تراثنا العربي واسع جداً ، وصعته هذه تضطرنا إلى اختيار أحاسنه ، فلا بد لنا إذن من البدء بنشر الأصول والمصادر التي تعد دعائم التراث العربي ، ما سبق نشره منها ونقد ، وما لم ينشر بعد . فنحن بحاجة الى هذه الأصول العامة ، محققة تحقيقاً علمياً . ومعروف أن الناشرين لا يقدمون إلا على الكتب الصغيرة ، أما المعاجم الكبيرة والتوالييف ذات الأجزاء الكثيرة ، التي تتطلب الجهد الوافر والمال الواسع ، فهي مما لا يقدم الناشر على ، وإذا أقدموا أهملوا التحقيق العلمي الصحيح ، واتخذوا هذه الكتب وسيلة للربح .

والى جانب هذه المصادر والأصول العامة ، هناك كتب خاصة بقطر من الأقطار أو بلد من البلدان ، ولا تتم دراسة هذا القطر أو البلد إلا بمعرفة ، ومثل هذه الكتب لا يقبل عليها على الأغلب الناشر ، فقد لا يكتب لها الرواج إلا في قطرها ، وقد يكون عدم رواجها سبباً في عدم نشرها ، ونحن

بحاجة الى هذه الكتب الخاصة بالأقطار ، كحاجتنا الى تلك الأصول والمصادر العامة .
 وإذا كان العلماء المتمكنون يعرفون حسان الكتب ، وكان المختصون يعرفون
 ما يتعلق بكل قطر وبلد ، فقد أصبح من حق الناس عليهم أن يبينوا لهم هذه
 الكتب الحسان ، والكتب التي ينبغي أن ننشر عن كل بلد .
 لهذه الأسباب كلها ، رأيت أن أتقدم الى مؤتمر الموقر مقترحاً بعض الأمور ،
 لتكون خطة يعمل بها العاملون على النشر ، من هيئات رسمية أو أفراد أو ناشرين ،
 للتفضل بمناقشتها وإقرار ما ترون :

(١) أن يعاد طبع جميع الكتب التي طبعها المستشرقون في أوروبا بلا استثناء ،
 طبعاً علياً محققاً ، لفقدانها وحاجة الناس اليها .

(٢) أن تنفرد المؤسسات العلمية (كالجوامع والجامعات ودور الكتب وجامعة
 الدول العربية) ، بنشر المعاجم وما في بابها والكتب الكبيرة ذات المجلدات
 الكثيرة ، لأنها أقدر بوسائلها المادية والعلمية على التحقيق ، وبذلك تضمن سلامتها
 ونقذها من الناشرين الذين يستهملون الخطأ أمام الربح .

(٣) أن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر مع علماء ذلك القطر على نشر
 النصوص المتعلقة بقطرهم ، لأنهم أدري بها وأجدر بتحقيقها ، ولقد ضرب بجمع
 دمشق مثلاً طيباً في إقدامه على نشر النصوص المتعلقة بدمشق ، سواء في الأدب
 أو التاريخ ، وقد نشر منها عدداً ما يزال يزيد ، وكما هناك من تواليف خست
 بمصر وخست بالعراق وخست بنهرها لا يعني بها ؟ ! ! فهذا التخصص يضمن جودة
 التحقيق ، وهذا التضافر يساعد على إخراج جميع النصوص المتعلقة بجميع
 البلاد العربية .

(٤) أن يصدر كل مجمع بمعاونة العلماء ، قائمة بالكتب الجيدة التي تستحق
 النشر ، ليستعين بها الناشرون والمستغلون .

(٢)

وثمة أمر آخر لا يقل خطراً عن الفوضى في اختيار ما ينشر ، هو الاضطراب في طرق نشر النصوص ، فقد ذكرنا أن النشر أصبح مرغوباً فيه ، فأقبل عليه العلماء والمبتدئون والورثاقون أنفسهم ، فظهر في نتائجهم فقدان طريقة موحدة يتبعها المحققون جميعاً في نشرهم النصوص .^١

خذوا ما شئتم من النصوص التي نشرت أخيراً ، فستجدون أن كلاً منها قد نشر على نهج ، فمن المحققين من يقلد المستشرقين ، ومنهم من يزور عن طرائقهم ، ومنهم من 'يعنى' بجمع النسخ المخطوطة قبل النشر ، ومنهم من يهملها ، ومنهم من يقدم النسخة المتأخرة ويعتمد عليها ، ويهمل المقدمة ولا يرجع إليها أو يحاول معرفتها ، ثم إن منهم من يفرط في الشرح حتى يكون أوسع من المتن ، ومنهم من يقتصد فيه أو يقتنع بذكر اختلاف الروايات ، وإنك لتجدهم يختلفون أيضاً في الأقواس ومدلولها ، والرموز وأشكالها .

ثم قايسوا إن شئتم مطبوعات المؤسسات العلمية بعضها ببعض ، وسترون أن ما نشرته دار الكتب المصرية يختلف في نهجه عما نشرته الجامعة المصرية ، وما نشره اليسوعيون في بيروت يختلف عما نشرته الجامعة العثمانية بجيدراآباد ، بل إنكم لتجدون في مطبوعات مؤسسة واحدة اختلافاً في نهج النشر الذي اتبع في كتاب وكتاب آخر . أما سلاسل الناشرين فالاختلاف في النهج أمر ظاهر ، فكل كتاب أخرج في سلسلة ذخائر العرب ، يختلف عن أخيه طريقة ونهجاً . أمام هذه الفوضى في طرق النشر ، لا بد من اتباع نهج واحد يتفق عليه ، حفاظاً على سلامة تراثنا الثقافي .

إن نشر النصوص على النهج العلمي أمر سبقنا إليه المستشرقون ، وهم عندما نشروا نصوصاً ذكروا الطريقة التي اتبعوها ، كما فعل دغويه الهولندي في مقدمة

كتاب الطبري ، وكما فعلت جمعية المستشرقين الألمان عندما نشرت « المكتبة الإسلامية » ، أو جمعية غيوم بوده الفرنسية عندما نشرت بعض ما نشرت ، وهؤلاء جميعاً متفقون في النهج من حيث تقويم النص ومعارضة النسخ ، وقد يختلفون في شكايات لا شأن لها ، ولكنهم جميعاً يتبعون قواعد دقيقة استمدوها من قواعدهم في نشر النصوص اليونانية واللاتينية القديمة .

وقد رأى معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية هذه الفوضى في طرق النشر ، فرأى وضع قواعد عامة يمكن توحيد الطرق بها في البلاد العربية . وإني سعيد أن أقدم هذه القواعد الى مؤتمركم لمناقشتها وإقرارها ^(١) .



(١) وضع الدكتور صلاح الدين المنجد ، مدير معهد المخطوطات ، رسالة عنوانها « قواعد تحقيق النصوص » ، جمع فيها القواعد التي يشير إليها في كلمته هذه . وقد نشر هذه الرسالة في « مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية » ، المجلد ١ الجزء ٢ نوفمبر ١٩٥٥ ، وفي فصلة مستقلة منها ، فاجتزأنا بذلك عن إعادة نشرها هنا .

اقتراحات اللجنة المصرية

لتيسير النحو والصرف

كانت وزارة المعارف المصرية قد ألفت لجنة أناطت بها البعني لتيسير تعليم النحو والصرف^(١) . وقد قدمت اقتراحات عرضت على مجمع اللغة العربية في مصر ، كما عرضت على مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية ، وهذا نصها :

باب الاعراب

تري اللجنة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديري والاعراب المحلي ، فان مثل (الفتى) يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر ، ومثل (القاضي) تقدر فيه حركتا الرفع والجرح ، ويقال منع من ظهورهما الثقل ، ومثل (غلامي) تقدر فيه الحركات الثلاث ويقال منع من ظهورها حركة المناسبة ، وفي تقدير الحركات وفي الإشارة الى سبب التقدير ، مشقة يكلفها التلميذ من غير فائده يجهلها في ضبط كلمة أو في تصحيح إعراب . كذلك الاعراب المحلي ، فمثل (هذا هدى) ، (هذا) مبني على السكون في محل رفع ، ومثل (يا هذا) (هذا) مبني على ضم مقدر ، منع منه سكون البناء الأصلي في محل نصب ، وكذلك (يا سيدي) مبني على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلي في محل نصب ، وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء . واللجنة تري أن يستغنى عن الاعراب التقديري وعن الاعراب المحلي في المفردات وفي الجمل ، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء .

(١) في الصفحة ١٢٥ من هذا العدد من المجلة إشارة الى تأليف هذه اللجنة وأعمالها ، في مقال الأستاذ ابراهيم مصطفى في « تفسير قواعد اللغة العربية » . وقد نشرت « مجلة مجمع اللغة العربية - مجمع فؤاد الأول سابقاً » في الجزء السادس ، سنة ١٩٥١ ، ص ١٨٠ وما يتلوها ، فصلاً مطولاً في شأن هذه المقترحات ورأي المجمع فيها .

العلامات الأصلية للإعراب والعلامات الفرعية

جعلت بعض علامات الإعراب أصلية وبعضها فرعية ، فتنبؤ الحروف عن الحركات ، وتنبؤ الحركة عن الحركات في أبواب معدودة معروفة ، ويعرب (الزيدان) مرفوعاً بالالف نيابة عن الضمة ، و (مسلمات) منصوباً بالكسرة نيابة عن الفتحة .

ولا ترى اللجنة هذا التمييز ولا تلك النيابة ، بل تجمل كلاً في موضعه أصلاً ، وتقسم الاسم المعرب الى الأقسام الآتية :

- ١ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث ، وهو أكثر الأسماء .
 - ٢ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث مع مدها ، وهو الأسماء الخمسة .
 - ٣ — اسم تظهر فيه حركتان ضم وفتح ، وهو المنوع من التنوين .
 - ٤ — اسم تظهر فيه الحركتان ضم وكسر ، وهو الجمع بالالف والتاء .
 - ٥ — اسم تظهر فيه حركة واحدة هي الفتح ، وهو ما آخره ياء لينية (المنقوص) .
 - ٦ — اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون ، وهو المثني .
 - ٧ — اسم تظهر فيه واو ونون أو ياء ونون ، وهو المجموع بها .
- ويستغنى بهذا عن الإعراب التقديرى ، وعن القول بنيابة علامة عن أخرى .

ألقاب الإعراب والبناء

- جعل النحاة لحركات الإعراب ألقاباً ، ولحركات البناء ألقاباً .
- فحركات الإعراب : الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .
- وحركات البناء : الفهم ، والفتح ، والكسر ، والسكون .
- وعلى هذا (فمحمد) مرفوع و (قبل) مضموم ، و (محمداً) منصوب و (الآن) مفتوح .

وهذه التفرقة دعيت اليها الدقة، بل الإفراط في الدقة، والسخاء في الاصطلاحات، ومن النحويين من لم يلتزم هذه التفرقة واستعمل ألقاب نوع في غيره .
وترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب وفي البناء ،
وأن يكتفى بألقاب البناء .

الجملة

تتألف الجملة من جزأين أساسيين ومن تكملة تذكر حين يحتاج اليها ، وقد يستغنى عنها تبعاً لغرض التكلم ولما يريد أن يعرب عنه . وعلى هذا التقسيم رقت اللجنة أبواب النحو :

تسمية الجزأين الأساسيين

كان أمام اللجنة أن تسميها بالأسماء الآتية :
أولاً — مسند اليه ومسند ، كما اصطلح علماء البلاغة وكما عبر بعض علماء النحو قديماً منذ سيبويه .
ثانياً — الموضوع والمحمول ، كما اصطلح علماء المنطق .
ثالثاً — الأساس والبناء .
رابعاً — المحدث عنه والحديث .
والأخير ان اصطلاح جديد قد يكون أوضح في معناه .
وقد عرضت اللجنة هذه الأسماء ، ثم فضلت اصطلاح المناطقة وهو : الموضوع والمحمول ، لأنه أوجز ولأنه لا يكتفينا اصطلاحاً جديداً .

أحكام إعرابها

الموضوع هو المحدث عنه في الجملة ، وهو مضموم دائماً إلا أن يقع بعد أن أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث وهو الركن الثاني من ركني الجملة :
أ — ويكون اسماً فيضم ، إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها فيفتح .

- ب — ويكون ظرفاً فيفتح .
ج — ويكون فعلاً ، أو مع حرف من حروف الإضافة ، أو جملة ، وبكتفي في إعرابه بيان أنه محمول .

الترتيب بين الموضوع والمحمول

الجملة العربية مرنة في الترتيب طيمة ، فلا تلزم أحد الركنين موضعاً واحداً ، وقد ساعدتها تلك المرونة على أداء معان خاصة دقيقة ، وإنما يغلب أن يتأخر الموضوع فيما يأتي :

- أ — إذا كان المحمول فعلاً .
ب — إذا كان الموضوع نكرة .

المطابقة بين الموضوع والمحمول

أولاً — في النوع ، إذا كان الموضوع مؤنثاً كان في المحمول علامة التأنيث .
ثانياً — في العدد ، إذا كان المحمول متأخراً لحقته علامة العدد التي توافق الموضوع ، وإذا كان متقدماً لم تلحقه ، فيقال : الرجال قاموا ، وقام الرجال .
وعامة العدد التي تلحق الفعل هي في الجمع الواو للذكور والنون للإناث ، وفي المثني الألف لهما ، وفي المفرد التاء للواحدة ، وتأخذ اللجنة في ذلك برأي الأسماء المازني القائل : إنها علامات لاضمائر .

وبهذا النحو من تقسيم الجملة الى موضوع ومحمول ، واعتبار إشارات العدد علامات لاضمائر ، يسرت اللجنة الإعراب وقللت الاصطلاحات ، وجمعت أبواب الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم ان في باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ وخبر كان وخبر ان في باب واحد هو المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين برد باب ظن الى الفعل المتعدي .

متعلق الظرف وحروف الإضافة

يقسم النحاة هذا المتعلق الى قسمين : الأول : متعلق عام ، كمتعلق (زيد عندك أو في الدار) ويقدرونه (كائن أو استقر) وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبراً .
الثاني : متعلق خاص ، ولا يفهم الكلام إذا حذف مثل : (أنا واثق بك) ، والخبر هو المتعلق ، والظرف فضلة .

وترى اللجنة أن المتعلق العام لا يقدر ، وأن المحمول في مثل (زيد عندك أو في الدار) هو الظرف ، أما النوع الثاني فهو كما قرر النحاة المتعلق هو المحمول والظرف تكملة ، ويجبي إعرابها فيما بعد .

الضمير

من أصول اللجنة أن تلغي الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً ، فمثل (زيد قام) الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، وليس بجمله كما بعده النحاة ، وهو كمثل (قام زيد) ، ومثل (الرجال قاموا) الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ، ولا يعتبر جملة .

ومثل (أقوم) و (تقوم) مما يقدر فيه الضمير مستتراً وجوباً ، الفعل محمول والمهزة أو النون إشارة الى الموضوع أغنت عنه وكفى ذلك في إعرابه .
الضمير المتصل البارز : منه الدال على العدد ، وقد اعتبر إشارة لا ضميراً واتبع فيه مذهب المازني ، وغير الدال على العدد مثل (قمتُ) أو (قمت) أو (قمتن) ، الضمير موضوع والفعل قبله محمول ، وإذا ذكر مع المتصل ضمير منفصل فهو تقوية له ، مثل (قمت أنا) و (أنا قمت) .

التكملة

كل ما يذكر في الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً ، إلا إذا كانت مضاعفاً اليها أو مسبوقه بحرف إضافة .

أغراض التكملة

وتجبيء التكملة لبيان الزمان أو المكان ، وليان العنة ولتأ كيد الفعل أو بيان نوعه ، ولييان المفعول أو لبيان الحالة أو النوع .
وبذلك جمعنا كثيراً من الأبواب كالمناعيل والحال والتمييز تحت اسم واحد وهو التكملة ، دون أن نضيع غرضاً .

الأساليب

في العربية أنواع من العبارات ، تعب النحاة كثيراً في إعرابها وفي تخريجها على قواعدهم ، مثل التعجب فله صيغتان هما : (ما أجمل زيداً) و (أجلّ يزيد) ، ومعلوم خلاف النحاة في إعرابها ، وعناء المعلمين والمتعلمين في شرحها وفهمها . وقد رأت اللجنة أن تدرس هذه على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها . أما إعرابها فسهل : (ما أحسن) صيغة تعجب ، والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح ، و (أحسن) صيغة تعجب أيضاً والاسم بعدها مكسور مع حرف الإضافة . ومثل هذا ، التحذير والإغراء كما في (النار) أو (إياك والنار) أو (النار النار) ، هو أسلوب والاسم فيه مفتوح ، والاسمان مفتوحان أيضاً ، وإنما توجه العناية في درس هذه الأساليب إلى طرق الاستعمال ، لا بتحليل الصيغ وفلسفة تخريجها ، وقد جمعت أمثال تلك العبارات لتدرس على هذا الوجه .

في الصرف

أشارت اللجنة من قبل إلى ما ترى في علم الصرف ، وأن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التي لا يحتاجها البادئ ، بل لا يصل إليها فهمه ، كالأعلال والإبدال والقلب وتنقل الكلمة في موازين مختلفة حتى تصل إلى هيأتها في النطق . فأروا في مثل (قال) أنه محمول من (قَوْل) ، و (خاف) من (خَوْف) ، و (يقول) من (يَقُول) ، و (بيع) من (يَبْتِيع) ، ونحو (مَرَمِي) من (مَرْمُوي) .

وأمثلة هذا كثيرة غالبية على علم الصرف ، وليس للبادئ بها حاجة ، وإنما يحتاجها من يروم التفقه في تصريف اللغة وتكوينها ، وقد رأت اللجنة أن تخفف عن التلميذ عناء هذا كله ، ويؤخر درسه الى محله في معاهد المتخصصة للغة وفقها وتاريخها ، واقتصرت على الأبواب العربية من تصريف الفعل وصوغ مشتقاته وثنية الاسم وجمعه ، على أن يعلم التلميذ الصيغ المختارة بالأمثلة الكثيرة ، وألا يكلف معرفة شيء مما يراه الصرفيون في أصول الكلمات وتقلبها في الهيئات المختلفة .

ونسرد فيما بعد أبواب النحو والصرف مجملة ، كما رأت اللجنة درسها تحقيقاً لما أريد من التبسيط .

أبواب النحو والصرف

أحكام الكلمة

تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف :

الاسم

تقسيمه الى مذكر ومؤنث وعلامات التأنيث .

تقسيمه الى ما آخره حرف صحيح وما آخره حرف لين (ألف وياء) .

تقسيمه الى مفرد ومثنى وجمع ، طريق التثنية ، ما آخره ألف تقلب ياء دائماً إلا في كلمات لا تتجاوز العشرين ، المشهور منها : الجدا ، الحجا ، الحفا ، الخنا ، الرضا ، العصا ، الصبا ، الفرا ، القفا .

وما آخره همزة قبلها ألف كبناء تبقى همزته ، إلا اذا كانت للتأنيث فتقلب واوا .
طريقة جمع الاسم بالألف والتاء ، وبالواو والنون ، أو الياء والنون ،
أمثلة من جمع التكسير .

- تقسيم الاسم الى منكر ومعرف ، أنواع المعارف .
- الاسم المصغر (الثلاثي والرباعي فقط) .
- المنسوب اليه (أكثر أحكام النسب دورانا في الكلام) .
- المعرب والمبني ، أنواع الإعراب (كما تقدم بيانها) .
- المبنيات ، أسماء الإشارة والموصول والاستفهام والشرط .

الفعل

- تقسيمه الى ماض ومضارع وأمر ، تمرين في تصريف الأفعال ، إشارة الى الأفعال القليلة التي لا تصرف ، المجرد والمزيد (الحرف المزيد والحرف الأصلي) .
- تقسيم الأفعال الى صحيح ومعتل (تذكر أمثلة تبين أنواع المعتل ، ولا تذكر الأسماء الاصطلاحية لكل نوع) .
- تمرين في اتصال الفعل على اختلاف أنواعه بالضمير .
- المبني للمجهول ومعناه وطريق صوغه .
- الناقص والتام واللازم والمتعدي .
- المبني والمعرب ، اعراب المضارع .

المشتقات

- اسم الفاعل : صوغه واستعماله (قد يجيء على غير الأمثلة القياسية ليبدل على المبالغة أو الصفة الثابتة ، وبهذا تدمج الصفة المشبهة وصيغة المبالغة في باب اسم الفاعل) .

- اسم المفعول (أمثله وطرق استعماله) ، اسم الزمان والمكان والآلة .

المصدر

- أمثلة للمصدر الثلاثي ، أمثلة المصادر لغير الثلاثي ، طرق استعمال المصدر .

أحكام الجملة

- المحمول والموضوع ، إعرابهما ، الترتيب بينهما ، المطابقة بينهما .
- الموضوع ظاهراً وضميراً بارزاً .
- المحمول اسم وفعل وظرف وجملة .
- تكملة الجملة ، إعرابها ، أغراضها .
- تكملة المفرد ، التوابع .
- أحكام العدد .

الأساليب

- الاستفهام بالنفي ، التوكيد ، القسم ، التعجب ، التفضيل ، نعم وبئس ،
- النداء ، الاستثناء ، التخصيص ، التحذير والإغراء .

الجملة

- الشرط وجوابه ، أدوات الشرط ومعانيها واستعمالها مع السكون وبدونه .
- القسم وجوابه ، تأكيد الفعل بالنون .

الجملة الفرعية

- قد تكون محمولاً ، تكملة ، نعتاً ، صلة .
- (ويجب أن يفرق هنا بين الجملة والفعل وحده ، لأنه قد عد من المفرد) .

توصيات المؤتمر الأول

للمجامع اللغوية العلمية العربية^(١)

نُظمت هنا الصيغة النهائية للتوصيات التي أقرها المؤتمر في جلسته المنعقدة مساء
الخميس من شهر تشرين الأول ١٩٥٦ :

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ أيلول (سبتمبر)
الى ٤ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٦ م ، أنه حين تنادت المجامع
اللغوية العلمية لعقد هذا المؤتمر ، كانت ترمي الى تحقيق نهضة لغوية شاملة ،
تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الإنسانية العالمية في تطورها ،
في مختلف جوانب الحياة . وكان لابد لذلك من تفاهم تام بين المجامع اللغوية
العلمية ، في شئون اللغة ، ورسم مناهج العمل ، في هذا الشأن الخطير ،
حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى ، التي وصفت الشرائع والعلوم والحضارات
القديمة ، وتجاري في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه ، ورأى فيها ما يلي :

أولاً — تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية :

أ — يومي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ، ينظم الاتصال

بين المجامع العربية وينسق أعمالها .

(١) أقر هذه التوصيات مجلس جامعة الدول العربية ، في الجلسة الخامسة من دور انعقاده
العادي السادس والعشرين في ٢٥/١٠/١٩٥٦ ، ووافق على اعتماد مبلغ ألف جنيه
في ميزانية الإدارة الثقافية لعام ١٩٥٧ ، لتفقات الاجتماع الأول لاتحاد المجامع
اللغوية العلمية . وستقوم الإدارة الثقافية بالاتصالات اللازمة مع المجامع الثلاثة لتحديد
مكان الاجتماع وزمانه .

ب - يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع ، تختارهم الجامعات ، لمدة ثلاث سنوات ، قابلة للتجديد ، ويضاف اليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ، ليس فيها مجمع ، نعيه حكومته ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الاتحاد .

ج - تدعو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد الى الاجتماع في أوقات دورية ، وتقوم بدفع نفقات أعضائه وإقامتهم واجتماعاتهم .

د - يضع الاتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي ، ويعرضه على الجامعات اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة .

هـ - ينظم الاتحاد الصلات بين الجامعات العربية ووزارات المعارف والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

ثانياً - وسائل ترقية اللغة العربية :

(١) أ - يرى المؤتمر أن تلزم وزارات المعارف أساتذة المدارس على تنوع اختصاصهم ، إلقاء الدروس باللغة العربية الفصحى ، في مراحل التعليم كله ، وفي معاهد المعلمين خاصة ،

ب - وأن تلتزم الإذاعات العربية اللغة الصحيحة ، فيما تذيع من أحاديث ، وفي معظم التمثيليات والأغاني ،

ج - وأن تكون الترجمات للروايات السبئية باللغة الصحيحة ،

د - وأن يكثر من استعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية ،

هـ - وأن يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الابتدائية ،

حتى يعتاد الطلاب سماع اللفظ الصحيح وقراءته ، ويخفف منه

في مرحلة التدريس الثانوي حتى يقتصر فيه على ضبط ما يشكل .

(٢) نظر المؤتمر في مقترحات نيسير النور التي أعدتها وزارة التربية

والتعليم في مصر ، فوجد بعد دراستها أنها تحتاج الى زيادة في

البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر .

- (٣) أ - بقرر المؤتمر أن تقرب العامية من الفصحى ،
 ب - يعنى كل مجمع يجمع الألفاظ الدالة على الأشياء والمعاني الجارية بين الناس ، فإذا كان اللفظ العامي عربي الأصل - وقد حرف أو صحف - صحيح واستعمل ، وإذا لم يكن عربي الأصل ، نظر في لفظ غيره أو أقر استعماله . ثم تتخذ الوسائل لنشر ما أقر وإذاعته .
- (٤) يومي المؤتمر بأن تتعاون الجامعات على إعداد جزازات لمفردات اللغة : قديمها ومستحدثها ، مضافاً الى ذلك ما تتفق عليه الجامعات الثلاثة من المصطلحات العصرية ، تمهيداً لتأليف معجم واسع شامل .

ثالثاً - التأليف والترجمة :

- (١) يومي المؤتمر ، لتشجيع التأليف وحمايته :
 أ - أن تمنح الجامعات المؤلفين جوائز أو أن تنوّه بتواليغهم ،
 ب - وأن تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة ، وتجهز أحسن المتبارين ،
 ج - ويوصى أن تهتم وزارات المعارف بالبلاد العربية ، باتخاذ الوسائل التي تضمن ملكية التأليف بين البلاد العربية ،
 د - يطلب المؤتمر الى الحكومات العربية ، إزالة الموانع والقيود التي تحول دون انتشار الكتب ، واعتبار البلاد العربية وحدة ثقافية ، وإلغاء المكوس والضرائب التي تفرض على المطبوعات .
 هـ - وأن تصدر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية .
- (٢) وفي الترجمة يومي المؤتمر :
 أ - بأن تعمل الجامعات على ترجمة الروائع ذات القيمة الأدبية أو العلمية من اللغات الأجنبية ، وأن تضع قوائم بأهميات الكتب الجديدة بالترجمة .

ب — وأن تصدر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، نشرة دورية تبين فيها ما ترجم أو ما أخذ في ترجمته أو ما تقررت ترجمته الى اللغة العربية ،

ج — وأن تنوّه الجامعات بأحسن الكتب المترجمة ، أو تضع جوائز لها .

رابعاً — المصطلحات العلمية :

أ — يوصي المؤتمر بتعاون الجامعات والجامعات وسائر المؤسسات العلمية على وضع المصطلحات أو تحقيقها .

ب — يرى المؤتمر أن يكون اتحاد الجامعات المرجع الذي يوحد المصطلحات التي تضعها الجامعات والمؤسسات العلمية والعلماء .

ج — ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب ، وقياسية بعض الأوزان والجموع ، في كتاب تطبعه الجامعة العربية ، ليكون دستوراً للجامع فيما تضع أو تحقق من مصطلحات .

د — يوصي المؤتمر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بأن تكلّم ما قامت به من جمع المصطلحات العلمية ، في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية ، وأن تطبعها في كتاب ، بعد أن يقرها اتحاد الجامعات .

هـ — يوصي المؤتمر بوضع معجم انكليزي فرنسي عربي شامل ، للمهم من المصطلحات العربية والعربية ، على أن تعرف الألفاظ فيه بالعربية تعريفاً موجزاً ، وتقوم الأمانة العامة بالتعاون مع اتحاد الجامعات لإخراج هذا المعجم ،

و — يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لتكون اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات .

خامساً - تحقيق المخطوطات ونشرها :

- أ - يوصي المؤتمر بأن تتخذ الحكومات العربية ، التدابير الوقائية الفنية ، لحفظ المخطوطات من التلف والضياع ، وأن تصور مخطوطات كل مكتبة ، وتزود كل مكتبة بآلات تصوير المخطوطات وقراءتها .
- ب - يوصي المؤتمر بأن يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون ، طبعا علميا ، على أن تعارض على نسخ مخطوطة أخرى إذا أمكن ، ويوصي بالكمال السلسلات التي بدأها المستشرقون ، كالمكتبة الجغرافية وغيرها .

- ج - يوصي المؤتمر بأن تعنى الجامعات ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها ، والكتب الكبيرة ، وأن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة به .
- د - يوصي المؤتمر بأن ينسق العمل بين الجامعات ومعهد المخطوطات على الوجه الآتي :

- (١) التقرب بين طرائق نشر المخطوطات في البلاد العربية ،
- (٢) يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية بأسماء الكتب التي صورها الى الجامعات ،
- (٣) تتبادل الجامعات ومعهد المخطوطات قوائم بأسماء ما يحقق من المخطوطات ، أو ما هو تحت الطبع ،
- (٤) يوصي المؤتمر أن تشجع الجامعات ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة ، بطبع ما نراه جديراً بالنشر ، وبمكافأة المجيدين من المحققين .

آراء وأنباء

تسمية نائب رئيس المجمع وأمين سره

كان المجمع العلمي العربي قد عقد في الرابع من شهر تموز سنة ١٩٥٦ ، جلسة انتخاب فيها اثنين من أعضائه العاملين ، ليكون أحدهما الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وليكون ثانيهما الأستاذ الأمير جعفر الحسيني أمين سر عاماً للمجمع .

وقد أقر فخامة رئيس الجمهورية السورية هذا الانتخاب ، فصدر مرسوم رقم ٢٩٣٩ وتاريخه ١٦/٩/١٩٥٦ بتعيين نائب الرئيس ، ومرسوم آخر رقم ٢٧٠١ وتاريخه ٢٥/٨/١٩٥٦ بتعيين أمين السر العام .

وقد اضطلع الأستاذان الأميران بمهامهما الجديدة ، منذ صدور المرسومين الموماً إليهما .

— ٢٢٢ —

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢	الدكتور اسعد الحكيم	٩	الأستاذ عارف النكدي
٣	الأستاذ جعفر الحسني (أمين السر العام)	١٠	عز الدين التنوخي
٤	الدكتور جميل صليبا	١١	فارس الخوري
٥	حسني صبيح	١٢	الشيخ محمد بهجة البينطار
٦	حكمة هاشم	١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٧	سامي الدمان	١٤	مرشد خاطر
٨	الأستاذ شفيق جبوري	١٥	الأستاذ مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)

١٦ - الدكتور منير العجلاني

أعضاء المراسلون

١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي سورية	١٢	الأستاذ مارون عبود لبنان
٢	الأستاذ عمر ابوريشة	١٣	الدكتور تقولا فياض
٣	البطريك مار اغناطيوس افرام	١٤	الأب اس. م. مرجي الدومنيكي فلسطين
٤	الأستاذ محمد سليمان الأحمد	١٥	الأستاذ عادل زعيتر
٥	الدكتور قسطنطين زريق	١٦	قصري حافظ طوقان
٦	الأستاذ أنيس المقدمي لبنان	١٧	محمد الشريفي
٧	بشارة الخوري	١٨	أحمد حامد الصراف العراق
٨	الشيخ سليمان ظاهر	١٩	الدكتور داود الجلي
٩	الدكتور صبيح المحمصاني	٢٠	الأستاذ ساطع الحصري
١٠	عمر فروخ	٢١	طه الهاشمي
١١	الشيخ فؤاد الخطيب	٢٢	عباس العزاوي

٤٧	الاستاذ علي أصغر فيضي	الهند
٤٨	عبد العزيز الميني	باكستان
٤٩	يوسف البنوري	الهند
٥٠	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٥١	الاستاذ دوسو (ربنه)	الهند
٥٢	كولان (جورج)	الهند
٥٣	لاوست (هنري)	الهند
٥٤	ماسه (هنري)	الهند
٥٥	ماسينون (لويس)	الهند
٥٦	أريزي (أ. ج. ٠)	بريطانية
٥٧	جيب (٠. ١. ٠. ٥)	الهند
٥٨	غليوم (الفرد)	الهند
٥٩	ريتر (هلموت)	ألمانية
٦٠	هارتمان (ريشارد)	الهند
٦١	ديدرنغ (س. ٠)	السويد
٦٢	الدكتور ضودج (بيارد)	الولايات المتحدة
٦٣	الاستاذ فيليب حتي	الهند
٦٤	برتل (ايفكين)	الاتحاد السوفياتي
٦٥	غومز (امينيو غارميا)	اسبانية
٦٦	الدكتور اشتولز (كارل)	ألمانية
٦٧	الاستاذ موجيك (هاتز)	الهند
٦٨	ماهلر (ادوارد)	المجر
٦٩	جبراييل (فرنسيسكو)	إيطالية
٧٠	الدكتور شخت (يوسف)	هولندية
٧١	الاستاذ بدرسن (جون)	ألمانية
٧٢	الاستاذ كريسكو (يوحنا اهنن)	فنلندية
٢٣	الشيخ كاظم الدجيلي	العراق
٢٤	الاستاذ كوركيس عواد	العراق
٢٥	الشيخ محمد بهجة الاثري	العراق
٢٦	محمد رضا الشبيبي	العراق
٢٧	الدكتور مصطفى جواد	العراق
٢٨	الاستاذ احمد حسن الزيات	مصر
٢٩	الدكتور احمد زكي	مصر
٣٠	الاستاذ احمد لطفي السيد	مصر
٣١	خليل ثابت	مصر
٣٢	الدكتور طه حسين	مصر
٣٣	الاستاذ عباس محمود العقاد	مصر
٣٤	الدكتور عبد الوهاب عزام	مصر
٣٥	الشيخ محمد الخضر حسين	مصر
٣٦	الأمير يوسف كمال	مصر
٣٧	الأستاذ حمد الجاسر	المملكة العربية السعودية
٣٨	خير الدين الزركلي	مصر
٣٩	حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٤٠	محمد الطاهر بن عاشور	تونس
٤١	محمد البشير الابراهيمي	الجزائر
٤٢	عبد الحلي الكتاني	مراكش
٤٣	عبد الله كنون	مراكش
٤٤	علال الفاسي	مراكش
٤٥	محمد الحجوي	مراكش
٤٦	احمد اتش	تركية

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

٢٤	الشيخ راغب الطباخ	سورية	١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢٥	عبد الحميد الجابري	سورية	٢	مسليم البخاري	سورية
٢٦	عبد الحميد الكيالي	سورية	٣	مسعود الكواكبي	سورية
٢٧	محمد زين العابدين	سورية	٤	الاستاذ الياس قدسي	سورية
٢٨	الدكتور صالح قنبار	سورية	٥	أنيس سلوم	سورية
٢٩	الشيخ سليمان الأحمد	سورية	٦	جميل العظم	سورية
٣٠	الاستاذ ادوار مرقص	سورية	٧	مسليم عنخوري	سورية
٣١	الشيخ سعيد العرفي	سورية	٨	عبد الله رعد	سورية
٣٢	الاستاذ حسن بيهم	لبنان	٩	رشيد بقدونس	سورية
٣٣	الأب لويس شينو	لبنان	١٠	اديب التقي	سورية
٣٤	الشيخ عبد الله البستاني	لبنان	١١	الشيخ عبد القادر المبارك	سورية
٣٥	الاستاذ جبر ضومط	لبنان	١٢	الاستاذ معروف الأرناؤوط	سورية
٣٦	عبد الباسط فتح الله	لبنان	١٣	السيد محسن الأمين	سورية
٣٧	الشيخ عبد الرحمن سلام	لبنان	١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	سورية
٣٨	مصطفى الغلاييني	لبنان	١٥	محمد البزم	سورية
٣٩	الاستاذ عمر الفاخوري	لبنان	١٦	مسليم الجندي	سورية
٤٠	بولص الخولي	لبنان	١٧	الشيخ عبد القادر المغربي	سورية
٤١	امين الريحاني	لبنان	١٨	الأب جرجس شلحت	سورية
٤٢	الامير شكيب ارسلان	لبنان	١٩	جرجس منش	سورية
٤٣	الشيخ ابراهيم المنذر	لبنان	٢٠	الاستاذ قسطنطين الحمصي	سورية
٤٤	الاستاذ جرجي بني	لبنان	٢١	الشيخ كامل الغزي	سورية
٤٥	الشيخ احمد رضا	لبنان	٢٢	الاستاذ ميخائيل الصقال	سورية
٤٦	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	لبنان	٢٣	الشيخ بدر الدين النعساني	سورية

٤٧	الاستاذ فيليب طرازي	لبنان	٧٢	الشيخ عبد العزيز البشري	مصر
٤٨	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين	٧٣	الدكتور احمد عيسى	=
٤٩	الاستاذ نخلة زريق	=	٧٤	الأمير عمر طوسون	=
٥٠	الشيخ خليل الخالدي	=	٧٥	الشيخ مصطفى عبد الرازق	=
٥١	الاستاذ عبد الله مخلص	=	٧٦	الاستاذ انطون الجميل	=
٥٢	محمد اسعاف النشاشيبي	=	٧٧	خليل مطران	=
٥٣	محمود شكري الآلومي	العراق	٧٨	ابراهيم عبد القادر المازني	=
٥٤	جميل صدقي الزهاوي	=	٧٩	محمد لطفي جمعة	=
٥٥	معروف الرصافي	=	٨٠	الدكتور احمد امين	=
٥٦	طاهر الراوي	=	٨١	الاستاذ عبد الحميد العبادي	=
٥٧	الاب انستاس ماري الكرملي	=	٨٢	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٥٨	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر	٨٣	الاستاذ زكي مغامر	تركية
٥٩	رفيق العظم	=	٨٤	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٦٠	احمد كمال	=	٨٥	الاستاذ عباس اقبال	=
٦١	احمد تيمور	=	٨٦	الحكيم محمد اجل خان	الهند
٦٢	احمد زكي باشا	=	٨٧	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
٦٣	الدكتور يعقوب صروف	=	٨٨	هوار (كلينان)	=
٦٤	السيد محمد رشيد رضا	=	٨٩	بوقا (لوسيان)	=
٦٥	الاستاذ حافظ ابراهيم	=	٩٠	مانجو	=
٦٦	احمد شوقي	=	٩١	كي (أ.و)	=
٦٧	الشيخ احمد الاسكندري	=	٩٢	باسه (رينه)	=
٦٨	الاستاذ اسعد خليل داغر	=	٩٣	ميشو بلير	=
٦٩	داود بركات	=	٩٤	مارسيه (وليم)	=
٧٠	الدكتور امين المعلوف	=	٩٥	مرجليوث (د.س.و)	بريطانية
٧١	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	=	٩٦	بنف	=

٩٧ الاستاذ براون (ادوارد) بريطانية	١١٢ الاستاذ جويدي (اغنازيو) ايطالية
٩٨ = كرينكو (فريتز) =	١١٣ = فالينو (كارلو) =
٩٩ = هومل المانية	١١٤ = غريفييني (اوجينييو) =
١٠٠ = ساخاو (ادوارد) =	١١٥ = مونته (ادوارد) سويسرة
١٠١ = هوروفيتز (يوسف) =	١١٦ = هس (ج . ج .) =
١٠٢ = هارتمان (مارتين) =	١١٧ = كوفالسكي (ت .) بولونية
١٠٣ = ميتفوخ (اوجين) =	١١٨ = موزل (الو) تشكوسلوفاكية
١٠٤ = بروكلين (كارل) =	١١٩ = هورغرينيه (سنوك) هولاندة
١٠٥ = غولد صير (اغناطيوس) المجر	١٢٠ = اراندوك (ك .) =
١٠٦ = ماكدونالد (د . ب) الولايات المتحدة	١٢١ = هوتسما (م . ت .) =
١٠٧ = هرزفلد (ارست) =	١٢٢ = بوهل (ف . م . ب .) الدانمارك
١٠٨ = سارطون (جورج) =	١٢٣ = استروب (ج .) =
١٠٩ = كرانسكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي	١٢٤ = سترستين (ك . ف .) السويد
١١٠ = آسين بلاسيوس (مينكل) امبانية	١٢٥ = سعيد ابو جمره البرازيل
١١١ = لويس (دافيد) البرتغال	

مصطلحات قانون الأحوال المدنية

بعثت رئاسة مجلس النواب السوري إلى المجمع العلمي العربي برسالة طوتها على بعض المصطلحات الواردة في مشروع قانون الأحوال المدنية السوري ، ورغبت إليه النظر فيها بالسرعة القصوى . وندرج فيما يلي نسخة جواب المجمع على هذه الرسالة :

إلى رئاسة مجلس النواب

بالإشارة إلى كتابكم (٤٣١) المؤرخ في ٩ كانون الأول عام ١٩٥٦ ، اجتمعت لجنة من أعضاء المجمع العلمي العربي العاملين ، ونظرت في جدول المصطلحات الواردة في المادة الثانية من مشروع قانون الأحوال المدنية . فأقرت بعض هذه المصطلحات ، واقترحت تعديلاً طفيفاً لبعضها الآخر .

ونثبت فيما يلي الجدول الموماً إليه ، وإلى جانبه ما اقترحت اللجنة :

الجدول المقترح	الجدول الوارد
دون تعديل	أمين السجل المدني : الموظف المسؤول عن أعمال الأحوال المدنية .
الإخبار : الوثيقة المكتوبة التي يحررها الطبيب أو القابلة عند حدوث ولادة أو وفاة .	الأخبار : الوثيقة الخطية التي يقدمها الطبيب أو القابلة من حادثة ولادة ووفاة .
دون تعديل .	الواقعة : كل حادثة أحوال مدنية من ولادة وزواج وطلاق ووفاة وما يتفرع عنها .

الجدول المقترح	الجدول الوارد
سجل الوقعات : هو السجل الذي تدون فيه واقعات الأحوال المدنية .	سجل الوقعات : هو السجل الذي تدون فيه وقائع الأحوال المدنية .
السجل المدني : السجل الذي تدون فيه واقعات الأحوال المدنية استناداً إلى الوثائق حسب ترتيبها في سجل الوقعات .	السجل المدني : السجل الذي تدون فيه وقائع الأحوال المدنية استناداً إلى الوثائق حسب ترتيبها في سجل الوقعات .
البيان : وثيقة يحررها أمين السجل المدني بالواقعة نقلاً عن سجل الوقعات لترسل إلى أمين سجل آخر .	البيان : وثيقة ينظمها أمين السجل المدني بالواقعة من سجل الوقعات لترسل إلى أمين سجل آخر .
الشهادة : مستند يحرره المختار بواقعات الأحوال المدنية .	الشهادة : مستند ينظمه المختار بوقائع الأحوال المدنية .
الوثيقة : كل مستند مكتوب يتعلق بواقعات الأحوال المدنية ويعتمد في تسجيلها .	الوثيقة : كل مستند خطي يتعلق بوقائع الأحوال المدنية ويعتمد في تسجيلها .
دون تعديل .	المنطقة : الأماكن التي تشملها صلاحية أمين السجل المدني .
دون تعديل .	صورة القيد : وثيقة تعطى مطابقة لقيود الأحوال المدنية .

الجدول المقترح	الجدول الوارد
النسبة : هي اسم الأسرة أو ما يقوم مقامها من أسماء السلف .	الكنية : هي اسم الأمرة أو ما يقوم مقامها من أسماء السلف .
دون تعديل .	الجنس : هو المميز بين الذكر والأنثى .
الكنية : أن يطلق على الشخص اسم ولده مسبوقاً بكلمة (أب)	اللقب : أن يسمى الشخص باسم ولده بأبي فلان .
كأبي فلان .	

رئيس المجمع العلمي العربي

ولمقامكم وافر الاحترام
دمشق في ١٢/١٢/١٩٥٦

—••••—

هدية الى دار الكتب الظاهرية

ما تزال دار الكتب الظاهرية مهوى أفئدة المعنيين بتراثنا الخالد ، الغير على فرائده من أن تعيث بها يد الحداث ، وما يفتأ هؤلاء الأفاضل بشحفون الدار بما يزيد خزائنها ثروة واتساعاً ، وبما يطلق ألسن المطالعين فيها شكراً وثناءً . ومن هؤلاء الأفاضل السيد محمود نديم الغزي ، وهو سليل أسرة شامية معروفة اشتهرت بالنبل والفضل ، والعلم والتأليف ، فقد أهدى إلى الدار (٤١) مجلدة مخطوطة و (٥٣) مجلدة مطبوعة ، فله وافر الحمد وصادق الشكر .

—••••—

منح السيد سعيد حمزة وسام الاستحقاق

كنا ألمعنا في الجزء الثالث من المجلد ٣١ (ص ٥٢٥) من هذه المجلة إلى المخطوطات الثلاثمائة التي أهداها السيد سعيد حمزة إلى دار الكتب الظاهرية ، ونوّهنا بمأثرته الكريمة . وقد قدرت الحكومة السورية صنيع المهدي ، فمنحته وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ، وصدر المرسوم (٣٤٤٤) في ٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦ بذلك .

وقد أقيم في مقر المجمع العلمي العربي احتفال ، قدم فيه معالي رئيس المجمع الوسام مع براءته والمرسوم المتعلق به إلى السيد سعيد حمزة ، بحضور لفيف من أعضاء المجمع والعاملين فيه .



مخطوطات للظاهرية

افتتحت دار الكتب الظاهرية من (المكتبة العربية) مائتين وخمسين مخطوطاً في علوم متنوعة ، وقد كتب قسم منها في العصور المتقدمة ، وعلى بعضها خطوط مؤلفيها .

ومتودع خزائن الدار هذه المخطوطات ، ويتاح للمطالعين الاطلاع عليها ، بعد أن يتم تسجيلها وكتابة جزاراتها .



فهرس الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين

مؤتمر المجامع العلمية

صفحة	
٣	مؤتمر المجامع اللغوية العلمية
٣	المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية : الفكرة والهدف . . .
٦	مشروع جدول الأعمال
٧	أعضاء المؤتمر ولجانه
١٣	برنامج المؤتمر

حفلة افتتاح المؤتمر

١٧	كلمة فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي
١٩	كلمة وزير الممارف السورية معالي الدكتور عبد الوهاب حومد
٢٢	كلمة رئيس اللجنة الثقافية معالي الدكتور طه حسين
٢٧	كلمة كاتب سر مجمع اللغة العربية الدكتور منصور فهمي
٣٠	كلمة نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري

المحاضرات العامة

٣٣	أثر اللغة العربية في وحدة الأمة للدكتور منير العجلاني
٤٤	اللغة الفصحى وتعليم الشعب للدكتور طه حسين
٥٧	مجمع مصر واللغة العربية للدكتور منصور فهمي

نشاط المجامع والمؤسسات العلمية

٧٢	نشاط المجمع العلمي العربي
٧٨	تقرير المجمع العلمي العراقي
٨٢	لمحة من أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة
٨٧	مذكرات الإدارة الثقافية :
٨٧	(١) تيسير الكتابة العربية
٨٩	(٢) التأليف والترجمة والنشر

صفحة	
٩٧	٣ (تأليف الكتب العلمية وترجمتها ونشرها
٩٨	٤ (المصطلحات العلمية
١٠٠	مذكرة ممد إحياء المخطوطات العربية

أبحاث المؤتمر

١٠٤	الكتابة العربية للدكتور منصور فهمي .
١١٧	اقتراح بشأن كتابة الهمزة والألف اللينة . للأستاذ إبراهيم مصطفى .
١٢٣	تيسير قواعد اللغة العربية للأستاذ إبراهيم مصطفى .
١٢٩	وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها . للدكتور مصطفى جرادة .
١٦١	تعاون الجامع على عمل المعاجم اللغوية للأستاذ إبراهيم مصطفى .
١٦٣	تصنيف معجم انكليزي افرنسي عربي في المصطلحات العلمية . للأستاذ مصطفى الشهابي .
١٦٩	المصطلحات العلمية للأستاذ قدرى حافظ طرقات .
١٧١	الاصطلاحات الفلسفية للدكتور جميل صليبا .
١٨١	مجم اللغة العربية بين النصحي والعامية للأستاذ أحمد حسن الزيات .
١٨٩	اللغة العربية بين النصحي والعامية للأستاذ عارف النكدي .
٢٠٤	بين اللغة العربية النصحي والعامية للأستاذ علي حسن عردة .
٢٠٨	ماذا نشر من المخطوطات القديمة وكيف نشر ؟ . للدكتور صلاح الدين المنجد .
٢١٣	اقتراحات اللجنة الامرية لتيسير النحر والصرف
٢٢٢	توصيات المؤتمر الأول للجامع اللغوية العلمية العربية



آراء وأنباء

٢٢٧	تسمية نائب رئيس المجمع وأمين سره
٢٢٨	أعضاء المجمع العلمي العربي الماملون لعام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م
٢٢٨	أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلون
٢٣٠	أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون
٢٣٣	مصطلحات قانون الأحوال المدنية
٢٣٥	هدية إلى دار الكتب الظاهرية
٢٣٦	متح السيد سعيد حمزة وسام الاستحقاق
٢٣٦	مخطوطات الظاهرية

مطبوعات بيت العلم العربي بدمشق

- ١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
- ٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٨ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ — المستجاد من فعلات الأجداد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

- ٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمعري (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه
الدكتور يوسف العش
- ٢٤ — ديوان الوأواء الممشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٨ — أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٩ — قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٣٠ — الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٣١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترسنتين .
- ٣٢ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٣٣ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٤ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستاذ بولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء
الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل
- ٣٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة
- ٣٧ — ديوان ابن أبي حشينة السلي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس
- ٣٨ — تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح
- ٣٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٤٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٤١ — تكملة لإصلاح ما تغلط به العامة للجوابي
- ٤٢ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبل الحلي
- بتحقيق الأستاذ
عن الدين التنوخي

مجلة المجمع العلمي العربي



١ نيسان سنة ١٩٥٧ م

١ رمضان ١٣٧٦ هـ

حول الفصحى والعامية

ان قضية الفصحى والعامية في اللغة العربية ، لهي من القضايا التي تثار من حين الى حين ، منذ عدة عقود من السنين .

يثيرها - على الأكثر - بعض الذين يدعون الى التخلي عن الفصحى ، والتحول عنها الى العامية ، في الكتابة والخطابة والحوار ، ولا سيما في القصص والمسرحيات .

ويستند هؤلاء في دعوتهم هذه الى ملاحظات عديدة ومتنوعة ، أهمها وأعمها - على ما اعتقد - يحوم حول تشبيه العربية باللاتينية .

انهم يقولون : « إن حالة العربية الفصحى الآن ، لا تختلف عن حالة اللاتينية الكلاسيكية قديماً ، فصيرها سيكون شبيهاً بمصير اللغة المذكورة حتماً . من المعلوم ان اللاتينية ماتت ، بعد أن ولدت اللغات الفرنسية والابطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية . . التي تعرف الآن باسم « اللغات اللاتينية » . وهذه اللغات أصبحت منذ عدة قرون لغات علم وأدب ، بعد أن كانت بمثابة

«لغات عامية» مدة غير قصيرة من الزمن . وأما اللاتينية الأصلية فقد اندثرت وماتت ، بعد أن كانت لغة العلم والأدب في معظم بلاد الغرب ، مدة قرون عديدة . « فلا بد أن يحدث مثل ذلك في اللغة العربية أيضاً . فمن العبث أن تبذل الجهود لتأخير هذا المصير . بل من أخير لنا أن نؤمن بذلك من الآن ، فتوجه جهودنا الى جعل « العامية » لغة الكتابة والعلم والأدب ، بوجه عام . . . » إن أمثال هذه الملاحظات تسيطر على أذهان الكثيرين ممن يقولون بوجوب عدم التمسك بالعربية الفصحى ، وهي تظهر من خلال أحاديثهم وكتاباتهم بأشكال وأصاليب شتى .

ولهذا السبب ، إني أعتقد بأن بحث قضية الفصحى والعامية يجب أن يبدأ بدرس هذه «الحجة الأساسية» ، يجب علينا أن نلقي نظرة فاحصة الى تاريخ اللغات اللاتينية ، لكي نستطيع أن نحكم - بطريقة علمية سليمة - هل تشبه حالة اللغة العربية الآن حالة اللاتينية قديماً ؟ وهل سيكون مصيرها شبيهاً بمصير اللغة اللاتينية حتماً ؟

لا شك في أن اللغات الفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية . . . قد تفرعت من اللغة اللاتينية .

وصحيح أنها كانت - في بادئ الأمر - لغات عامية ، ثم تحولت - تدريجاً - الى لغات علم وأدب راقية .

وصحيح أيضاً ، أن اللاتينية الكلاسيكية ، قد فقدت الحياة ، حيث لم يبق على وجه البسيطة أمة أو شعب يتكلم بها .

هذه كلها من الحقائق الثابتة ، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها ، بوجه

من الوجوه .

ولكن . . . هناك حقائق أخرى ، لا بد من أخذها بنظر الاعتبار في

هذا المضمار .

ان اللغات التي تفرعت عن اللاتينية لم تنحصر باللغات التي ذكرناها آنفاً .
بل قد تفرعت عن اللاتينية عشرات اللغات ومئات اللهجات . الا أن معظم
هذه اللغات واللهجات لم تعيش الى يومنا هذا ، بل تركت محلاً الى اللغات
اللاتينية المعروفة الآن . فان كل واحدة من اللغات اللاتينية المتداولة الآن ،
قد قامت مقام عدد غير قليل من اللغات واللهجات .

ويفهم من ذلك : أن تاريخ تطور اللغات يعرض الى الأنظار نوعين من
التطورات : التطور نحو التفرع ، والتطور نحو التوحيد . ويسمى الباحثون
الطور الأول بـ « طور التجزؤ Morcellement » والطور الثاني بـ « طور
التوحيد Réunion » .

إن من يحصر نظره حول النوع الأول من التطورات ، فلا ينتبه الى
النوع الثاني منها . . . يبقى بعيداً عن إدراك الحقائق على وجهها الصحيح ،
بعداً كبيراً .

فيجدر بنا أن ندرس صفحات تطور اللغات اللاتينية ، لنطلع على أطوار « التجزؤ »
وعوامله من ناحية ، وأطوار « التوحيد » وعوامله من ناحية أخرى .
وبهذه الصورة - وبهذه الصورة وحدها - نستطيع أن نصل الى نتيجة
علمية ، في هذه القضية الهامة .

تفرع اللغة اللاتينية

- ١ -

ان اللاتينية كانت - في بادئ الأمر - لغة خاصة بمدينة روما وضواحيها
المعروفة باسم Latium ، ثم أصبحت لغة إيطاليا بأجمعها ، بسبب توسع حكم
الرومان فيها . وبعد ذلك انتشرت الى جميع البلاد المحيطة بالبحر الأبيض
المتوسط ، مع الفتوحات التي تمت في عهد الامبراطورية .

وكان لأهالي تلك البلاد الشاسعة لغات خاصة بهم ، مثل اليونانية ، والآرامية ، والعربية ، والقبطية ، والغوتية ، والبربرية ، والغالية ، والايبرية ، والليجورية ، والسلتية ... الخ ...

وعندما دخلت اللاتينية الى تلك البلاد ، مع الجيوش والحكام ، بدأ نوع من التنازع والتفاعل بينها وبين اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة . وأما نتائج هذا التفاعل والتنازع ، فقد اختلف باختلاف اللغات والأقطار .

في الشرق ، لم تستطع اللاتينية أن تتغلب على اليونانية ؛ لأن اللغة المذكورة كانت مقترنة بحضارة أرقى من حضارة الرومان ، وبأدب أرفع من الأدب اللاتيني . ولذلك أثرت في اللاتينية أكثر مما تأثرت منها ؛ فحافظت البلاد اليونانية على شخصيتها اللغوية ، على الرغم من خضوعها الى حكم الرومان وسيطرتهم السياسية .

ومن المعلوم أن ذلك كان من جملة العوامل التي أدت الى انشطار الامبراطورية الرومانية الى شطرين : الامبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربية ، حيث أصبحت اللغة الرسمية « اليونانية » في الشرقية ، وظلت « اللاتينية » في الغربية . وأما في الغرب ، - في البلاد التي تعرف الآن باسم فرنسا واسبانيا وبريطانيا العظمى - ، فقد حدث عكس ذلك تماماً : تغلبت اللاتينية على لغات البلاد المفتوحة . لأن تلك اللغات كانت محرومة من أدب مدون ومكتوب ، كما انها كانت غير مدعومة بحضارة راقية .

ولكن هذه الغلبة لم تتم إلا بعد تفاعل وتنازع استمر نحو خمسة قرون . ومن الطبيعي أن اللاتينية تأثرت خلال هذه المدة الطويلة من خصائص تلك اللغات ، وتغيرت عن أصلها في كثير الأمور .

كانت اللاتينية ترقى كثيراً ، فأصبحت لغة أدب رفيعة جداً ، بفضل الخطباء والشعراء والعلماء الذين نبغوا في عهد الامبراطورية الزاهرة ، أمثال تشيتشرون ، وفيرجيل ، ولوكرس . . .

ولكن هذه اللاتينية الأدبية - اللاتينية الكلاسيكية - كانت بمثابة لغة أريستوقراطية ، لا يمارسها ولا يحسنها إلا النخبة الممتازة ، من الحكام والأدباء والمتنورين . إنها لم تتغلغل كثيراً بين طبقات العوام . وظل الناس يتكلمون بلهجات لاتينية بسيطة ، كان الرومان يميزونها عن اللاتينية الكلاسيكية ، ويسمونها بأسماء خاصة ، مثل : كلام العوام ، اللغة الدارجة ، لغة الفلاحين

Sermo vulgaris , lingum rusticum , lingua usualis ,

ان الفتوحات الرومانية ، كانت تنشر اللاتينية الكلاسيكية ، واللاتينية العامية في وقت واحد : الكلاسيكية مع الحكام والمتنورين ، والعامية بواسطة الجنود والتجار ، والفلاحين الذين استوطنوا البلاد المفتوحة ، وصاروا يعيشون ويعملون بين أهاليها الأصليين .

ومن الطبيعي أن اللاتينية الكلاسيكية بقيت - خلال هذا الانتشار - كما هي : بمفرداتها وقواعدها الصرفية والنحوية المدونة في الكتب . ولكن اللاتينية العامية لم تسلم من التغير والتحول ، لأنها كانت تنقل وتنتشر عن طريق المشافهة وحدها ، فكان من الطبيعي أن تتأثر - خلال هذا الانتشار - من خصائص اللغات المحلية القديمة ، ولا سيما من أساليبها الصوتية .

وبما تجب ملاحظته في هذا المضمار ، ان اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة التي ذكرناها آنفاً ، كانت كثيرة ومتنوعة ومنشعبة الى عدد كبير من اللهجات . فكان من الطبيعي أن يؤدي تفاعل اللاتينية العامية مع كل واحدة من هذه اللهجات واللغات المحلية ، في تلك الأقاليم المتنوعة ، الى تكوين لغات ولهجات عديدة ، تختلف عن اللاتينية الأصلية ، في كثير من الخصائص .

ولهذا السبب ، يرجع الباحثون تسمية هذه اللغات واللهجات الجديدة بالـ « رومانية » تمييزاً لها عن اللاتينية الأصلية .

- ٣ -

ولكن ... هذه اللغات الرومانية الجديدة ، لم تكند تنغلب على اللغات المحلية ، فتستقر - نوعاً ما - على حالات وأصاليب معينة ، حتى تعرضت الى عوامل قوية من التحولات والتغيرات الجديدة : إذ دخلت البلاد المذكورة لغات جرمانية عديدة ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية عليها ، واستيطان عدد غير قليل من القبائل المذكورة في مختلف أقطارها .

ومن الطبيعي ، أن قام عندئذ تفاعل وتنازع بين اللغات واللهجات الجرمانية التي كان يتكلم بها الغزاة والمهاجرون ، وبين اللهجات الرومانية التي كان يتكلم بها أهالي البلاد .

وأما نتائج هذا التنازع الجديد ، فقد اختلفت - هي أيضاً - باختلاف البلاد : ففي بريطانيا العظمى وبريطانيا الصغرى تغلبت اللغات الجرمانية على الرومانية ، وأصبحت تلك البلاد جرمانية اللغة . ولكن في سائر أقاليم فرنسا وفي اسبانيا وإيطاليا - بعكس ذلك - تغلبت اللغات الرومانية على الجرمانية ، حيث نسي الفاتحون والمهاجرون - بمرور الزمان وبصورة تدريجية - لغاتهم الأصلية وصاروا هم أيضاً يتكلمون باللغات الرومانية ، مثل أهل البلاد التي فتحوها ومهاجروا اليها . ولكن ذلك لم يتم ، إلا بعد مرور نحو ثلاثة قرون .

ومن الطبيعي أن يكون قد حدث ، خلال هذه المدة ، تفاعل بين لغات الفاتحين وبين لغات البلاد المفتوحة . ولذلك تأثرت اللغات الرومانية ببعض التأثير من خصائص اللغات الجرمانية ، فازدادت بذلك تباعداً عن اللاتينية الأصلية .

وبما يجب أن لا يغرب عن البال في هذا المضيء : ان اللغات الجرمانية التي دخلت مع القبائل الغازية المألومة ، الى مختلف أقطار البلاد التي تعرف الآن باسم إيطاليا وفرنسا وإسبانيا .. كانت متنوعة ومتشعبة في حد ذاتها . فتفاعل هذه اللغات واللهجات الجرمانية المختلفة مع اللغات الدارجة في مختلف أنحاء البلاد المذكورة ، كان من الطبيعي أن يؤدي الى زيادة أنواع اللغات واللهجات المنحدرة من اللاتينية زيادة كبيرة .

* * *

إن غزوات القبائل الجرمانية للبلاد المذكورة أثرت في مصير اللغة اللاتينية ، من وجوه أخرى أيضاً : ان هذه الغزوات أدت الى حدوث تطورات وانقلابات اجتماعية وسياسية هامة . فكان من الطبيعي أن تتأثر اللغات من هذه الانقلابات تأثراً عميقاً .

إذ من المألوم أن الغزوات الجرمانية أدت - في آخر الأمر - الى انقراض الامبراطورية الرومانية الغربية وزوالها ، كما انها صبت تقلص الطبقة المتعلمة والمستنيرة ، وتلاشيها بسرعة كبيرة .

ومن الطبيعي أن زوال الوحدة السياسية من جراء سقوط الامبراطورية ، قد حرم اللاتينية الكلاسيكية من السلطة المعنوية التي كانت تتمتع بها ، لكونها لغة الحكم والإدارة في امبراطورية واسعة الأرجاء . كما أن تلاشي الطبقة المستنيرة التي كانت تمارس اللاتينية الأدبية وترعاها ، أدى الى تقلص ظل اللغة المذكورة الى أقصى حدود التقلص ، وجعلها تنحصر بين جدران المعابد والأديرة وحدها .

ولا حاجة للبيان أن انسحاب اللاتينية الأدبية من الميدان ، انسحاباً يكاد يكون تاماً ، على المتوال الذي سردها آتفاً ، ترك الحبل على غارب اللغات

العامية ، وأفسح أمامها مجالاً واسعاً للتغير السريع ، والتفرع الذي لا يقف عند حد ، لعدم وجود عائق بعينه ، وضابط يضبطه .

إن انضمام هذه العوامل الهامة الى عوامل التحول والتفرع التي سردناها قبلاً ، أدى - بطبيعة الحال - الى زيادة تباعد اللغات واللهجات الرومانية ، عن اللاتينية الأصلية زيادة كبيرة جداً .

في الواقع أن « شارلماني » الشهير ، قد سعى - في القرن التاسع للميلاد - الى إحياء الامبراطورية ، وتشجيع التعليم . إلا أن الامبراطورية ، التي كونها ، لم تدم طويلاً ، لأنه هو بنفسه قسمها بين أولاده الثلاثة ، وفتح بذلك الباب للتقسيمات المتتالية بين أحفاده العديدين . ومن المعلوم أنه بعد ذلك العهد القصير ، أخذت روابط السلطات المركزية ترتخي بسرعة ، ثم نشأت النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة التي عرفت باسم « الافطاعية » « الفيوداليتيه » ، فانقسمت البلاد الى عدد لا يحصى من المقاطعات الصغيرة ، وصارت تختمي كل واحدة منها بقصر محصن ، وتتمتع باستقلال فعلي مطلق ، فلا ترتبط بالملكة أو بالامبراطورية إلا بروابط اسمية بحتة ، ثم أخذت الروابط التي تصل هذه المقاطعات بعضها ببعض أيضاً ترتخي فتزول بصورة تدريجية ، الى أن أصبحت كل مقاطعة وكل مدينة منطوية على نفسها ، ومكتفية بذاتها ، ومنعزلة عن غيرها انعزالاً يكاد يكون تاماً .

ومن المعلوم أن في ذلك العهد تفشت الأمية بصورة لم يسبق لها مثيل . فلم يبق من يعرف القراءة والكتابة حتى بين كبار أصحاب المقاطعات وطبقة الحكام والنبلاء . وأصبحت الكتابة والقراءة مما يختص به جماعة من رجائ الكنائس وحدهم .

ولا حاجة الى القول : ان كل ذلك أوصل تفرع اللغات واللهجات العامية الى حده الأقصى .

إن العوامل التي ذكرناها الى الآن ، كانت عوامل عامة ، تشمل جميع البلاد التي عرفت باسم « اللاتينية » . ولا إتمام سلسلة هذه العوامل المتنوعة ، لا بد لنا من أن نشير الى عامل آخر ، اختص بقسم من تلك البلاد ، دون غيرها . هذا العامل الخاص ، هو تأثير اللغة العربية في اللغة الاسبانية . من المعلوم أن العرب كانوا استولوا على اسبانيا واستوطنوها . وأسسوا فيها حضارة راقية ، استمرت مدة طويلة ، تقرب من ثمانية قرون . فكان من الطبيعي أن تؤثر اللغة العربية - خلال هذه المدة الطويلة - في اللغات الاسبانية تأثيراً كبيراً . فاقبست الاسبانية من اللغة العربية بعض الأصوات التي لم يكن في اللغة اللاتينية ما يماثلها . كما اقتبست آلاف الكلمات العربية التي تختلف عن الكلمات اللاتينية اختلافاً جوهرياً من وجوه عديدة . ولا حاجة الى البيان ان ذلك أدى الى زيادة الفوارق التي كانت حدثت بين الاسبانية وبين سائر اللغات اللاتينية زيادة كبيرة .

- ٣ -

هذا ، ولا إتمام بحث الأحداث والعوامل التي أثرت في تطور اللغة اللاتينية وتفرعها ، لا بد لنا من أن نلقي نظرة عجيلى ، الى عمل الديانة المسيحية في هذا المضمار أيضاً :

لا شك في أن الديانة المسيحية ساعدت على انتشار اللغة اللاتينية في أوروبا الغربية مساعدة كبيرة . لأن المركز الأوروبي للديانة المذكورة كانت مدينة روما تقسمها . انها تنظمت هناك ، وانتشرت من هناك ، كما ان الأناجيل التي ترجمت هناك وانتشرت من هناك الى البلاد الغربية كانت بالنصوص اللاتينية . فكان من الطبيعي - والحالة هذه - أن ترتبط الديانة المسيحية في تلك البلاد باللغة اللاتينية ارتباطاً وثيقاً ، وأن تساعد على انتشارها مساعدة كبيرة .

إلا أن الديانة المسيحية لم تلتزم نشر اللاتينية الكلاسيكية ، بل عملت على نشر اللاتينية العامية . وذلك لأنها انتشرت - في بادئ الأمر - بين عوام الناس ، دون الخواص . لأن الحكماء كانوا يعارضونها أشد المعارضة ، حتى أنهم ظلموا يضطهدون معتققيها بشتى أساليب الاضطهاد ، مدة تزيد على ثلاثة قرون . فكان من الطبيعي أن يخاطب المبشرون الناس باللغة الدارجة بينهم ، لا باللاتينية الأدبية التي كانت شبه غريبة عليهم .

وبما يجب ملاحظته في هذا الشأن ، أن المذهب الكاثوليكي الذي نشأ في إيطاليا ، وانتشر منها إلى غرب أوروبا ، كان يلقي مهمة تلاوة الكتاب المقدس على عواتق رجال الدين وحدهم . وما كان يفرض ذلك على سائر الناس بوجه من الوجوه . ولهذا السبب لم تؤثر لغة الإنجيل في كلام الناس تأثيراً يذكر ، بل بقيت اللغة المذكورة كلغة خاصة برجال الدين .

حتى أن المجمع الديني الذي انعقد في مدينة « تور » سنة ٨١٤ ، اتخذ قراراً صريحاً في هذا الشأن : فأوصى بـ « تفهيم كلام الله إلى الناس ، باللغات التي درجوا عليها » .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن الكنيسة المسيحية احتفظت باللاتينية الأدبية لنفسها ، ونشرت بين الناس اللاتينية العامية وحدها .

ومن المعلوم أن فكرة « وجوب تلاوة الإنجيل من قبل جميع الأفراد » لم تظار إلى عالم الوجود إلا بعد ظهور البروتستانتية ، في القرن السادس عشر للميلاد . ولكن ، حتى ذلك التاريخ ، كانت فروع اللاتينية قد تباعدت عن أصلها كثيراً ، وكونت عدة لغات أدبية راقية جداً . كما أن اللغات الجرمانية أيضاً ، كانت خرجت عن أطوار البدائية ، وأنتجت آثاراً أدبية هامة . ولهذا السبب ، نجد أن « فكرة وجوب قراءة الإنجيل من قبل جميع الناس » اقترنت بفكرة « ترجمة الإنجيل إلى اللغات الدارجة بين الناس » وهذه الفكرة استوجبت

- على الفور - ترجمة الإنجيل الى الألمانية والفرنسية والانجليزية . . . ولهذا السبب ، فقدت اللاتينية - بعد ظهور البروتستانتية - الشيء الكثير من مكانتها ، حتى بين رجال الدين أنفسهم .

وخلاصة القول : ان الكنيسة المسيحية « حافظت » على اللاتينية الأدبية ، إذ نشرتها بين رجالها ، ولكنهم لم تعمل على نشرها بين الناس ، فتركت بذلك أمام اللغات واللهجات العامية ، مجالاً واسعاً للتنوع والتفرع والانتشار .

* * *

يقين من كل ما سبق : أن سلسلة طويلة ومعقدة من الأحداث والعوامل التاريخية - السياسية والاجتماعية والفكرية - تضافرت على تفريع اللغة اللاتينية الى فروع كثيرة ، وأدت الى تباعد هذه الفروع بعضها عن بعض من ناحية ، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى .

وخلال هذه الأحداث - التي بدأت قبل الميلاد ، واستمرت حتى القرن الثاني عشر للميلاد - تغايرت وتخالفت اللغات الرومانية التي تكوَّنت على أراضي كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، كما أنها تشعبت الى عدد كبير من اللهجات . وهذه اللغات واللهجات وصلت الى أقصى حدود التعدد والتنوع خلال القرون الوسطى ، من جراء تأسيس النظم الاقطاعية في مختلف أنحاء البلاد ، وتفشي الأمية بين الخواص فضلاً عن العوام ، وتداول الاتصال بين مختلف المقاطعات ، وانطواء المدن على نفسها حول القصور المحصنة التي شيدت في كل الجهات . . .

* * *

تكوين اللغة الفرنسية

ولكن ... بعد عهود التفرع والتجزؤ التي استمرت بهذه الصورة مدة تزيد على عشرة قرون ، حدثت أحداث سياسية واجتماعية وفكرية أخرى ، عملت عكس ما عملته الأحداث السالفة ، فادت الى « توحيد » اللغات واللهجات ، حول مراكز عديدة ، بصورة تدريجية .

إني لا أرى لزوماً الى تتبع « تيارات التوحيد » التي أخذت ترسم في جميع البلاد اللاتينية ، بعد أدوار التجزؤ التي استعرضتها وشرحتها آنفاً . بل سأكتفي بذكر ما حدث في فرنسا وحدها . وذلك لأن اللغة الفرنسية معلومة في البلاد العربية أكثر من سائر اللغات اللاتينية . كما أنها أشد اللغات الرومانية تباعداً عن اللاتينية الأصلية . فأعتقد لذلك ، أن « الأحداث والعوامل الموحدة » التي سنلاحظها من تاريخ تكوين اللغة الفرنسية وتطورها ستغيبنا عن تتبع ما حدث في سائر اللغات الرومانية ، بالنسبة الى الغاية التي نرمي اليها من بحثنا هذا .

- ١ -

يجمع علماء اللغة اللهجات الرومانية التي نشأت فوق أراضي فرنسا الحالية ، في حنفين أساسيين : اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية ؛ ويسمون الأولى باسم « لهجات الأويل » والثانية باسم « لهجات الأوك » ، وذلك بالنسبة الى الكلمة التي تستعمل في كل منهما مقابل كلمة « نعم » العربية : « اويل » في الشمال ، و « اوك » في الجنوب .

اللغة الفرنسية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت اليها لهجات الأويل ، والبروفنسية تمثل أرقى لهجات الأوك . والفرق بين الاثنتين كبير جداً ، إذ يقول العالم اللغوي المشهور « ميه » انه يعادل الفرق الموجود بين اللغة الاسبانية وبين اللغة

الايطالية • وطبعي ان هذا الفرق الكبير لا يترك مجالاً للتخاطب والتفاهم بين أصحاب اللغتين دون دراسة خاصة أو وساطة ترجمان •

وأما سبب حدوث هذا الاختلاف الكبير ، فيعود الى الاختلاف في «نسبة تأثير» كل من اللاتينية والجرمانية في شمال فرنسا وجنوبها •

فان أقاليم فرنسا الجنوبية كانت قد تأثرت من اللاتينية أكثر من تأثير الأقاليم الشمالية بها •

لأنها كانت ترَوِّمَتْ وتَلْتَمِتْ قبل الأقاليم الشمالية ، كما أن صلاتها بروما وبالرومان ظلت على الدوام أشد وأوثق من صلات الأقاليم الشمالية بها •

وبعكس ذلك ، ان تأثير الأقاليم الجنوبية باللغات الجرمانية ، كان أضعف من تأثير الأقاليم الشمالية بها • لأن القبائل الجرمانية التي استولت على فرنسا واستوطنتها كانت أكثر كثافة في الأقاليم الشمالية منها في الأقاليم الجنوبية •

ولهذه الأسباب اختلفت اللغة الفرنسية التي نشأت في شمال فرنسا عن البروفنسية التي نشأت في جنوبها اختلافاً كبيراً ، كما أنها تباعدت عن اللاتينية الأصلية ، أكثر من تباعد البروفنسية بوجه خاص ، ومن تباعد سائر اللغات الرومانية بوجه عام •

* * *

ان اللهجة التي انحدرت منها اللغة الفرنسية كانت في بادئ الأمر لهجة خاصة بالمنطقة التي تحيط بمدينة باريس الحالية ، والتي تعرف باسم «جزيرة فرنسا Ile de France» ويسمي الباحثون هذه اللهجة باسم ال Francien تمييزاً لها عن ال Français التي تكونت فيما بعد ، نتيجة تطورات عديدة •

ومن المعلوم أن المنطقة المذكورة صارت مهداً للأمره التي أسست المملكة الفرنسية • ولذلك اكتسبت لهجتها مكانة ميامية وأدية خاصة ، فأخذت تتغلب على اللهجات الأخرى تبعاً لتوسع نطاق حكم الأمره المذكورة •

وقد جرى هذا التوسم بصورة تدريجية : فان المقاطعات المختلفة صارت تنضم الى « مملكة فرنسا » الواحدة بعد الأخرى ، تارة عن طريق الحرب والفتح ، وطوراً عن طريق الصداق والميراث ، وذلك من جراء زواج ملوك فرنسا وأمراءها بأميرات المقاطعات المختلفة . وكما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت نفسه تحت تأثير اللغة الفرنسية . وكانت اللغة المذكورة تغلب بهذه الصورة على اللهجات المحلية ، أولاً في المدن ، ثم في القرى والأرياف المحيطة بها ، بصورة تدريجية .

إن تغلب وانتشار الفرنسية ، قد تمّ بسهولة نسبية في مناطق لغات الاويل ، ولكنه تأخر كثيراً في مناطق لغات الاوك .

وذلك لأن « التوحيد الإداري والسياسي » في الأقسام الشمالية من فرنسا - وعلى وجه التحديد : في الايالات التي تقع شمال نهر اللوار - قد سبق توحيد سائر أقسامها مدة قرون عديدة . فان ايالات بروفانس الجنوبية لم تنضم الى مملكة فرنسا إلا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد . ومن الطبيعي أن بقاء تلك الايالات خارج حكم المملكة الفرنسية أدى الى بقاء لغاتها مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية مدة طويلة .

وقضلاً عن ذلك ، فان الفرنسية كانت من جملة لغات الاويل ، وشديدة القرابة بها . وذلك كان يسهل على الناس تعلمها ، وتحولهم عن لهجاتهم الأصلية اليها .

في حين أن سكان المناطق الجنوبية ما كان يمكن أن يتعلموا الفرنسية ، ويتحولوا من لغاتهم الأصلية اليها ، إلا ببذل جهود كبيرة ، لبعدهم عن الفرنسية .

ومن الغريب أن اللغة البروفنسية قد نمت وازدهرت قبل ازدهار الفرنسية ،
والأدب البروفنسي اشتهر قبل اشتهار الأدب الفرنسي ، لأن الفنانين الذين
عرفوا باسم الـ «تروبادور» كانوا ينظمون أشعارهم ويلحنونها ، ويعتونها ،
باللغة البروفنسية .

ولكن حرمان تلك البلاد من حكومة مركزية قوية ، ولا سيما تعرضها
إلى الحروب الدينية الدموية كان من العوامل التي حالت دون استمرار هذا الازدهار .
إذ من المعلوم أن مذهباً جديداً كان قد انتشر في جنوب فرنسا ، وصار
سبباً لاختلاف الناس في أمره اختلافاً عنيفاً . وقد اعتبر البابا هذا المذهب
الجديد من البدع التي تجب محاربتها ، فأعلن على أصحابها حرباً صليبية خاصة ،
عرفت باسم «صليبية الآليجوا» . والحروب الدينية التي نجمت عن ذلك
صارت سبباً لإفناء جماعات كبيرة من السكان ولتدمير عدد غير قليل من
المدن والقرى ، وأشاعت الفاقة والفوضى في كل الجهات .

وبطبيعة الحال ، تأثر الأدب في هذه الحروب الأهلية والفوضى السكية ،
تأثراً شديداً ، فانتقطع عن النمو والازدهار .

وفضلاً عن ذلك ، فقد انتهت سلسلة تلك الأحداث ، إلى انضمام البلاد
إلى مملكة فرنسا : وكان ذلك سنة ١٤٨١ .

ومنذ ذلك التاريخ دخلت البروفانس أيضاً تحت سيطرة اللغة الفرنسية ،
وأخذت اللغة الفرنسية تنتشر هناك أيضاً .

- ٢ -

وخلال هذه القرون العديدة ، كانت الفرنسية خرجت من طور «اللغة
العامية» وتحولت إلى لغة كتابة وأدب .

ثم أخذ هذا الأدب يزدهر بعد بدء عصر النهضة والانبعاث . ولا سيما

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، حيث نشأ ونبغ طائفة من الأدباء العظام ، الذين كتبوا وألفوا بها مجموعة كبيرة من الآثار الخالدة .
وغني عن البيان ان اللغة الفرنسية اكتسبت من هذه الآثار الأدبية مكانة معنوية سامية انضمت الى مكانتها السياسية ، فزادتها تأثيراً وسلطة على كلام الناس .
ولذلك صارت الفرنسية الأدبية ، تتغلغل بين مختلف طبقات الناس وتطارد اللهجات العامية ، فتحل مكانها ، الواحدة بعد الأخرى ، أولاً في المدن ، ثم في الأرياف .

* * *

ولكن ، يجب أن لا يذهب بنا الظن إلى أن نوهم أنه عند قيام هذا الأدب الراقى ، اندثرت جميع اللهجات الرومانية وغير الرومانية التي كانت دارجة في مختلف أنحاء البلاد الفرنسية ، فلم يبق في فرنسا أي فارق بين لغة الكتابة ولغة الكلام .

إذ من المؤكد - بعكس ذلك - انه في عصر الأدب الكلاسيكي الزاهر ، وفي خلال القرن الثامن عشر ، كان معظم الفرنسيين يوطنون لهجات كثيرة ، تختلف عن اللغة الأدبية بخصائص عديدة .

حتى ان قضية اللغات واللهجات استرعت اهتمام رجال الثورة العظمى ، في أواخر القرن الثامن عشر ، وحملتهم على التفكير بها تفكيراً جدياً ، انتهى بهم الى اتخاذ تدابير عديدة لمعالجة مشكلتها معالجة مثمرة .

كان الراهب غريغوار قدم الى مجلس الثورة سنة ١٧٩٠ تقريراً مسبباً عن حالة اللغة الفرنسية ، وكان مما قاله في التقرير المذكور :

« انا نستطيع أن نؤكد - دون مغالاة - بأن نحو ستة ملايين من الفرنسيين - ولا سيما في الأرياف - لا يعرفون شيئاً عن اللغة القومية . وعدداً لا يقل عن ذلك - إذا عرفوا شيئاً منها - فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها » .

هذا ، ولكي تقدر دلالة هذه الأرقام حق قدرها ، يجب أن نلاحظ أن مجموع سكان فرنسا في ذلك التاريخ ، كان نحو خمسة وعشرين مليوناً على أكثر تقدير . ويفهم من ذلك : ان نصف سكان فرنسا ما كانوا يتكلمون بالفرنسية . وفضلاً عن ذلك ، فقد أضاف التقرير الى ما سبق وذكرناه العبارات التالية : «والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين . وأما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة ، فهم أقل من ذلك أيضاً» . ان الراهب غريغوار - مثل سائر رجال الثورة - رأى أن هذه الحالة لا يجوز أن تدوم :

«لأن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة بقضي بفتح أبواب التوظيف أمام جميع المواطنين . ولكن تسليم زمام الإدارة الى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية ، يؤدي الى محاذير كبيرة . وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة ، فيخالف مبدأ المساواة . فيترتب على الثورة - والحالة هذه - أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية ، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ، ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين .»

وفضلاً عن ذلك ، فقد رأى جماعة من رجال الثورة - وعلى رأسهم تاليران - أن اللهجات واللغات المحلية إنما هي من مخلفات عهود الانحلال والاقطاع ، فقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضاً .

من المعلوم ان الايالات المختلفة في فرنسا ، كانت تتمتع - حتى عهد الثورة العظمى - بامتيازات كثيرة ومتنوعة ، وذلك حسب الظروف الخاصة التي كانت أحاطت بانضمام كل واحدة منها الى المملكة الفرنسية ، في تواريخ مختلفة .

فقد رأى رجال الثورة ضرورة إزالة هذه الامتيازات ، لإتمام وحدة البلاد . فاجتمع ممثلو الايالات سنة ١٧٩٠ - ، وأعلنوا تنازلهم عن جميع الحقوق والامتيازات الباقية من نظم الاقطاع البائدة ، وسارع رجال الثورة إلى تغيير

التقسيمات الإدارية تغييراً جوهرياً ، وتنسيقها وفق أسس جديدة تماماً ، لكي يزولوا معالم الانقطاعيات السابقة من خريطة البلاد .

وكانت اللهجات في نظر رجال الثورة ، من جملة مخلفات الانقطاع ، فكان من الواجب القضاء عليها أيضاً .

ولكن اللهجات لا يمكن أن تزال في حملة واحدة ، بقرارات تتخذها الحكومة ، أو بيانات تصدرها المجالس التمثيلية ، مثل التي ألغت الامتيازات المحلية وغيرت التقسيمات الإدارية . بل إن زوال اللهجات ، يتطلب عملاً متواصلاً ، يستمر عدة أجيال . ولذلك دعا مجلس الثورة جميع الناس الى الاهتمام بهذا الأمر . وذلك ببيان أصدره بتاريخ ١٥ شهر المرامي (بربرال) من السنة الثانية من تقويم الثورة .

فقد جاء في البيان المذكور ما يلي :

« أيها المواطنون ،

فليدفع كلّا منكم تسابقاً مقدساً للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا »

لأن « تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الانقطاع والاستعباد » .

* * *

كانت اللغة الفرنسية الخالصة تنتشر في مختلف أنحاء فرنسا ، وتطارده اللهجات المحلية الدارجة فيها - حتى التاريخ المذكور - بحكم الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية دون أن يكون هناك خطة مرسومة وسياسة مقررّة ، لتسريع هذا الانتشار وتسهيل تلك المطاردة .

ولكن بعد الثورة الكبرى ، - وعقب صدور اليان الآف الذكر - أخذت الدوائر الحكومية والهيئات العلمية ، تبذل شتى الجهود لنشر اللغة الفصحى ، وتغليبها على اللهجات العامية ، وفق خطط مرسومة وبوسائل مقصودة . ولذلك صارت الأمور المذكورة تجري بسرعة كبيرة .

عندما أقرت الثورة مبدأ « التعليم الإلزامي العام » ، رأى رجال الفكر أن تكون مكافئة اللهجات المحلية والعامية من جملة أهداف التعليم بوجه عام .
وعندما قرروا مبدأ « الخدمة العسكرية العامة » رأوا أن تقوم « الحياة العسكرية في الشكنات وفي خدمة العلم » بعمل متم ومكمل لعمل المدارس في هذا المضمار .
ولت ذلك سلسلة أحداث وأعمال خدمت الغاية نفسها ، وساعدت على نشر اللغة الفصحى ، ورفع لغة الكلام الى مستوى لغة الكتابة ، بين جميع الطبقات .
إن تقدم وسائل النقل والمواصلات ، وتغلغلها في جميع أنحاء البلاد ، ونفوذها الى أنأى القرى والجبال ... وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية تطوراً يزيد في اختلاط الناس بعضهم ببعض ويقضي على حياة الانعزال من جميع الجهات ...
وازدهار الصحافة وانتشارها ... ونشاط التشكيلات والتأسيسات التي تهدف الى تعليم الراشدين وتثقيفهم ... والاجتماعات الانتخابية ، وأعمال المجالس التمثيلية المحلية والهيئات النقاوية ... والمهرجانات الأدبية والتاريخية ... كلها كانت من جملة العوامل التي أثرت في انتشار الفصحى تأثيراً كبيراً .
وغني عن البيان أن السينما والإذاعة ... انضمت الى العوامل المذكورة أخيراً ، وصارت تساعد على تعميم اللغة الفصحى مساعدة كبيرة .

* * *

فاذا قيل لنا الآن : « لا فرق بين لغة الكلام ولغة الكتابة في فرنسا » وجب أن نعلم العلم اليقين بأن ذلك إنما تم بفضل الأحداث التي نالت منذ مدة تزيد على ثمانية قرون ، ولا سيما بفضل الجهود الجدية التي بذلت - ولا تزال تبذل - ، والتدابير الفعالة التي اتخذت - ولا تزال تتخذ - ، منذ بدء حملة الثورة الكبرى على اللهجات العامية .

ومع هذا كله ، يجب أن نلاحظ بأن القول بأنه « لا يوجد في فرنسا فرق

بين لغة الكتابة ولغة الكلام» لا يخلو من المغالاة ، فان ذلك ، إذا كان صحيحاً بالنسبة الى معظم المدن والقصبات الكبيرة ، فانه بعيد عن الصحة بالنسبة الى كثير من القرى في بعض الايالات .

فانه من الثابت بأن هناك ملايين من الفرنسيين لا يزالون في طور « ثنائية اللغة » ، فانهم يتكلمون في بيوتهم ، ولا سيما مع العجائز والجدات ، بلهجات عامية ولغات خاصة ، وإن كانوا يتقنون الفرنسية الفصحى ، ويتكلمون بها خلال اتصالاتهم الخارجية .

فاللهجات العامية في فرنسا لم تندثر تماماً ، وان كانت قد نضأت كثيراً . فأرى أن أشير هنا الى بعض الأمثلة التي صادفتها خلال مراجعة مصادر بحثي هذا :

فان هناك جماعات تقول J'avons عوضاً عن J'ai ، وذلك قياساً على قولهم

• nous avons

ومن يقول il ta té في مقام il a été .

ومن يلفظ كلمة الـ rouge على شكل rouché .

ومن يقول remettez - vous في مقام asseyez - vous .

ومن يسمي الحديقة courtille عوضاً عن jardin .

ومن يقول J'espère tel بمعنى J'attends tel . . .

كل هذا ، على الرغم من جميع الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً ،

وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلت منذ أجيال عديدة .

* * *

وبشأن من كل ما سبق :

ان رجال الفكر والسياسة في فرنسا لم يقولوا : فلندع الناس يتكلمون

باللهجات التي ألفوها ، بل قالوا : يجب أن نقفي على هذه اللهجات .

ورجال القلم والأدب لم يقولوا : فلنكتب بالهجات الدارجة بين الناس ؛
بل قالوا : لنسج الى رفع لغة الحوار والكلام الى مستوى لغة الكتابة والأدب . . .
والآ . . . لما تقدمت اللغة الفرنسية تقدمها المعلوم ،
ولا كتبت الآثار الكلامية الخالدة . . .
ولا ظهر الى عالم الوجود شيء من الأدب المعاصر الزاهر . . .

الفوارق الأساسية

بين تاريخ اللاتينية وتاريخ العربية

- ١ -

بعد ما استعرضت وشرحت الأحداث والعوامل التي تضافرت على تفريع اللغة
اللاتينية الى فروع كبيرة ، وعلى تباعد هذه الفروع بعضها عن بعضها من ناحية ،
وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى . . .

أعتقد بأن القراء قد أدركوا على الفور الفوارق العظيمة التي ميزت تاريخ
اللغة العربية عن تاريخ اللغات اللاتينية ، من وجهة هذه العوامل والأحداث :
أ - فان اللغة العربية بعد أن استقرت في العالم العربي الحالي . . . لم تتعرض
الى هجمات وغزوات لغات جديدة ، كما تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء
استيلاء القبائل الجرمانية واستيطانها مختلف أنحاء البلاد .

ب - ان البلاد العربية لم تبطل بتفتت سياسي وإداري واقتصادي ، مثل
الذي ابتليت به البلاد الرومانية في عصور الاقطاع الطويلة .

ج - ان الاثنية المطلقة لم تنفث في البلاد العربية في وقت من الأوقات ،
بقدر ما تنفثت في العالم الغربي خلال العصور الآتفة الذكر .

د - ان البلاد العربية لم ينزل بعضها عن بعض انزالاً يشبه الانزال
الذي حصل في البلاد الرومانية . بل ظل الاتصال بين مختلف أقطارها قائماً ،

بفضل القوافل التجارية التي لم تنقطع عن الازدهار من ناحية ، وقوافل الحج التي ظلت تنقل جماعات كبيرة من المسلمين كل سنة ، من مختلف أنحاء البلاد الى الحجاز من ناحية أخرى .

د - ان الديانة الاسلامية التزمت العربية الفصحى التزاماً تاماً ، وظلت تساندها وتوازيها دون انقطاع ، ولم تختل عنها للجهة من اللغات ، في وقت من الأوقات .

* * *

ولهذه الأسباب الأساسية كلها ، اختلف مصير اللغة العربية عن مصير اللاتينية اختلافاً كلياً .

فان الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً قد تضافرت على إدامة حياة اللغة العربية ، في حين أن العوامل التي أحاطت باللغة اللاتينية انتهت الى إقصائها عن ميدان الاستعمال ، وجعلتها تنقل الى عالم الأموات ، بعد أن أنجبت « اللغات اللاتينية » المملوءة الآن .

- ٢ -

ولا إزالة جميع الشكوك التي قد تساور بعض الأذهان ، أرى من المفيد أن أوضح أعم الفوارق التي ذكرتها آنفاً ، بشيء من التفصيل :

* * *

١ - لقد قلت : ان اللغة العربية - بعد ان استقرت في العالم العربي الحالي - لم تتعرض الى غزوات أخرى ، كالتى تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء امتيلاء القبائل الجرمانية ، واستيطانهم في مختلف أنحاء البلاد .

في الواقع ان عدة أمم مالكة غير عربية استولت على زمام الحكم في مختلف البلاد العربية ، في تواريخ مختلفة . الا أن حكم تلك الأمم المالكة لم يتم

بفضل جماعات كبيرة من بني قومهم ، ولم تترافق باستيطان عدد كبير من تلك الجماعات ، ولذلك لم تلبث تلك الأسر المالكة أن استعربت ، فنبنت لغة البلاد .

ولم يشذ عما قلناه آنفاً إلا أسرة مالكة واحدة ، هي أسرة بني عثمان . فإنها لم تستعرب مثل سائر الأسر المالكة ، لأن عاصمة ملكها كانت - وظلت - خارج البلاد العربية . ونستطيع أن نقول : إنها حكمت البلاد العربية - وظلت تحكمها - من الخارج ، عن بعد منها . وفضلاً عن ذلك ، فإن لغتها كانت ضعيفة جداً بالنسبة إلى اللغة العربية ، ولهذا السبب تأثرت منها ، أكثر بكثير مما أثرت فيها . فتأثير لغة بني عثمان في اللغة العربية ظل محدوداً ، على الرغم من استمرار حكمها مدة تقرب من أربعة قرون .

ولا نقالي إذا قلنا : إن تأثيرها الأسامي لم يتجاوز كثيراً أمر تأخير نهضة الأدب ، من جراء عدم وجود دولة عربية تشجع الأدب العربي ، ونهي له وسائل التقدم والنهوض .

* * *

ب - وقت : ان البلاد العربية لم تبطل بتشتت وتفتت يائل أو بقارب ما ابتليت به البلاد الغربية خلال العهود والافطاعية .

في الواقع ان البلاد العربية أيضاً فقدت « الوحدة السيامية » ، وانقسمت إلى دول ودويلات عديدة ، إلا أن عدد هذه الدول والدويلات ظل محدوداً . ولم يصل الانقسام السيامي في العالم العربي - حتى في أسوأ عهود « ملوك الطوائف » - ولو من بعيد - إلى درجة التفتت التام الذي حدث في العالم الغربي ، حيث أصبحت كل مقاطعة - وكل مدينة تقريباً - مستقلة ومنطوية على نفسها .

* * *

ج - وفلت : ان الديانة الإسلامية التزمت العربية الفصحى كل الالتزام ، ولم تنح عن اللجة من اللجات العامية ، في يوم من الأيام .
وذلك لأنها لم تعهد بمهمة تلاوة القرآن الى أئمة المساجد وخطباء الجوامع وحدهم - كما فعلته الديانة المسيحية في العالم الروماني - ، بل فرضت ذلك على كل مسلم ومسلمة . فصار لزاماً على كل فرد أن يتلو طائفة من الآيات القرآنية ، كل يوم ، خلال الصلوات الخمس .

حتى خلال الصلوات التي تؤدي بالجماعة ، يترتب على كل فرد مؤتم بأحد المصلين ، أن يستمع الى ما يتلوه الإمام جهراً من ناحية ، وأن يتلو - بعد ذلك - هو بنفسه سرّاً آيات أخرى من ناحية ثانية .

إن هذه الأحكام الدينية استوجبت إنشاء مدارس وكتاتيب كثيرة لتعليم القرآن - قراءة وحفظاً - الى جميع الأطفال . وهذه المدارس والكتاتيب عمت جميع أنحاء البلاد ، ولم تنقطع عن العمل ، حتى في أسوأ عصور الانحطاط . وكل ذلك ، حال دون انقطاع صلة العرب بالعربية الفصحى ، بل ظل يذكرونها ، ويوصلونها اليها ، على الدوام ، عن طريق السماع المستمر ، والتلاوة المتتالية .

ونستطيع أن نقول : ان فكرة « التعليم العام » التي ظهرت في العالم الغربي مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر للميلاد ، كانت قد تولدت في العالم العربي منذ ظهور الإسلام . وصارت تنفذ فيه بصورة فعلية وبمقياس واسع ، منذ القرن الأول للهجرة .

ولذلك عمّ تعليم القرآن في جميع الجهات بسرعة كبيرة .
ومن المعلوم أن لغة القرآن ، هي اللغة العربية الفصحى .

وما تجب ملاحظته في هذا المضمهر أن الكنائس المسيحية في البلاد العربية ، هي أيضاً انتهت الى التزام العربية الفصحى ، فان الكنائس الشرقية جعلت العربية لغة الصلوات والمواظ من قرون عديدة . كما ان البروتستان أيضاً اعتمدوا ترجمة الانجيل الى اللغة العربية . والكنيسة الارثوذكسية كذلك ، جعلت العربية لغة الطقوس والصلوات والمواظ ، بعد أن تخلصت من ربة اليونانية . ولهذا الأسباب العديدة ظل اتصال العرب باللغة الفصحى اتصالاً وثيقاً ، فلم يترك مجالاً لتباعد لغة الكلام عن لغة الكتابة تباعداً كبيراً . والفوارق بين لغة الكلام ولغة الكتابة - بين العامية والفصحى - لم تعد قط حدود فوارق الشجيات ، التي لا تحول دون تفاهم أصحابها ، بشي يسير من الجهد والانتباه .

واذا كان الناس ، لا يتكلمون الآن بالعربية الفصحى ، فانهم لا يعجزون عن فهمها ، ولو كانوا أميين .

فضلاً عن ذلك ، اننا نلاحظ ان اللغة الفصحى صارت تزداد تأثيراً وتغلباً على الشجيات العامية شيئاً فشيئاً ، منذ بدء النهضة الفكرية والقومية في مختلف الأقطار العربية . حتى ان التقدم في هذا المضمهر أصبح يظهر الى العيان - ويلمس لمس اليدين - حتى خلال عقد واحد من السنين . وهذا على الرغم من عدم وجود خطة موضوعة لمكافحة العامية ونشر الفصحى بصورة منتظمة فعالة . إن اللغة الفصحى ، هي الآن لغة القراءة والكتابة والدرس ، سيفي جميع المدارس والمعاهد العربية ، التي صارت تعد بعشرات الآلاف والتي تجمع كل يوم عدة ملايين من التلاميذ والطلاب .

والجرائد اليومية تصدر - في جميع الأقطار العربية - باللغة الفصحى . ومن المعلوم أنها تطبع كل يوم مئات الآلاف من النسخ ، تتداولها أيدي الملايين من القراء ، من مختلف الطبقات .

فلا يجوز - والحالة هذه - تشبيه العربية الفصحى باللاتينية ، بوجه من الوجوه .
 انها استطاعت أن تنقلب الى الآن على جميع عوامل البليلة التي تألبت عليها
 خلال عصور الانحطاط الطويلة . فلم تفقد نسخ الحياة ، حتى في عهود حكم
 الأجنبي القامي ، وعصور الاستعمار الخائق .
 فلا يمكن أن تفقد حيويتها بعد الآن ، فيخطئ من يظن أنها ستقطع
 عن النمو والازدهار في عصور النهضة وعهود الاستقلال ، و . . . لا صبا . .
 بعد بزوع فجر الاتحاد .
 انها لا تزال حية ونامية ، ولا شك في أنها ستزداد نمواً في مستقبل الأيام ،
 وستصبح أشد حيوية مما هي الآن

ساطع المصري

الاصطلاحات الفلسفية

- ٥ -

الالتزام والالزام

Obligatio في اللاتينية

Obligation في الفرنسية

Obligation في الانكليزية

التزم الشيء بمعنى لازمه ، والتزم فلاناً اعتنته ، والتزم العمل أو المال أوجبه على نفسه ، والتزم الشيء أثبته وأدامه ، وألزمه المال والعمل أو بالمال والعمل أوجبه عليه ، ويقال ألزمت خصمي أي حججته .

وللالتزام في اصطلاح الفلاسفة عدة معاني :

١ - الالتزام هو الرابطة الحقوقية التي بها يكون فعل الشيء أو عدم فعله واجباً على الشخص تجاه الآخر . فهو إذن علاقة حقوقية بين شخصين يسمى أحدهما بموجبهما دائناً والآخر مديناً . فاذا نظرت الى هذه العلاقة من جهة الدائن كانت إلزاماً ، لأن من حق الدائن أن يلزم المدين بوفاء المال الذي أقرضه إياه ، واذا نظرت اليها من جهة المدين كانت التزاماً ، لأن المدين يلتزم أي يوجب على نفسه وفاء الدين في أجله . فالدائن إذن مُلْزِمٌ ، والمدين مُلتَزِمٌ ، والدين ملزوم . ولكن أكثر علماء الحقوق ينظرون الى هذه العلاقة من جهة المدين وحده ، لأن المدين في نظرهم هو المتقل يحمل الالتزام ، لا بل هو الملزم وفاء الدين عند استحقاقه .

٢ — الإلزام الخلقى ، وهو لا ينشأ عن عقد ، بل ينشأ عن طبيعة الانسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر . فما كان فعله أو عدم فعله ممكناً من الناحية المادية ، ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية ، كان الزامياً ، بمعنى ان الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله أو عدم فعله دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم .

وفرقوا بين الضرورة الطبيعية والضرورة الخلقية ، فقالوا ان الضرورة الطبيعية سارية في الأشياء ، لا بل هي نظام مستقر في الحوادث اضطراراً ، متحد بطبيعتها . أما ضرورة القوانين الخلقية فهي ضرورة متعالية ، ولها نظام مثالي أعلى من نظام الحوادث يفرضه العقل على الطبيعة ويوجب على الانسان تحقيقه ، وإن كان غير موجود بالفعل .

ثم إن الإلزام اذا كان مطلقاً كالأمر المطلق (Impératif Catégorique) الذي تحكم عليه (كنت) كان له بصرية الاختيار علاقة وثيقة ، لأنه لا معنى للأمر المطلق إذا كان سلوك الانسان نتيجة لطبيعته . أضف الى ذلك أن الحرية ليست قسراً ولا عدم ميالة ، وإنما هي حكم ذاتي . فالإلزام هو إذن قانون الحرية ، ولا معنى له إلا إذا أوجب الانسان على نفسه فعل الشيء أو عدم فعله ، من ذاته وبجله حريته . ولكن إذا كان الإلزام صورة خاصة من صور القسر الاجتماعي أمكن الجمع بينه وبين الحتمية الفلسفية ، لأنه يقوم في هذه الحالة على عوامل وبواعث تحدد حرية الإرادة .

الإلحاد

في الفرنسية Athéisme

في الانكليزية Alheism

[أصل كلمة (Albée) يوناني وهي مولقة من (a) النافية و (theos) الآله ومنها بحسب الاشتقاق إنكار وجود الله] .

الإلحاد في اللغة العربية الميل عن القصد والمعدل عن الشيء ، يقال ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه وطعن فيه ، وألحد ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم ، وألحد في الحرم استحلَّ حرمة وانتهمكها . والإلحاد الكفر ، والشك في الله . والملحد العادل عن الحق ، المدخل فيه ما ليس فيه ، والملحد أيضاً الكافر ، والملاحدة فرقة من الملاحسة يسعون بالدهريين وبالدهرية ، ذهبوا إلى قدم الدهر وامتناد الحوادث إليه كما ذهبوا إلى ترك العبادات رأساً لأنها لا تفيد ، وإنما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه ، فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسما تقلع ، (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . فهم قد أنكروا الصانع المدير ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً ، كذلك بنفسه وبلا صانع (الغزالي ، المنقذ من الضلال ص ٨٤ من الطبعة الثانية) .

والإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله ، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله ، وتارة على إنكار علمه وعنايته أو قدرته وإرادته ، وبكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين أو اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة أو رأياً من الآراء الشائعة حتى يتهم بالإلحاد . فسقراط اتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالموت بالرغم من قوله بوجود إله واحد ، وكذلك أفلاطون ، وأرسطو ، وابن سينا ، وابن رشد ، وديكارت ، وأمبينوزا ، وكنت ، لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تبعه الإلحاد لمخالفتهم آراء أدل زمانهم . وهذا كله يدل على أن مفهوم الإلحاد يختلف باختلاف تصورات الناس واعتقاداتهم ، فإذا كان المذهب مخالفاً لاعتقاداتهم عدوه إلحاداً ، وإذا كان موافقاً لها عدوه ديناً وإيماناً . فليس لهذا اللفظ إذن في التاريخ معنى محدد ثابت لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان ، واختلاف حال العلماء من الجهال إذا خوطبوا بما يعزب عن أفهامهم وينبو عن أسماعهم .

وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله ، لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله أو تتخالف معتقداً دينياً معيناً أو رأياً جماعياً مقررآ . فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجوداً مطلقاً ، وانها علة الحركة والحياة والفكر ، والدمريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق . ولكن إذا قال الفيلسوف إن الأجسام لا تتحسر ، أو قال ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافراً بأصل من أصول الدين لا ملحدآ . وكذلك إذا قال بوحدة الوجود فان هذا القول لا يستلزم إنكار وجود الله ولا يجعل صاحبه ملحدآ .

وفي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن العلماء الذين يأتون بالفريب وغير المؤلف من الآراء يتجنون في حياتهم ويمتنعون ، ويتهمون بالكفر والإلحاد والزندقة ، ويكاد يكون تطور معنى الإلحاد موازياً لتطور فكرة التعصب ، فكلما زاد التعصب كثر عدد الملحدين في نظر الناس ، والعكس بالعكس .

الألم

Dolor في اللاتينية

Douleur في الفرنسية

Pain في الانكليزية

الألم مصدر ألم بألم كعلم يعلم ، وهو مقابل للذة . والألم واللذة هما من الأحوال النفسية الأولية ، فلا يعرفان ، بل إنما تذكر خواصهما وشروطهما دفعا للالتباس اللفظي .

قال ابن سينا « ان اللذة هي إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك ، والألم إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر » (الاشارات ، ص ١٩١) ، والمراد بالإدراك العلم ، وبالنيل تحقيق

الكمال لمن يلتذ ، فإن التكيف بالشيء لا يوجب الألم واللذة من غير إدراك ، فلا ألم ولا لذة للجناد بما يناله من الكمال والنقص . وإدراك الشيء من غير النيل لا يؤلم ولا يوجب لذة كتصور الحلاوة والمرارة . فالألم واللذة لا يتحققان إذن بدون الإدراك والنيل . وإنما قال عند المدرك لأن الشيء قد يكون كلاً وخيراً بالقياس إلى شخص وهو لا يعتقد كاليته فلا يلتذ به بخلاف ما إذا اعتقد كاليته وخيريته ، وإن لم يكن كذلك بالنسبة إليه ، وإنما قال من حيث هو كذلك لأن الشيء قد يكون كلاً وخيراً من وجه دون وجه « كالمسك من جهة الرائحة والطعم فإدراكه من حيث الرائحة لذة ومن حيث الطعم ألم » (الكشاف للتهانوي) .

وقول ابن ضينا هذا شبيه بقول (ديكارت) : اللذة هي الشعور بالكمال ، والألم هو الشعور بالنقص . وهو أقرب إلى التحصيل من قولهم الألم إدراك المنافي من حيث هو منافي ، واللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم ، لأن الملائم بالجملة أعم من اللذة ، والألم أخص من المنافي .

ولعل أحسن تعريف للألم هو التعريف المشتمل على ذكر خواص الألم وأسبابه كتعريف (أرسطو) الذي صححه (هاميلتون) و (استوارت ميل) . فقد جاء في هذا التعريف أن اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة الكائن الحي ، وأن الألم ينشأ عن الفعل المضاد لطبيعة الفاعل ، فالألم هو إذن نتيجة لفاعلية تزيد على قدرة الفاعل أو تقل عنها .

والألم نوعان جسماني ونفسي . فالألم الجسماني ينشأ عن احساسات جسمانية ذات مصدر محدود كاحتراق اليد ، وضرب الفرس ، ووجع العين . والألم النفسي ينشأ عن تأثير الميول والأفكار والاعتقادات والآراء ، كمن يسقط في الامتحان فيتألم لعدم بلوغه غايته ، وكثل من يسمع بموت صديق له فيفهم خبر موته .

ومن خواص الألم الجسماني انه قد ينتشر في البدن بحيث لا يعرف مصدره فيوصف إذ ذاك بالتعب والوعك والاضطراب . ومن خواص الألم النفسي انه قد يشتد حتى يصبح قريباً من الانفعال أو الهيجان ، فيسمى في هذه الحالة حزناً ووجوماً وشجواً ومماً وكرباً وكآبة وغماً وحرقة ولوعة .

والفرق بين اللذة الجسمانية والألم الجسماني ان اللذة الجسمانية هي كيفية نفسانية مضافة الى الاحساس ، فهي اذن احساس وكيفية في ذلك الاحساس ملائمة للنفس ، في حين ان الألم الجسماني هو احساس من نوع خاص متميز عن غيره ، وله في البدن أعصاب خاصة تدركه ، والدليل على ذلك ان الاحساس بالألم متأخر عن الاحساس باللمس والحرارة والبرودة ، وان هناك مواد تخدر الأعصاب فتزيل الاحساس بالألم وتبقى احساس اللمس .

على ان بعض الفلاسفة لا يفرقون بين الجسماني والنفسي من الآلام إلا بحسب شروطها الخاصة ، لأن طبيعتهما الأساسية في نظرم واحدة . فلا تختلف شروط ألم الفراق عن شروط ألم الصداق إلا من حيث الاشتباك والتركيب . وربما كان الهم في اختلاف طبيعتهما ناشئاً عن الاختلاف في اشتباك شروطهما ، فلا فرق إذن في الماهية بين ألم اليأس وألم البثور والدمامل .

ومهما يكن من أمر فان للألم في الاصطلاح الحديث معنى محدوداً . فهو لا يدل على الحزن والكآبة ، ولا على الاحساس بالتعب والمتافي ، بل يدل على الاحساس الذي ينشأ عن خلل جسماني . وله أيضاً معنى عام يشمل الاحساس بالخلل الجسماني ، والاحساس بالمتافي والمتافر ، كما يشمل الحزن والكآبة والغم . وهذا كله يدل على أن مدلول الألم لا يزال مشتملاً على شيء من الفموض لعدم اتفاق العلماء على اصطلاحات الحياة الوجدانية ، فبعضهم يحدد معناه فيطلقه على الاحساس بالخلل الجسماني ، وبعضهم يوسع معناه فيجمله مقابلاً للذة بوجه عام . ويمكننا أن نوضح هذا التقابل على الوجه الآتي :

التقابل بين الألم واللذة

١ - بالمعنى العام

في العربية :	الألم	اللذة
في الفرنسية :	Douleur	Plaisir
في الانكليزية :	Pain	Pleasure

٢ - بالمعنى الخاص

في العربية :	احساس الألم	احساس اللذة
في الفرنسية :	Sensation de la douleur	Sensation du plaisir
في الانكليزية :	Sensation of pain	Sensation of pleasure

٣ - بمعنى الملائم والمنافي

في العربية :	التعب	الارتياح
في الفرنسية :	Peine	Agrément
	Unpleasantness	Pleasantness

(Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie art. Douleur) .

والألم في نظر المتشائمين ذو طبيعة ايجابية ، وهو وحده حقيقي ، لأن الحياة في نظرم نضال مستمر ، ورغبة غير مستقرة ، وسخط على الحاضر ، ونزوع بالآمال الى المستقبل ، فلا يظفر الانسان بلذة إلا عند نسيانه شقاء الحياة ، وابتعاده بأحلامه عن الواقع . وهذا كله يدل على أن الألم حقيقة الحياة ، وان اللذة لا تحصل للنفس إلا عند خروجها من الألم . قال نضر الدين الرازي : « أما الألم فلا نزاع في كونه وجودياً » ، ثم قال محمد بن زكريا : « اللذة

عبارة عن الخلاص من الألم» ، (نفر الدين الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص ٧٥ - ٧٦) ، وهو رأي باطل لأن الألم لا ينشأ إلا عن الرغبات التي لم تتحقق والشهوات التي لم تدرك ، ولأن الفاعلية ليست بطبيعتها مؤالة ، بل الفاعلية المعتدلة ملائمة للنفس . إذا وقع بصر الإنسان على صورة ملبعة فانه يلتذ بإبصارها مع انه لم يكن له شعور بتلك الصورة قبل ذلك حتى تجعل تلك اللذة خلاصاً عن ألم الشوق اليها (نفر الدين الرازي : المحصل ص ٧٦) ، اللذة والألم هما من الكيفيات النفسية الأولية ، فليست اللذة خروجاً من الألم ، ولا الألم خروجاً من اللذة ، بل اللذة والألم كلاهما وجوديان ، ولكل منهما شروط خاصة تدل على انه ايجابي . (راجع : اللذة ، والتمب ، والهيجان ، والحزن) .

الإلهام

Inspiratio في اللاتينية

Inspiration (Révélation intérieure) في الفرنسية

Inspiration في الانكليزية

الإلهام مصدر ألهم ، وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء أو تركه ، وذلك بلا اكتساب أو فكر ولا استفاضة ، وهو وارد غيبي . ويشترط فيه أن يكون باعثاً على فعل الخير أو ترك الشر . ولذلك فسره بعضهم بالقاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه . وهذا يخرج الوسوسة لأن الإلقاء من الله ، أما الوسوسة فمن الشياطين .

وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم ، وهو بدء إلى العمل من غير استدلال ولا نظر . وقد يراد بالإلهام التعليم كما في : تعالى : « فألهما فجورهما وتقواهما » أي علمها . ولكن التعليم من جهة الله يكون تارة يخلق

العلوم الضرورية في نفس الانسان ، وقد يكون تارة أخرى بنصب الأدلة السمعية والعقلية . أما الإلهام فلا يجب إسناده ولا استناده الى المعرفة بالنظر في الأدلة ، وإنما هو اسم لما يهبس في القلب من الخواطر . فينتبه العقل من ذاته للمعنى المطلوب ويفهمه بأسرع ما يمكن ، ولهذا يقال فلان ملهم إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكاؤه ما لا يشاهده ولا يتعلمه ، ولذلك يفسر وحي النحل بالإلهام دون التعليم .

ومن الإلهامات ما يكون للانسان كالكشف الباطني الذي أشار اليه الغزالي في المنقذ من الضلال ، ومنها ما يكون للانسان والحيوان معاً كالأنفال الغريزية . قال ابن سينا : « من ذلك الإلهامات الفائضة على الكل من الرحمة الإلهية مثل حال الطفل ساعة يولد في تعلقه بالثدي ، ومثل حال الطفل اذا أقل وأقيم فكاد يسقط من مبادرته الى أن يتعلق بمستمسك لغريزة في النفس جعلها فيه الإلهام الالهي ، واذا تعرض لحدقته بالقذى بادر فأطبق جفنه قبل فهم ما يعرض له ، وما ينبغي أن يفعل كأنه غريزة لنفسه لا اختيار معه » (الشفاء ، الفن السادس من الطبيعيات ، طبعة براغ ١٩٥٦ ، ص ١٢٨) . وقال أيضاً : « وللحيوانات الأخرى وخصوصاً للطير صناعات أيضاً ، فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل ، لكن ذلك ليس بما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير » (المصدر نفسه ص ٢٠١) .

والإلهام أخص من الاعلام ، لأن الاعلام قد يكون بطريق الكسب ، وقد يكون بطريق التنبيه . والإلهام ليس سبباً يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للبرهان والالتزام ، وإنما هو كشف باطني أو جسد يحصل به العلم للانسان في حق نفسه . قال ابن سينا : « فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤبد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادي العقلية الى أن يشتعل حدساً أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال » (الشفاء ١ - ٣٦١ والنجاة ٢٧٣) . فالإلهام عنده

هو ما يلتقيه العقل الفعال في نفس الانسان ، والحدس هو قبول هذا الالهام .
وهذا المعنى قريب من المعنى الذي ذهب اليه ابن خلدون في قوله : « فاعتبر
ذلك واستطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره
بالالهام الى الصواب » (ابن خلدون . المقدمة ص ٣٠٨) .

والفرق بين الالهام والوحي أن مصدر الالهام باطني ومصدر الوحي خارجي .
بل الالهام من الكشف المعنوي والوحي من الشهودي ، لأنه إنما يحصل بشهود
الملك وسماع كلامه ، أما الالهام فيشرق على الانسان من غير واسطة ملك
وذلك بالوجه الخاص الذي للحق مع كل موجود . فالالهام أعم إذن من الوحي ،
لأن الوحي مشروط بالنبيغ ، ولا يشترط ذلك في الالهام .

وقد فرق ابن سينا بين الوحي والالهام في كلامه عن فروع العلم الالهي ،
فقال : « فمن ذلك معرفة كيفية نزول الوحي والجواهر الروحانية التي تؤدي
الوحي ، وان الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً أو مسموماً بعد روحانيته ...
وان الأبرار الأتقياء كيف يكون لهم إلهام شبيه بالوحي وكرامات تشبه
المعجزات » (ابن سينا ، تسع رسائل ، ص ١١٤) .

وقال أيضاً : « ان الأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم واليقظة
قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر ولا يبقى له أثر ... وقد يكون
قوياً جداً ، وتكون النفس عند تلقيه رابطة الجأش ، فترسم الصورة في
الخيال ارتساماً جيداً ، وقد تكون النفس بها معنية فترسم في الذكر ارتساماً
قوياً ... فما كان من الأثر الذي فيه الكلام مضبوطاً في الذكر في حال
يقظة أو نوم مضبوطاً مستقراً كان الهاماً أو وحياً صراحاً أو حلماً لا يحتاج الى
تأويل أو تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكباته وتواليه احتاج الى
أحدهما » (الاشارات ، ص ٢١٦ - ٢١٧) . وهذا يختلف بحسب الأشخاص
والأوقات والمادات . فالوحي يحتاج الى تأويل والحلم الى تعبير .

الامتداد

في اللاتينية Extensio , Extentus وهو مشتق من Extendere

في الفرنسية Etendue

في الانكليزية Extension, extent.

الامتداد في اللغة الانبساط . تقول امتد الشيء انبسط ، وامتد به السير طال ، وامتد النهار تنفس ، وامتد الماء كثر ، وامتد نظره الى الشيء طمح يبصره اليه .

والامتداد عند الحكماء عدة معان :

١ - الامتداد هو الصورة الجسمية ، أو هو كون الأجسام موجودة في المكان حالة بجزء منه . قال ابن سينا : «الامتداد الجسماني يلزمه التناهي فيلزمه الشكل (الاشارات ٩٥) . ومعنى ذلك أن الامتداد الجسماني متناهي ، والشيء المتناهي يلزمه أن يكون ذا شكل . فالامتداد المتناهي هو إذن ذو شكل .

٢ - الامتداد جزء من المكان ، وهو متناهي أما المكان فغير متناهي .

٣ - وقد يجبي الامتداد بمعنى البعد كما في قول ابن سينا : « وليس الجسم جسماً بأنه ذو امتدادات ثلاثة مفروضة » (الشفاء ، ١ - ٥) أي أبعاد ثلاثة . راجع قوله في كتاب النجاة (ص ٣٢٢) : « ان الجسم ليس هو جسماً بأن فيه بالفعل أبعاداً ثلاثة » . ومن هذا القيل أيضاً قول ابن طفيل : « فلم يجد شيئاً يعم الأجسام كلها إلا معنى الامتداد الموجود في جميعها في الأقطار الثلاثة التي يعبر عنها بالطول والعرض والعمق » (حي بن يقظان ص ٦٨) ، وقوله : « ثم تفكر في هذا الامتداد الى الأقطار الثلاثة هل هو معنى الجسم بعينه ، فرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر هو الذي يوجد فيه هذا الامتداد ، وان الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه ، كما ان ذلك الشيء الممتد لا يمكن

أن يقوم بنفسه دون امتداد . واعتبر ذلك ببعض هذه الأجسام المحسوسة ذوات الصور كالطين مثلاً ، فرأى أنه إذا عمل منه شكل ما كالكرة مثلاً كان له ضول وعرض وعمق على قدر ما ، ثم إن تلك الكرة بعينها لو أخذت وردت إلى شكل مكعب أو يضي لتبدل ذلك الطول وذلك العرض وذلك العمق ، وصارت على قدر آخر غير الذي كانت عليه والطين واحد بعينه لم يتبدل» (حي بن يقظان ٦١) .

٤) وقد يطلق الامتداد مجازاً على ما يتبدل من الأشياء حتى يبلغ مدى بعيداً أو قريباً فنقول امتد به السير ، وامتد النهار ، وامتد النهر أو البحر ، وامتد البصر أو الفكر .

٥ — ولقد فرق (ديكارت) بين الامتداد والمكان ، فقال لا فرق بينهما إلا من حيث إن الامتداد خارجي والمكان داخلي ، فإذا نظرت إلى الحيز من حيث أنه داخلي للجسم سمي هذا الحيز مكاناً ، وإذا نظرت إليه من حيث أنه صورة خارجية للجسم سمي امتداداً . فالحيز الداخلي هو المكان ، والخارجي هو الامتداد . إلا أننا كثيراً ما نطلق الامتداد على السطح المحيط بالجسم مباشرة أو نطلقه على السطح بصورة عامة فلا يختص بجسم دون جسم ، بل يشمل الأجسام كلها . ويرى (ديكارت) أن الامتداد هو الصفة الأساسية المقومة للمادة . فكما أنه لا مادة بدون امتداد ، كذلك لا امتداد بدون مادة .

والامتداد المعقول (Etendue intelligible) عند (مالبرانش) هو المقدار المجرد عن كل كيفية حسية ، وهو موضوع علم الجبر والتحليل الرياضي . وكثيراً ما يقيد الامتداد في الفلسفة الحديثة فيطلق على المعنى الثاني المذكور سابقاً (الامتداد جزء من المكان) كقولهم الامتداد خط محدود ، أو سطح محدود ، أو حجم محدود ، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة إلى المكان كنسبة المدة إلى الزمان .

الإمكان

Possibilitas في اللاتينية

Possibilité في الفرنسية

Possibility في الانكليزية

الإمكان في اللغة مصدر أمكن إمكاناً كما تقول أكرم أكراماً ، وهو أيضاً مصدر أمكن الشيء من ذاته ، تقول أمكن الأمر فلاناً وفلان سهل عليه أو تبسّر له فعله وقدر عليه ، وتقول فلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه ، وأمكنتني الأمر أي أمكنتني من نفسه .

والإمكان في الشيء عند المتقدمين من الفلاسفة هو إظهار ما في قوته الى الفعل ، وذلك أنك إذا تصورت طبيعة الواجب كان طرفاً ، وبإزائه في الطرف الآخر طبيعة الممتنع ، وبينهما طبيعة الممكن ، والمسافة التي بين الواجب والممتنع اذا لحظت وسطها على الصحة فهو أحق شيء وأدلاء بطبيعة الممكن . وكما قربت هذه النقطة التي كانت وسطاً الى أحد الطرفين كان ممكناً بشرط وتقييد فقبل ممكن قريب من الواجب وممكن بعيد عنه (أبو حيان التوحيدى ومسكويه ، كتاب الحوامل والشوامل ص ١٠٠) .

قال ابن سينا : « والامكان إما أن يعنى به ما يلزم سلب ضرورة العدم وهو الامتناع . . . وإما أن يعنى به ما يلزم سلب الضرورة في العدم والوجود جميعاً » (ابن سينا ، الاشارات : ٣٤) . « فالتبار الذات وحدها لا يتخلو إما أن يكون مقتضياً لوجوب الوجود ، أو مقتضياً لإمكان الوجود ، أو مقتضياً لامتناع الوجود » (ابن سينا ، النجاة : ص ٣١٧) ، « ونحن نسمي إمكان الوجود قوة الوجود » (الشفاء ٣ : ٤٧٧ ، النجاة ٣٨٥) .

والإمكان عبارة عن كون الماهية بحيث تتساري نسبة الوجود والعدم اليها ، أو عبارة عن التساري نفسه على اختلاف العبارتين ، فيكون صفة للماهية حقيقة

من حيث هي هي (كليات أبي البقاء) . وهذا المعنى الأخير قريب من المعنى الذي ذهب اليه المحدثون في قولهم الامكان هو صفة للممكن بالمعنى الموضوعي أو الخارجي .

ويطلق الامكان في اللغة الانكليزية على الأفعال والحوادث الممكنة كما تقول : بحث في جميع وجوه الامكان . ويطلق أيضاً في الفلسفة الحديثة على حرية فعل الشيء ، وهذا المعنى قريب من معنى الوسع والطاقة ، تقول ليس في وسعه أن يفعل كذا أي لا يقدر عليه .

والامكان هو إحدى مقولات الفيلسوف (كنت) ، وهو مقابل للوجود والضرورة ، والقضايا التي يدخل فيها الامكان تسمى عنده بالقضايا المحكنة ، ويقابلها من ذوات الجهة الوجودية والضرورية . وابن سينا أيضاً يسمي القضايا التي يدخل فيها التوجوب والامكان والامتناع بذوات الجهة ، ويعمل الجهات ثلاثاً : الواجب ويدل على دوام الوجود ، والممتنع ويدل على دوام العدم ، والممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم . والواجب والممتنع يتفقان في معنى الضرورة فذاك ضروري الوجود وهذا ضروري العدم . أما الضروريات فهي كقولنا (كل ب ا) بالضرورة ومعناه أن كل واحد مما يوصف عند العقل بأنه (ب) هو دائماً (ا) مادام ذاته موجوداً . ومثاله كل متحرك جسم بالضرورة . وأما الممكنات فهي التي حكمها من سلب أو ايجاب غير ضروري ، وإذا فرض موجوداً لم يعرض منه محال كما في قولنا كل (ب ا) بالامكان ، فمعنى هذا القول ان كل واحد مما يوصف بأنه (ب) كيف كان فان ايجاب (ا) عليه غير ضروري ، وإذا فرض هذا الايجاب حاصلاً لم يعرض منه محال .

والفلاسفة يفرقون بين الامكان المنطقي والامكان الوجودي . فالامكان المنطقي عندهم عبارة عن كون الشيء خالياً من التناقض الداخلي ، وهو والمعقولية شيء واحد ، حتى لقد عرف (ليبنتز) هذا الممكن بقوله : كل ما لا يستلزم وجوده تناقضاً فهو ممكن .



والامكان الوجودي يستلزم الامكان المنطقي ، ويستلزم بالاضافة الى ذلك شروطاً خارجية تنقل الشيء من حيز التصور الى حيز الوجود الخارجي . فقد يكون الشئان أو الحادثان ممكنين في العقل ، ولا يكونان ممكنين معاً في الواقع ، لأن وجود أحدهما بالفعل قد يمنع وجود الآخر . فكل ممكن وجودي ممكن في العقل ، وليس كل ممكن في العقل ممكناً في الوجود الخارجي . والامكان أعم من الوسع لأن الممكن يكون مقدوراً للإنسان ، وقد يكون غير مقدور له . والوسع راجع الى الفاعل ، والامكان الى المحل . وقد يكونان مترادفين بحسب مقتضى المقام .

والامكان العام هو سلب الضرورة عن أحد الطرفين ، والامكان الخاص سلب الضرورة عن الطرفين معاً .

والامكان الذاتي بمعنى التجويز العقلي الذي لا يلزم من فرض وقوعه محال . وهو أمر اعتباري بعقل لشيء عند انتساب ماهيته الى الوجود وهو لازم لماهية الممكن قائم بها ، يستحيل انفكاكه عنها ، ولا يتصور فيه تفاوت بالقوة والضعف والقرب والبعد . لذلك قال فخر الدين الرازي : « الممكن لذاته هو الذي لا يلزم من فرض وجوده ولا من فرض عدمه من حيث هو محال » (فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٤٦) . والامكان الاستعدادي أو الوقوعي أمر موجود من مقولة الكيف قائم بمحل الشيء الذي ينسب اليه لا به وغير لازم له (التهانوي ، الكشف) .

والعامة يعنون بالممكن ما ليس بمحتنع من غير أن يشترطوا فيه أنه واجب أو لا واجب ، وهذا خطأ ، بل الممكن عند الفلاسفة يدل على ما ليس بمحتنع ولا واجب . وهذا المعنى أخص من المعنى الذي تستعمله العامة ، فيكون الواجب أو الممتنع كلاهما خارجين عن حظيرة الممكن ، ويكون الممكن نفسه

دالاً على غير الضروري . (يتبع) جميل صليبا

(مراجعة كتاب فيه)
اختصار الجبر والمقابلة

تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر

هذا كتاب في الجبر والمقابلة ، أرسله إليّ المستشرق التشيكي الدكتور نيكل Nykl ، أثناء زيارته لمدريد عام ١٩٣٣ .

والكتاب مطبوع في مدريد سنة ١٩١٦ بالفتين العربية والاسبانية ، ووقف على طبعه (يوسف شانجاس بارس المجريطي) .

وقد سبق وأشرنا الى هذا الكتاب في بعض مؤلفاتنا . .

والطبعة العربية لهذا الكتاب غريبة في أشكال حروفها ، تصعب قراءتها ، فبعض الأشكال يختلف تماماً عن أشكال الحروف الحالية ، فشكل الحرف (د - دال) هو غير الشكل الذي نعرفه . وعصا الحرف (ط) مائلة جداً ، وكذلك أشكال الحروف (ج ، ح ، خ ، ك) شملها تعديل بسيط .

والكتاب منسوخ عن مخطوطة نسخها (عبد الصمد بن سعد بن عبد الصمد) من فاس عن مخطوطة قديمة . ويقول في نهاية الكتاب :

« ... أتممت قراءة هذا الكتاب بعد أن كنت نهكت ، من غير هذه النسخة ، وأصلحت ما ظهر لي فيها من الفساد بسبب فساد هذه النسخة المنقول منها هذه . وذلك في الرابع من شوال عام أربع وستين وسبعائة هجرية . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد المعترف بذنبه الراجي مغفرة ربه (عبد الصمد بن سعد ابن عبد الصمد) لطف الله تعالى به . وذلك (بسجانة القصر) من داخل مدينة فاس . والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبيده ... »

* * *

ولقد أصاب الإهمال تراث ابن بدر، وأحاط الغموض بحياته ، فلا نجد شيئاً يذكر عن مآثره في كتب تاريخ العلوم الرياضية ، وهو الذي برع فيها ، ووقف جهوداً عليها ، وأخرج فيها مؤلفاً تقيساً هو الكتاب الذي نحاول مراجعته . وبعد البحث وجدنا أن ابن بدر من علماء إشبيلية من أعمال إشبانيا ، ظهر في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد واسمه (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر) .

يبدأ الكتاب بما يدور عليه الجبر من أعداد وجذور ومال ، والمقصود من الجذر المجهول (س) ومن المال مربع الجذر (س^٢) . ويوضح كلاً من هذه الأشياء الثلاثة . ويذكر المسائل الست وهي المذكورة في كتاب (الخوارزمي) وكتب غيره من علماء المسلمين والعرب .

فالمسألة الأولى — أموال تعدل جذوراً ، أي أن :

$$م س^2 = ح س$$

والمسألة الثانية — أموال تعدل عدداً ، أي أن :

$$م س^2 = ب$$

والمسألة الثالثة — جذور تعدل عدداً ، أي أن :

$$ه س = م$$

والمسألة الرابعة — أموال وجذور تعدل عدداً ، أي أن :

$$ح س^2 + ه س = ب$$

والمسألة الخامسة — أموال وعدد تعدل جذوراً ، أي أن :

$$م س^2 + ب = ح س$$

والمسألة السادسة — جذور وعدد تعدل أموالاً ، أي أن :

$$ح س + ب = ه س^2$$

ثم يأتي على كيفية حل كل من هذه المسائل ، بطريقة لا تختلف عن الطريقة التي نعرفها الآن . وبعد ذلك نجد أبواباً تبحث في الجذور واضعافها وتجزئتها وضربها وقسمتها وجمعها وطرحها . ويقصد من الجذور هنا الأعداد التي تحت علامة الجذر التربيعي من التي لها جذر ، والتي ليس لها جذر أي الجذور الصم . ومن هذه الموضوعات وما حوته من أمثلة عددية كثيرة ، يتبين أن ابن بدر كان ملماً إلماماً جيداً بنظريات القوي والجذور الصم وكيفية إجراء الأعمال الأربعة عليها مما نجده الآن في كتب الجبر للمدارس الثانوية . وبعد هذا ينتقل (ابن بدر) الى ضرب المجاهيل بعضها في بعض ، والى العلامتين الزائد والناقص وما يسودهما من قوانين حين الضرب وحين القسمة ، وكذلك الى جمع الأشياء والأموال والكعوب بعضها الى بعض ، وطرحها بعضها من بعض ، وقسمتها بعضها على بعض .

وقد أتتبع هذه البحوث باباً في معرفة الجبر والمقابلة جاء فيه :

« الجبر : هو الزيادة في كل ناقص حتى لا ينقص ، والمقابلة : طرح كل نوع من نظيره ، حتى لا يكون في الجهتين نوعان متجانسان . . . »

أي أنه لو كان لديك المعادلة : $100 - 10 = 70$

فبالجبر تصبح : $100 = 70 + 10$

وبالمقابلة تصبح : $30 = 10$

وهناك من علماء العرب من صوّف « الجبر والمقابلة » بغير هذا ، إلا أن الاختلاف في التعاريف بسيط جداً ، حتى يمكننا القول : ان « الخوارزمي » ومن أتى بعده من علماء العرب ، « كاثي كامل » و « ابن البناء » و « الآملي » و « الفلصادي » وغيرهم ، اتفقوا في تفسيرهم لكلمتي : الجبر والمقابلة .

بعد كل هذا ، أتى « ابن بدر » على تطبيق في المسائل الست وهي - على رأيه - : « التي يدور عليها جمع الجبر . . . »

كما جاء على مسائل أخرى وضعها في أبواب متنوعة ، سماها : باب مسألة العشرات ، وباب في مسائل الأموال ، وباب في الصدقات ، وباب في القمح والشعير وفي التجارة . وقد يرغب القارئ - أو بعبارة أصبح بعض القراء - أن تأتي على أمثلة من هذه الأسئلة :

جاء في باب العشرات : « ١٠٠ عشرة فسحتها إلى قسمين ، فضربت كل قسم في نفسه ، وجمعت الضربين فبلغ اثنين وثمانين ١٠٠ »

وجاء في باب مسائل الأموال : « إذا قيل لك : مال طرحت منه ثلثه وربعه وأربعة دراهم ، وضربت ما بقي في مثله ، فعاد المال واثنًا عشر درهماً ١٠٠ » ومن مسائل باب التجارة : « إذا قيل لك : رجل كان معه مال ، فاسمه رجل وفضله بدرهم ، ثم قاسمه بالباقي رجل ثان وفضله بدرهمين ، ثم قاسمه بالباقي رجلًا ثالثًا وفضله بدرهم ، وبقي معه عشرة دراهم . كم المال ١٠٠ »

ومن باب الصدقات : « امرأة تزوجت ثلاثة أزواج ، فأصدقها الأول : شيئًا مجهولاً ، وأصدقها الثاني : جذر ما أصدقها الأول : ودرهماً ، وأصدقها الثالث : ثلاثة أمثال ما أصدقها الثاني وأربعة دراهم ، فكان المجتمع أربعين ١٠٠ » ومسائل باب القمح والشعير لا يختلف حلها عن التي تقدمت .

وهكذا سار « ابن بدر » في المسائل ، وقد حلها جميعها ، وكانت يرجع المسألة إلى حالة من حالات المسائل الست ، ثم يجري عليها طريقة حل تلك الحالة . ومن غريب الأبواب التي وجدناها في الكتاب : باب الجيوش ، أدخل فيه مسائل تحتاج إلى استعمال المتواليات العددية وقوانين جمعها ، ويقول بهذا الشأن : « ١٠٠ وعلة عمل الجيوش وتفاضل الضلعة » نوع من أنواع الجمع ، وهو إذا تفاضلت الأعداد بمدة معلومة دون التضعيف ، فاضرب التفاضل في عدة الأعداد إلا واحداً ، فما بلغ فاحمل عليه أول الأعداد ، يكن ذلك آخر

الأعداد ، واضربه في نصف العدد - أعني عدة الأعداد - يكن ذلك المطلوب . «
وهنا يأتي «ابن بدر» على قانون جمع المتواليات العددية ، وقد كان معروفاً
قبله ، فلو أخذنا المتوالية العددية ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، فالتفاضل هو
٣ ، وعدة الأعداد في هذه الحالة ٥ .

وعلى هذا مجموع هذه الأعداد بحسب ما يقول «ابن بدر» كما يلي :

$$١٢ = (١ - ٥) \times ٣$$

$$١٦ = ٤ + ١٢ \quad \text{وهو آخر أعداد المتوالية العددية .}$$

$$٢٠ = ٤ + ١٦$$

$$٥٠ = \frac{٢٠}{٤} \times ٢٠ \quad \text{وهو مجموع الأعداد .}$$

وفي الكتاب أيضاً : باب البريد ، وفيه مسائل تتعلق بسير البريد ، وخروجه ،

واللحاق به ، ومنها :

«إذا قيل لك : بريد خرج من بلدة ، وأمره أن يسير كل يوم عشرين
فرسخاً ، فسار خمسة أيام ، ثم أرسل معه بريداً آخر ، وأمره أن يسير كل
يوم ثلاثين فرسخاً ففي كم يوم يلحقه ؟» .

ولا ينبغي على مدرسي الرياضيات بالمدارس الثانوية ، أن هذه المسألة على نمط

كثير من المسائل في كتب الحساب الحديثة .

ونأتي الآن إلى الباب الأخير ، وقد سماه باب الالتقاء ، ولعل القارئ
يدرك نوع مسائله من المسألة الآتية : «... إذا قيل لك : رجلان التقيا ،
ومع كل واحد منهما مال ، ووجدوا مالا ، فقال أحدهما لصاحبه : اعطني مما
معك درهماً ، وهذا المال الموجود يكون معي مثل ما بقي معك ، وقال الآخر :
بل أنت إن أعطيتني مما معك أربعة دراهم ، وهذا المال الموجود ، يكون
معني ثلاثة أمثال ما بقي معك ، كم كان مع كل واحد منهما ، وكم المال
الموجود ... ؟»

أي أن $ص + ١ + ع = س$

$$س + ١ + ٤ + ع = ٣ (س - ٤)$$

وهنا فرض «ابن بدر» أن مامع الأول $ص$ ، وما مع الثاني $س + ١$ ،
والمال الموجود $ع$.

وعند حل هذه المسألة ، وغيرها من مسائل باب الالتقاء ، وباب القمح
والشعير ، خرج «ابن بدر» بمعادلات غير معينة ، وقد أطلق على هذا النوع
من المسائل «المسائل السائلة» لأنها «... تخرج بصوابات كثيرة» أو
بأجوبة كثيرة .

وقد حلّ «ابن بدر» كثيراً من المسائل التي تؤدي إلى معادلات سائلة
بطريق ملتوية ، تدل على قوة فكره ورسومه التام في علم الجبر .

ويمكن القول أن أكثر المسائل التي أتى بها «ابن بدر» في كتابه ،
مسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه عصره من معاملات في التجارة ، أو الصدقات ،
وإجراء الغنائم ، والمرتببات على الجيوش ، كما تطرقت إلى البريد والحقاق به ،
وإلى طرق البيع والشراء في القمح والشعير .

وهذه منزلة امتازت بها المؤلفات العربية القديمة ، فلقد كان رياضيي العرب
يفضلون المسائل العملية والتي تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته .

وحبذا الحال لو يتبع المؤلفون هذه الطريقة في وضع المسائل الرياضية ،
ففي ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد ، مما يجعلهم يدركون مكانة
العلوم الرياضية من الوجهة العملية ، في نواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق
بأعمال الإنسان المادية .

وأخيراً نجد «مسألة من الشاذ^(١)» يظهر أنها من وضع «عبد الصمد» الناصخ

(١) في متن المطبوع وفهرسه : (مسألة من شاذ) . ولكن يتضح من قراءة الرموز
الذي أنبته الناشر أنها (مسألة من الشاذ) . (المجلة)

الأول للكتاب ، وقد وضعت في ذيله ، وهي : « ٠٠٠ إذا قيل لك
مائة وزه تعلق في الليلة الواحدة مائة يرشالة ، ومات منها كل ليلة واحدة
الى أن نفي عددها ، كم توفر من الطعام وكم أنفق من الطعام ؟ » ولا يخفى
ان حل هذه المسألة يتطلب استعمال قانون جمع المتواليات العددية ، وقد جاء
الحل كاملاً في الكتاب .

ويقال إن « محمد بن القاسم النرناطي » في القرن الرابع عشر للميلاد ،
شرح كتاب « ابن بدر » شعراً ، ولعله محفوظ في إحدى المكتبات في الغرب .
والآن وبعد أن أتممتنا تقديم كتاب « ابن بدر » والتعليق عليه ، يثبني
لنا فضل المؤلف على الجبر وسعة اطلاعه فيه ، وقد صاغ قواعده وأصوله في
لغة بليغة وأسلوب أخاذ .

وعلى كل حال ؛ فالكتاب يمثل أثراً من الآثار الخالدة التي تركها العرب
للأجيال ، كانت من أهم عوامل تقدم الرياضيات العالية ، وسائر العلوم الطبيعية ،
التي قامت عليها الأعمال الهندسية الكبرى ، والنهضة الصناعية الحديثة .

فرري حافظ طوقان

تحقيقات حول

نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة

- ١ -

مقدمة

منذ عهد بعيد ، لم تقل شهرة أبي حامد الغزالي في الغرب عما بلغت في الشرق . فقد عرفته العصور الوسيطة اللاتينية ولما يمض قرن على وفاته تحت اسم Algazel ، فورد له ذكر ^(١) عند ريموند مارتان Raymond Martin (١٢٣٠ - ١٢٨٤) ، وريموند لول R. Lulle (١٢٣٥ - ١٣١٥) ، ثم عند كاجيتان Cajétan (١٤٦٨ - ١٥٣٤) . وقد كانت هذه المعرفة واردة في الدرجة الأولى عن طريق دومينييكوس غونديسالينوس Dominicus Gondissalinus رئيس الشمامسة بقشتالة القديمة (مدينة Ségovie) : إذ صنع في منتصف القرن الثاني عشر ترجمة لكتاب « مقاصد الفلاسفة » بعنوان ^(٢) *Logica et Philosophia Algazelis Arabis* ؛ وفي الدرجة الثانية عن طريق

(١) راجع Bouyges, *Notes sur les Philosophes Arabes connus des latins au moyen - âge* in *Mélanges de la Faculté Orientale* (Université St. Joseph) Beyrouth VII (1914 - 1921) .

(٢) زعم شمولدرز (*Essai*, 220-1) أن كتاب « معيار العلم » هو الأصل لترجمة اللاتينية الرديئة المنشورة في سنة ١٥٠٦ بمناية Pétus Lichtenstein من أهل كولونيا . وقد نبه على هذا الخلط - وإن كان لا يزال يومئذ جاهلاً بما في الميار - صليان مرنك (*Dictionnaire des sciences philosophiques*, 602; *Mélanges*, 371) والذي أعله أن في مذكرات المكتبة القومية بباريس ترجمة « المقاصد » المطبوعة في البندقية سنة ١٥٠٦ (اطلب Rés. R. 809) .

ترجمتين ^(١) لاتينيتين لكتاب ابن رشد الشهير «تهافت التهافت» تحت عنوان *Destructio destructionum Algazelis* . ومن المعروف أن هذا الكتاب ينطوي على جزء كبير من «تهافت» الغزالي . وعلى الرغم من أن هذه التراجم في جملتها مقدمة مغلفة ^(٢) ، إلا أن هذا لم يمنع أن يكون لها - كما هو الأمر في رأي جيلسن ^(٣) - «أبعد الأثر وأقواه في السكولائية المسيحية» ؛ وعنده أنها «الينبوع الذي روت منه فلسفة اللاهوتيين» التي أسماها «الأوغسطينية السبنوية» (*Augustinisme avicennisant*) دالاً بذلك على مبلغ تأثير الفلاسفة العربية في أمثال غيوم الأوترني (*Guillaume d'Auvergne*) ، وروجه باكون (*R. Bacon*) ، وجان بيكام (*Jean Peckam*) .

إلا أن الوجه الذي عُرف به الغزالي في الغرب ، ولا سيما في القديم ، يختلف عن حقيقة الوجه الذي يجب أن يعرف به . فقد كان يُظان أن النظريات والآراء التي أوردتها ودعمها في «مقاصد الفلاسفة» دعماً قوياً تمثل نزعة الفلسفية . حتى أن من المحدثين من انساق إلى هذا الوهم ، مثل رينر الذي ذكر في تاريخه الضخم للفلسفة ^(٤) مذهب الغزالي حملاً على ذلك الكتاب . ومضى الباحثون يحارون في تحليل قضية شائكة أعني ما طلع به أبو حامد في التهافت من نقض وهدم ودكٍ لمعالم ذلك البناء الشامخ الذي بناه في «المقاصد» حجراً فحجراً .

(١) الأولى منها مطبوعة في البندقية (سنة ١٤٩٧) وغير معروفة المؤلف ، إلا أن لها تفسيراً لأغوستينو نبفوس . والثانية ليودي من أهل نابولي Calo Calonymos (سنة ١٥٢٧) . وقد نشر Heimann Auerbach ترجمة عبرية مفسرة لها هي المأخذ لكل منها .

(٢) راجع ماورد عن عجة هذه التراجم و «بربرتها» لدى (*Degérando, Histoire comparée des Systèmes de philosophie, IV, 225*)

(٣) *Gilson, Les Sources Gréco - latines de l'Augustinisme avicennisant, (apud Archives d'Hist. doct. et littér. du Moyen-âge p.74*

Ritter, *Geschichte der Philosophie* t. VI:1, pp. 59-60

(٤)

وذهبوا يعجبون كأنهم يتساءلون : هل يجوز لفيلسوف يحترم نفسه أن يتقلب من الضد إلى الضد دون أن يُغَيَّرَ مصباحه بين يديه فيتغير البواعث والدوافع لموقفه الجديد^(١) ؟ والواقع أن الغزالي قد فعل منذ أن أنصرف إلى تأليف كتابيه ولكن منزلة قدم الشارحين في ارتكاب هذا الخطأ هو أن الترجمة اللاتينية (المطبوعة) خلافاً للأصل العربي لا تحتوي العبارة الآتية الواردة في آخر « المقاصد » : « فهذا ما أردنا أن نحكيه من علومهم المنطقية والإلهية والطبيعية من غير اشتغال بتمييز الفث من السمين والحق من الباطل . ولنفتتح بعد هذا كتاب تهافت الفلاسفة حتى يتضح برهان ما هو باطل من الجملة »^(٢) . ولما لفت مونك^(٣) النظر إلى أن هذه العبارة موجودة أيضاً في تراجم عبرية مختلفة ، وفي نسخة لاتينية مخطوطة في السوربون (تحت رقم 941) ، ظل دوهيم^(٤) على حال التردد في أن يقبل الأمر على علانه ، وذهب يتساءل : ألم تضاف هذه الجملة إضافة لاحقة إلى « المقاصد » من قبل الغزالي نفسه (أو من قبل أحد تلامذته) بعد ارتداده [« volte - face »] عن موقفه الأول لعله من العلال ؟ ونحن نظن أن لو لُفِتَ نظره أيضاً إلى ما جاء في مقدمة « المقاصد » تأييداً لخاتمته لبقى شكه قائماً من هذه الناحية .

(١) هذا لا يعني أنهم غفلوا جلياً عن الحقيقة ، ونظن أن روثان خاصة عندما قال في كتابه عن ابن رشد ومذهبه (ص ٩٦ من طبعة ١٨٦٦) : « الغزالي - غير مدافع - هو من بين أعلام المدرسة الفلسفية العربية أشد ما أصالة فكر » إنما كان ، لدى حكمه هذا ، متجنباً - وهو على صواب في اتجاهه - إلى المظهر التقدي السلي عند الإمام (كما يبدو من خلال « التهافت ») لا إلى المظهر التبريري الإيجائي (كما يبدو من خلال « المقاصد ») .

(٢) وردت هذه العبارة في طبعة الكردي (سنة ١٣٣١ هـ) مع تغيير في بعض الألفاظ .

(٣) S. Munk, *Mélanges de Philosophie juive et arabe*, p.370

(٤) Duhem, *Le Système du Monde*, IV, p. 501 - 502

مما يمكن من أمره ، وسواءً أكان الغزالي قد اعتقد في طورٍ من أطوار حياته ما أورده في « المقاصد » من نظريات - وهذا رأي ابن رشد - أم أنه كتبه منذ البدء ليخلص مذهب الفلاسفة تلخيصاً نيراً ثم يرد عليهم ، فإن المسألة ليست بذات خطر كبير من الوجهة العملية . لأن الغزالي اعتباراً من مطلع سنة ٤٨٨ هـ (= كانون الثاني سنة ١٠٩٥) - وهي السنة التي فرغ فيها من تصنيف « التمهات »^(١) - إلى أن لقي وجهه ربه^(٢) ، ظلّ على اتخاذ موقف نهائي وهو معاداته للفلاسفة معاداة متفاوتة في المسائل التي وردت في هذا الكتاب الذي بهنّا . تشهد على ذلك كتبه التي ألفها منذ العزلة^(٣) إلى آخر أيامه ، وعلى رأس هذه الكتب « إحياء علوم الدين » و « المنقذ من الضلال »^(٤) . ونحن لا نجعل أن التصريحات التي وردت في هذا الكتاب الأخير تشير مشكلة

(١) راجع مخطوط مكتبة فاتيح في استنبول الذي يعمل تاريخ « الحادي عشر من محرم سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة » . وقد قبل هذا التاريخ الأب بويج في صدر الطبعة النقدية للكتاب (بيروت ١٩٢٧) .

Bibliotheca Arabica Scolasticorum, Série Arabe t.II

(٢) توفي الغزالي « الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ » (راجع كتاب عبد الناصر الفاسي النيسابوري الذي ينقله ابن عساكر في « تبين كذب المنتري فيما نسب إلى الإمام إبراهيم الحسن الأشعري » (ص ٥٦ من طبعة دمشق) . وراجع أيضاً الجزء الأول من « وفيات الأعيان » لابن خلكان (ص ٦٦٢ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) . ويورد فلورن في طبعة « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة هذا التاريخ : ١٠ تموز ١١١١ . راجع ص ٢٨٥ من *Lexicon Bibliographicum et Encyclopaedicum*, éd London, 1850

(٣) وقعت هذه العزلة حوالي سنة ٤٨٩ هـ [= ١٠٩٥ م] . ودامت نحو عقد من السنوات . يقول في « المنقذ من الضلال » : « ويسر الله تعالى الحركة إلى نيسابور ... في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمئة . وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة . وبلغت هذه العزلة إحدى عشر [كذا] سنة » (راجع طبعة مكتب النشر العربي الثانية ص ١٥٣) .

(٤) راجع ص ١٢٧ من طبعة هذا الكتاب المنار إليها في الحاشية المقدمة .

« الشهادات » ولا سيما قيمة الشهادة الشخصية وقيمة « الاعتراف » في وثائق « التراجم الذاتية »^(١) (autobiographies) . ونعلم ، زيادةً على ذلك ، أنه وُجِدَ بالفعل بعضُ المؤلفين الذين رَمَوْا أقوال أبي حامد في كتابه الأخير [المنقذ] بأنها « غير صادقة وآراء غير مطابقة للواقع »^(٢) . ولكن هذا الزعم وإن صدق - على الرغم من أننا لا نقابله إلا بتحفّظ شديد -^(٣) ، فإنه لن يقدم وإن يؤخر في طبيعة النقد الفلسفي الذي استرسل إليه الإمام في « التيهات » لا من حيث الأهمية ولا من حيث القيمة ، وهو النقد الذي قيل في أثر صاحبه : إن الضربة التي أصابت منه الفلسفة العربية جعلت هذه الفلسفة لم تقم لها من بعده في الشرق قائمة^(٤) .

(١) لما درس فرانسوا مورياك حياة راسين ، كان من جملة ما قاله : « إن الكتب والمذكرات اليومية الخاصة التي يتركها الرجل العظيم من بعده ، شدة ما تخدع في غالب الأحيان من يؤرخ له . حتى أن رسالة تكتبها دون طمع في نشرها بعد موتنا لا تخرج عن كونها إنما كتبناها إلى من نوجهها إليه ، فالأمر يدور فيها لا على إثارة المرسل إليه ، بل على إدخال السرور عليه ووضع صورة عنا بين يديه . وأعرق المذكرات اليومية في الكتبان ، وادخلها في باب السر إنما هي تأليف وتزويق وكذب . نحن نتزعج من فوضائنا الباطنية مخلوقاً يفتن بالاتساق ، فنمكف على الأنس به . ولئن وُجِدَ إنسان يتخذ مذكرات شخصية لحض لفته لا لغيره المقبل (ونحن نشك في وجوده) ، فإنه يبقى لهذا الإنسان من يُنزل به خداعه ، وهو ذات نفسه . »

(François MAURIAC, La Vie de Jean Racine, Flammarion, p. 6-7)

(٢) راجع الصفحة ١٥٣ من كتاب الدكتور عبد الدائم أبو المطايري : اعترافات النزالي أو كيف أرخ النزالي نفسه (سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٤٣) وبهذه المناسبة تشير إلى أن ابن رشد كان من السابقين إلى اهتمام النزالي في صدق تقده (راجع تيهات النهايات ص ١٥٩ - ١٦٠) .

(٣) مما يرد على قضية الشك في صدق النزالي أن كثيراً من اعترافاته هي من الأمور التي لا يُدافع بها عادة عن النفس ، مثل تصريحه أنه كان ينشر العلم الذي به يُكسب الجاه « وقوله دون مواربة ولا جعجة : « كان ذلك قسدي وثقي » .

(٤) Dictionnaire des sciences philosophiques, article Gazûli par Muuk (٤)

نعم إن مثل هذا القول مما لا تسيغه التعاليل الحديثة ذوات الصبغة العلمية نظراً للدور المتجاوز الحد الذي يتنحه الأفراد في تطوير حادثة اجتماعية • إذ مما لا شك فيه أن حادثة هامة (مثل سيادة نزعة فكرية في بيئة ما أو انتشار مذهب فلسفي في رقعة من الأرض) مدبنة لفعل عوامل سياسية واقتصادية وايدولوجية وديمقراطية في غابة التعقيد • ولكن هذا لا يعني أن النقد الغزالي غير ذي نفع من الوجهة السوسيولوجية ، لأنه يُعتبر «واقعة» من الواقعات من حيث كونه نظاماً مرتباً من الأفكار كان له دور في جملة العوامل التي أدت إلى القضاء على الفلسفة في الشرق •

ولهذا فنحن إذ نعني بهذا النقد ونتمدى لدراسته ، إنما نفعل ذلك نظراً لما يقدمه من فائدة كبرى لتاريخ المذاهب والأفكار من جهة ، وللتاريخ العام من جهة أخرى • وبهذا الاعتبار تبدو قضية مثل القضية الآتية : هل يمثل كتاب «التهافت» مظهراً إيجابياً من مظاهر الفكر الغزالي ؟ أقل خطراً من التساؤل عن موضوع النقد الغزالي وغرضه ، أو التساؤل عن آليته وعن مغزاه ومداه • إذن فنحن سندقق في هذه الأمور مقدمين بين يدي مجئنا السؤال الأول : على من وعلام يقع النقد الغزالي ؟ ونستطيع أن نقول منذ البدء إن الغزالي لم يحارب كل الفلاسفة ، ولا هاجم جملة الفلسفة •

١ - فأما عن الناحية الأولى ، فقد صرح الغزالي في رأس المقدمات التي صدر بها «التهافت» أن تقدمه منصبٌ على إظهار التناقض في آراء أرسطو بحسب ما اختاره من تأويلاتها الفارابي وابن سينا^(٨) • وأيد ذلك في «المنتقد» حين قال : «ولقد قُرب مذهب أرسططاليس فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقل الفارابي

(١) راجع ص ٨ . وتنبه الفارابي إلى أن كل ما تذكره من أرقام منفعات «التهافت» هو بالاستناد إلى طبعة بويج . كما أن كل ما تذكره من أرقام «المنتقد» راجع إلى الطبعة الثانية التي أخرجها مكتب النشر العربي بتحقيق الدكتورين جميل صليبا وكامل عباد •

وابن سينا»^(١) . على أنه لدى كلامه ، في هذا الكتاب الأخير ، عن أصناف الفلاسفة ذكر الدهريين (الزنادقة) - أي الماديين كما تقول اليوم - وكذلك الطبيعيين - وهم الفيزيائيون قبل السقراطيين - ثم الأولمبيين وفيهم سقراط وأفلاطون وأرسططاليس و «متفلسفة الإسلاميين» على حد تعبيره^(٢) .

٢ - وأما عن الناحية الثانية ، فمن الثابت أن الغزالي قد قبل من الفلسفة - في مفهومها القديم - أقساماً يرمتها (كالرياضيات مثلاً) لأنه من الجازمين بأنه « ليس في مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل »^(٣) بل « هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها »^(٤) ومن الناقمين على « من ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين »^(٥) . ثم إن رأيه في المنطقيات صريح : فهو يعتقد أن « أكثرها على منهج الصواب ؛ والخطأ نادر فيها »^(٦) . وعلى الرغم من أنه فيما يتعلق بالطبيعيات يرى أن « الحق فيها مشوب بالباطل ، والصواب مشبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب »^(٧) ، فإنه لم يشتغل بالرد عليها إلا إلى حد ، كما لم يهتم بمناقشة السياسيات ولا الخلاقيات . ولكن الذي عناه من كل ذلك إنما هو « الأولمبيات » في مصطلحه . وهو يبادر إلى التقرير بأن « أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ؛ والصواب نادر فيها »^(٨) .

(١) راجع ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) ص ٨٤ - ٨٧ .

(٣) المقاصد ص ٣ .

(٤) المقصد ص ٨٨ .

(٥) النهاية ص ١١ .

(٦) المقاصد ص ٣ .

(٧) المرجع والصفحة نفسها .

(٨) المرجع والصفحة نفسها .

ولئن اعتبر أن من واجبه « أن يظهر فساد مذهب » الفلاسفة « في هذا الفن ونظائره » فذلك لأنه القسم الذي « يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين » ^(١) .

ولقد عدد الغزالي المسائل التي انبرى للرد عليها ، فخصرها في المسائل العشرين التي عالجها في كتاب « تنهايت الفلاسفة » ونحن نجد من الأيسر دراستها في أبواب كبرى تأتي متفرعة عنها تفرع الفصول . وهذه الأبواب هي ما سنسميه بـ « الكونيات » (Cosmologie) ، و « الإلهيات الصرفة » (Théodicée) و علم النفس العقلي » (Psychologie rationnelle) ثم « المبادئ المدبرة للمعرفة » . إلا أننا نود أن نشير إلى أنه ما دام ههنا النفوذ إلى طيبة النقد الغزالي والوقوف على مغزاه في سبيل تعرف مدى هذا النقد وتبين مراضته ، كانت دراستنا بالضرورة ملجأة إلى التوكيد على ميكانيكية الطرائق المستعملة في الاستدلال والاحتجاج خلال هذه المسائل . هذا مع الحرص على وضعها ضمن إطارها الزمني وهو عمل يستلزم بحثاً تاريخياً عن الأصول والمصادر .

وبما أن القارئ يتطلع إلى أن يعرف سلفاً إلى أين نمضي به ، فإننا نوجز منذ الآن النتيجة التي 'خيل إلينا أنها سرى النقد الغزالي في عبارة قصيرة فنقول : إن النية الحقيقة التي صدر عنها هذا النقد إنما هي تفنيد مزاعم خاطئة لميتافيزياء 'متأثرة تقوم دعواها العريضة على قصر تفسير الكون عليها من دون غيرها ، بينما هي تحدد من نطاق المعرفة بما ضيقته من حوزة « المعقولة » .

قضية أزلية العالم وأبديته^(١)

هذه القضية هي إحدى المسائل الثلاث^(٢) التي نبه الغزالي إلى أنها لا تلائم الإسلام بوجهه « و «معتقدا معتقد كذب الأنبياء»^(٣) . ولذلك أنقذ بتكفير القائلين بها من الفلاسفة الذين «خالفوا فيها كافة المسلمين»^(٤) . وقبل أن نخوض في تفاصيل المناقشة التي يسترسل إليها الغزالي مع خصومه ، لا بد لنا من التثبت : هل الأقوال التي بعزوها إليهم أقوال صحيحة ؟ فبما يتعلق بالفلاسفة العرب ، لا يمسر على المطلاع على كتب الفارابي وابن سينا بعد أن يتأمل أقوال الغزالي أن يتعرف في هذه الأقوال وجه شبهها بنصوصها الأصلية ، فيردّها إلى كتبهم ، ويخرج مقتنعاً بجياد المؤلف . وأما فيما يتعلق بالفلاسفة اليونان ، فالظاهر أن الغزالي لم تكن له بهم إلا معرفة سطحية وغير مباشرة . والسبب في ذلك يرجع إلى استغلاق التراجم العربية التي صنعها

(١) الأزلية (أو القدم) هو كون العالم «لا بداية لوجوده» ، والأبدية (أو السرمدية) هي كونه «لا نهاية لآخره» ولا يتصور فساد وفناؤه (راجع «التهافت» ص ٧٨ س ٥ - ٦) . ويلاحظ أن الالة العربية - خلافاً لغيرها من اللغات القديمة في الافصح عن هذا الفرق . فالفرنسية مثلاً تضطر أن تنسب إلى كلمة Eternité أحد الاصطلاحين اللاتينيين *a parte ante* أو *a parte post* في سبيل التمييز بين الممئين . وكذلك الالة الألمانية فإنها تصوغ كلا الممئين صياغة تركيبية فتقول في الأول *Anfangslosigkeit* وتقول في الثاني *Endlosigkeit* .

(٢) المسألتان الأخريان هما : «إن الله لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص» ؛ و «إنكارهم ببث الأجساد وحشرها» (تهافت ، خاتمة الكتاب ، راجع أيضاً المنفذ ص ٩٥) .

(٣) التهافت ص ٣٧٦

(٤) المنفذ ص ٩٥

لمؤلفاتهم المنقولة للسريانية تراجمة^{٢١} لا يحذقون العربية في الغالب . ولذلك فلا بد من الرجوع إلى مذاهب اليونان في هذا الموضوع لاجتلاء الحقيقة في صحة عنونها . يبدأ الغزالي فيقرر^(١) ان « الذي استقر عليه رأي جماهير المتقدمين والمتأخرين القول بقديم العالم » وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ، ومساوفاً له ، غير متأخر عنه بالزمان مساوفاً المعلول للعلة ومساوفاً النور للشمس « فكأنَّ قديم الله على العالم تقدم منطقي « بالذات وبالرتبة » لا تقدم زماني . ثم يردى أن افلاطون قال « العالم مكبون محدث » ومع ذلك وجد من يُشرّحه من فسر هذا القول تفسيراً يخالف ظاهره . وذهب جالينوس في آخر عمره (أي فاتحة القرن الثالث^(٢)) في كتابه المسمى [ما يعتقده جالينوس رأياً^(٣)] إلى التوقف في هذه المسألة لأنها غير قابلة للحل .

فيبدو من هذا أن الغزالي جازم في عنونه القول بقديم العالم إلى ثلاثة على

(١) ت : ٢١

(٢) راجع ص ٦ من Dr. Daremberg, *Galien considéré comme philosophe*, Paris, 1848

(٣) في رأي بول كراوس أن هذا الكتاب هو *De propriis placitis* وهو يُرجع القارئ إلى ص ١٥ من مقدمة « ترجمة تفسير جالينوس على طياروس » المندوبة إلى حنين بن اسحاق والتي أعدت مع فالزر Walzer طبعة نقدية لها بنوان *Galeni Compendium Timaei* تصدر في مجموعة *Plato arabis, I* وقال كراوس في الذبول التي ألحقها بكتابه عن جابر بن حيان تحت اسم جالينوس : إن من كتب هذا الأخير المذكورة في كتب جابر الـ *De propriis placitis* تحت اسم « ما اعتقده رأياً » إذ ورد في كتاب البخت [F. 30 b *infra*] ما يلي : « وقد أطلق مثل ذلك جالينوس في الناس ونحير ونجبل ولم يذكر ما يقول في ذلك حتى قال في كتابه الذي نسميه ما اعتقده رأياً إن النفس لا تدري ماهي » (راجع الصفحات ٣٢٩ - ٣٣٠ من الجزء الثاني في Paul Krauss *Jubir Ibn Hayyân, Contribution à l'histoire des scientifiques dans l'Islam*, 2 vol. apud : Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte et publiés sous les auspices de Sa Majesté Farouk Ier Roi d'Egypte, tomes 45 et 44 (1943 - 1942).

الأقل من الفلاسفة (أرسطو ، الفارابي ، ابن سينا) وميَّال إلى اعتبار افلاطون من هذه الزمرة - على الرغم مما اعتور رأيه من تأويل - بدليل أنه يعتبر موقف الطبيب الطرسوسي^(١) « كاشاذ في مذمهم » ويقول : « إنما مذهب جميعهم أنه قديم » .

فهنا لا بد لنا من إيراد ملاحظتين : أولاهما تتعلق بعدم الصحة ، والثانية تتعلق بالانغفال وترك النص .

١ - عدم الصحة :

إن ادعاء الغزالي أن القول بقدم العالم هي المقالة الشائعة في الفلسفة ادعاء خاطئ . بل لعل المقالة المماكسة هي التي شاعت في الفلسفة القديمة على وجه العموم . حتى إنه لم يمكن أن يقال : إنه ما عدا نفراً قليلاً من الفيثاغوريين الذين قالوا باستحالة حدوث العالم ، وبصرف النظر عن رأي أرسطو ، جرت الفلسفة اليونانية القديمة على سنة القول بالحدوث^(٢) . وتأبيداً لذلك لا نرى بأساً باستعراض سريع لتاريخ هذه القضية .

إن الميثولوجيا القديمة في مجموعها معتبرة ، في رأي مؤرخي الفلسفة ، كأنها مذهب واسع في التكوين الألوهي للعالم (*théogonie cosmologique*) فهو ميردس يضع قبل الأشياء قوتين إلهيتين هما : كرونوس (*Kronos*) ورها (*Rhèa*) . وهيزبود يجري تحليلاً لعناصر الكون فيقرر أن « الفوضى » (أو العماء *Chaos*) هي التي وجدت في الأصل ، ثم اشتقت منها (*Gaia*) وهي المادة

(١) كذا سماه جابر بن حنّان ويُعرف بطبيب برغام (كلود جالينوس) ، راجع الرسائل التي نشرها كراوس ص ٣٧٤ ولأجل الاطلاع على عرض مسهب لتاريخ حياته انظر الصفحات XLII - XXVII من كتاب

Ackermann, *Histoire Littéraire* (édition Knab) t. I

(٢) Th. Henri Martin, *Etudes sur le Timée de Platon* Paris, 1841, t.II, 191

الأرضية في طور التشكل التي انفصلت عنها العناصر بتأثير « الحب » (Eros) .
على هذا النحو ولدت كايا السماء ذات النجوم (Ouranos) فـ (Okéanos)
الخ ... ثم إن الأوربيين (Orphiques) هم من القائلين بأنه تحت تأثير
كرونوس ، التوت « الفوضى » على نفسها واتخذت في جوف الأثير الإلهي (Elther)
شكل بيضة من الفضة . وهذه البيضة انشطرت شطرين : فالشطر الأعلى منها
هو السماء ، والشطر الأسفل هو الأرض . بمعنى أن كل المذاهب التكوينية
الأسطورية قبلت أن للعالم بداية أي انه غير أزلي ^(١) .

نعم إن أوائل المفكرين بعد الطور الأسطوري وهم الطبيعيون الإيونيون
(physiciens d'Ionie) الذين حاولوا إيجاد مذهب منسجم في التعليل ،
التسوا المبدأ المشكل للكائنات . فقال تاليس (Thalès) في القرن السادس
قبل المسيح إنه الماء ؛ وقال أناكسياندر إنه اللانهاية ؛ وقال أناكزيمين
(المتوفى حول ٤٨٠) إنه الهواء ؛ وقال هيراقليط إنه النار . ولا ريب أنهم
اعتبروا هذا المبدأ - وإن كانوا لم يطرحوا تجديداً مشكلة أصل العالم - أزلياً
أبدياً (éternel et indestructible) . ولكنهم لئن فعلوا ذلك ، فإنما هم
قد أبدلوا بالألوهية قوى الطبيعة المادية فحسب ، وهم جميعاً يعتقدون أن عالمنا
الحالي « حادث سوف ينتهي » لدرجة أن شيشرون ^(٢) يقول : « إن العوالم
لا تُحصى ، وهي موجودة معاً ، تأتي إلى الوجود ، فتكبر فتتوت » . ولئن
زعم سيبليسيوس ^(٣) أن كزبنوفان برهن على قدم العالم ، فذلك ولا شك تأويل

(١) استمددنا عناصر هذا العرض من الأطروحة المثارة الآتية : J. Baudry

*Le Problème de l'Eternité du monde dans la philosophie grecque
de Platon à l'ère chrétienne, Paris, 1931*

(٢) Cicéron, *De Natur. Deor*, I, 70 apud : Baudry loc. cit V. 17.

(٣) Simplicius *In Phys.* 22,9 فحسب اعتقاده يكون الاستدلال هو الآتي :
« يستحيل أن تكون العالم بداية . ذلك لأن كل ما يولد فهو صادر إما عن
كائن مشابه وإما عن كائن مختلف . والواقع أن المشابه لا يلد المشابه ، وإلا
لاستحال الحركة ، من حيث لا داعي لحدوثها . وكذلك يستحيل صدور كائن
عن كائن مخالف له ، لأن في هذا حدوثاً لا كينونة عن اللا كينونة . »

لمذهب فيلسوف كولوفون (Xénophane de Colophon) على طريقة
الافلاطونية الحديثة . واستوبه^(١) (Stobée) يقرر أن هذا الفيلسوف لم يذهب
قط إلى أن عالمنا ما زال موجوداً من الأزل على حالته الحاضرة . وعلى الرغم
من أن لبارميندس (Parménide) دعاوى اتخذت فيما بعد حججاً للبرهات
على مقالة القدم ، فإن العالم معتبر لديه ذا بداية^(٢) . ثم إن الفيلسوفين الماديين
زعيمى المذهب الآتومي أعني لوسيب الملبتي تلميذ زينون الايولي (في القرن
السادس) وديمقريط الأبديري (في القرن الخامس والرابع) بإدخالها فكرة
الخلأ قد شقوا الطريق إلى النزعة الثنوية التي ظهرت فيما بعد عند أمبذقليس
(Empédocle) وأنكزاغور^(٣) (Anaxagore) . ومعلوم أن من رأي
هذين الأخيرين أن للعالم نهاية كما أن له بداية .

إذن فالفلاسفة « قبل السقراطيين » لم يعتمدوا إلا نظرية الحدوث - كما رأينا -

(١) Stobée Eclog . Phys I, 416 والنص في حاشية الصفحة ٢٠ من بودري
المذكور آنفاً (راجع الحاشية رقم ١ من الصفحة المقدمة) .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣

(٣) المعروف أن أمبذقليس الأغريجاني استأنف النظر في الطبيعيات في القرن الخامس
بعد أن قضى عليه بارميندس . لكنه استمسك ببعض مبادئ الايلين كبديتهم الفائل ؛
لا تحول ولا ولادة حقيقية لأن العدم لا يأتي عنه شيء ، 'جل' ما في الأمر
أن هناك جسيمات صغيرة لكل منها صفات خاصة ثابتة لا تحول ولا تحول ،
وهي 'مترخنة' لا أعداد له من التأليف . (راجع تاريخ الفلسفة لامييل
برييه 1, 67) إلا أن هذه الجسيمات لا تستطيع من شيء دون فعل « الحب
والكرهية » اللذين إنا 'محدثان' الكون والفساد . بما يجمان وما يفرقان
من العناصر (راجع ميتافيزياء أرسططاليس 20 b 6 et 11, 1000) . أما
أنكزاغور فع استمسكه مبدأ الإيلين الفائل : « لا يلد شيء عن لا شيء ؛
ومدار الأمر على جمع وتفریق بين عناصر الأشياء » ، تراه يقلل التفسير ممالاً
إياه بطروء الحركة الدائرية الصادرة عن الـ « Nous » على الخلط الأول
خليط البذور .

وسندرك فيما بعد كيف أن إفلاطون بقي مقتنيا آثار من تقدمه ، وأن فكرة أزلية العالم لم تظهر إلا من بعده ، عند تلميذه أرسططاليس . يقول مؤرخ الفلسفة الشهير زيلر (Zeller) : « إن فكرة القدم هي على التحقيق فكرة أرسططالية » ^(١) . أضف إلى هذا أن المعلم الأول نفسه يصرح في كتابه [السماء والعالم] بأن « الناس جميعاً اعتقدوا إلى ما قبل عهده أن للعالم بداية » ^(٢) ويمكننا أن نضيف أنهم طالما اعتقدوا هذا الاعتقاد بعد عهده . فالرواقيون بنفون الأزلية . وفيلون اليهودي احتفظ لنا في مظلوه عن [العناية الإلهية] بأدلتهم المنقولة عن نص لثيوفراست (Théophraste) . كما أن الأبيقوريين على الرغم من قوطم بقدم الجواهر لا يترددون في الجزم بأن للعالم الذي نكوّن على سبيل الصدفة من اجتماع الآتومات مبدءاً في الزمان ^(٣) .

من هذا نرى أن تأكيد الغزالي بأن غالبية الفلاسفة قائلون بقدم العالم ضرب من المبالغة . ولئن سمعنا أن نلتبس له العذر عن هذا القول الجزاف بأنه هو الذي كان رائجاً لدى أهل زمانه ، فليس من السهل علينا معذرتة على خطأ آخر يتعلق بفيلسوف قال عنه إنه يمثل رأي أرسططاليس ، ونعني به الفارابي . وهذا ما نحاول بسطه ونحن نشير إلى الملاحظة الثانية المتعلقة بالإغفال .

الدكتور حكيمه هاشم

(يتبع)

(١) ص ٢ من Zeller, Vorträge und Abhandlungen. Die Lehre d'Ar. u. d. Ewigkeit d. Welt.

(٢) (Becker) Aristote, Du ciel I, 10 p. 279 b 1.12-16 = الصفحة ٨١ من الترجمة الفرنسية لبارتلي سانت هيلير . ومن أجل الاطلاع على مناقشته هذا المقطع ، انظر المقالة النقدية التي أضافها Rudolph على طبعته لـ

Ocellus Lucanus, ch 2, sect. 2, 30 pp. 421 — 430

(٣) راجع التل عن Censorius, De die natali, 4, 9, في كتاب بودري ص ٢٥٣

حملة نابليون على مصر

(وثيقة)

أطلعني الأستاذ الشيخ المغربي رحمه الله ، قـبـل وفاته ، على وثيقة خطية تاريخية كتبت في ثلاث صفحات ، من القطع الكبير ، في فراغ وجدده الكاتب في نهاية الجزء الأول من « الطبقات الكبرى » للسبكي فاستأذنته في نسخها ونشرها ، فرحب بذلك وأجاز لي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

كان من العادة المألوفة عند المتقدمين أن يدونوا في فراغ الكتب ، وهوامشها بعض الطرف الأدبية والحوادث الخاصة والعامة ، قديمة كانت أو معاصرة لهم . ولا يخلو أكثرها من فوائد يُعـمـر بعضها ما عـمـر الكـتـاب ، وتنتشر بمداولته بين الناس ويعتمدونها الرواة . وهذه الوثيقة هي من هذا النوع دونها المدعو : محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين الجيلاني مسممه في الديار الشامية عن أخبار حملة نابليون الافرنسية على مصر في شهر محرم ١٢١٣ هـ الى يوم جلائهم عام ١٢١٦ هـ .

وهذه الوثيقة على إيجازها صحيحة في جملتها ، لولا مبالغة في عدد جيوش العدو الممتدي وخسائرها في النفوس ، وتنفق هذه المعلومات بخطوطها الأساسية مع ما أورده الجبرتي في تاريخه . وهذا نصها :

جعفر الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على خير خيرته من خلقه الكريم وعلى آله وصحبه أولي النجدة والشجاعة وأهل المرواة والبلاغة . أما بعد فيقول الفقير الى مولاه محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين المتصل نسبه بالقطب الرباني ذي الكأس النوراني^(١) سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني^(٢) : لما كان تاريخ سنة ألف ومأتين وثلاثة عشر عاماً من هجرة من له العز والشرف في غمرة محرم الحرام وردت الأخبار الى البلاد الشامية أن طائفة الفرانسة من الكفرة المشركين جاءوا الى مصر وأخذوا الاسكندرية^(٣) مع ما يليها من بلاد رشيد ودمهور البحيرة فجاء خبرهم الى القاهرة فخرجت الى لقائهم الصناجق فالتقوا معهم على أرض امبابه وحصل بينهم قتال عظيم^(٤) . ثم الكفرة الملاعين كسروا الصناجق وفرت العساكر امامهم منهزمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخلت الكفار الى مصر والقاهرة^(٥) وأظهروا العدل والأمان وكل ذلك مكر وخداع ثم استولوا على أموال الصناجق ونسائهم وصاروا يفتجرون فيهم واستولوا على قلعة الجبل وصاروا يحصنونها ويهيأون أسباب المنعة .

(١) تعبير صوفي يعني كأس المعرفة .

(٢) كذا في الأصل وصوابها الجيلاني أو الجيلي . وهو من كبار الزهاد والمتصوفين ومؤسس الطريقة القادرية تذب اليه عائلة الكيلاني الدمشقية والحمرية . توفي في بغداد سنة ٥٥٦١ هـ .

(٣) جاء في تاريخ مصر لتجبرتي مانصه : « في يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٢١٣ حضر الى الاسكندرية عشرة مراكب انكليزية ووقفت على البمد بحيث يراها أهل النهر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً . وفي يوم الاثنين ١٨ محرم ١٢١٣ وردت [على الاسكندرية] مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة » .

وجاء في دائرة المعارف الافرنسية أن الحملة الالبرلية كانت مؤلفة من (٣٠) بارجة بحرية كبيرة و (٧٢) صنيعة و (٤٠٠) ثاقلة و (١٠٠٠٠) بجار و (٣٣٥٠٠) من المشاة و (٢٥٠٠) فارس .

(٤) كانت هزيمة انبابه يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٢١٣ .

(٥) يوم ٢١ تموز ١٧٩٨ .

ثم في ذلك العام وصلوا الى عريش مصر قاصدين البلاد الشامية فجاؤا الى عريش مصر . وكان حضرة السلطان سليم خان أقام ابراهيم باشا سرداراً للمسكر ثم لما لم يقدر على ذلك عزله وولى حضرة الوزير الوفور الحاج أحمد باشا الملقب بالجزار أصلحه الله ، وجعل له الجنة دار القرار آمين . فأخذ المذكور بهي^(١) أسباب الجهاد ورتب عسكرياً في غزوة والرملة وما والاها ، ثم لما جاءت الملاعين الى العريش فرت العساكر وما نفعت فصارت الكفرة كلما قام المسكر من بلدة يلحقونهم الى أخرى الى أن حاصروا يافا^(٢) وأخذوها قهراً وسبوا أهلها قسراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم لما فرغوا من أمر يافا^(٣) جاءوا وحاصروا عكا^(٤) وبها حضرة الوزير الحاج أحمد باشا فلافام بمدافع كالعود القواصف وقناير كالشهب المتناثرة وأبطال طالبين الآخرة ، وصايرهم على الحصار ودافعهم عن عكا^(٥) وما هنالك من الأقطار واستمر الحصار على عكا^(٦) من شهر شوال الى ذي الحجة الحرام ثم هجموا على عكا^(٧) بعد أن هدموا جانباً من سورها ودخل منهم جماعة الى داخلها فأعان الله عليهم المسلمين فقتلوا الذين دخلوا فلما أمسى المساء أشعلت الكفار في أردبيهم^(٨) النار ثم أصبح المسلمون فما وجدوا من الكافرين ديار (كذا) ولا نافع نار فجهز عند ذلك حضرة الوزير الوفور الحاج أحمد باشا من رؤوس^(٩) الكفا [ر] مقداراً وافياً الى أبواب السلطنة مع باش جوقداره^(١٠) فقبول من السلطنة بالاكرام والإنعامات الوفيّة ثم وجه

(١) في الأصل : يبياً .

(٢) في الأصل : يافه .

(٣) في الأصل : عكة .

(٤) كلة تركية معناها : المسكر .

(٥) في الأصل : : رواس .

(٦) جوقدار وجوقدار كنة تركية بمعنى رسول أو ساعي البريد وباش بمعنى رئيس

السلطان سليم خان حضرة^(١) الوزير الأعظم وزير الصدارة مع العساكر والذخائر إلى قطع دابر هؤلاء الكفار فبرز [إلى] اسكدار^(٢) وجاءتنا إلى حماة الأخبار بأنه قريب من قونية ثم جاءت الأخبار بأن الكفار الملاعين مقيمين (كذا) إلى حال تاريخه وهو ختام المحرم سنة ألف ومائتين وأربعة عشر عام في عريش مصر وهم يعبرون لهم حصناً لأجل أن يلاقوا عساكر المسلمين فنرجو من الله المعين أن يؤبد هذا الدين ويقطع عنا دابر المشركين وصار الحاج أحمد باشا الجزائر يحصن عكا^(٣) وبني لها سوراً خارج سورها الأول وأخبر من رآه بأنه سور عظيم وأدخل من داخله مقام نبي الله صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . ثم لما استهل هلال ربيع الأول من سنة ألف ومائتين وأربعة عشر وصل إلى حماة أردني همايون^(٤) صحبة الوزير الوقور ضياء الدين يوسف باشا^(٥) صدر أعظم ومكث في حماة عشرة أيام وصحبته العساكر الجرارة والذخائر وأرسل في البحر عساكر آخرين مع المدافع وآلات الحروب شي (كذا) كثير وصحب معه ومع انكسر اغاصي^(٦) مدافعاً آخر ولكنها قليلة لأجل الاشتمار وإلا فأكثر المدافع والجيخانات^(٧) سارت في البحر نسأله تعالى النصر لنا ولهم على الكفار آمين . ثم سار إلى الشام ثم إلى غزة وأرسل إلى حصار العريش^(٨) عساكر الموحدين فأخذوها^(٩) وقتلوا من هنالك من الكفرة الملاعين وصار بعد ذلك إلى الصالحية

(١) في الأصل : حضرت .

(٢) أقدم أمراء اسلابول وأوسها يقع على شاطئ البوسفور الآسيوي .

(٣) في الأصل : عكة .

(٤) كلمتان تركيتان بمعنى : جيش السلطاني .

(٥) ترجم له في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٦ : ٤٨١٧ .

(٦) أي رئيس الأنكشارية .

(٧) لفظة تركية تفيد : الذخائر الحربية .

(٨) بلدة معروفة في أول صحراء سيناء .

(٩) يوم ٢٥ حزيران ١٨٠١ .

ودخلت المسلمين (كذا) الى القاهرة صلحاً مع الكفار لا بضرب بالصارم البتار ثم بعد ذلك تقضت الكفار الصلح وخرجوا لقتال الوزير وقتلوه فهرب ولم يبق قدامهم ولا ساعة وولى الأديبار وتبعوه يضربون بالمدافع ثم لما ولى الوزير منهزماً رجعوا وحاصروا من هنالك من المسلمين وعساكر الموحدين وكان في مصر ناصوح (كذا) باشا العظيم الحموي المولد والمنشأ فاقبلوا وظنوا أن الوزير يرسل اليهم عساكر ليقويهم على الكفار فلم يرسل لهم أحد (كذا) . ثم لما طال على المسلمين الحصار أخرجتهم الكفار تحت الأمان ودفعوا الى ناصوح باشا بعض الجمال والذخيرة فرجع الى عند الوزير الى يافا^(١) ثم جرت هناك أحوال يطول شرحها ثم بعد نحواً (كذا) من سنة جهز الوزير عساكر آخر مع المراكب وصار الى مصر ثم دخلها أيضاً بغير قتال لكون الكفرة الملاحين ذهب أكثرهم شيئاً في القتال وشيئاً في الطاعون وعلى القول أنهم خرجوا من بلادهم مائتا ألف مقاتل^(٢) وحين أخرجوا من مصر بقي منهم نحو من عشرين ألف فأرسلهم مع الانكليز^(٣) ومكث يرتب أمور البلاد المصرية والى الآن ما جاءنا خبر يكتب . ثم ورد بعد أن رتب أمور مصر الوزير صدر أعظم ضيا بوصف باشا راجعاً على العرش الى الشام الى حماه واستقام بها قريباً من عشرة أيام وكان نصب أوطافه^(٤) في المصطبة وتوجه منها الى حلب على الطريق السلطاني ثم الى اسلابول والله أعلم . » انتهى

—*—

(١) في الأصل : يافه .

(٢) هنا مبالغة في التقدير راجع حاشيتنا رقم (٣) ص : ٣٠٤ .

(٣) شطب ثلاث كلمات لم تنبئها .

(٤) كلمة تركيه بمعنى خيمة .

الترمذي صاحب الجامع في السنن

ترجمته :

هو الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل ابن السكن السلمي البوغي الترمذي الضرير ، أحد حفاظ الأئمة الأعلام وأئمة الإسلام ، السلمي (بالضم) نسبة الى بني سليم (مُصَنَّرًا) قبيلة من غيلان . والبوغي (نسبة الى بوغ) قرية من قرى ترمذ . والترمذي نسبة الى ترمذ مدينة قديمة من بلاد ما وراء النهر - على طرف هذا النهر وهو نهر بلخ - ويقال له جيجون . واليهما ينسب الحافظ أبو الحسن أحمد الترمذي من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل المتوفى قبل أبي عيسى الترمذي . وكذا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بالحكيم الترمذي صاحب «نوارد الأصول» المتوفى بعده . وكذا الفقيه أبو جعفر بن محمد بن أحمد الترمذي المتوفى بعده سنة ٢٩٥ هـ .

ولد الإمام في ذي الحجة سنة تسع ومائتين (٢٠٩ هـ) ونوفي سنة ١٣ رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وعمره سبعون سنة إلا أشهراً ، وجدته سورة بفتح السين المهجلة أصله من «مر» ، وانتقل أيام الليث بن سيار الى ترمذ فاستوطنها . والإمام أبو عيسى أصبح ضريراً في آخر عمره لكثرة بكائه فبقي ضريراً عدة سنين في آخر حياته . وقيل ولد أكمه وهو غير صحيح على التحقيق .

شيوخه :

للإمام الترمذي رحلات واسعة ، طاف بلاداً وسمع خلقاً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين . وقدماء شيوخه من الخراسانيين والحجازيين ليس فيهم

عراقي ، فسمع قتيبة بن سعيد الثقفى المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وأبا مصعب أحمد بن أبي بكر الزهرى المدنى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ وإبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروى المتوفى سنة ٢٤٤ هـ وإسماعيل بن موسى الفزارى السدى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ وسويد بن نصر بن سويد المروزي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وعلي بن حجر المروزي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب المتوفى سنة ٢٤٤ هـ وعبد الله بن معاوية الجمحي المعمر المتوفى سنة ٢٤٣ هـ وطبقتهم .

وقد شارك البخاري منهم في قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر . وشارك البخاري ومسلماً وأبا داود أيضاً في الرواية عن محمد بن بشار الملقب بالبندار ومحمد بن المنى وزباد بن يحيى الحساني وعباس بن عبد العظيم العنبري وأبي سعيد بن الأشج عبد الله بن سعيد الكندي وأبي حفص عمرو بن علي الفلاس ، وبمعقوب بن إبراهيم الدورقي ومحمد بن معمر القيسي ونصر بن علي الجهضمي .

وتفقه بالبخاري في الحديث ، فالبخاري شيخه في فقه الحديث ، وسمع من الإمام أبي داود أيضاً . والإمام الترمذي لعله لم يدخل بغداد ، لأن الخطيب لم يترجم له في تاريخه الكبير ، ولم يثبت روايته عن الإمام أحمد فاعله لم يلاقه وإنما يروي عن طبقة أحمد .

أصحابه وتلاميذه :

حدث عنه مكحول بن الفضل ومحمود بن غدير وابنه محمد بن محمود وحماد ابن شاكر وعبد بن محمد النسفيون ، والهيثم بن كليب الشاشي وأحمد بن علي ابن حسويه وأبو حامد أحمد بن عبد الله المروزي التاجر وأحمد بن يوسف اللثمي وأبو الحارث أسد بن حمدويه وداود بن نصر البزدوي ومحمد بن مكي ابن فوج ومحمد بن صفيان بن النصر ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروى وأبو العباس محمد أحمد بن محبوب المجبوبي المروزي راوي كتاب الجامع عنه محدث مره

وشيوخها ورؤسها . وسمع منه البخاري حديثين وهما في جامعہ : الأول حديث أبي سعيد الخدري في الطهارة ، والثاني حديث ابن عباس في تفسير سورة الحشر وقال بعد كل منهما : سمع متي محمد بن اسماعيل هذا الحديث . ولا ريب أن سماع مثل البخاري منه وهو أمير المؤمنين في الحديث مفخرة عظيمة له .

ثناء الأئمة عليه :

قال ابن حبان بعد ما ذكره في الثقات : كان ممن جمع وصنف وحفظ . وقال الحاكم أبو أحمد : سمعت عمران بن علاث يقول : مات محمد بن اسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والورع ، بكى حتى عمي اه . وقال نصر بن محمد الشيركوهي : يقول سمعت محمد بن عيسى الترمذي يقول قال لي محمد بن اسمعيل (البخاري) : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي . وهذا من مثل البخاري شهادة في غاية المنزلة في الثناء على صاحبه وتلميذه وربما تكون هذه من توقد ذكائه ، فان التلميذ الذكي ربما ينتفع به الشيخ كثيراً . وقال الذهبي في الميزان : الحافظ العالم أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبي محمد بن حزم في الفرائض من كتاب الايصال : إنه مجهول ، فانه ما عرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل . وقال الذهبي في سير النبلاء (مخطوط) : وما ذكر ابن حزم سنن ابن ماجه ، ولا جامع أبي عيسى فانه ما رأهما ولا أدخلهما الى الأندلس إلا بعد موته اه . وقال ابن الأثير في تاريخه : كان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير وهو أحسن الكتب اه . وقال السمعاني في الأنساب : إمام عصره بلا مدافعة صاحب التصانيف . . . أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . وقال الحافظ أبو الحجاج المزي في التهذيب : أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به

المسلمين اهـ ، وقال ابن كثير في تاريخه : وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ،
وقال : وجهالة ابن حزم لا يبي عيسى الترمذي لا تصرفه حيث قال في محله :
ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فان جهالة لا تضع من قدره عند أهل العلم ،
بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ ، وقال أبو يعلى الخليلي القزويني في
علوم الحديث : ... وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم .

حفظه :

قال ابن العباد في الشذرات (٢ : ١٧٤) : وكان مبرزاً على الأقرب
آية في الحفظ والاتقان اهـ . قال أبو الفضل المقدمي في شروط الأئمة (ص ١٧)
تقلاً عن أبي سعد الأدرسي : كان يضرب به المثل في الحفظ اهـ . وذكر
المقدمي في الشروط والذهبي في طبقاته والحافظ ابن حجر في التهذيب باختلاف
في بعض الألفاظ : عن أبي عيسى الترمذي ، يقول : كنت في طريق مكة
و كنت قد كتبت جزأين من أحاديث شيخ ، فمر بنا ذلك الشيخ فسألت عنه
فقالوا فلان ، فذهبت إليه وأنا أظن الجزأين معي ، وإنما حملت معي في محلي جزأين
غيرهما ، فلما ظفرت سألت السماع فأجاب ، وأخذ يقرأ من حفظه . ثم لمع فرأى البياض
في يدي فقال : أما تستحي مني ؟ فقصصت عليه القصة وقلت له : إني أحفظه كله
فقال اقرأ فقرأته على الولاء ، فقال هل استظفرت قبل أن تجيء إلي قلت لا ،
ثم قلت : حدثني بغيره ، فقرأ علي أربعين حديثاً من غرائب حديثه ثم قال
هات فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ ما أخطأت في حرف ، فقال لي :
ما رأيت مثلك اهـ .

تأليفه وخصائص كتابه جامع الترمذي في السنن :

وصفوه بأنه صاحب التصانيف الحسنة ، ووصفه بعضهم بأن له تصانيف كثيرة
في علم الحديث ؛ ولكن التي ذكروها بأسمائها : الجامع في الدين ، والشامل ،

والعمل الصغرى ، وهذه الثلاثة شاعت وذاعت في مشارق الأرض ومغاربها ، وله كتاب العمل الكبرى وكتاب الزهد وكتاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب الأسماء والكنى .

كتابه الجامع في السنن أحد الأهمية الست التي عليها مدار الإسلام :

قال ابن كثير في تاريخه : وروى ابن تقييد عن الترمذي أنه قال : صنف هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق وفي رواية يتكلم اه وحكام الدهي وابن حجر أيضاً مختصراً .

وقال ابن كثير والمقدمي عن أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري : كتاب الترمذي عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم ، لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منها إلا المتبحر ومن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب أبي عيسى الترمذي قد شرح أحاديثه وبينها فيصل إليها كل أحد من الناس والفقهاء والمحدثين وغيرهم . وقال ابن الأثير المحدث الحافظ : في سنن الترمذي ما ليس في غيرها من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب اه . ويقول صاحب مفتاح السعادة : وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً ، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب وفيه جرح وتعديل ، وفي آخره كتاب العمل وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها . ويقول المقدمي في الشروط : وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام : قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخاري ومسلم ، وقسم على شرط الثلاثة

دونها كما بينا ، وقسم أخرجه للصدقة وأبان عن علته ولم يُغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه فقال : ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء الخ . ويقول الإمام القاضي أبو بكر بن العربي في عارضة الاحوذى في صدد ثنائه على كتاب الترمذي : وليس فيهم - أي أصحاب الصحاح - مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع ، وثقاسة منزع ، وعذوبة مشرع ، وفيه أربعة عشر علماً . . . وذلك أقرب الى العمل : أسند وصحح وضعف وعدد الطرق وجرح وعدل وأسمى وأكثى ، ووصل وقطع وأوضح المأمول به والمتروك ، وبين اختلاف العلماء في الرد والقبول ، وذكر اختلافهم في تأويله ، وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه ، وفرد في نصابه ، فالقارئ له لا يزال في رياض مونة ، وعلوم متدفقة منسقة ، وهذا شيء لا يعمل به إلا العلم الغزير والتوفيق الكثير والفراغ والتدبير اه . وقال أبو جعفر بن الزبير : وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره . حكاها صاحب التدريب . قالوا وجملة ما في الجامع مائة وأحد وخمسون كتاباً .

يقول الرافق : كلام القاضي أبي بكر وغيره وما ذكره السيوطي في قوت المغتذي عن ابن رُشيد وعن الحافظ ابن مبيد الناس البيهقي في خصائص كتابه يحتاج الى إيضاح ، فدونك بيانه مع زيادات وتوضيحات :

لا ريب أن كل كتاب من هذه الأمهات في الحديث له منايها لا قلبي في غيره ، فمن تلك الجهات تقع المزية . ولا نكاد توجد منزلة مطلقة لكل كتاب من كل جهة . فكل من أرباب الصحاح أراد إبداعاً في كتابه وأداء ناجحاً موفقاً في مغزاه ، ويحتاج ذلك الاجمال الى تأليف مفرد في الموضوع لكي تُفصل أرجاؤه القاصية ، وإنما أريد في هذه الفرصة السانحة القصيرة ذكر خصائص الترمذي في كتابه الجامع لتلك المزايا المشار اليها في كلمات الأعلام بنوع إيضاح وبسط تكون كالتقواعد الكلية في مزاياه :

الأول : أنه جمع في كتابه أنواعاً من السنن النبوية وهي تؤول الى ثمانية :

(١) العقائد وأصول النية . (٢) الأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات وحقوق الناس . (٣) تفسير القرآن الكريم بما ثبت عنده من الروايات .

(٤) الآداب والأخلاق . (٥) السيرة النبوية وشمائلها . (٦) مناقب أصحاب رسول الله ﷺ حَمَلَة هذا الدين المتين . (٧) أبواب التذكير والموعظة من الترغيب والترهيب وهي التي تسمى بالرفاق وبها سماها الإمام البخاري في صحيحه ، وفيها عند الترمذي كتاب الزهد في هذا الجامع ليس له عندي نظير في هذه الكتب الستة . (٨) أشراف الساعة وآياتها ، فكتابته أجمع كتاب من بين الأُمَم الست في هذه الأنواع ، وإن كان للبخاري منزلة لا تلحق في أبواب المغازي . فالإمام البخاري وإن شاركه في جميع هذه الأقسام في صحيحه يَبْدُ أن تشدده في شرط الصحة في صحيحه والتزامه ما لا يلزم في كتابه هذا حال دون توسعه في جمع الروايات وسرد كل ماله صلة بالموضوع وتخرج شتى الاختيار ، فبذلك خاف عليه نطاق موضوعه الواسع . فانظر كتاب الزهد وكتاب الدعوات وكتاب التفسير مثلاً من كتاب جامع الترمذي وقايسها بالرفاق والدعوات والتفسير من صحيح البخاري تجد برهان ذلك بما يشفي صدرك .

نعم توسعه في الأَبواب والترجمة في كل باب واستثارة مسائل دقيقة فقهية وأصولية وكلامية من خوايا الأحاديث وثأباً الروايات مما يقضي للبخاري ببراءة مدهشة ونبهة عجيب ومتدرة فائقة .

الثاني : أنه حكم على الأحاديث بالصحة والحسن والفرابة والضعف ، وهذا في غاية النفع للفارئ ، وفي غاية الأهمية للباحث . هب أنه تساهل في الحكم غير أنه رأى إماماً حنظ ثقة متفق على جلالاته وإمامته . على أن تصحيحه فوق تصحيح الحاكم أبي عبد الله في المستدرک كما حقق بعض المحدثين ، وإن

تحسين الترمذي يعدل تصحيح الحاكم ، فلما لم يلتزم شرطاً خاصاً في التخريج تدارك هذا الرهن ببيان درجة الحديث من الصحة والحسن وما الى ذلك .

الثالث : انه تصدى لبيان مذاهب الأئمة وتعامل الأمة ، وبيان هذا الاختلاف في هذا الكتاب يكاد يفتي عن الكتب المؤلفة الخاصة في الخلاف ، ككتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأبي جعفر الطحاوي ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن المنذر أبي بكر ومحمد بن خزيمة وأبي زكريا الساجي والكياسرامى وغيرهم مما لم تقرأ لها غير الأسماء المجردة في كتب الطبقات . فرداية الحديث ثم تعقبه ببيان المذاهب الفقهية في غاية الحسن والجمال ، وبه يعلم حال تلقي الأمة وأساطين الدين لتلك الروايات الحديثة ، وهذا الذي يقوله القاضي أبو بكر ، وبه يتضح ما قاله الامام القاضي أبو زيد الدبوسي من كبار أئمة الحنفية في كتاب الأسرار : ومسألة اختلاف فيها كبار الصحابة رضي الله عنهم يميز فقهها ويصعب الخروج عنها . كما حكاه الشيخ عبد العزيز البخاري في كشف الأسرار .

فالترمذي رحمه الله بكتابه هذا يكاد يفتي في وقت واحد عن الكتب المؤلفة في الاحكام ، وعن الكتب الخاصة في الخلاف ، وهذه الميزة لكتابه لم يساهم فيها أحد . والوقوف على مذاهب الصحابة والتابعين علم عزيز نادر . وكذلك العثور على المذاهب المهجورة كمذاهب الأوزاعي امام أهل الشام وسفيان الثوري من أئمة العراق واستحقاق بن ابراهيم المروزي من أئمة خراسان قلماً يقف عليها أحد إلا بواسطة الامام الترمذي وكتابه الوحيد .

الرابع : انه جعل مذاهب فقهاء الأمة قسمين ، وخص كل قسم باب مفرد ويأتي بالحديث المنجج به للمسألة . وهكذا جعل الأحاديث المتعارضة في باب الأحكام في بابين ، وشيخنا رحمه الله سعى القسم الأول بالحجازيين مبرداً به الكا والشافعي ، والثاني بالعراقيين تنقيحاً للخلاف ، لكون الشافعي غالباً في الأول ،

وأبي حنيفة في الثاني . وليس المراد بالثاني أبا حنيفة وأحمد خاصة فموافقات أحمد للشافعي ربما تكون أكثر ، كما أن موافقات مالك لأبي حنيفة ربما تكون أكثر ، وربما تجتمع مذاهب الأربعة في الثاني كما في باب ترك الوضوء مما غيرت النار . والامام الترمذي ربما يؤيد أحد القسمين ويرجح تفقها أو تحديثاً أو تعاملًا أو يجمع بينهما وكتابه طافح بأمثله .

الخامس : أنه يذكر أسماء من ذكر في الاسناد بالكنى وتارة عكس ذلك ، والتزم ذلك خصوصاً فيما كان فيه غموض وخفاء ، وهذا علم مفرد من علوم الاسناد أفردوه بالتأليفات قديماً ، وفيه مؤلفات للبخاري ومسلم والترمذي وأبي بشر الدولابي وغيرهم من جهابذة المحدثين ، وكتاب الدولابي كتاب جليل مطبوع في جزئين في دائرة المعارف بالهند من أمتع ما كتب في هذا الموضوع .

السادس : انه زاد باب الجرح والتعديل بعد تجريح الروايات . والامام الترمذي لما لم يلتزم شرطاً خاصاً في كتابه في إخراج الأحاديث مثل ما التزمه الشيخان البخاري ومسلم ثم النسائي وأبو داود ، بل توسع ما لم يتوسع البقية ، كافاً ذلك ببيان درجة الحديث من الصحة والضعف ، ثم بالكلام من جهة صنعة المحدثين في الرجال . وهذا الباب من أهم ما يحتاج اليه الباحث . وللأئمة البخاري ومسلم وغيرهما الى عهد الحافظ الذهبي وابن حجر والسيوطي كتب كثيرة في الثقات والضعفاء والمدلسين والمجاهيل على أصناف .

السابع : انه ربما يأتي في الأبواب بعد رواية الأحاديث بأبحاث حديثة وفوائد اسنادية في غاية الجودة لا تجدوها عند غيره ، من أبحاث الوصل والارسال والوقف والرفع وكون الراوي عنه عليه السلام صحابياً أو تابعياً وما الى ذلك من علوم عل الحديث . وله فيها آراء متينة ، وربما تصادم آراء بعض مشائخه كالبخاري وغيره ويرجحها بحجة ناهضة كما أنه ربما يتابع آراءه في بعض

المشكلات ، وهذا يكافي ما عند غيره من الاعتبارات والشهادات من علوم المحدثين وآدابهم في مصنفاتهم .

الثامن : انه يكتفي غالباً في غالب الأبواب بحديث واحد بطريق واحدة من غير أن يسرد بقية الطرق للحديث أو بقية الروايات في الباب ، خصوصاً في أحاديث الأحكام ، فقلت مادة أحاديث الأحكام في كتابه . يبدو أنه يتداركه بالإشارة إلى أسماء من روى من الصحابة حديثاً في ذلك الموضوع أو ما يلائم ذلك المثل . فيعلم بذلك عدد الرواة من الصحابة لذلك الحديث أو لذلك الموضوع . وهذه مرتبة لها موقعها من الأهمية البالغة في نظر جهابذة النقد والبحث من المحدثين . وهذه ميزة بدية لكتابه ترتاح لها الأذواق القديمة والأفكار الحديثة جميعاً في وقت واحد . فيقول : وفي الباب عن فلان وفلان . ويستوعب ذلك استيعاباً بالغاً مدهشاً ، ربما يحتاج الباحث في تخريجها إلى نصف مجلدات كبيرة وآلاف من الأوراق وربما يخيب الباحث في الظفر به .

وللحافظ العسقلاني تأليف مستقل في تخريج ما في الباب ، سماه الباب ، كما حكاها السيوطي في شرح الترمذي قال : ولم أقف عليه . يقول الراقم : وبالأسف اني لم أقف أيضاً عليه مع طول البحث عنه في مكاتب الحرمين والقاهرة وخزائن الآستانة المندفة الفياضة . وقد سبق الحافظ العسقلاني شيخه العراقي إلى تخريج ما في الباب كما يذكره العراقي في نكته عن ابن الصلاح ، فلعل العسقلاني اقتفى أثر شيخه العراقي في ذلك فلخصه أو استدرك عليه . وبالأسف لم أقف عليه أيضاً . والرجاء من الناظر الكريم الإطلاع إذا وقف عليهما أو على أحدهما في مكتبة من المكاتب الإسلامية وإن كانت شخصية .

وقد التزم الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى ثم العراقي في شرحهما تخريج ما في الباب ، وقد شرعت - والحمد لله - في تخريجه بكتاب ألفدته وراعت فيه

أموراً مهمة ألفت منها قطعة ، ولو نجز عملي على المنهاج الذي افتتحته أرجو أن يكون له قيمته العلمية عند أرباب الفضل والزُبل .

التاسع : أنه ربما يأتي بتأويل وتفسير للأحاديث المشككة من عند نفسه أو من كلام غيره من أئمة هذا الشأن ، مثاله : أخرج حديث أبي هريرة في فضل الصدقة من كتاب الزكوة مرفوعاً : ان الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه اخ ، ثم قال : وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات في الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف . هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك انهم قالوا في هذه الأحاديث : أمرؤها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، الى آخر ما قال رحمه الله .

العاشر : أنه يأتي في الأبواب بالأحاديث الغريبة وبترك الأحاديث الصحاح السائرة بين الناس ، ثم يشير اليها بما في الباب وليس ذلك بعيب .

قال المحقق الكوثري في تعليقاته على شروط الأئمة للحازمي : فانه رحمه الله يبين ما فيه من العلل ، ثم يبين الصحيح في الاسناد ، وكان قصده رحمه الله ذكر العلل ، ولهذا تجد النسائي اذا استوعب طرف الحديث بدأ بما هو غلط ثم يذكر بعد ذلك الصواب المخالف له اه . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح عل الترمذي : اعلم أن الترمذي خرج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب والفرائب التي خرج فيها بعض المناكير ولا سيما في كتاب الفضائل ، ولكنه يبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه ولا أعلم أنه خرج عن متهم بالكذب متفق على اتهامه حديثاً باسناد مفرد ، إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق أو مختلفاً في إسناده وفي بعض طرقه متهم . نعم قد يخرج عن مبي الحفظ وعن غالب

على حديثه الوهم ويبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه . وقد شاركه أبو داود في التخرج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كاسحاق بن أبي فروة وغيره ، إلى أن قال : والترمذي يخرج حديث الثقة الضابط ومن بهم كثيراً ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه قليلاً . ويبين ذلك ولا يسكت عنه . وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في شروط الأئمة الستة : وكان من طريقته رحمه الله - أي الترمذي - أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صحح الطريق إليه ، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح ، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه ولا يكون الطريق إليه كالطريق الأول وإن كان الحكم صحيحاً ، ثم يتبعه بأن يقول : وفي الباب عن فلان وفلان وبعد جماعة فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر وقتما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة والله أعلم .

وقال أبو بكر الخازمي في شروطه . . . : لأن الحديث إذا كان ضعيفاً أو مطلقاً من حديث أهل الطبقة الرابعة فإنه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة .

يقول الرافق : هذا ما تبسر من القول في بيان خصائص هذا الكتاب الجامع من فقه المذاهب ، وعمل الحديث ، وأسماء الرجال والجرح والتعديل ، ومهمات أصول الحديث ، ومسائل المصطلح ، والتنبيه على مراتب الأحاديث ، والإشارات إلى وجود الروايات من الصحابة في ذلك الموضوع ، وذكر توجيهات الأحاديث المشككة ، وتوسع في تراجم الأبواب ، وتلخيص جيد بالاكتمال على رواية واحدة لكي ينسنى الضبط لمن أراد وغير هذه المزايا التي لا تراها مجموعة عند غيره من أصحاب الأمهات .

تنبيه : لم يذكر أبو عيسى الترمذي في كتابه صراحة مذهب أبي حنيفة

ولا سماه باسمه ، وإنما يذكر مذهب أهل الكوفة ، وكثيراً ما يكون معهم

أبو حنيفة ، وذلك لأمرين : الأول أنه لم يصل إليه مذهب أبي حنيفة خاصة بالاسناد الموثوق كما وصل إليه مذهب الشافعي القديم من رواية أبي الحسن الزعفراني ، قاله إمام العصر شيخنا الكشميري . والثاني : أنه ربما يكون ذلك لما حدث في قلبه من التغير لتأثره بشيخه البخاري في فقه الحديث فلم يستعد قلبه لأن يستلذ باسم أبي حنيفة في كل باب . ولا ريب أن شيخه البخاري كان متأثراً من شيخه اسحاق بن راهويه إمام خراسان ، وكان في طبيعته شيء من الانحراف عن الإمام أبي حنيفة من جهة شيخه عبد الرحمن بن مهدي لأجل ما كان بين شيخه سفيان الثوري وبين أبي حنيفة لأجل المعاصرة التي لم ينج منها أحد إلا الأنبياء الكرام .

مذهبه الفقهي :

من الحقائق الملموسة أن أصحاب هذه الأمهات الست جاء عهدهم وقد انجاز المسلمون في البلاد الى مذاهب الأئمة المتبوعين ، وكل تأثر من بيئته التي نشأ فيها ومن شيوخه الذين تخرج عليهم ، وإذا وافق ذوق شيخه ذوقه انصبغ في آرائه وأنكاره انصبغاً كاملاً . فمن الطبيعي إذا هو تصدى الى تأليف له صلة بتلك الأمور أن تتجلى فيه آرائه بأجلى مظاهرها ، لأنه أصبح فقيهاً أو متفقهاً قبل أن يصير محدثاً ، وأصبح عاملاً على مسلك قبل أن يصير عالماً به علماً خافياً . والمرء معها ارتقى لا تزال آثار بيئته فيه بادية إلا ما شاء الله ، فلا يمكن أن يتجرد من تلك الآثار تجرداً كاملاً . ثم هناك ظروف خاصة وأذواق طبيعية متفاوتة ، فإذا وقع تقور من إمام من الأئمة نشأ في قلبه حجاب من إدراك ذوقه الخاص والإحاطة بمزاجه ، ومقتضيات الطبيعة البشرية لا يخلو عنها بشر ، فالإمام البخاري رحمه الله معها ارتقى في كالاته الى الذروة العليا فتأثره من شيوخه وطبقته غير بعيد . فلا بد إذا هو ألف كتاباً أن يؤلف تأييداً لما

هو الصواب عنده وعلى الأقل ما هو أحق وأولى . وعلى هذا بقية المحدثين الكرام
أرباب الصحاح والسنن .

نعم إذا كان البخاري مثلاً اختار حديثاً خاصاً من بين الأحاديث التي يؤيد
كلها تلك المسألة وترك البقية فذلك يدل على أن ذلك الحديث أقوى عنده
من البقية . وبالجمل لا بد أن يكون هناك وجه لاختياره من بين تلك الروايات ،
ولا يكون رأيه هذا حجة على الآخرين ، ولكل وجهة هو مؤيدها . وإذا
تقرر هذا نقول : هؤلاء المحدثون الثقات والبارعون الأثبات أمامهم التنزيل العزيز
لا تخفى عليهم مدلولاته العامة الواضحة وبين أيديهم أحاديث الرسول عليه صلوات
الله وسلامه وعندهم آثار أصحاب البررة الكرام وعند أكثرهم فطنة وذكاء فلا
يحتاجون إلى تقليد الأئمة المتبوعين تقليد عامة التابعين وإنما يلجأون إلى تقليد
أو اتباعهم في فروع دقيقة ومسائل غامضة غير مخصوصة في الكتاب والسنة ،
ففي مثلها يتبعون ممالك إمام من الأئمة يوافق ذوقه ببصرة نافذة على حسب
مداركهم وتتفاوت مراتبهم في الرد والقبول فبعضهم فوق بعض ، فلا ريب أن
البخاري وأباداود السجستاني لهما منزلة في الفقه وقدم في الاجتهاد ليست لغيرهما
من مسلم والترمذي ، ثم للترمذي ما ليس للفائقي وابن ماجه ، فكيف تتفاوت
منازلهم في الاتباع ولا ريب أن مدارك الأئمة المجتهدين المتبوعين فوق
ما يدركه عامة المحدثين فكلام ابن أبي ذؤيب في مالك وكلام ابن معين في
الشافعي وكلام الكرايسي في أحمد وكلام طائفة من المحدثين غير الفقهاء في
أبي حنيفة ، إنما كان أكثر ذلك من جهة عدم تقديرهم لمنازلهم ، وفصور
مداركهم عن معرفة مداركهم ، أو اختلاف أذواقهم ، ووظيفة المجتهد لا يستقل
بإدراكها إلا بمجتهد مثله . وقول الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي
لأبي يوسف الإمام في مسألة استعجمت على الأعمش ، وجواب أبي يوسف
عنها بحديث يرويه عن الأعمش ، وكذا عند جواب أبي حنيفة عن معضلة

أخرى بحديث يرويه عن الأعمش ، بعد ما سككت عنها الأعمش ، مذكور في جامع بيان العلم لل حافظ أبي عمر بن عبد البر القرطبي : يامعشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة . وفي سنن الدارقطني (٢ - ٥٤٥) بإسناده عن عبد الواحد بن زياد قال : قلت لأبي حنيفة : من أين أخذت هذا الرجل يعمل في مال الرجل بغير إذنه انه يتصدق بالربح ؟ قال : أخذته من حديث عاصم بن كليب ، وما الى ذلك من مئات الوقائع تشير الى دقة مدارك الاجتهاد وبعد مدارك المجتهدين ، وإلى أنه قد بدا لهم ما خفي على كثير من المحدثين ، ومنشأ سوء ظن الكثيرين عدم وقوفهم على أدلة المجتهدين ، فانه لم ينقل عن المجتهدين الأدلة ووجوه الاستنباط عن النصوص مثل نقل المسائل عنهم ، واليه يشير كلام الحافظ ابن تيمية في دفع الملام عن الأئمة الأعلام . فكل من قال ان البخاري مذهبه الفقهي كذا ، ومذهب أبي داود كذا ، فكل ذلك من هذا القبيل ، فهؤلاء مع علمهم الواسع في الروايات لم يستغنوا عن اتباع هؤلاء الجهابذة من المجتهدين . فاذا كان مثل أبي يوسف ، وليث بن سعد ، وكيع ، ويحيى بن سعيد بن القطان ، ويحيى بن معين وأمثالهم ، لم يستغنوا عن مثل أبي حنيفة ، فما ظنكم بهؤلاء أرباب الأصول الستة كيف يستغنون عن اتباع الأئمة المجتهدين ، نعم ذلك في توازل غامضة ومسائل عقيمة ، لا يهتدي إلى مثلها إلا مثل أبي حنيفة والشافعي .

فلو كان مثل البخاري مع علو كعبه يتبع آراء شيخه اسحاق بن راهويه ، أو الحميدي ، أو الكرايسي ، وأبي ثور والزعفراني ، أو يوافق الشافعي في مسائل ، فمثل أبي عيسى الترمذي لا بد أن يتبع مذهباً من مذاهب هؤلاء الأئمة وشذوذهم في مسائل عديدة لا يخرجهم عن اتباعهم في البقية ، فأمثال هؤلاء المحدثين - وهم وإن كانوا مجتهدين في مسائل - فهم متبعون للأئمة في

مسائل ، على أن اجتهادهم في تلك المسائل أيضا ، تابع في أصول الاجتهاد لأولئك الأعلام ، من اختيارهم لتتبع المناط أو تخريجه أو تحقيقه ، أو اعتبارهم لبعضها وعدم اعتبار بعض ، وما إلى ذلك من أصول دقيقة عليها مدار الاستنباط في الأحكام الغير المنصوصة . ليس البحث هنا عن فروض منطقية واحتمالات عقلية ، وإنما البحث عن الواقع ، فليس البحث عن الإمكان والتجوز العقلي ، وإنما البحث عن الحقائق الواقعة . وكال الاجتهاد المطلق في كل شيء من أمر الدين الغير المنصوص ، لم يتسن إلا لأفئدة من الأئمة ، وأفراد من الأئمة الذين خلقهم لهذه المزية العلمية والخدمة الدينية . فأصبحوا نجوماً ثاقبة في دباجر مظلمة من عويصات المسائل والمعضلات العقيمة ، بأوي إلى كنفهم كل حريص بالدين . وهذا البحث طويل لنا فريد أن نخوض في غماره ، وإنما تقتنع بالإشارة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فعلى ضوء هذا البيان نقول : اختلفت الآراء في أبي عيسى الترمذي . والذي ذكره الشاه ولي الله الدهلوي في الإيضاف ، مانعه : وأما أبو داود والترمذي فهما مجتهدان منتسبان إلى أحمد واسحاق ، وكذلك ابن ماجه والدارمي فيما نرى الخ . وأنا أوافق في الأولين ، وما يؤيد هذا أنه لم يذكر بالالتزام صراحة إلا مذهبها ، ولم أصادف في جامع الترمذي له رداً لكلامها ، في حين تجد رداً لكلام الشافعي وغيره في كتابه ، ولذا لم يذكره التاج السبكي في طبقاته مع ولوعه باستيفاء كل من قبل فيه أنه شافعي ، أو أمكن ادخاله في عداد الشافعية ، حتى جعل البخاري شافعيًا ، بدليل أنه تفقه على الحميدي ، والحميدي تفقه على الشافعي ، وما أومن هذا الاستدلال .

درجة كتابه الجامع من بين هذه الأمهات :

اتفقت الأمة على أن صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح الكتب الستة ، وكذا جمهرة الأمة على تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم من جهة نفس

الصحة ، ثم اختلفت الأقوال فيمن عداهما . وحقيقة ذلك إنما تنكشف ببيان ما ذكره المحدثون من الشروط التي اعتبرها أرباب هذه الكتب ، وحصل علم ذلك من استقراء كتبهم والبحث عن رجالهم ، أو مصادقة شيء من كتاباتهم فني عن مقاصدهم وأغراضهم . وأول من ألف في شروط الأئمة هو الحافظ أبو عبد الله ابن منده المتوفى ٣٩٥ هـ . ثم الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى ٥٠٧ هـ . ثم الحافظ أبو بكر الحازمي المتوفى ٥٨٥ هـ . وقد طبع الأخيران بتعليقات جيدة أنيقة للشيخ الكوثري تحوي غرر القول ، كما هو دأب تعليقات الكوثري . والأخير أجود كتاب في موضوعه وأوفاه بحثاً وتحقيقاً . فالذي ذكره الحازمي في شروطه ، وما ذكره الحافظ العقلائي في هدي الساري ملخصه : ان الإسلام والعقل والصدق والسلامة من التدليس ، والعدالة في الرواة من الشروط المعتبرة لصحة الحديث عند الكل ، ثم كون الراوي معروفاً بالمعانة بالحديث ، وأن يكون حفظه من صدور العلماء لا الصحف أيضاً ، يكاد يكون متفقاً بين الأئمة . ثم اختلف صنيعهم في كيفية استنباط مخارج الحديث ، فالرواة طبقات خمس :

الأولى : طبقة في غاية الاتقان والحفظ مع طول الملازمة للشيخ .

الثانية : طبقة دونها في الاتقان قليلة الحظ من الملازمة .

الثالثة : طبقة مثل الأولى في الملازمة ومثل الثانية في الاتقان .

الرابعة : طبقة دون الأولى في الملازمة ومثل الثانية والثالثة في الاتقان .

والخامسة : ضعفاء ومجاهيل .

فالأولى — شرط البخاري في الأصول ، وينزل الى الثانية في المتابعات والشواهد ، وقد ينزل الى الثالثة بغاية القلة . والثانية — شرط مسلم فيخرج من الأولى والثانية سواء بسواء في الأصول ، وينزل في المتابعات والشواهد الى

الثالثة مثل نزول البخاري الى الثانية . والثالثة — شرط النسائي وأبي داود يخرجان في الأصول من الطبقات الثلاث . والرابعة — شرط الترمذي ، يروى عن الأربعة سواء بسواء . وعلى هذا البيان يكون جامع الترمذي طبعا في الدرجة الخامسة . ولكن بقول الحازمي : وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ في شرط أبي داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفا ينبذ الترمذي على ضعفه ولا يسكت عليه . فإذا كان يكون تخريجه من باب الشواهد والاعتقاد في الموضوع يكون على ما أخرجه الجماعة . قال الرافعي : وهذه ميزة الترمذي خاصة ، ولكن أبا داود إذا كان هو يقتنع في كتابه بالطبقات الثلاث ويحتجب حديث الطبقة الرابعة بشرطه إذن أشد وأقوى من شرط الترمذي ؛ وأيضا نص أبو داود على أنه إذا كان في حديث في كتابه وهن شديد ، فقد بينه كما في رسالته الى أهل مكة . قال الذهبي : انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لاخراج حديث المصلوب والكلي وأمثالها ، حكاه السيوطي في التدریب . نعم قد يروي أبو داود عن مشاهير الطبقة الرابعة أيضا وكأنه ينتقي من الرابعة ، وإن كان من جهة الاضطرار ، في الشواهد والمتابعات ، وبالجملة فهما ينزلان أحيانا الى الرابعة . والفرق ان الترمذي لا يسكت وأبا داود قد يسكت ولكنه ينتقي ؛ فقد أخرج من حديث اسحق بن أبي فروة وغيره ، وسكت عليه . فالآن استويا في الطبقة ولكل وجهة هو موليها ، وراجع بعض التفاصيل في كلام ابن رجب الحنبلي في شرح عل الترمذي ، حكاه الكوثري في تعليقات الشروط للحازمي .

والخامسة — لا يخرج عنها إلا أصحاب السنن قادرا في الاستشهاد .

رواية جامع الترمذي :

أشهر راوية لرواية الجامع عن مؤلفه الإمام ، هو الشيخ أبو العباس محمد ابن أحمد بن محبوب بن فضيل المروزي رحمه الله ، وغالب أصحاب الاثبات لم

يرويه إلا عنه ، وقد حكى السيوطي في شرحه عن الحافظ أبي جعفر الزبيدي :
 أبا سعد هشيم بن كليب الشاشي ، وأبا ذر محمد بن إبراهيم ، وأبا محمد الحسن
 ابن إبراهيم القطان ، وأبا حامد أحمد بن عبد الله التاجر ، وأبا الحسن الفزاري
 أيضاً من رواه عن المؤلف الإمام .

اسم الكتاب :

وضح مما أسلفنا أن اسم الكتاب جامع الترمذي وسنن الترمذي ، وكونه
 معدوداً في الصحاح بأن غالب أحاديثه صحاح ، والمصنف رحمه الله تعالى - وإن
 أطلق عليه المسند الصحيح أيضاً كما حكيناه عن ابن قطة - لكنه لم يشتهر
 تلقينه بهذا الاسم ، ولا ينبغي أن يطلق عليه باتفراد ، صحيح الترمذي بعد
 ما عرفنا حاله ، فمن ذكره من القدماء باسم صحيح الترمذي الحاكم والخطيب ،
 وكذا سماه بعض العصرين ، وهذا صنيعٌ غيرٌ أولى ؛ فإن المصنف رحمه الله
 لم يلتزم الصفة . قال السيوطي في التدريب (ص ٤٥) : ومن أطلق عليها
 الصحيح كقول السلفي في الكتب الخمسة : اتفق على صحتها علماء المشرق
 والمغرب ، وكإطلاق الحاكم على الترمذي الجامع الصحيح ، وإطلاق الخطيب
 عليه وعلى النسائي اسم الصحيح فقد تساهل .

محمد يوسف بنوري

أعراس الشام

في أواخر القرن التاسع الهجري

انصرفت عناية كثرة المؤرخين والباحثين عندنا ، في كتب الأدب والتاريخ التي ألفوها في القديم والحديث ، إلى ذكر الأحداث السياسية ، ومرد أسماء الخلفاء والولاة والقضاة ، وترجمة مشاهير الرواة والأدباء ، والمحدثين والعلماء ، ولكن لم يكن للمحدث عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، ولا سيما في العصور المتأخرة ، النصيب الذي أصبحنا نود لو فاز به في مصنفاتهم . وقد يقع الباحث العصري ، في الحين بعد الحين ، على شذرات من ذلك ، مبثوثة في كتب ألفت في موضوعات أخرى ، فمن الخير أن ينبه إليها من يتفق له الوقوع عليها في غير مظانها ، تمهيداً لجمعها وتصنيفها والإفادة منها عند الكلام على عادات أجدادنا المألوفة في معاشهم وأفراحهم وأتراحهم من ذلك فصل طريف عقده أحد مؤلفي القرن العاشر الهجري (وأواخر التاسع) في وصف حفلات الأعراس في بلاد الشام لعهده وما قبله بتليل ، وذلك أثناء كلامه على البدع الشائعة في عصره ، في تضاعيف كتاب ألفه في كرامات الأولياء والتضوف والزهد

أما المؤلف فهو علي بن عطية بن حسن بن محمد المشهور بالشيخ علوان ^(١) ،

(١) نجد ترجمة وافية له في ص ص ٢٠٦ - ٢١٣ ، ج ٢ من (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) لنجم الدين النزي ، الذي نشره جبرائيل جبور في بيروت ١٩٤٩ ، وكذلك في ص ص ٧٤ - ٨٠ من كتاب (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) للشيخ علوان ، الذي طبعه في دمشق ١٣٢٩ هـ . أحد أحناده المرحوم عبد القادر العلواني ، وقد لحص ترجمة جده من (سرفاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لملا علي الناري ، ومن (الفينس الثمان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان) تأليف نجم الدين النزي ، ومن (راحة) عب الدين الحنفي الحموي ، ومن (خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر) للهي .

الحيثي^(١) الأصل ، الحموي المولد والمنشأ والوفاء ، الشافعي المذهب ، الأشعري الاعتقاد ، الشاذلي الطريقة ، المتصوف الواعظ . ولد في حماة حوالي سنة ٨٧٣ هـ في أرجح الأقوال (أو حوالي ٨٥٧ هـ عند بعضهم) . وتوفي في أوائل شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٦ هـ . وله في حماة اليوم ضريح يتبرك به ويزار وجامع يسمى جامع الشيخ علوان^(٢) . وتروى له كرامات وأحوال لا مجال هنا للإفاضة في ذكرها .

كان للشيخ علوان كثير من الشعر الجيد ، يعد في شعر الطبقة الأولى في عصره ، ويسمو على نظم أستاذه ابن حبيب صاحب التائية التي شرحها علوان . أما ثمره فقد التزم في شطره السجع المصنوع ، ولكن سائره سهل مرسل . وخلف لنا من الكتب حوالي عشرين كتاباً ، طبع القليل منها ، مثل (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) و (بيان الممانى في شرح عقيدة الشيباني) ، ولا يزال الكثير منها مخطوطاً . وفي دار الكتب الظاهرية عدد وافر منها ، وكذلك في خزانة آل الأناسي في حمص ، وخزانة بعض أحفاد الشيخ علوان في حماة . من هذه الكتب ما ألفه بنفسه ، ومنها ما شرح فيه كتب غيره ، وأكثرها في التصوف والعقيدة والفقه الشافعي .

ومن أجل تصانيف الشيخ علوان كتاب (نسبات الأسفار في كرامات الأولياء الأخيار)^(٣) . وهو كتاب جليل كبير في التصوف والزهد والتأدب بما كان

(١) هبت : بلد بالعراق على شاطئ الفرات الغربي ، غير بعيد عن الرمادي والحجانية (فوق الأنبار) .

(٢) أعلمني بهذا ويعض ما في هذه الكلمة أحد أحفاد المؤلف وهو الأستاذ درويش العلواني ، مدير العلاقات الثقافية في وزارة المعارف السورية .

(٣) في المخطوطة ع - التي سنصفها في متن الصفحة التالية - ورد اسم الكتاب هكذا : (كتاب نسبات الأسفار ، في نبذ من كرامات الأولياء الأخيار ، ويلتحق به ما يناسب الوعظ والتذكير ، ولا يخلو من مسائل فنية وآثار) .

عليه السلف في السلوك ٠٠٠ وقد ألفه في شهر ربيع الأول من سنة ٩٠٦ هـ . وأسلوب المؤلف فيه أسلوب المحاضر المذكور الواعظ ، لا الكاتب المتأنق المتصنع ، ولئن أكثر المؤلف من الاستطراد والتثقل ، فإنه يظل أبداً آخذاً بنفس القارى ، يتابعه أنى سار وحيثما ذهب ، وبمعجب بعفوية أسلوبه وأصالته شخصيته ، وإخلاصه في موعظته ، وسمو نفسه في دعوته . وفي دار الكتب الظاهرية مخطوطتان من هذا الكتاب : أدلأهما (ونرمز لها بحرف ع ورقمها في الدار : عام ١٤١٥ تصوف ٩٧) في ١٤٣ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (١٢٥ × ١٦٥ سم) ، على أن الورقات ٨٨ - ١١١ أقل عرضاً وأنصح بياضاً . وفي هامش الصفحات شرح لبعض غريب الألفاظ مأخوذ عن (القاموس) ، وعناوين مفصلة لكل بحث ومطلب . وفي الصفحة ٢٨٤ ما يلي : (كتبت هذه النسخة من نسخة قال مؤلفها : تم الكتاب ٠٠٠٠ وكان الفراغ من ترتيبه الثلث الآخر من الليل في العشر الثاني من شهر ربيع الأول من شبور سنة ست وتسع مائة . قال ذلك وكتبه ٠٠٠٠ علي بن عطية بن حسن الملقب بعلوان ٠٠٠٠ ووقع الفراغ من كتابة هذه النسخة في آخر شهر الربيع الأول على يدَي ٠٠٠٠ عثمان بن عباس .) وبلي ذلك أدعية وعزائم بتدأري بها ، وفتأري وطرائف لبست لمؤلف (التسميات) .

أما المخطوطة الثانية من هذا الكتاب (ونرمز لها بحرف م ورقمها في الدار : عام ١٤١٦ تصوف ٩٨) ففي ٢١٦ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (٢١ × ١٥٥ سم) ، والمخط نسخي جميل ، وقد جمعت فيها رؤوس الفصول والمباحث بالحبر الأحمر . وجاء في خاتمة الكتاب : (علقة محمد بن عبد الله ، إمام جامع الشيخ علوان بحماسة المحمية ، وفرغ منه يوم السبت لعشر خلون من رجب سنة ألف ومائة وخمس .) .

والفصل المتعلق بأعراس الشام الذي أخذناه عن كتاب (نسمات الأسبجار) هذا ، وأثبتناه في الصفحات التالية ، وارد في ص ص ٤١١ - ٤٢٢ من المخطوطة م ، و ص ص ٢٦٨ - ٢٧٩ من المخطوطة ع . وقد خلص المؤلف إلى هذا الفصل بعد أن شكك انتشار البدع السيئة في عصره وعكوف القوم عليها . وقد أثبتنا في المثنى ما يتعلق بحفلات الأعراس خاصة ، وأشرنا في الهامش إلى فحوى معظم الفقرات التي أغفلنا ، إذ كانت مما استطرد المؤلف إليه ، مما لا يتصل بالأعراس عن قرب .

وهذا الوصف لحفلات الأعراس في أواخر القرن التاسع الهجري (إذ ألف الكتاب سنة ٩٠٦ هـ كما رأينا) وصف حيّ طريف جميل ، ويزيدنا رغبة في نشره أننا رأينا في عصرنا هذا - أي بعد قرابة خمسمائة عام - أنه لا يزال في أعراسنا الشامية ، ولا سيما في الأرياف ، شيء من هذه العادات التي يصفها الشيخ علوان .

وهذا هو الفصل الذي يصف فيه المؤلف أعراس عهده^(١) كما شهدا بعينه :

(١) بعد كتابة هذه الكلمة وقمنا في الجزء الأول من كتاب (خزائن الكتب في دمشق وضواحيها) ص ص ٥٤ - ٥٨ للمرحوم حبيب الزيات (ط . القاهرة ، بُعيد سنة ١٩٠٠ م) على جزء من هذا الفصل الذي نشره ، وقد اختاره المؤلف من المخطوطتين اللتين أشرنا إليهما (نظراً لمرآيته وما يشمل عليه من الفائدة التاريخية في تعرف أخلاق أهل هذه الديار واستطلاع بعض عرائدم في ذلك العهد) . (ص ٥٤ من الكتاب المذكور) .

علوان يصف أعراس الشام

وأنواع البدع في هذا الزمان كثيرة جداً ومن أقبح البدع ما حدث في بلادنا في الأعراس ، وذلك أن الشيطان ، لعنه الله ، لما كان جالساً على الصراط المستقيم^(١) - والنكاح منه ، فإنه من سنة نبينا ﷺ - أدخل^(٢) على من أراده أموراً فظيعة^(٣) وأحوالاً شنيعة ، لا بأس بذكر بعضها ، تذكرة للعالم ، وتبصرة للجاهل . فأولها أن النبي ﷺ قال : عليك بذات الدين ، ترى بت يداك ، وورد عنه : إياكم وخضراء الدار من ، قيل : من هي ؟ قال : المرأة الحسناء [في منبت السوء] ، الحديث ، فإذا أراد إنسان نكاحاً لا تراه يسأل لا عن دينها ، ولا عن نسبها ، وإنما يسأل عن جمالها وجهازها ، وهل معها فماش كثير وجهاز ثقل ، والحامل على هذا كله^(٤) التماهل في الدين ، فإذا ذكرت له امرأة متجيزة كثيرة المال أرسل إليها ، وأقبل بكيته عليها ، والحال أنها مغتابة تمامة كذابة تاركة للصلاة سيئة الخلق ، وهذا فعل من هو في غابة الحق ، فإن نفّس الفاسق ممّ قاتل . ثم يرسل بعض الناس لحماً وطعاماً على رأس الحمال مكشوفاً رياءً وسمعة ، ليقال : هذا عشاء فلان . ثم^(٥) يوجه إليهم جماعة من الأغنياء ورءوس الحارات الأغنياء^(٦) ، ولا يلتفت إلى الفقير والمسكين^(٧) . فإذا جرى العقد أبلأ أهلها أن يكتبوا عقد النكاح^(٨) إلا على حرير ، نحو ذراع أو أكثر ، إمرافاً وتبذيراً فإذا قرب

(١) أي جالساً يترقب الناس السائرين على الصراط المستقيم .

(٢) في ع و م : فأدخل .

(٣) في ع و م : فظيعة .

(٤) ليست في م .

(٥) ليست في ع ،

(٦) في ع : الأغنياء ، هنا أيضاً .

(٧) في ع : المسكين الفقير ، على الومنية لا العطف .

(٨) في م و ع : ذلك ، ولكن فاسخ ع صحت ذلك بما أنبتاه .

الدخول ، وحان الوصول ، اجتمع أهل محلة الزوج غاليهم : صغيرهم وكبيرهم ، وصحبوا معهم البغال ، وأكثروا الصخب ^(١) والجدال ، وتوجهوا إلى محلة الزوجة لنقل جهازها ، فيلقاهم أهل تلك المحلة بالمدافعة ، والمشاقفة والممانعة ، وطلبوا ^(٢) منهم رهوصاً عديدة من القنم ، وقالوا : إن لم تأتوا بها لا تطيقون ^(٣) أخذ ما جئتم بصدده . فيقولون لهم : إذا كان الأمر كذلك ، فقوموا بواجب حقنا عليكم من المآكل الكثيرة فيذهب كل فاسق منهم إلى بيته ، وينهر زوجته ، ويأمرها بالقيام إلى تحصيل الضيافة والطعام ، وربما تكون مشغولة بإصلاح بعض شأنها ، فيلعنها وبلعن آباءها وإخوانها ، وفي الحقيقة ما لعن إلا نفسه ^(٤) وربما يكون الإنسان منهم فقيراً لا يملك قوت ليلة ، أو [لبس] عنده ما يكفي أولاده ، فيتركهم يتضاغون من الجوع ، ويحمل قوتهم في طاعة الشيطان رباً وسمة ، نسأل الله العافية . وربما يصنع أيضاً أو لحماً ، وأولاده الصغار يكونون على أهم ، فلا بدفع إليهم ما يهيجهم ، ويقول : يبقى المقل ، يعني الإهانة الذي 'بقلي' فيه ، ناقصاً ، هذا عيب وفضيحة . فلا قوة إلا بالله من أخلاق أهل النفاق ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً . فإذا أكلوا السحت أخذوا في الإفك واللعب ، والمدامنة والكذب . هذا وأهل الزوجة قد صفوا الأثاث في الأطباق ، ونشروا المتاع على الدواب ، ورفعوا الحلي على رهوس الجمالين ، وفرحوا بما يجب الحزن عليه ، وانتشر النساء والرجال ، مختلطين في الأزقة والأسواق ^(٥) ، رافعين الأصوات بالزغليط ^(٦) ،

(١) ينبت تاسخ ع في هامش تفسير القاموس فيقول : الصخب حركة شدة الصوة . (كذا) .

(٢) كذا في ع و م والسياق يقتضي المضارعة .

(٣) في م : لا تطيوا . (كذا) .

(٤) يلي هذا كلام طويل في حقوق الزوجة على زوجها في الشرع ، وما جاء في القرآن والسنة من الإيحاء بها والأمر باكرامها والتواضع لها .

(٥) في م و ع : الأزراق وصححت في هامش ع بالسين .

(٦) يريد ما فصحه الزغاريد ، وعامة دمشق يقولون اليوم : الزلاغيط .

قاصدين المفاخرة والمكاثرة فإذا كان ليلة الدخول ، وقعوا في أمور ،
 منها الإيذاء ^(١) بالبذعة ، والرياء والسمة ، وذلك أن بعضهم ربما يكون فقيراً ،
 فيستدين ويتكلف فوق طاقته ، قاصداً بذلك تكثير الطعام وتحسينه ، لئلا يصاب
 عليه بتقصيره عن القدر الذي أولم به جاره ثم يشرع في دعوة
 الغني والوجيه ، ويقتل عن الأرملة والمسكين ، والفقير واليتيم ، أو يكليهم
 على لحس الأواني ولقط ما انتثر . وبعض الناس يدعو أكابر العلماء ، وأعيان
 الناس والأمرء ، ويكلفهم ويحجبهم ^(٢) ، فلا يطبقون التخلف عن الإجابة
 لوجوبها ، وقصده مفاخرة جيرانه ومباهاتهم ، فيقول : كان عندي الشيخ الفلاني
 والأمير الفلاني والكبير الفلاني ، وهذا رياء مذموم . وبعضهم قد اتخذ سنة
 قبيحة ، وفعلة شنيعة ، فيعزم جماعة مستكثرة ، فإذا أكلوا حبسهم لغرامة
 أضاعاف ثمن ما أكلوه ، ويقول لبعض أصحابه : ناد بالشاباش ^(٣) ، فيقول هذا
 المنادي إذا أعطاه أحد شيئاً : شاباش يا فلان . هذا وجماعة من النساء يستمعون
 صوت المنادي ، فإذا سمى البازل للنقوط رفعوا أصواتهم ^(٤) بالزغاليل ، خصوصاً
 إذا كان المنادي باسمه من وجوه الناس ، فهناك تقع
 المفاخرة والمفاخرة ^(٥) بين الأقارب ، ويستحوذ عليهم الشيطان ، ويحصل لهم
 السجب بفعلهم الخبيث ، فينفقون أموالهم رياءً وسمعة في سبيل إبليس وجنوده .
 وما ينادي المنادي : أخلف الله عليك يا فلان . وهو الشرفي ^(٦) ، ويكون

(١) من أولم : عمل الوليمة ، لا من آلم : أوجع .

(٢) يريد أنه يحملهم على الاستحياء والحجل من التخلف عن إجابة دعوته .

(٣) شاباش : كلمة فارسية للتعبير أو لتثناء ، مثل مرحى بالعربية . (انظر دوزي
 في ذيل المعاجم العربية ١ / ٧١٤) . وأهل دمشق وضواحيها يقولون اليوم
 شاباش ، ولكن ينطقون بالواو كحرف (و) في الفرنسية .

(٤) كذا على التذكير .

(٥) يريد بالمفاخرة : إثارة الفيرة والنخوة .

(٦) كذا في م و ع . ومراد المؤلف بهذه اللفظة مفهوم من البيان .

قد بذل نصفاً ليغزو غيره ، وفي الحديث النهي عن هذا ليت شعري كيف يخلف الله على من بذل ماله على هذا الوجه فاذا انقضت الوليمة توجهوا الى الحمام ، وقد صحبوا معهم شمعاً مستكثراً ، فاذا خرجوا أوقدوه بين يدي العريس متشبهين بالمجوس ، من إظهار شعار النار . على أنه يكفهم مصباحان أو ثلاثة . ثم يهللوا ^(١) تهليلًا باللهو واللعب والغفلة وتمطيط حروف الهيالة وإخراجها عن محلها ، كما يُفعل بين يدي بعض الفقهاء عند ختم مجلس البخاري ، كما شاهدته وفعلته ، وأسأل الله التوبة والمغفرة ، فإن مما أظهر فقهاء الزمان من البدع أنهم إذا ختم أحد منهم مجلس قراءته أفرغت عليه خلة ثينة عارية ^(٢) رهنًا على ما تأخر له عند صاحب القراءة من الدراهم ، ورياء ومنافسة جالبة للمآثم ، هذا والنساء مختلطون بالرجال في مجلسه ^(٣) وبالجملة إيقاد الشمع إسراف ، لم يكن في عهده عليه السلام ، ولم يُنقل عن أحد من أصحابه . ثم المصيبة العظمى والداهية الدهية ، أن نساء المحلة وغيرها يجتمعن في دار ، في الثياب والزينة والخضاب بالحناء ^(٤) والتجلي بالذهب ، بين أيديهن الشموع موقدة ، والوجوه بادية ، والزينة ظاهرة ، لا حجاب ولا جلباب ، فيدخل الزوج للجلاء ، بل للعمى والظلام ، فيتلقينه بالشمع والزخامة ، وهن سافرات عن وجوههن ، مبديات لزيفتهن ، فتعضده امرأتان من أقاربه : واحدة عن يمينه وأخرى عن شماله ، فيدخل على النساء الأجانب ، وربما يدخل معه شباناً بالغين من الأقارب ، كأخيه البالغ ومن في معناه ، فلا حول ولا قوة

(١) كذا في م و غ .

(٢) في م : غاية .

(٣) يورد الشيخ علوان بعد هذا كلاماً طويلاً في انتقاد بعض وعظا عصره ، الذين يترقبون في ثيابهم وميئاتهم ، ويكثرلون الأسمار والإشارات والحركات ، ويفتتون النساء اللواتي يحضرن مجالسهم ، فيعبدن زوجات هؤلاء الرعاغين ، ثم ينمي عليهم مشيهم في مواكب ترفع النساء فيها أصواتهن (بالزغاليط) ويهكّل فيها بين يديهم .

(٤) ليست في م .

إلا بالله . فهناك يجلس على مكان رفيع ، فتتقدم كل امرأة إليه ، وتلتصق
الدرهم بين عينيه ، ورائحة الطيب منها فائحة ، وعينها محدقة إليه لائحة ،
وزينتها بادبة لائحة ، فإن كان ممن يزعم أنه متدين غص بصره ، وإلا فتع
عينه وأرسل نظره . الله عليكم ^(١) هل يحل هذا الفعل القبيح في دين الإسلام ؟ !
أو نقبل مثل هذا عن سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ ثم تخرج
العروس الملعونة ، هي وماشطتها الشريكة لها في اللعن على لسان رسول الله ﷺ ،
فإنه لعن النامصة والمتنمصة . والنامصة بالصاد المهملة هي التي تزيل الشعر من
الوجه ، وهي المسماة بالماشطة ، وللمتنمصة هي التي تطلب فعل ذلك ، وهذا
الفعل حرام ، إلا إذا نبتت لحية أو شوارب ، فلا نخرم إزالتها بل يستحب .
والنهي إنما هو في الحواجب ، ومعلوم أن الماشطة تذف حواجب العروس ،
فتستر كان في اللعنة ، لارتكابها ما نهى عنه . وأما تحميم الوجه والخضاب
بالسواد وتطريف ^(٢) الأصابع فحرام على الخلية ^(٣) ، وعلى غيرها بغير إذن
الزوج ، كما نقله الدميري . وكذلك الوشم حرام فعلة ، وملعون فاعله وطالبه ^(٤) ،
لقوله ﷺ : لعن الله الراشحات والمستوشحات ، وهو أن تغرز إبرة أو مسلة أو
نحوهما في ظاهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك ، حتى يسيل الدم ،
ثم يمشى ذلك الموضع بالكحل ونحوه فيخضر ^(٥) وهي
مسألة عامة الوقوع ، خصوصاً في الفلاحين وأهل البوادي : رجالهم ونسائهم .

(١) كأن المؤلف يستحلف قراه بالله .

(٢) طرّف بنانه : خضب أطراف أصابعه بالحناء ، وفي م : تطريف .

(٣) الخلية : بمن لا زوج لها .

(٤) في م : وطالعه .

(٥) يطيل المؤلف بعد ذلك بيان حكم الشرع في نجاسة الموضع المرشوم ورجوب

معالجته وإزالة الوشم منه وعدم صفة صلاة من كان في بدنه وشم الخ .

وبالجملة تخرج العروس في شيء يقال له الشربوش^(١) ، والذي يظهر لي ، والعالم عند الله تعالى ، أنه وما في معناه مما ظهر في زماننا ، ويلبسه النساء على رؤوسهن [و] يسمونه المُنَزَّع ، مما أخبر ﷺ بوقوعه^(٢) رجفنا الى ما كنا بصدده ، فاذا خرجت وامتلأت بين يدي الزوج ، قام لها ، وكشف شيئاً ، يقال له الجلاية ، عن وجهها ، وأخذت تنقص وتنكسر في حركتها وتنفلت ، وكما دارت مرة لصق الزوج ومن معه ، كأخيه البالغ والمراهق اللذين يحرم عليهما النظر إليها في حال المهنة والرثانة ، فضلاً عن حال الزينة والنضارة ، الدراهم في جبهتها وعلى خديها . ثم تذهب الماشطة بها الى بيت ، وتخلع عنها تلك الهيئة ، وتفرغ عليها ثياباً غير تلك الثياب ، وتلبسها عمامة كعمامة القاضي والفقيه والجندي^(٣) ، وتمسك سيفاً مسلواً معها ، فتأتي الى الزوج ، فيأخذ السيف منها ، ويضربها بيطنه على رأسها ثلاث ضربات ، وكل هذا فعل مذموم ملامون فاعله ، وأعظم من هذا أنه إذا دخل البيت ، قامت أم الزوج^(٤) ، فنشخت^(٥) رجلها مع صدغي الباب ، أي عضادتيه ، ولا تمكن الزوجين من الدخول إلا بعد انحنائهما من تحت رجلها . فاذا استقرا في البيت تطلع النساء الأجانب عليها من الكوات ، وجلسن يرقبن أحوالهما الى الصبح . فإن لم يسمع لها صوت ، طرقت الباب عليها ، وحركن عنقهما .

(١) من الفارسية ، شربوش : لباس تفضيه النساء على الرأس . وعرف المتأخرون الشربوش وقلوا إنه (شيء يشبه التاج ، كأنه شكل مثلث ، يجعل على الرأس بنير عمامة) وكان لباس الأمراء . انظر دوزي : معجم الثياب ، ص ٢٢٠ وقيل المماجم المربية ١ / ٧٤٢ .

(٢) يسوق المؤلف بعد ذلك حديثاً في هذا المعنى ، ويطيل في شرحه وتخريجه ويخلص إلى تحريم لبس (التبع المنزَّع) . وللتوسع في معنى التبع والمنزَّع راجع دوزي : معجم الثياب ص ٣٤٤ وقيل المماجم المربية ٢ / ٣٠٣ و ٢ / ٤١١ .

(٣) ليست في ع .

(٤) في م : الزوجة ، والسياق يرجح ما أخذناه عن ع .

(٥) نشخ : بالحاء عامية ، فصيحها نشخ بالحاء (أو الجيم) : فرج ما بين رجليه ،

وفي هامش ع (النشخ : لإرخاء المفصل ، قاموس) .

هذا وقد علمن الزوجة الممانعة ، وحرّضنها على عدم المضاجعة ، وألبسناها سراوياً
عقدن عليه كذا وكذا عقدة . وماذا عسى أن أصف من الأحوال الخبيثة
الشيعة ، المباشرة للدين والشريعة ؟ ! والعجب كل العجب من بعض العلماء
كيف يعلم هذه الأمور ولا ينكرها ، ولا يُبرهن على السنة ولا يشهرها ،
بل ربما يبعث زوجته لحضور هذا المجلس الأثيم ، الموجب للوزر العظيم
وبعض الناس يقدم بدعة قبيحة جداً ، ويصنع لعرسه سرّاً^(١) ، وفيه
منكرات كثيرة من^(٢) إضاعة الأموال ، فانه يحتاج فيه إلى بذل مال
كثير في شراء الزيت وأجرة المفتين ، ويتفق فيه اختلاط الرجال بالنساء ،
وسماع الدف المصنّج والفناء ، والفحش والبذاءة والظن ، وتشبه الرجال بالنبوة^(٣) ،
وكثرة الضحك الناشئة عن الغفلة والقسوة ، وترك الصلوات والاستهزاء بالدين ،
والتسخير الزائد بمحاكاة كلام العلماء والخطباء ، وكشف العورة ، وأشياء نأل
الله العافية منها بمنه وكرمه ، مما ينفي إلى الكفر ، وربما يلبس المضحك زي
الكفار ، ويستمزي بلباس العلماء الأخيار ، ومن استهزأ بالدين وأهله كفر .
 وأنواع الكفر كثيرة لا تكاد تحصر^(٤) واختلفوا أيضاً فيما لو
حضر جماعة ، وجلس أحدهم على مرتفع ، تشبهاً بالمدكر أو العالم أو القاضي ،
فسأله المسائل وضحكوا ، وضربوا بالخرق^(٥) ، قال بعضهم : يكفروا . وكذا
لو تشبه بالمعلم ، وأخذ خشبة ، وجلس القوم حوله كالصبيان ، وضحكوا واستهزؤوا
به . وهاتان المسئلتان ونظائرهما ينتقان في المراسح كثيراً ، وفي هذا القدر كفاية .

عبد الهادي هاشم

(١) بتقديم الراء على السين في م و ع ، وقد شاع اليوم تقديم السين .

(٢) في م : في .

(٣) ليس في م قوله : والفناء بالنسوة . .

(٤) يحدد المؤلف هنا في لواز أربع صفحات بعض ما يراه من أنواع الكفر ، ثم

يختم هذا الفصل بالفترة التي أبتناها في المتن .

(٥) الخرق : المديل أو نحوه يلف ليضرب به ، والخرق أيضاً ما يلبس به البيان

من الخرق المتولة .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٩ -

كتبه ،

ألف ابن جني كثيراً من الكتب في الصرف والنحو والعروض والقراءات واللغة والأدب . وقد عني بالبحث عن كتبه من المتأخرين المستشرق الألمانى المرحوم بروكلمان كتابه في تاريخ الأدب العربى^(١) ، والزميل الفاضل الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ، والعلامة الشيخ محمد علي النجار في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص . وقد أهمل كل منهم ذكر بعض كتبه ، وبخاصة الأستاذ القصاص فإنه لم يذكر له إلا ثمانية وثلاثين مؤلفاً . وتبعنا نحن المظان فجمعنا كل ما عرف الأقدمون والمتأخرون عن آثاره ، وإلى القارئ الفاضل بيان ذلك . ذكر ابن جني بعض كتبه في الإجازة التي حفظ لنا ياقوت صورتها في معجم أدبائه ، والتي كتبها أبو الفتح للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد

(١) أتمّ المستشرق الكبير بكتب الإمام أبي الفتح بن جني ، شأنه في كتب كبار أئمة الإسلام ، وقد أحصى ما عثر عليه في المظان من أسماء كتب الشيخ ، وذكر ما عثر عليه من أسماء وأشار إلى المقتود منها بقوله (لم أعر عليه) .

ابن نصر أدام الله عزه ، أن يروي عني مصنفاتي وكتبي ، بما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري أيد الله عزه : عنده منها كتابي الموسوم (بالخصائص) وحججه ألف ورقة ، وكتابي (التمام في تفسير أشعار هذبل) مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله ، وحججه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وكتابي (سر الصناعة) وهو ستائة ورقة ، وكتابي في (تفسير تصريف أبي عثمان) بكر بن محمد بن بقیة المازني وحججه خمسمائة ورقة ، وكتابي في (شرح مستغلق آيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها) ومقداره خمسمائة ورقة ، وكتابي (في شرح المقصور والمدود) عن يعقوب بن اسحق السكيت وحججه أربعائة ورقة ، وكتابي في (تعاقب العربية) وأطرفت به وحججه مائتا ورقة ، وكتابي في (تفسير ديوان المتنبي) الكبير ، وكتابي في (تفسير معاني هذا الديوان) وحججه مائة ورقة وخمسون ورقة ، وكتابي (اللمع) في العربية وإن كان لطيفاً ، وكذلك كتابي (مختصر التصريف) على إجماعه ، وكتابي (مختصر العروض والقوافي) ، وكتابي (الألفاظ المهذوزة) ، وكتابي (اسم المفعول الممثل العين من الثلاثي) على إغرابه بفي معناه وهو المقتضب ، وما بدأت بعمله من كتاب (تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب) أيضاً أعان الله على إتمامه ، وكتاب (ماخرج عني من تأييد التذكرة) عن الشيخ أبي علي أدام الله عزه ، وكتابي في (المحاسن العربية) ، وإن كان ماجري أزال يذي عنه حتى شذ عنها ومقداره ستائة ورقة ، وكتابي (النوادر الممتعة في العربية) وحججه ألف ورقة ، وقد شذ أيضاً أصله عني فان وقع كلامها أو شيء منها فهو لاحق بما أجزت روايته هنا ، وكتاب (ما أحضرني الخاطر) من المسائل المنشورة مما أملكته أو حمل في آخر تعاليتي عن نفسي ، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته فليروا أدام الله عزه ذلك عني أجمع إذا صح عنده ، وأنس بنثقيفه وتسديده ، وما صح عنده أبده الله من جميع رواياتي ، بما سمعته من

شيوخهم رحمهم الله ، وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام ، وغير هذه البلاد التي أئتمتها وأتمت بها ، مباركاً له فيه منقوعاً به بإذن الله . وكتب عثمان بن جني يده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة^(١) .

ثبتت هذه الإجازة بعض آثار ابن جني ، وقد أثبتناها بتمامها لتضمنها بعض مؤلفاته ولأنها مؤرخة تفيدنا في دراسة تواريج مؤلفاته ، ولأنها تربنا من جهة ثالثة قسماً من هجوم بعض كتبه المفقودة .

(وبعد) فنحن نورد فيما يأتي ثبت كتبه كما وجدناه في تنقيساتنا مرتباً على حروف الهجاء ، ذاكرين الموجود منها والمفقود والله الموفق .

١ - الألفاظ المهموزة :

ذكره في إجازته السابقة فقال : «: كتاب الألفاظ المهموزة» وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وسماه (الألفاظ من المهموزة) ، ولم يذكره يردكمان في فهرست كتبه . وكان العالم الدمشقي الأستاذ المرحوم السيد وجيه فارس الكيلاني ، والد صديقنا الباحث المدقق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، قد نشر في مصر ثلاث رسائل لابن جني^(٢) إحداها رسالة في ثلاث صفحات عنوانها «عقود المحرز وخواص أمثلة الفعل» ، فدل هذه الرسالة هي التي ذكرها ابن جني في إجازته .

٢ - البشرى والظفر :

ذكره يانوت في ثبت كتبه ، وقد صنفه لعضد الدولة البيهقي ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت واحد من شعر عضد الدولة ، وهو قوله :

أهلاً وسهلاً بذى البشرى ونوبتها وباشتال سراياتنا على الظفر

ولم يذكر هذا الكتاب يردكمان في كتبه المفقودة^(٣) .

(١) يانوت : معجم الأدباء طبعة دار المأمون ١٢ / ١٠٩ - ١١١

(٢) نشرها سنة ١٣٤٣ و سنة ١٩٢٤ بالمطبعة العربية بالقاهرة

(٣) ويسميه الأستاذ القصاص في رسالته ص ٢٢ «بالبشر والظفر» خطأ .

٣ - التبصرة :

ذكره ابن خلكان في ترجمته^(١) ولم يشر اليه بروكمان في كتبه المفقودة ،
ولا عرفت شيئاً فيما بين يدي من مصادر عن هذا الكتاب وموضوعه .

٤ - التذكرة الاصبهانية :

ذكره ابن خلكان في ترجمته^(١) وأشار اليه صاحب شذرات الذهب في
ترجمته أيضاً^(٢) ولم يشر اليه بروكمان .

٥ - التصريف الملوكي :

ذكره ابن جني في الإجازة فقال : « وكذلك كتابي مختصر التصريف
على اجماعه » ، وذكره ابن النديم في الفهرست باسم (جملة أصول التصريف)
وهو مشهور باسم (مختصر التصريف الملوكي) أو (جمل أصول التصريف) كما
ذكر الحاج خليفة . ومن الكتاب نسخ كثيرة في مصر^(٣) وإستانبول وأوربا .
وقد طبع مع ترجمة لاتينية في مدينة ليزيغ سنة ١٨٨٥ بصناعة المستشرق
هوبرغ G. Hoberg . كما طبع في مصر مذبلاً بشرح وجيز بقلم ناشره الشيخ
محمد سعيد النعمان الحموي سنة ١٩١٣ .

وقد شرحه علماء كثيرون ، ومن أشهرهم أبو البقاء موفق الدين بن يمين^(٤) ،
ومن شرحه هذا نسخة بدار الكتب المصرية ، ونسخة بمكتبة كوبرلي بالامانة
رقمها : ١٥١١ . ومن شرحه أيضاً أبو السعادات بن الشجري (٥٤٢ هـ)^(٥) ،

(١) الرويات ٣١٣ / ١

(٢) ج ١٤٠ / ٣

(٣) انظر فهرس دار الكتب المصرية ٦٧ / ٢

(٤) انظر فهرس الدار ٦٠ / ٢ وبغية الوعاة : ٤٢٠

(٥) انظر بغية الوعاة : ٤٠٨ وكشف الغنون ٢٨٩ / ١

والشيخ قاسم بن قاسم الواسطي (— ٦٢٦^(١)) ، وعمر بن ثابت الثماني تلميذ ابن جني^(٢) وغيرهم .

٦ — تعاقب العربية :

قال عنه في الإجازة : « وكتابي في تعاقب العربية وأطرفت به وحججه مائتا ورقة » . وهذا الكتاب من آثاره المفقودة التي لم أعر عليها ، فيما بين يدي من الفهارس العامة . وقد ذكره ابن جني مرات في الخصائص ونقل منه كقوله : « وقد ذكرنا في كتابنا الموسوم بالتعاقب من هذا النحو ما فيه الكفاية بإذن الله تعالى^(٣) » . وذكره ابن النديم وسماه : « التعاقب في العربية »^(٤) ، كما أشار إليه الخطيب البغدادي^(٥) ، وابن خلكان^(٦) ، وابن سيده باسم التعاقب^(٧) ، وهو تحريف في الطبع . ونقل عنه السيوطي في الأشباه والنظائر وقال عنه : « ألفه ابن جني في أقسام البدل والمبدل منه ، والمعرض والمعرض منه » ثم نقل شيئا من مقدمة الكتاب^(٨) . وذكره بروكلمان في كتبه المفقودة .

٧ — تفسير أرجوزة أبي نواس :

لم يذكره ابن جني في الإجازة ، ولكن باقوت ذكره في ترجمة ابن جني ، كما ذكره السيد الندوي في (تذكرة النوادر) باسم « شرح أرجوزة أبي نواس » وقال : إن منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، ولم يذكر رقمها^(٩) .

(١) انظر بنية الوعاة : ٣٨٠ وكشف الظنون ٢٨٩ / ١

(٢) انظر بنية الوعاة : ٣٦٠ وكشف الظنون ٢٨٩ / ١

(٣) الخصائص ١ / ٣٧٣ ، ٢٧٤

(٤) الفهرست : ١٢٨

(٥) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١

(٦) الوفيات ١ / ٣١٣

(٧) النقص ١ / ١٣

(٨) الأشباه ١ / ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٣٤ و ٢ / ١٢٠ ، ١٧٢

(٩) التذكرة : ١٢٨

٨ - تفسير تصريف المازني (المنصف) :

قال عنه في الإجازة : « وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقيّة المازني وحججه خمسمائة ورقة » وقد أشار إليه في مواضع كثيرة من الخصائص ، ونقل عنه في مر الصناعة ^(١) . وسمّاه ابن خلكان بالمنصف في شرح تفسير المازني ^(٢) . وذكره ابن الأنباري باسم المنصف ^(٣) . وكتب عنه المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً حسناً ^(٤) . ومن الكتاب نسخ كثيرة منها نسخة كوبرلي ورقمها ١٥١٠ ١٥١١ ٦ ونسخة مكتبة عاطف أنندي ورقمها : ٢٦٣٩ ، ونسخة طوب قيو : ٢٢٨٠ ، ونسخة علي شهيد : ٢٥٩٧ ، ونسخة داماد ابراهيم : ١٠٥٨ ، ونسخة راغب افندي : ١٣٩٤ ، ونسخة المتحف الآسيوي بليتنغراد رقمها : ٢١١ / ٥ ، ونسخة سفي خزانة برلين : ٧١٨ ، ونسخة في خزانة ثينا : ٢٢٢ ، ونسخة في دار الكتب المصرية ورقمها : ٣ ش . وقد أكثر البغدادي من النقل عنه ^(٥) ، وقد طبع الجزء الأول منه مؤخراً في مطبعة البابي الحلبي بمصر بتحقيق أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى والسيد عبد الله أمين ورقمها الله لإتمام طبعه .

٩ - تفسير العلويات :

لم يذكره في الإجازة وذكره ياقوت في ترجمته فقال : « تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضي كل واحدة في مجلد (الأولى) هي قصيدة رثي بها أبا طاهر ابراهيم بن نصر الدولة أوطا :

(١) انظر صفحات : ٦٢ ، ٩٩ ، ٣٣٣ ، ٥٥٤ ، ٦٩٤ ، ٦٤٥٤ من مخطوطتنا .

(٢) الوفيات ٣١٣ / ١

(٣) التزمة ٤٠٦

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ / ٣٤١

(٥) انظر انليد الخزانة ص ٣٢

ألقِ الرماحَ ربيعةَ بنَ تزارٍ أودَى الرُدَى بقربك المغوارِ

و (الثانية) هي قصيدة رثى بها صاحب ابن عباد وأولها :

أَكْذَا المَنُونُ تُنْتَظِرُ الأَبْطَالَ أَكْذَا المَنُونُ تُضَعِّضُ الأُمَيَّالَا

و (الثالثة) قصيدته التي رثى بها أبا اسحق الصائغ وأولها :

أعلت من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبأ زنادُ النَّادي

ولم يذكر الرابعة . وذكره ابن النديم باسم (تفسير المراثي الثلاث) وكتاب

القصيدة الرائية للرضي ^(١) . ولم أعثر على نسخ لهذه الشروح في الفهارس التي

بين يدي ، ولا ذكرها بروكلمان في الكتب المنقودة .

١٠ - التلقين :

لم يذكره في الإجازة بل ذكره ابن النديم ^(٢) والخطيب البغدادي ^(٣)

وابن خلكان في ترجمته ^(٤) ، ولم يشر اليه بروكلمان ولا عثر على نسخة له في

الفهارس المعروفة .

١١ - التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري :

ذكره ابن جني في الإجازة وقال : إن حجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على

ذلك ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ^(٥) ، والزحشرى في الكشف ^(٥) ،

وابن سيده في المختص ^(٦) . وأشار اليه ابن جني في الخصائص ^(٧) . وعدّه

(١) الفهرست ص ١٢٨

(٢) الفهرست ١٢٧

(٣) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١

(٤) الوفيات ١ : ٣١٣

(٥) ٨٢٢

(٦) ١٣ / ١

(٧) ١٣٠ / ١ من الطبعة الأولى

بروكلان في كتبه المفقودة ، مع أنني عثرت على نسخة فريدة منه في خزانة دار كتب الأوقاف ببغداد ، ونقلتها عنها نسخة لنفسني وهو من التفائس المنيعة والنسخة قديمة متقنة كتبها الشيخ أسعد بن المعالي بن إبراهيم بن عبد الله الكاتب سنة ٥٨٠ هـ^(١) .

١٢ - المخاطريات :

ذكره ابن جني في الإجازة باسم « كتاب ما أحضرنيہ خاطر من المسائل المنشورة مما أملته » ، وذكره ابن خلكان في الوفيات وسماه « المسائل المخاطريات^(٢) » ، وسماه الحاج خليفة باسم المخاطرات^(٣) ، ونقل عنه البغدادي^(٤) والسيوطي^(٥) ، وقال بروكلان : ان في مكتبة سليم آغا بالآستانة كتاباً له اسمه (المخاطريات) رقم ١٠٧٧ / ٤ ، ويغلب على الظن أنه هو وأن الاسم محرف^(٦) .

١٣ - الخصائص :

ذكر في الإجازة أنه ألف ورقة ، ومن الكتاب نسختان بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمها ٦٩ ، ١٠٨٠ . وبالواصل نسخة رقمها : ٦٥ كما يذكر الأستاذ الدكتور الصديق داود الحجابي^(٧) ، وبمكتاب الآستانة نسخ كثيرة منها : نسخ مكتبة لالهلي : ٣٢٤٥ ، ومكتبة دامادزاده : ١٧١٦ ، ومكتبة حميد أفندي : ١٢٨٧ ومكتبة عاشر أفندي : ٨١٧ ومكتبة علي شهيد : ٢٠٩٤ - ٣٠٩٥ ومكتبة نور عثمانية : ٤٥٤٥ - ٤٥٤٧ . وفي خزانة غوطا الجزائر

(١) انظر الكشف عن مخطوطات الأوقاف من تألفي طبع ببغداد ص ١٦٢

(٢) الوفيات ٣١٣/١

(٣) الكشف ٣٥١/١

(٤) الخزانة ٤٧/٢ و ١٠/٤

(٥) الأشباه ١٥٦/١ و ١٤٦/٢ ، ٢٤٥

(٦) G.A.L. ١٢٥/١

(٧) فهرس مخطوطات الموصلى ص ٤٥

الثالث والرابع ورقمها ١٨٦ و ١٨٧ . وفي دار الكتب المصرية ثلاث نسخ الأولى تحوي الجزء الأول وينتهي الى باب « تعلق الأعلام على المعاني » ورقمها : ١٠٩ ، والثانية تحوي الجزء الأول والثاني وبها خروم ، والثاني ينتهي إلى أول باب « في تقض العادة » وكلاهما بخط الحسن بن الفرج بن ابراهيم بمصر سنة ٤٣٠ ورقمها : ١١٠ ، والثالثة هي جزآن في مجلد ورقمها ٥ ش . وقد أكثر البغدادي في خزنة الأدب من النقل عنه ^(١) . واختصره الجلال السيوطي وسماه (الاقتراح) وقال في أوله : واعلم أي قد استمدت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب اختصاص لابن جني فإنه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو ، ولكن أكثره خارج عن هذا المعنى ولبس مرتباً وفيه الفث والسمين والاصتطارات فلمخت فيه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة وأرشفها وأوضحها معزواً اليه وضمت اليه تفائس ... ^(٢) »

وقد طبع الجزء الأول من الكتاب للمرة الأولى في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٣ ثم أعيد طبعه ثانية في دار الكتب المصرية بعناية الشيخ الفاضل المحقق محمد علي التجار سنة ١٩٥٢ ، وفقه الله إتمامه .

١٤ - الخطيب :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت في ترجمته ولم يشر اليه بروكلمان في الكتب المفقودة ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من مصادر .

١٥ - الدمشقيات :

لم يذكره في الإجازة ولا ذكره ياقوت ولا غيره في عداد كتبه ، ولكن السيوطي في الأشباه والنظائر قال : « إن ابن النحاس قال في التعليقة : حكى

(١) انليد الخزنة ٤٧ . وانظر مجلة المشرقين الألمان MG. Z 308 / 1910

(٢) طبع في الهند سنة ١٣١٠

ابن جني في كتابه الدمشقيات وهو غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولاً^(١) « قلت : وهذا الكلام يفيد أن لابن جني كتابين بهذا الاسم .

١٦ — ذو القد :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت وقال : « إنه في النحو ، ولم يذكره بروكمان في كتبه المفقودة ، ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من المظان .

١٧ — الزجر :

لم يذكره في الإجازة ، ولا ذكره ياقوت وإنما ذكره ابن جني في الخصائص فقال : « وقد كانت حضرتني وقتاً فيه تشطّط فكُتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزجر فأطلبها في جملة ما أثبتته عن نفسي في هذا وغيره »^(٢) ، وقد ذكره بروكمان في الكتب المفقودة .

١٨ — سر الصناعة :

ذكره في الإجازة فقال : « انه ستائة ورقة » وذكره الحاج خليفة وسماه « سر الصناعة وأمرار البلاغة » ومن هذا الكتاب نسخ عديدة وأفضلها نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته (٤٠٠) وفي آخر الجزء الأول منها ما نصه : « كتبه محمد بن يحيى بن عبد القوي من أصل نقل من الأصل الذي نقله ابن جني ، وكان الفراغ بدمشق سنة ثمان وثمانين وخمسمائة » ، والنسخة تنتهي بحرف الميم وهي نسخة جد حسنة نقية الخط والضبط ورقمها (١٦٨ نحو) .

ومن الكتاب نسخة في المكتبة الإسلامية بالموصل رقمها : ٦٥ كما ذكر

(١) الأشباه والنظائر ١ / ٢٧٤

(٢) الخصائص ١ / ٣٩ الطبعة الأولى

ذلك الدكتور داود الجلي (١) ، ونسخة بمصر منقولة عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بك بالمدينة المنورة رقمها (١٣٠) (٢) .

وفي مصر نسخة أخرى حديثة بخط محمد أبي النصر الجعفري النابلسي سنة ١٣٣٠ ورقمها ١٦ س (٣) ، وفي بغداد نسخة قديمة متقنة (٤) ، وفي باريس نسخة حسنة رقمها ٣٩٨٨ ، وفي برلين الجزء الثاني من الكتاب يبدأ بحرف الميم وينتهي بآخر الكتاب وهو بخط أحمد بن محمد بن أحمد الاشيبلي أبي العباس ابن الحاج المتوفى سنة ٦٣٧ (٥) ورقمها ٦٢٦٩ ، وفي استانبول عدة نسخ منها نسخة في خزانة عاشر أفندي رقمها ٨١٧ ، وأخرى في خزانة كوبرلي رقمها ١٤٦٩ ، وأخرى في خزانة راغب أفندي رقمها ١٣١٧ (٦) . وقد شرع الأساتذة مصطفى ابراهيم ومصطفى السقا ومحمد الزفزاف وعبد الله أمين بطبعه ونشروا المجلد الأول منه جزاهم الله خيراً ، وللإمام أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الاشيبلي المعروف بابن الحاج حاشية على سر الصناعة (٧) ، وسنعود آخر هذا المقال إلى التوسع في بيان فضل هذا الكتاب وأهميته .

١٩ - سر السرور :

ذكره ياقوت ولم يذكره الحاج خليفة ولا بروكلمان ولم أعثر على ذكر له فيما عندي من المظان .

-
- (١) كتاب مخطوطات الموصل المطبوع ببغداد سنة ١٣٤٦ ص ٤٥
 (٢) فهرس دار الكتب ١٧ / ٢
 (٣) فهرس الدار ١٧ / ٢
 (٤) انظر كتابنا الكشف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩١
 (٥) هو الامام الملامه أبو العباس الاشيبلي المشهور في عصره بطين جليلين هما الحديث والنباتات انظر ترجمته في أعلام الزركلي ص ٦٤
 (٦) انظر مجلة 1910/211 ZDMG
 (٧) بنية الوعاة للسيوطي ص ١٥٦ وكشف الظنون ١ / ٤٧٠

٢٠ - شرح الايضاح لأبي علي الفارسي :

ومنه نسخة في خزانة قليج علي باشا باستانبول رقمها : ٩٣٠ ، والكتاب من الكتب المشهورة عند النخاة القدماء ، قالوا انه ألفه لعضد الدولة بن بويه ، وقد كان عضد الدولة من تلاميذه ، وله ألف الايضاح في العربية وقواعدها .

٢١ - شرح ديوان المتنبي :

شرح أبو الفتح ديوان المتنبي مرتين ، الأولى كبيرة في ألف ورقة ونيف كما ذكر ذلك في الإجازة ، والثانية صغيرة في مائة وخمسين ورقة . وذكر ابن النديم أن أمم الأول (الفسر) ، والثاني (معاني أبي الطيب) ^(١) . وقال الصابي في (تاريخ الوزراء) : إن ابن جني فسر شعر المتنبي تفسيراً استقصاه واستوفاه ، وأورد فيه من الشعر واللغة طرفاً كبيراً ولقب ذلك (بالفسر) ^(٢) ، وقال ابن خلكان ^(٣) : ان اسمه (الصبر) وتقله عنه السيد هاشم الندوي ^(٤) ، قلت : والصواب ما ذكره ابن النديم والصابي ، لأن الفسر في اللغة هو الإبانة والكشف عن المعطى ، وليس في معاني (الصبر) ما يصلح أن يسمى به الكتاب ، فما في وفيات ابن خلكان هو من أغلاط النساخ غالباً .

ومن الشرح الكبير نسخة بدار الكتب المصرية كتبت بقلم مهتاد في أواخر ربيع الأول سنة ١٢٧٥ هـ ^(٥) . ويوجد المجلد الثاني منه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ورقمه : ٣٠٩ ^(٦) ، ويوجد كاملاً في ثلاث مجلدات في المتحف الاسيوية بموسكو ورقمه : ٢٧٥ . ^(٧) ، وتوجد منه نسخة كاملة في المتحف البريطانية ورقمها :

(١) الفهرست ١٢٧

(٢) تاريخ الوزراء ٤١٧

(٣) الفوات ١ / ٣١٣

(٤) تذكرة النوادر من ١٢٧

(٥) فهرس الدار ٣ / ١٩١

(٦) انظر فهرس الاسكوريال الجديد

(٧) في بترسبورغ سنة ١٨٨١

١٠٤٠ ، ونسخة في خزانة الرباط رقمها : ٣٢٦ ، ويوجد الجزء الأول منه في خزانة برلين ورقمه : ٧٥٦٩ .

وفي المكتبة الأحمدية بحلب الشرح الصغير باسم (معاني أبي الطيب) ، وهو بخط جيد مضبوط بالحركات ورقمه : ١١٥٧ ، والنسخة مكتوبة سنة ٥٨١ ، والشرح مختصر يكاد يقتصر على تفسير الكلمات الغريبة والمعاني المحملة . وقد ردّ جماعات كثيرون على ابن جني في شرحه هذين (١) .

٢٢ — شرح الفصيح :

ألف الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني إمام الكوفيين (— ٢٩١) كتابه (الفصيح) فتناوله العلماء بالشرح والتعليق عليه منذ زمن مبكر ، ومن أقدم من شرحه إمامنا ابن جني ، ولكنه لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت والسيوطي وطاش كبري في عداد كتبه ، ولم يذكره بروكلمان في كتبه المفقودة (٢) ، وقد نقتب كثيراً في الفهارس المعروفة فلم أعتد إلى ذكر شيء عنه .

٢٣ — شرح الكافي :

الكافي هو من كتب الأئمة الأربعة الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي (— ٢١٥) وقد عني به علماء العروض القدماء فشرحوه وعلقوا عليه ومنهم ابن جني ولكنه لم يذكره في الإجازة ، وإنما ذكره ياقوت فقال : (شرح الكافي في القوافي) وذكره الخطيب البغدادي باسم (شرح القوافي) وذكره ابن خلكان باسم (الكافي في شرح قوافي الأئمة) ، وذكره القصّاص باسم : الكافي في القوافي (٣) .

- (١) انظر تذكرة النوادر ١٢٨ ، والبنية ٣٤٨ ومفتاح السادة ١ / ١٨٩ والوفيات لابن خلكان ١ / ٣٩٤ وخزانة الأدب للبغدادي ١ / ٣٨٢
(٢) انظر البنية ومفتاح السادة ١ / ١٣٤
(٣) انظر تاريخ بغداد ١ / ٣١١ وابن خلكان ١ / ٣١٣ والكشف ٢ / ١٣١٠

٢٤ - شرح مستغلق الحماسة :

حماسة أبي تمام الطائي الشاعر الأشهر (- ٢٣١) كتاب قنيس مخدوم منذ القديم . ومن خدمه ابن جني فشرحه وعلق عليه وعلى أسماء شعرائه ، وذكره ابن جني في الإجازة فقال : « وكتابي في شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها ومقداره خمسمائة ورقة » ، قلت : ويظهر أن لابن جني كتابين على الحماسة أولهما : في شرح مشكل أبيات الحماسة لأبي تمام واسم هذا الكتاب « التنبيه » وهو نيف وأربعمائة ورقة ^(١) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ٦٨٢ ^(٢) ونسخة يباريس رقمها : ٣٢٨٥ وثالثة في خزانة طوب قيو رقمها : ٢٣٩٦ ورابعة في خزانة بكري أحمد خان : ٩٦٦ ^(٣) . وثانيهما شرح أسماء شعراء الحماسة واسمه (المبهج) وقد ذكره ابن خلكان باسم (المنهج) بالنون ولعل هذا من تحريف النساخ ، ومنه ثلاث نسخ بمصر ^(٤) وقد طبع الكتاب الأول بمصر سنة ١٩٢٧ ، والثاني بدمشق سنة ١٣٤٨ . وقد رد الامام منصور بن مسلم بن علي بن أبي الخرجين أبو نصر الحلبي الثوري المعروف بابن أبي الديك على ابن جني في شرح الحماسة ، وقال السيوطي في البغية : له تصانيف وردود على ابن جني منها تسمية ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة ^(٥) وما نعرف هذا الكتاب موجوداً . وجمع بين الكتابين (التنبيه) و (المبهج) الامام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي

(١) تاريخ آداب اللغة لزيدان ٢ / ٣٠٢

(٢) انظر فهرس الدار ٣ / ٦٩

(٣) انظر Revista degli Studi Ojen toli IV, 1715 وبروكلمان : GAL ١ / ٢٠

(٤) انظر فهرس الدار ٢ / ١٨

(٥) بنية الوعاة ٣٨٩ واعلام النبلاء ٤ / ٢٦٥

(— ٥٨٤)^(١) ، وينقل شارح الحماسة البغدادي كثيراً عن كتاب يسميه إعراب الحماسة^(٢) ولا أدري ما هو ومن مؤلفه .

٢٥ — شرح المقصور والممدود :

ذكره في الإجازة فقال : (وكتابي شرح المقصور والممدود عن يعقوب ابن اسحق السكيت^(٣) وحجمه أربعمائة ورقة) وقد ذكره ابن خلكان فقال : (وله المقصور والممدود) ، ولم أعثر على ذكر هذا الكتاب في المراجع التي بين يدي .

٢٦ — الشعر :

هو كتاب لأستاذه أبي علي الفارسي رواه عنه ابن جني وعلق عليه تعليقات لغوية ومنه نسخة بمكتبة برلين رقمها ٦٤٦٥ .

٢٧ — شواذ القرآن :

هو رسالة بحث فيها عن بعض مشكلات اشتكها بعض علماء عصره في إعراب القرآن ورسمه ونقطه ومنه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤ .

٢٨ — علل التثنية :

لم يذكره مترجموه ومنه نسخة في مكتبة ليدن رقمها ١٤٥ .

(للبحث صلة)
الدكتور محمد أسعد طلس



(١) تذكرة النوادر ١٢٩

(٢) انظر اقليد الخزانة لأراجكوتي ٤٤

(٣) للإمام أبي يوسف يعقوب بن اسحق المروفي باب السكيت (— ٢٤٤) عدة كتب لغوية وصرفية أجلبها إصلاح المنطق ، والأخذاء والقلب والابدال وقد طبعت ، أما كتاب المقصور والممدود فلم يثر عليه .

التعريف والنقد

كتاب نقد الشعر

لقدامة بن جعفر

معني بتصحيحه س . أ . بونيباكر

طبع في مطبعة بريل في مدينة ليدن

صدر الأستاذ بونيباكر كتاب نقد الشعر بتمهيد أشار فيه الى ترجمة قدامة ابن جعفر المدونة في دائرة المعارف الإسلامية وأضاف الى هذه الترجمة بعض أمور تتصل بقدامة نفسه وبكتابه ثم ذكر الأقسام التي يشتمل عليها كتاب نقد الشعر وهي ثلاثة : قسم ذكرت فيه عناصر الشعر الأربعة : اللفظ والمعنى والوزن والتقفية ، وقسم ذكرت فيه نعوت الشعر ، وقسم اختصه قدامة بعيوب الشعر ومن المهم أن نشير الى رأي المصحح في كتاب نقد الشعر من حيث بعض مصادر هذا الكتاب ففي رأيه أن قدامة أخذ عن آراء الفلاسفة اليونانيين مثل جالينوس وأفلاطون والروافيين وأرسطاطاليس وأيد رأيه هذا ببعض أقوال قدامة وبشواهد من كتابه وكما أخذ قدامة عن الفلاسفة اليونانيين فقد أخذ عنه كثير من الكتاب جاءوا بعده ولكن الأستاذ المصحح لم يستطع أن يقطع هذا الأمر وإنما وقف فيه موقف الشك . ثم ذكر الكتب التي رجع اليها في تحقيق كتاب نقد الشعر مثل كتاب الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء وكتاب الموازنة وكتاب الصناعتين وكتاب زهر الآداب وكتاب العمدة وكتاب سرّ الفصاحة وغيرها من الكتب ، ثم أتى على ذكر المخطوطات التي استند اليها في تحقيق نقد الشعر وأكثرها في دور كتب أوروبة وأميركة ثم ذكر

بعض المصطلحات التي لجأ إليها لتسهيل على القارئ معرفتها وبين المراجع التي رجع إليها .

هذا أبرز ما جاء في التمهيد الذي وضعه الأستاذ المصحح وترجمه سعد الدين توفيق وفي آخر الكتاب فصل طويل باللغة الانكليزية بسط فيه « يونيباكر » أشياء كثيرة تتعلق بترجمة قدامة بن جعفر وبكتابه وقد خلّص في هذا الفصل طائفة من آراء قدامة وتضمن هذا التلخيص بعض مناقشات وإيضاحات وتوسّع صاحب الفصل في الكلام على تأثير الفلاسفة اليونانيين في كتاب نقد الشعر وعلى تأثير هذا الكتاب في الكتب التي جاءت بعده .

ولا بأس بعد هذا كله بأن نعان بجودة طبع الكتاب وبحسن ورقه .
أما الكتاب نفسه : فقد الشعر فان شهرته تغني عن الزيادة في الايضاح والتعريف فقد حبس قدامة مجهوده فيه على تخلص جيّد الشعر من رديئه لأن الناس في رأيه يخطون في علم الجيّد من الشعر من رديئه منذ تفقهوا في العلم قليلاً ما يصيبون .

واذا كان الناس يخطون في مثل هذا الأمر على أيام قدامة بن جعفر فكيف يكون خطبهم فيه على أيامنا هذه ومن المؤلم أن اتساع العصر في مذاهب الثقافة وسرعة الحياة والاهتمام بتكاليدها كل هذا قد زاد في الخط الذي ألم منه قدامة في الماضي فلم نعد نعني باللفظ حتى أصبحنا نعتقد أن هذا الاعتناء إنما هو من عرض الأمور لا من جوهرها ولم نعد نعرف ما لوضع اللفظ في مواضعه من جليل الشأن في أمور الفن ذاتها وفي الحياة كلها فأكثر ما نشهد في عصرنا هذا عما نسميه سوء التفاهم إنما هو ناشئ عن سوء فهمنا لوجوه اللفظ وما أصدق ما قاله إمام من أئمة كتاب الغرب من أن البشر يتناحرون لأنهم لا يتفاهمون .
إن وضع اللفظ في مواضعه رأس قواعد الفن ومن هذا يتبين لنا خطأ هؤلاء الكتاب الذين يفردون في بعض كتبهم أبواباً يشحنون فيها ألفاظاً مجردة ،

متقاربة في المماني حتى يسهل على القارئ الاستعانة بها في مقتضى الحال فكأنهم لا يعلمون أن اللفظ لا تظهر محاسنه أو مساويه إلا في مواضعه من الاستعمال أما تجريده من هذه المواضع فما هو إلا علامة موت هذا اللفظ .

فاذا علمنا هذا كله أدركنا جلائل فوائد كتاب نقد الشعر ولا سيما خوضه في عيوب اللفظ وقد بلغ من قلة عنايتنا باللغة في العصر الذي نعيش فيه أن بعض الشباب من شعرائنا قد بطلت في معتقدهم مسألة اللغة ، معنى هذا أنه يجوز لشاعر هذا العصر أن يقرن لفظاً بأي لفظ يريد وأن يضيف لفظاً الى أي لفظ يشاء سواء أكان في ذلك شيء من التناسب أم لم يكن ولست أدري كيف يكون مصير الذوق الفني إذا رسخت أمثال هذه الآراء في الأذهان ، لا بل كيف يكون مصير اللغة نفسها .

من هذا كله نعرف فضل جعفر بن قدامة ونظرائه من الأئمة في ترويض أذواقنا على المحاسن ومن هذا كله ندرك أسفنا على شيوخ اللغة الذين كانوا في أوائل هذا العصر وفي أواخر العصر الذي فات واقفين للكتاب والشعراء بالمرصاد ينهونهم على كل انحراف عن الذوق في اللغة والشيخ البازجي في مقدمتهم .
رحمهم الله أوسع الرحمات .



الكميّ بن زيد الأسدي

تأليف الدكتور أحمد صلاح الدين نجما

دار العصر للطبع والنشر

وضع رئيس الجامعة اللبنانية الأستاذ فؤاد افرايم البستاني مقدمة لكتاب :
الكميّ بن زيد الأسدي ، ذكر فيها توجه هذا العصر نحو التوسع في الدراسات
الأدبية وتنويع موضوعاتها بحيث انصرف الكتاب الباحثون الى التعمق في

دراسة أدب واحد أو تحليل مظهر مستقل من مظاهر الأدب فإزداد بذلك الضبط في الدرس والدقة في الأحكام .

من هذه الدراسات كتاب الكميث الذي يشتمل على وصف جامع لشاعر الهاشميات ويوضح أثره في مجتمعه من نواحي الدين والسياسة والأدب ويصور حقيقة عصبية في تاريخ الإسلام .

يتضمن كتاب الكميث قسمين : درس المؤلف في القسم الأول حياة الشاعر وفنه ودرس في القسم الثاني مختلف آرائه في السياسة والدين ، وإذا أردنا أن نعرف خلاصة الرأي في الكميث بن زيد فلنسمع ما قاله الدكتور نجبا :

« لقد كان الكميث بن زيد أحد الشعراء السياسيين الدائعي الصيت وأول من انبرى بجرأة وعنف للدفاع عن حزب مضطهد ، بينما كان زملاؤه لا يجرون على رفع أصواتهم في وجه السلطات التي كانت تهددهم نارة وترويعهم نارة أخرى ، زد على ذلك فلقد كان أول شاعر دعم آراءه ببراهين دامغة وحجج وسخر بأعدائه وشهر بهم وانتقص شأنهم ، غدا الموت على بعد خطوات منه في المرأة الأولى ولكنه ما علم أن أدركه أخيراً وأودى به ، كل ذلك بسبب وفائه لعقيدته واستمساكه بعرونها » .

هذه صورة تلخص لنا على اختصارها عقيدة الكميث في السياسة ودفاعه عن هذه العقيدة وموته في سبيلها .

لا شك في أن الذي يطالع كتاب الكميث يشعر لأول وهلة بجهد صاحبه في البحث والتنقيب على أصول حديثه تشبه الأصول التي يجري عليها أساندة الغرب ، فهو قد استنفذ وسعه في الرجوع إلى المصادر المشتتة وتمحيصها حتى ظهرت آثار الحياة على كل فصل من فصول الكتاب فإنه لما أفاض في الكلام على البديع في شعر الكميث وعلى تقليده شعراء الجاهلية في وصف الطبيعة وبعض حيوانها وعلى تجديد المذاهب الشعر من حيث زهده في الغزل وسخريته بالوقوف

على الأطلال والبكاء والاستبكاء ونرى هذه الموضوعات كلها حقاً من البحث .
وإذا كانت مباحث القسم الأول من الكتاب عن هذا الشكل الذي أشرت
إليه فقد أستغني عن الإشارة إلى مباحث القسم الثاني منه لأن روح البحث
تكاد تكون واحدة في القسمين .

إلا أنه يؤسفنا أن يتفاوت أسلوب الكاتب في بعض مواطن من كتابه
وإذا كانت طائفة من الانحرافات عن اللغة لا تذهب يرونق هذه الدراسة المتينة
فهل عليّ من حرج إن نبهت على بعض هذه الانحرافات ، من ذلك جمع الكاتب
نيسة على نوايا والمعروف أنها تجمع على نيات ومن ذلك استعماله التحاير ولم أهند
إلى حقيقة معناها أو استعماله النضوج بدل النضج الذي نصت عليه بعض كتب
اللغة أو استعماله التمس بدل التاعس والتمس ومن ذلك خروجه ببعض الألفاظ
عن أصل معناها مثل إيراد الانكماش في معنى الاقتباس على حين أن معنى هذه
المادة الإسراع ومن ذلك اختلال بعض التراكيب مثل قوله : يسران إلى
بعضها على حين يجب أن يقال في هذا المقام : يسر بعض إلى بعض أو ينسارون^(١) .
على أنني لست من رجال اللغة حتى أجزم نفسي أن يجد أهل اللغة مسوّغاً
لما ظننته من فاسد الاستعمال .

وإني لأغتنم هذه الفرصة للإشارة إلى رأي استفاض في عصرنا هذا فقد
نعقد أنه يجوز لنا الانحراف عن جوهر اللغة وأصولها في بعض الأوقات على
سبيل التطور والذي نعرفه أن التطور يفيد الانتقال من وجه كامل إلى وجه
أكمل فما هو الكمال في الخروج بالفاظ عن أصل معانيها إنا نعلم أن الإسلام
خرج بطائفة من الألفاظ عن معانيها في الجاهلية وجعل لها معاني إسلامية لم

(١) النوايا : الصفحة ٢٠١ . التحاير : الصفحة ١٤٥ . النضوج : الصفحة ٣١ .
التمس : الصفحة ٦٠ . الانكماش : الصفحة ٨١ . يسران إلى بعضها :
الصفحة ٧٣ .

تكن لها من قبلُ فلا شك في أن أمراً مثل هذا الأمر أدى إليه التطور لأن الإسلام جاء بأفكار حديثة لم تكن لها ألفاظ تدلّ عليها فلا بدّ لهذه الأفكار الحديثة من ألفاظ حديثة ولكن أيّ عذر لنا اليوم في استعمال رضح له بمعنى خضع واطراح هذه المادة المألوفة الخفيفة فاذا جاز لكل واحد منا أن يحوّل معاني الحكم عن مواضعها جريباً على ما نسميه التطور فلست أدري إلى أين تصير لغتنا بعد حين من الدهر فاذا كانت اللغة كريشة في مهبّ الريح فلا ريب في أن العصر الآتي يكاد لا يفهم لغة العصر الحاضر فتصبح اللغة حينئذٍ فوضى والعياذ بالله .

—••••—

أحاديث القرية أفانيس وذكريات ماردون عبود

لما كان الشدياق الكبير في لندن شهد مشاهد كثيرة فيها ، من جملةها التمثيل وقد وصف مسارحه وألعابه أدقّ وصف ، وتقدّ طول الوقت في بعض الألعاب ، فذكره طول بعض المشاهد طول بعض الروايات فقال :

« فلو قصرنا الوقت وأجادوا اللعب لكان أولى وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمى : « نوفل » وهو أن يعملوا الكتاب ثلاثة مجلدات فيسلفون ويدقون ويأتون بالغث والثلثين » .

لم يألّف الشدياق فنّ الرواية على الرغم من اجتماع كل عناصرها له كالاختبار والتصوير والتحليل واللغة وما يشابه ذلك ، أنه يرى في الرواية الغث والثلثين وقد يتجوز لنا أن نرى في القصة ما رآه الشدياق في الرواية على تباعد هذين النوعين .

استفاضت القصة في أدبنا كثيراً وأخذ بعض الكتاب يميلون إليها ، منهم من نهى لهم أسبابها ومنهم من ينجس فيها خبصاً فيعتقد أن القصة عبارة عن حكاية يحكيها الإنسان في مجلسه لقتل الوقت ، على أن القصة فنّاً خاصاً لا مجال

للفوضى فيه في هذا المقام فقد تحتاج الى البساطة والصدق والدراسة والتصوير واللغة وغير ذلك فاذا كانت القصة مجرد صف كلام فالاستغناء عنها أولى وقد نجد أن فريقاً من الأدباء في أوروبا طفقوا يسأمون الرواية ولست أدري هل يسأمون القصة أيضاً فقد ملأوا هذا النوع من اختراع الأشخاص والحوادث فيها وأحبوا أن يواجه الكاتب القراء مواجهة بمجواته الخاصة فهم يفضلون المذكرات على هذه الأنواع الأدبية ، وهل أنا على حق إذا دخلت في مذهب هؤلاء الأدباء فاذا كنت أرى في بعض روايات الغربيين وقصصهم آيات بينات في التحليل والدراسة والتصوير فلست أرى في أدبنا من هذه الأمور شيئاً ذا بال .

أما أفاصيص الأستاذ مارون عبود ففيها شيء مما يراه الشدياق في الروايات وفيها شيء مما يريده الذين فضلوا المذكرات ، لقد حاول الأستاذ عبود على نحو مادلّ عليه عنوان قصصه أن يصور مجالس القرى في لبنان وأحاديث أهلها وما يدخل في هذه الأحاديث من التصورات والأفكار وأساليب المخاطبات كما حاول أن يثبت فيها طائفة من ذكرياته ، ولم يخلُ هذا كله من الطبع أحياناً ومن التصنع أحياناً فكما ظهرت آثار الطبع في خطبة المرحوم جدّه في قصة الاستغناء فقد ظهر شيء من آثار التصنع في قصة أولى معاركه الأدبية .

أما اللغة الشائعة في هذه القصص فأكثرها ملائم لروح القصة مثل هذه التعابير البسيطة : خف ربك يا رجل ... تسأل خاطرك ... جبر خاطره ... وهي لا تخلو من تعابير عامية تعتمد على الأستاذ مثل : يا ضيعات تعبي ... اضحكوا في عبيكم ... وقد أنقى التصنع في بعض القصص الى التصنع في بعض التعابير مثل قوله : ضرب الدابة بعصا لسمني رأسها فخلتها عصا موسى تستحيل تعبانياً عند ذكر فرعون .

على أني أرى براعة الأستاذ مارون عبود في آفاق أدبية ثانية ، فما أزال أذكر براعته في كتابه : بديع الزمان الحمداني .

مجلة كلية الآداب والعلوم تصدرها كلية الآداب والعلوم ببغداد

أصدرت كلية الآداب والعلوم في بغداد العدد الأول من مجلتها وقد صدر هذا العدد عميد الكلية الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بمقدمة دلت على فهم دقيق لمهمة الجامعة في الحياة ، فليس هدف الكليات الاقتصار على نشر الدراسات الجامعية ، وإنما هدفها بث روح البحث والتنبع وتقوية ملكة النقد ، حتى تنتقل الجامعة من التقليد الى الإنتاج والإبداع ، فتجد السبيل الى حل مشاكل البيئة التي تعيش فيها ، مشاكل الاجتماع والاقتصاد وغيرهما .

لم تعد الجامعة في عصرنا هذا مركز تدريس لتوزيع الشهادات والإجازات في آخر كل سنة ، وإنما هي بمثابة مركز يمين على حرية الفكر واستقلاله ، وعلى توسيع آفاق هذا الفكر ، فالجامعات في أكثر بلاد العالم تهدي المجتمع سواء السبيل في الحرية والاستقلال ، وترشده الى كل ما ينتمي لمظاهر الحياة فيه . والجامعة التي ما تزال تجلس مهتمتها على التدريس وعلى توزيع الإجازات ، دون أن تعنى بالتدريب على الإنتاج والإبداع ، إنما هي جامعة مقصورة في غابتها السامية ، فقد آن للجامعات في بلاد العرب أن تفتن الى حقيقة مهتمتها ، وأن تعمل على أداء رسالتها ، وإذا كان المال في أكثر هذه الجامعات هو الذي يحول دون الوصول الى هذه الغاية ، فلا عذر للحكومات في التضييق على جامعاتها .

هذا ما أوجته الينا مقدمة الأستاذ العميد ، وإذا أردنا أن نعرف جلاله قدر الموضوعات التي اشتملت عليها مجلة كلية الآداب والعلوم في بغداد لزمنا أن نذكر عناوين هذه الموضوعات ، وهذه هي مباحث العدد الأول من المجلة :

إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات : للأستاذ الدكتور جميل سعيد
و كليل عميد كلية الآداب والعلوم ورئيس قسم اللغة العربية .

أحكام الرسول في الأراضي المفتوحة : للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي
وكيل رئيس قسم التاريخ .

المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق : للدكتور مصطفى جواد الأستاذ
في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية .

التصنيع والتقدم الاقتصادي : للدكتور محمد جواد العبوشي أستاذ مساعد
في قسم الاقتصاد .

روسيا السوفيتية والشرق الأوسط : للدكتور جعفر حسين خصباك الأستاذ
المساعد في قسم التاريخ .

رأي في موضوع علم النحو : للدكتور مهدي الخزومي المدرس في قسم
اللغة العربية .

قصة الابتاق : للأستاذ أحمد ناجي القيسي المدرس في قسم اللغة العربية .
نظرة في تاريخ الأدب المسرحي — المسرحية اليونانية : للدكتور علي الزبيدي
المدرس في قسم اللغة العربية .

هذا ما تضمنه العدد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم . وإذا كان المجال
لا يتسع لتلخيص هذه المباحث الجليلة بأجمعها ، فلا أقل من الإشارة الى مبحث
واحد منها انتخبته عرضاً وهو : إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات .
يُسن الأستاذ الدكتور جميل سميد وكيل عميد كلية الآداب والعلوم في
مقاله هذا أن إحساس الشعراء العرب في موضوعات الطبيعة لا يقل عن إحساس
الغريبيين ، وانتقل من هذه الفكرة العامة الى التخصيص والتفصيل ، فأشار الى محاولة
شعرائنا إعادة أصوات الطبيعة في شعرهم ، كدوي البحر وخرير الماء وهدبل الحمام
وغير ذلك وذكر الصلة بين حديث الشاعر عن هذه الأصوات وبين خواجه نفسه
على نحو ما فعل ابن الرومي الذي كان يمزج الطبيعة بشبابه وحبيبه ، وما يقال
في أصوات الطبيعة يقال في ألوانها .

ولم يقل الأستاذ عن توضيح مالبئة الجغرافية من أثر في شعر الطبيعة عامة ، وفي الحديث عن الأصوات والألوان خاصة ، ويظهر هذا الأثر واضحاً في اللغة ، فإن اللغة غنية غنى عظيم في كل ما يتصل ببيئة أهلها من حيوان أو نبات أو أشكال جغرافية كالجبال والرمال والأودية وأشباهاها ، ثم أفاض الكاتب في الاستشهادات فذكر شعراً كثيراً للشعراء الذين كثرت في شعرهم صور الطبيعة في أصواتها وألوانها .

لا ريب في أن الشعراء العرب قد اتصلوا بالطبيعة من قديم العصور ولم ينفصلوا عنها ، ونستطيع أن نقول إن شعراء الجاهلية قد أعطوا جزيرتهم أكثر مما أعطتهم ، أعطتهم الشيخ والقيصوم والسدر والسلم والعرفج والرند والعرار فجعلوا من هذا النبات في شعرهم حدائق غلبا .

والقرآن نفسه لم يكن بعيداً عن حس الطبيعة ، أفلا نذكر الآيات الكريمة التي تشير إلى انقطار السماء وانشقاقها ، وإلى انتشار الكواكب وانكدار النجوم ؛ وكوير الشمس وتفجير البحار وتسيير الجبال ونسفها وعسمة الليل وتنفس الصبح وغصف الريح الصرصر العاتية وإلى السدر المخضود والطلح المنضود والظل الممدود والماء المسكوب والسحاب المركوم والبحر المسجور .

ولا حاجة بنا إلى الإشارة إلى بركة البحري وبحيرة ابن الساعاتي وإلى عواصف صفلية وسردانية في رحلة ابن جبير ، إلا أنه يمكننا أن نقول إن شعراء الأفرنجية وكتابهم اتصلوا بالطبيعة بحواسهم وأرواحهم فخلقوا لها قلباً يشعر شعورهم ، وعينا تبكي بكاءهم ، وصدرأ يفرح فرحهم ، فشاطروها آلامها وشاطرتهم آلامهم ، وإذا دعا بعض شعرائنا الحمام ليقاسموه المحوم ، أو عاتبوا شجر الخابور لأنه مروق لم يجزع على ابن طريف ، فهذا النوع من الاتصال الروحي بالطبيعة قليل في شعرنا ، لقد كانت الطبيعة في أدبنا لذة الحس ولم تكن لذة الروح فإذا

احتاجت الطبيعة في أدبنا الى شيء فانها تحتاج الى الحياة حتى تصبح مثل الأحياء
تعيش عيشتهم وتشعر شعورهم .

واذا اغتنمت هذه الفرصة لاستطرد مثل هذا الاستطراد فخير بي أن
أرجع الى مبحث الدكتور جميل سعيد لأقول فيه ان صاحبه الأمتاذ قد أدى
رسالته الجامعية أحسن تأدية . لم يكن مقاله تدريباً جامعياً لا غير وإنما خرج
فيه عن التقليد الى الإبداع فأتى فيه بكل طريف .

وبؤسني جداً أن يضيق بي المجال للتعبير بمباحث المجلة كلها وبمجهودات أساتذة
الكلية الأفاضل . والشيء الذي لا بد من الثناء عليه في هذا المقام إنما هو
نشر مباحث لطائفة من أساتذة الكلية باللغة الانكليزية ، وليس في هذا الأمر
ما يدخل الضيم على القومية العربية ، فقد آن أن يعرف رجال أوروبا وأميركة
أساتذتنا ، وأن يطلعوا على نتائج خواطرهم ، لأن جهلهم بمجتمعنا العربي يجعلهم
يتصورون هذا المجتمع في أقبح الصور ، فيتنفع بهذا التصور الفاسد عدو العرب
نفسه ، آن لرجال أوروبا وأميركة أن يعرفوا مجتمعنا العربي أصح معرفة حتى
ينسخوا من أذهانهم ما علق بها من الأباطيل والأضاليل .

شفيق جبري

أيُّ غدير ؟

كتاب ألفه الأستاذ قسطنطين زريق ، وطبعته « دار العلم للملايين » في بيروت
نجاه في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط

ومؤلف هذا الكتاب من أعمق رجال العرب تفكيراً ، وأقدرهم على البحث
العلمي في شتى العوامل المؤدية الى نهضة قومية صحيحة في بلادنا العربية . فالذي
يقرأ من مؤلفاته كتاب « الوعي القومي » ، ثم يقرأ هذا الكتاب ، يجد فيها
تحليلاً دقيقاً لما ينتاب أمتنا من أدواء ، ووصفاً صادقا لما تحتاج اليه من دواء .
والمؤلف الفاضل قلق لما يرى في مجتمعا من مشاكل ومن اضطراب في
تفكير الأفراد ، وفي أخلاقهم ، وفي الأساليب الملتوية التي يعالجون بها شؤونهم
الخاصة ، وشؤون المجتمع العامة سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية
أم ثقافية .

ولهذا راح يرسم في كتابه هذا صورة دقيقة حكيمة لما يجب أن يكون
عليه الفرد والجماعة في مستقبل أمتنا العربية . فتناول بالبحث المفكر العربي
وراجباته ، والمجتمع التقديمي وصفاته ، والتنظيم وعوامله ، ومجتمعنا العربي وحقائقه
وعمله وما يصلح له من تربية ، ثم ماهية الثقافة الحديثة وبعدها عنها وما ينبغي لنا
اقتباسه منها ، وأخيراً سبيلنا الى أفضل ثقافة ننشدها لأمتنا العربية .

والمؤلف ، على ما هو واضح في كتابه ، من المؤمنين مثلنا بالقومية العربية ؛
فهو حين يبالغ في كشف القناع عما في مجتمعنا من عيوب وشوائب ، لا ينبغي
من ذلك إلا الدعوة الى تجنبها ، لكي نستطيع العيش في بلادنا عيشة مستقلة
كريمة ، ولكي يكون في وسعنا مقارعة الاستعمار والصهيونية بالوسائل التي تلجأ
اليها الأقوام المتحضرة في مكافحة العادين عليها ، وأهم هذه الوسائل سلامة

التفكير ، ودقة التنظيم ، وصحة التقيف ، والتحلي بقويم الأخلاق وصادق
الوطنية . ومن الواضح أنه متى أخذت أمة من الأمم بهذه الوسائل الأساسية
حصلت فيها قوة معنوية ومادية تدرأ عنها طمع الطامعين بسيادتها السياسية
وبخيراتنا الاقتصادية .

الشرايبي



علم الأمراض الباطنة

(الجزء السابع) .

أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات

تأليف الدكتور حسني سبيع

أستاذ الأمراض الباطنة وسريراتها في كلية الطب وعضو الجمع العلمي العربي

مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م

هو الحلقة السابعة والأخيرة من تلك السلسلة القيمة التي اكتملت بها تلك
الموسوعة العربية في الأمراض الباطنة التي تعد بحق الأولى في بابها من حيث
سهولة اللغة وفصاحتها ومن حيث الإحاطة بأحدث ما كتب في هذا الموضوع
ومن حيث تحيّر المصطلحات الطبية المألوفة القريبة من الفهم والدلالة على المقصود
ومن حيث غزارة المادة ووفرة الرسوم والصور وجودة الورق والطبع . فهي
عقد فريد ازدانت به لغة الضاد العلمية . سد به زميلنا الأستاذ حسني سبيع
فراغاً كبيراً يستحق عليه أفضل الثناء .

يحتوي هذا الجزء ثلاثة كتب : الأول منها في أمراض الغدد الصم ، ويبحث
في كلياتها ثم في علامات اضطرابها ثم في علائها مبتدئاً بالغدة النخامية ثم الدرق

ومجاوراته ثم الكظرين ثم غدد التامل ثم التيموس والغدة الصنوبرية وينتهي في التناذرات الغدية المشتركة .

ويبحث الكتاب الثاني في أمراض التغذية مبتدئاً بكليات هذا المطلب ثم يبحث في اضطراب تطور الفليكوجين وماءات الكربون ثم في اضطراب تطور البروتينات ثم الادهان ثم يبحث في نقص التغذية والعلل الناجمة عن عوز الفيتامينات .

ويبحث الكتاب الثالث في التسممات والعلل الناجمة عن العوامل الكيميائية . فيدرس السموم الغذائية والحيوانية المنشأ . ثم يبحث في الانسمام بالسموم المعدنية والنباتية والعضوية ثم في الانسمامات المختلفة الأخرى كالانسمام بالغازات والأشعة وبقرط الفيتامين وغيرها .

وفي ختام هذا الجزء فهرس المواد مرتباً على الحروف الهجائية ، ومعجم المصطلحات العربي الافرنسي ، ومعجم المصطلحات الافرنسي العربي . وأخيراً جدول التصويب . وقد جاء هذا الجزء في ٦٦ صفحة . متن الطبع صقل الورق ينطق بفعل مؤلفه . وبالجهد الكبير الذي بذله لإخراجه والذي نرجو أن يستمر بلا انقطاع لإخراج ملاحق له سنوية تحوي كل ما يدخل على موضوعه من تطور وتجدد كيلا يفقد فائدته ، وكي يحتفظ بجدته ، ويوثق أكله كل حين .

الدكتور أسعد الحكيم

عمدة التفسير
عن الحافظ ابن كثير
(٧٧٤ - ٧٠٠)

اختصار وتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر

امتاز الحافظ العماد بن كثير - كلاً، امام محمد بن جرير الطبري - بتفسيره القرآن بالقرآن ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وبذكر ما ورد من الأحاديث في معاني الآيات بأسانيدها ، مع العزو إلى مخرجيها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأعظم بهذا التفسير الذي يجدد لك فهم القرآن بلسان عربي مبين ، فتعلم معانيه بفرداته وأساليبه علماً بدعوك إلى العمل ، وبدنيك من الصدر الأول ، وبعرفك الأسباب التي وردت الآيات في شأنها ، والمقاصد العليا التي أنزل القرآن من أجلها ، بالإفصاح عن معاني التنزيل ، والبعد عن الإغراب في الإعراب ، وتكثير الوجوه والمتمثلات اللفظية ، وعن الاشتغال بعلوم ومباحث أخرى لا ينوقف عليها فهم الآيات الكريمة ، ولا الاهتداء بهدى القرآن ، وقد ترك ابن كثير الشيء الكثير من القصص الإسرائيلية ، ونبه على كذب البعض منها ، ولكنه أورد بعضاً آخر بلا تحقيق ولا تمحيص . وما زال علماء الحديث أمثاله يحذرون في كتبهم مما وضعه الوضاعون ، حتى صارت الإسرائيلية مضرِب المثل عندهم في الكذب ، ولعل هذا هو مراد الحديث : وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .

وقد عني العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر الشهير باختصار تفسير الحافظ العماد بن كثير وتحقيقه ، والأصل مطبوع عدة طبعات في مطابع بولاق والمنار وغيرهما ، فرأى الأستاذ أن يعاد طبعه طبعة علمية محققة ، يرجع فيها إلى النسخ

المخطوطة منه ما أمكن ، وإلى دواوين السنة التي ينقل عنها المؤلف ، وإلى كتب رجال الحديث والتراجم ، لتصحيح أسماء الرجال في الأسانيد ، وهم كما قال شيء كثير وعدد ضخم . وقد بدا للأستاذ المختصر أن يعيد طبع الأصل محققاً مدققاً كهذا المختصر ، ولكنه قدمه على الأصل لأنه أيسر وأقرب . وقد تصفحنا هذا المختصر فوجدنا محققه يعود إلى الأصول الخطية لا سيما « مخطوطة الأزهري » التي جعلها العمدة في التصحيح ، ويحافظ على مزايا تفسير ابن كثير من إيراد الشواهد القرآنية التي يؤيد بعضها بعضاً ، ومن إثبات آراء المؤلف في الترجيح ، ومن اعتماد أصح الأحاديث ، وأقواها اسناداً ، وأوضحها لفظاً ، والاكتفاء بذكر الحديث عن الصحابي راويه ، وحذف المكرر من أقوال الصحابة فمن بعدهم من الأئمة ، ونفي كل الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها ، والاستغناء عن أكثر ما أطال به المؤلف من الأبحاث الكلامية ، والفروع الفقهية ، والمناقشات اللغوية واللفظية ، والانتصار على موضع الشاهد من مطولات الأحاديث مع رسم الآيات المفسرة وفقاً للمصحف العثماني ، وإثبات رقمها عليها ، إلى آخر ما أوضحه في مقدمته .

وكنا نرجو من الأستاذ الصديق الجليل أن يضع لنا في رأس كل صفحة جملة تعبر عما تضمنته تلك الصفحة من تفسير ، جريباً على قاعدة أستاذنا صاحب المنار المنير ، وأن يعتمد في التصحيح على النسخة المخطوطة من هذا التفسير ، المخطوطة في خزانة الكتب بالحرم المكي الشريف ، التي اطلع عليها السيد الإمام صاحب المنار في موسم الحج سنة ١٣٤٤ هـ ، قال رحمه الله في خاتمة الطبع : « وهي من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر ، فقد كتبت في عصر المؤلف ، بل قبل وفاته » . هذا وقد كتبنا إلى صديقنا الأستاذ المختصر بما لاحظناه ، فأجابنا بأنه يرى أن كتابة المواضيع في رؤوس الصحف غير مجدية ومن النادر أن يقرأها أحد ، (قال) : فلذلك لم أتخذ هذه الخطة في أي كتاب . وبأن نسخة مكة التي اعتمدها الإمام السيد رشيد رضا في التصحيح كأنها بمثابة

طبعته . (قال) : وقد تبين لي أن نسخة الأزهري أصح منها جداً كما بينت في مقدمتي ، ثم وجه الأستاذ الأنظار إلى أنه قصد بعمله في (عمدة التفسير) أن يكون عوناً سهلاً للطبقة المثقفة المتوسطة لفهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح . ونحن نوجه أنظار هذه الطبقة المثقفة ، بل سائر الطبقات إلى مثل هذا التفسير ، فإن القرآن الحكيم هو الذي هدى سلفنا الصالح إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فالمسلمون الأولون بعد أن سميت عقولهم بالتوحيد ، وزكّت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الإسلام من الفروض ، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وصاسوا الأمم سياسة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، وقد قال سبحانه : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه » سورة الجاثية الآية ١٢ ، وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لأمة القرآن يدعوهم وبوجه نظرهم إلى ما خلق تعالى في جوف الأرض من كنوز ومعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، وبثبت أن جميع ما استجدته أمة الغرب من القوى البرية والبحرية والجوية هو مما أرشد إليه الإسلام ، فردّه رد لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزّز قوتها ، وينمي ثروتها ، ويحمي حوزتها ، ويدفع عوادي الشر عنها .

و (عمدة التفسير) يفسر الآيات الكريمة بالظواهر المتبادر منها ، وبشرط قلوب الطبقة المثقفة النيرة حب الدين ، ويبعث فيهم روح النشاط والاعتباط به ، ويحلمهم على العمل بأحكامه ، والوقوف عند حدود أوامره ونواهيه .

أناب الله تعالى الأستاذ الكبير « الشاكر » على حسن صنيعه ، وبارك في حياته ، وأدامه خدمة الكتاب والسنة مؤثلاً وذخراً .

(القرآن والترجمة)

تأليف الأستاذ عبد الرحيم محمد علي النجفي

هذه رسالة منبذة في مباحث من القرآن الكريم وترجمته إلى لغات العالم الشرقية والغربية ، قد اشتملت على ثمانين صفحة في هذا الموضوع ، وأهديت إلى العالم المؤرخ الشيخ آغا بزرگ الطهراني مؤلف (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) وقدم لها الأستاذ الشيخ محمد أمين زين الدين النجفي مقدمة وجه النظر فيها إلى إعجاز القرآن في مبانيه ومعانيه ، وأشار فيها إلى اختلاف الآراء في ترجمته الحرفية ، وصرح بالاتفاق على ترجمته التفسيرية ، وختمها ببيان موضوع هذه الرسالة .

قلت : من فوائد هذه الرسالة أن القرآن الكريم قد ترجم إلى أكثر من سبعين لغة عالمية شهيرة ، وإن زعيم القاديانية في لاهور نشر ترجمة القرآن وتفسيره بتلك اللغة على نحو شوه به الحقائق حيث حاول تطبيقها على عقائد أصحابه . وإن المترجمين الأجانب منهم من هدفه العام ، هو نشر هذا الركن القويم من أركان الحضارة الإسلامية التي سادت العالم مدة ألف عام ، ومنهم طائفة غرضها من ترجمته الاعتراض على ماورد فيه من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة . وإن أول ترجمة صدرت إلى اللاتينية (عام ١١٤٣) ثم ذكر دراسة العربية في أشهر عواصم أوربا ، والحركة الصليبية ، واختلاف علماء الأزهري في ترجمته ، وآراء كبار علماء الحياة والدين في القرآن ، وشهاداتهم له ، ومنها شهادة كوك الكاتبة الأميركية ، وقولها : إن هذا الكتاب ليس ملكاً لأمة دون أمة ، فقد تزل للناس كافة ، ثم عدة اللغات التي ترجم إليها ، وأقدم ترجمة منها ، وما تلاها ، ومنها ما رتب ترتيباً تاريخياً ، وترجمه إلى الكجرانية

الحاج غلام علي بن اسماعيل المعاصر ، وذكر أنه شرع في تصنيفه عام (١٣٠٥)
 وفرغ منه بعد خمسين سنة (١٣٥٥) وهي السنة التي قدمه فيها إلى الطبع ،
 ثم ترجمات المستشرقين وشروحهم . وجاء في (ج ١) من « خزائن الكتب
 في الخافقين » لفيليب دي طرازي : « وتلتها ترجمات وطبعات غيرها ، أحصينا
 منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية » ثم وصف المصاحف
 النفيسة في خزانة الأستاذ فيليب ، ومصاحف في خزانة ابنه ياريس ، قال :
 « أما دور الكتب الأميركية فهي تفتخر باحتضانها لطائفة كبرى من نسخ
 القرآن الكريم المخطوطة النفيسة في قدمها ، وشكل خطها ، ونوع ورقها ،
 وجمال تذهيبها .

وختم الأستاذ المؤلف رسالته بقوله : « لقد قرأت باعزى باعزى ما عرضته لك
 من هذه التراجم الضخمة للقرآن ، وعلمت أن هذا هو حال الغرب وعلمائه بالنسبة
 له ، فما أحرانا نحن المسلمين بالعناية به ، في إنشاء المناحف الكبيرة ، والمعارض
 العالمية الشهيرة ، - وقد سبقونا - تعرض خطوطه ومخطوطاته وعلومه ونسونه
 وشروحه على اختلاف أنواعها وعصورها ، وأصول قراءته وترتيبه وترجماته بأجمعها ،
 والحث على ترجمته إلى اللغات التي لم نعرف عنه لحد الآن شيئاً . » أقول :
 لي كلان في هذا الموضوع أدلما في التبليغ وثانيها في الإعجاز ، أما التبليغ
 فالمعقول فيه أن تبليغ دعوة الإسلام لكل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعليم
 عامتهم بالعربية ما تصح به عبادتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ،
 والفنون العربية والأدبية بلغة العرب . وقد انتشرت العربية في القرن الأول
 وما بعده تبعاً للإسلام في قارات الأرض الثلاث (آسية وأفريقيا وأوروبا)
 ودخلت أعم كثيرة في العروبة والإسلام فصاروا عرباً ديناً ولغة ، وعبادة ومعاملة ،
 والقرآن هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين : « إن أمتكم
 هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » . ولو استغنى الأعاجم من المسلمين

عن لغة القرآن بترجمته الى لغاتهم لبطل التعبد بتلاوته ، والاخذ بهدايته ،
ولعطت عبادة الصلاة والحج وغيرهما بلمته ، وماذا يبقى يا ترى ؟
وأما الإعجاز فقد توالى الأزمان والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله
في جملة ، أو في بعض أنواع إعجازه من نظمته وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره
وعلمه ، وما ألفه أسراء البيان ، فهو يوقف على مواضع من حقيقة القرآن
وعجازه ، ويجأ للناظر مطالع من إعجازه وإعجازه ، فما على دعاة الإسلام وحماته
إلا العمل بما هدام اليه هذا الوحي الإلهي ليقبموا الحضارة الإنسانية الفضلى
على أنقاض المدنية المادية العائسة .

والشكر لمؤلف (القرآن والترجمة) الشاب النبيل على عنايته بهذا المبحث
الجد ، وخدمته لهذا الكتاب العزيز ، « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

محمود

جوهر الدين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين

تأليف عبد الحميد الخطيب

كنا وصفنا بعض الكتب التي ألفها الأستاذ الخطيب في مجلة المجمع العلمي ،
وهذه رسالة ألقت في (جوهر الدين) أي مقاصده العليا ، وأعلها التوحيد
الخالص ، الذي كان عليه السلف الصالح . وقد أهدى رسالته إلى الشباب
الناهض المتعلم ، وإلى الرجل الطيب القلب السليم النية ، وغرضه من إهدائها إلى
هذين الصنفين ، أن ينشأ الطلاب - لاسيما الذين يتربون ويتعلمون في المدارس
الإلحادية أو التبشيرية - على معرفة الله تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له ،
ومن ذلك التوكل عليه ، والإجابة إليه ، والاستعانة به ، والدعاء له ، والخوف
منه ، والرجاء فيه ، واليك عناوين فصولها بعد خطبة الكتاب : حقيقة العبادة ،

تجنب الشرك ، لا سلطان إلا بالله ، الإقرار بالوحدانية ، ما يتأتى التوحيد ،
تخلص الإيمان من القلوب ، سوء فهم الشفاعة ، معنى الوسيلة ، الصلة بالله تعالى ،
التبرك بالأشجار والتائم ، الاستسلام للأوهام ، الثقة بالله وحده ، حب الله
ورسوله ، حقيقة الإيمان ، أركان الإسلام ، ما يجب معرفته عن الله ،
مقاصد الإسلام ، إلى عموم المسلمين .

وقد عتّز هذه الفصول وأيدها بالاستشهاد بالآيات الكريمة ، والأحاديث
النبوية ، فكانت نوراً يسمي بين يدي القارئ ، يفذي وجدانه ، ويزيد
إيمانه ، فينشأ موحداً توحيداً نقياً من الشوائب ، بعيداً عن البدع والزيوائد ،
لامسياً إذا بَعُدَ عن كتب الإرشاد التي تفسد عقائد الأمة وأخلاقها ، وتذهب
بمقوماتها ومشخصاتها ، وهما مادة حياتها .

وأما العوام الذين وصفهم المؤلف بطبيب القلب وسلامة النية ، فيجب أن
يتعدوا عن كتب التحريف والتخريف ، التي تزيد الأمة ضلالاً وخيالاً ،
وهذا نصح وتذكير من المؤلف للقراء ، فإن الكتب الوافدة على البائعين كالسيل
الطامي ، تارة بقذف بالدر الذي يجمل قلادة النحر ، وتارة يرمي بالخزف أو
الجيف التي تفسد برائحتها الصحة العامة وجو البلاد الصافي . وأما القصيدة فهي
مؤلفة عما يقرب من سبعين بيتاً ، وموضوعها إيقاظ المسلمين من غفلتهم ورقادهم ،
وأولها : أيها المسلمون طرّاً أفيقوا من سباتٍ أودى بكم الدمار
ومنها : أفلا تعملون للخلاص جيداً من قيود الرضا بالاستعمار
جزى الله الأستاذ المؤلف خير الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

هذا وقد وقعت أغلاط مطبعية سهلة ، فمنها ص ١٩ ليقرّبونهم : « ليتقربونهم » .
ص ٢٠ قل لو كنت أعلم الغيب : « ولو كنت » . ص ٢٨ الآتي : اللبثي . ص ٣٥
عالم : عالم . ص ٣٧ ولتجزّ بهم : « ولتجزّ بهم » . ص ٤٠ أمر الله كتابه : في كتابه .

نجوى

ديوان شعر للأستاذ عدنان مردم بك

طبعة دار المعارف بجزر ١٩٥٦ ، في ١٥٥ صفحة

كتبنا كثيراً في دواوين الشعراء المعاصرين ، ورجونا دائماً أن يطبعوا دواوينهم ، ليظهروا على الأدباء بهذه الألوان الجديدة التي بفيض بها شعرهم ، فهي جدرة بالبحث والدرس ، ينظر إليها الناقد المؤرخ على أنها مظهر من مظاهر التطور والتغير ، والتأثر أو التقليد ، والابداع أو الاتباع ، ويحكم على أساليب البيان فيها ليقول في قربها من عمود الشعر العربي الجزل الفصيح أو بعدها عنه .

ولقد طاب رجاؤنا فصدر ديوان جديد لشاعر معاصر ، هو ديوان (نجوى) للشاعر عدنان مردم بك ، تتناوله اليوم بالنقد لترسم السبيل التي سار فيها ، والبيئة التي تأثر بها ، والألوان التي يضمها الديوان ، فهي كثيرة ، منها المرأة ، والأمسة ، والوطن ، والتاريخ ، والطبيعة ، كأنها ألواح مصفوفة يُعَبِّي حصرها في أبواب ، فهي تدخل في باب النسيب والغزل والوصف والرثاء والمديح ، ولكن على أساليب المعاصرين .

فالمرأة فيها على ألوان صارخة من جسدية صاخبة ، تجدها حيناً في الذكرى والحنين والحب والأنين ، تصل بين الشاعر وبينها وشائج كثيرة ، وتجدها أحياناً في حلبة الرقص لا تصلها بالشاعر إلا روابط الفن ، فرسمها في ثلاث رقصات ، وجعلها خلال ذلك كالريشة تتراعى في مهب الهواء ، أو المنهوك أفعده الجهد ، أو الغصن عابثه الرياح ، فاذا تدافع الراقصان كأننا كموجه تقاذفتها البحار أو كسفين تختلج ، فيها دلال وفيه شوق ، وبها جميعاً بحة النغم وغصة الهوى ، فكأنهما روحان في جسم تحوطهما ذراع .

وهذا الشعر في الرقص يذكرنا بشعر سمع الفتي في بيت أبيه الشاعر خليل
مردم بك قاله في الرقص وذهب في الأسماك ورددته الأضلاع ، وتقلب على
صفحات الكتب والمختارات ، فكان انطلاقته نحو فن جديد في الوصف أخذ
به الشاعر الشاب فوفق ، وكم كنا نود أن يملك القراء طبعة لديوان الأب الشاعر ،
ليعرفوا أبة زهرة غرس هذا البستاني في حديقة شعره ، فجاءت نغم عن عطر
كثير وأدب وفير .

وأما الطبيعة فقد دخلها شاعرنا في طائفة الشعراء من دمشق كما دخلها الحمدانيون
في حلب قبل عشرة قرون ، فوصفوا ما فيها من طبيعة حية وميتة . ووصفها
هؤلاء المدمشقون فألموا بكل دقيقة من هذا البلد الأخضر في قلب الصحراء ،
ترديه العيون والأنهار ، وتجري سواقبه في خيال الشعراء كما تجري خلال
البيوت ، فترقص الأنعام والألوان والرعشات في الطبيعة وفي الشعر نتجواب
كالأصداء في وادٍ صحيق ، وكأن شعراءنا حملوا الألواح للرسم لا للشعر ،
فوقفوا في محراب الطبيعة يشقون بآيات الله إعجاباً وحبا .

أجل ، دخل شاعرنا الأستاذ عدنان مردم بك في هذه الطائفة ، وأمسك
ألواحه بيد صنّاع متمكنة ، فجعل الريح تنأوح كأنها ثكلي ، والشقائق تطبق
الأجنان وتلوي بالرؤوس ، والصفصاف كأنه في يوم عبوس قد خلع برد العروس ،
ولبس مطارف الحزن والألمى . والأرض في صمت المربى تحكي بوحشيتها
الخليل أمضه فقد الخليل ، وتساقطت الأوراق وتناثرت بدداً كجنّاح طير حطّ
من لغب أو كفراشة ترامت على قبس ملتهب . وتلاحظ أن الصور حزينة
يائسة رومانطيقية ، ولكن الديوان كذلك في أكثر الصفحات ، فهو ما يكاد
يضحك حتى يكتب وما يكاد يرقص للجمال والحب حتى تعرفه ذكريات أليلة ،
فيها فقد أخيه هيثم ، وبعد ابنه عنه ، فكان الجانب الممض قد ملك شاعرته
وأمسك بلسانه .

ولعل شاعرنا تأثر بما في الشرق من ميراث في الأدب حزين ، أوحال في
الانتداب الماضي لا يضحك المخلص ولا يسر الوطني ، فذهب في مدرسة
المهجر كل مذهب ، وسبح في سماء العاطفة الباكية كما سبح فوزي المعلوم
وغیره ، فاستمع اليه بناجي ابنه :

بني وأنت نعم النخس — في الدنيا على الدهر
أكان وأنت مني الشطر — في وجدي ما يزري
وهل من ربة إن — حسن شطر القلب للشطر
وما ذني إليك وقد عقدت عليك أطماعي

وهذا شعر حزين ، فيه وصف أخ قعيد ، وولد بعيد ، وأب ملئاع ، قد
جمعه إلى أوصاف ثلاثة أعلام في التاريخ يكسوها الحزن كذلك ، وهؤلاء
الثلاثة هم أبو العلاء الماري ، وعيسى بن مريم ، ويوسف العظمة . يرى البؤس
سبيله إلى حياة هؤلاء ، تلف سيرهم أشواك البشر وشروره ، وتفعم نفوسهم
بطولات تصعد مع الخلود إلى سماء لا تبلغها سماء . فالماري لم تخدعه الحياة ،
وإنما أدرك ما للشيطان فيها من أثر ، وما للناس من غباء ، فنظم الآلام أغنية
رددها في لحن حزين جمعت أجمل الآي وأطيب السور ، ويوسف العظمة
بذل نفسه فداء الوطن ، فهوى كالنسر المبيض والفريسة غالها الجزار ، فانطوى
علم أغر وموطن ونخار . وقضى لينشر الوطن تاريخه المعطار ، وأصبح في شعاب
مبسلون ودمشق منارة التضحية والحريّة . وأما عيسى بن مريم فقد هدى الناس
في دنيا كأنها جهنم شهوة يرسفون فيها بأغلال المطامع ، فأعطى العالم ما أعطى
وأغاث الكون من كروبه ، وتجرع السموم في سبيله .

ويطول القول إن عرضنا للفزل والنسيب ، فالمرأة كما قلنا في صور صارخة
تفتك وتضل ، ولكنها ليست أجمل ما في الديوان ، فالشاعر وصاف ، حسن

الديباجة سليم الأسلوب ناصع البيان ، رقت معانيه وصحت مبانيه ، فأصبحنا نرجو على يده ويد مدرسته بياناً بعيد إلينا البيان ، وشعراً يرد إلينا العصور ، لنترنم بهذا الشعر كما نترنم بذلك الشعر . فالشكر للشاعر على ما أبدع وللناشر على ما صنع ، فقد جربا في حلبة الإقتان كل مجرى فكان لهما ما أرادا .

الدكتور سامي الدكشان

حول كتاب « نظرية أعمال السيادة »

للدكتور عبد الفتاح ساير داير

هذا الكتاب جدير بأن يتخذ مكانه كمرجع علي عربي موثوق ، كبير القيمة والشأن ، من أجل تنوير القضاء بما استقر عليه الاجتهاد ، ومن أجل ترسيخ قواعد الحقوق على يد الفقه في موضوع هو أحوج ما يكون إلى ذلك ، موضوع أعمال السيادة .

وأعمال السيادة هي التي نسميها في فقهننا الإداري « المقررات الحكومية » ، وهي أعمال السلطة التنفيذية التي تخرج عن رقابة القضاء ، فهي لا تخضع للإبطال ، ولا يمكن التعويض على المتضررين منها . ومن هنا كان بحثها بالغ الخطورة ، لأن أكثر الفقهاء لا يقبلونها وإن كان القضاء هو نفسه أول من أضنى عليها هذه الحصانة قبل أن تقيسها بالتشريع . ولقد كان من نتيجة التفاعل المستمر بين الفقه والاجتهاد أن تقلصت حدود هذه الأعمال وضاق نطاقها حتى لا تشمل غير الأعمال ذات الطابع السيادي الدبلوماسي مما يتعلق بشؤون الحكومة مع المجلس النيابي أو مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية . وهنا بالذات تبرز قيمة الكتاب الذي نحن بصدده ، لأن مؤلفه تتبع نظرية أعمال السيادة بادئاً بأصولها مرافقاً تحولها حتى وصلت إلى طورها الأخير ، فلم يترك رأياً لفتيقه فرنسي أو

مصري ولا حكماً لمحكمة فرنسية أو مصرية عادية أو إدارية ، مما يتناول هذا الموضوع بسبب ، إلا أني عليه في دراسته بالمناقشة والتدقيق والرأي الشخصي بالنتيجة . وذلك ما اضطره الى الرجوع إلى أكثر من مائة مؤلف أو رسالة أو مقال علمي ، وإلى عدد لا ينتهي من قرارات القضاء العادي والإداري في مصر وفرنسا ، حتى أنه أتى على قرارات القضاء المختلط الذي كان قائماً في مصر قبل بضع سنين ، فجاه كتابه جامعاً مانعاً ، فيه صدق النقل والرواية وعمق التحليل والنقد ، يعالج الموضوع من ناحيتيه النظرية والعملية معالجة وافية ، حتى تبلغ المادة العلمية وحدها في الكتاب حوالي ثمانمائة صفحة (من قياس $\frac{1}{3}$ ١٧ إلى ٢٥ سم) .

وبعد ، فإن « لجنة الحكم » التي ناقشت هذه الرسالة مكونة برئاسة الأستاذ الدكتور توفيق شحاتة ، وعضوية الأستاذ الدكتور وحيد رافت والمعيد الدكتور عثمان خليل ، وهم جميعاً من أشهر أساتذة الحقوق العامة في مصر ، ولقد حكمت هذه اللجنة بتقدير درجة « جيد جداً » للرسالة ، واقرحت طبعا على نفقة جامعة القاهرة ، وإن شهادة أهل العلم بالمؤلف على هذا الوجه ، ووصول المؤلف من ثم إلى مرتبة التدريس في جامعة عين شمس المصرية ، كل ذلك دليل على القيمة العلمية للكتاب الذي يستحق عليه الدكتور عبد الفتاح ساير دابر كل الشكر والتهنئة ، فقد أضاف الى المكتبة الحقوقية الإدارية العربية نتاجاً عالياً وثررة غالية .

الدكتور مصطفى البارودي

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الثاني - تاريخ مدينة دمشق)

تأليف صاحب عز الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ، عني بنشره وتحقيقه
ورضعه فهارسه الأستاذ الدكتور سامي الدمان عضو انجمن العلمي العربي ،
طبعه المهد الانرسي للدراسات العربية بدمشق ، عدد صفحاته (٤٧٢) صفحة
من قطع الوسط ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٦

إن قلم المرء مرآة أخلاقه ، وأظهر ما نرى أو نلمس من خلال ما وصل
إلينا من تأليف ابن شداد وفأوه لأصحابه ويره بهم وبوطنه . أحاطه الملك
الظاهر بيبرس برعايته وشملت عنايته ، فقابل إحسانه بأحسن منه ووفاء حقه
وشكر إنعامه وخلد ذكره في كتابه (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) .
وأخلص لوطنه فكذب عنه تاريخه الجليل (الأعلاق الخطيرة) الذي نحن
بصدده . وخص دمشق التي نعم في ربوعها مدة عشر سنوات ، بقسط وافر من
هذا التاريخ ، لما لقيه من أهلها من حسن وفادة ورعاية ، واعتراهم بعلمه وفضله ،
فقدموه وضدروه ، فأبدع فيما كتب وصدق بما رسم .
عرفنا تأليف ابن شداد من النصوص المنقولة عنها ، وأما أصولها فقد فقدت
وبقيت مجهولة الى أن سخر لها من يبحث عنها في مجاميل دور الكتب الفريسة
فعثر في بعضها على أجزاء مشتتة من هذا التاريخ ، فجمع شملها وأخرجها تاريخاً
كاملاً كما وضعه مؤلفه ، بتحقيق دقيق وطبع أنيق كما هي عادة البجائة
في كل ما حقق ونشر . ومن حسن الصدق أن يكون هذا البجائة هو زميلنا
الدكتور سامي الدمان الذي هو أيضاً كابن شداد مواطن حلي وتربل دمشق .
وكان قد مضى على إقامته فيها عشر سنوات لما نشر هذا القسم من تاريخ دمشق
لأنتمم بعمله رسالة ابن شداد وأدرك بغيته ، وشاركه الإحسان بما أوجب علينا
شكره والثناء الماطر على جهده .

تليف كل من اشتغل في تاريخ بلاد الشام على فقدان تآليف ابن شداد ،
 وتمنى لو اطلع عليها وأفاد منها وخاصة منها (الأعلام الخطيرة) لكثرة ما اعتمده
 المؤرخون وتقلوا عنه . نقل النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) كل
 ما كتبه ابن شداد حرفياً عن مدارس دمشق ومساجدها . ولما اطلعنا على هذا
 القسم منه وجدناه بحق من أجل تراثنا وأنفع كتبنا ، فهو حلقة الاتصال بين
 تاريخ الحافظ ابن عساكر وتاريخ النعيمي ، جمع فيه خطط دمشق وكل ما كتبه
 عنها السلف ، وأضاف إليها وزاد عليها فصولاً لم يفتنوا إليها . فجاء الكتاب
 شاملاً حافلاً ، ومن أوسع ما كتب العرب في هذا الموضوع ، جمع فيه المؤلف
 ثروة تاريخية لا تجدها عند سواه ، لأن ابن شداد علم ما لم يعلمه غيره من
 المؤرخين. لاتصاله الوثيق بالملوك والأمراء ورجال الدولة ومشاركته الحكم
 وإطلاعه على خفايا الأمور وأسرارها . فجمع بين السياسة والقلم ، وقلماً يتأق
 مثل ذلك لغيره من العلماء .

وقد ظهر لي أثناء مطالعتي هذا التاريخ وبالمقارنة بينه وبين ما نقل عنه النعيمي
 في الدارس في تاريخ المدارس بعض الملاحظات من الفائدة الإشارة إليها ،
 منها ما جاء في ص (١٢٨) : « وكان أزجه لاطياً فاضربها وغلاً أزجه وكله »
 صوابه : « فأخربها وغلاً أزجه وكله » . وفي ص (١٦١) : « مسجد السبعة »
 صوابه « السبعة » وهي قرية معروفة في أول المرج . وجاء في ص (١٩٦) :
 حاشية (٤) : أن رباط وجيه الدين بن سويد قد سقط ذكره في كتاب
 الدارس مع أن النعيمي قد ذكره بوصف واسع في ٢ : ١٩٣ رقم ١٨٧ باسم
 الرباط التكريتي . ويوجد في ص (٢٠٥) : اختلاف في سلسلة مدرسي المدرسة
 الخاتونية عما نقله النعيمي عن ابن شداد كان يحسن الإشارة إليه . ويصحح
 ما جاء في ص ١٦/٢٢٠ : كما يأتي : (٠٠٠ وبقي فيها مستمراً الى أن توفي
 ثم وليها ٠٠٠ » . ويضاف الي ص ٧/٢٢٧ الجملة الآتية : « ثم من بعده

جمال الدين يوسف الى أن توفي ٠٠٠» . ويضاف أيضاً الى ص : ٢٥٨ / ١١
العبارة التالية : « فأول من ذكر بها الدرس الشيخ ٠٠٠ » .
نرجو لهذا السفر النفيس انتشاراً واسعاً ونشكر للزميل المحقق الدكتور الدهان
جهده وعنايته .



تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء الرابع (القسم السياسي)

تأليف الدكتور جواد علي

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . في (٤١٨) صفحة من قطع الوسط
هذا الجزء كأجزائه السابقة غني بمادته العلمية وانتظام صياغته نتيجة استقراء
طويل وبمحت عميق . وقد وفق المؤلف بعد جهد إلى أن يستخلص من المصادر المشتتة
المشوشة عناصر منسقة ومنمقة . كونه منها بعد أن جردها من شوائب الأوهام
وحدة تاريخية بالمعنى الصحيح انتزع بها إعجاب العلماء والباحثين .
استأنف المؤلف في هذا الجزء دراسته عن تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام .
وخصه بالدويلات العربية كملكية الحيرة في العراق والفساسنة في بلاد الشام ،
والإمارات العربية الغريبة وأنظمتها السياسية ، وأورد بحثاً لانساب أشهر القبائل
العربية والعدنانية . وتناول بحثه أيام العرب في جاهليتهم وما يمكن استخراجه
منها للأبحاث التاريخية . واختتم فصوله باستعراض حالة العرب السياسية في القرن
السادس للميلاد بوجه عام ، وبين ما كانت عليه حالة العالم المتصل بالبلاد العربية
وكيف دبّت الشخوخة بالامبراطوريتين العظيمتين السامانية والبيزنطية وحلت
بها بوادر الانحلال مما مهد للإسلام الإجهاز عليهما وحلولة مكانهما .
نشكر المؤلف على هذه الدرة الثمينة التي أتحف بها الثقافة العربية وأعانه الله
على إنجاز تاريخه هذا الذي سيبقى دعامة وتقطة انطلاق لكل باحث .



تاريخ العرب قبل الإسلام — الجزء الخامس (القسم الديني)

تأليف الدكتور جواد علي

يقع في (٤٣٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٥

بعد أن أنهى المؤلف في الجزء السابق القسم السيامي من تاريخ العرب قبل الإسلام بأشر في هذا الجزء البحث في حياة العرب الدينية قبل الإسلام ، وهذه ناحية تاريخية هامة يستكشفها - علي قلة مصادرها - الغموض والتشويش كما هو حال كتاب الأصنام لابن الكلبي وغيره ممن عالجوا الموضوع ، ويعوز أخبارها الإيضاح والتنسيق ، ولا يتيسر كشف ما غمض منها إلا لمن خصه الله بعلم واسع ورأي ثاقب يفرق بين الغث والسمين ، وينفذ إلى الحقيقة أو يلامسها ، وقد توفر كل ذلك للدكتور الجحانة مؤلف هذا الكتاب الذي أتحننا بسفر شامل ألم بالموضوع من جميع نواحيه . عالج أبحاثه معالجة العالم لم يحزم برأي أو اجتهاد بل ترك في كثير من المواضع الباب مفتوحاً لمن يرغب أن يلجحه ، ولكل مجتهد نصيب .

لا بد لي في هذه المناسبة من بيان بعض الملاحظات البسيطة التي بدت لي أثناء المطالعة ، منها ما جاء في ص (٤٨) : فسر تمار بتدصر ، مع أن المتنق عليه الآن أن تدصر هي غير تمار ، الأولى تقع في بادية الشام ، والثانية في البلقاء . وفي ص (٤٤ ق) : ضف جدة وصوابها ضف الدجلة . وفي ص (١١٤) : الشارق هي هنا اسم فاعل لا صفة وتطلق على الشمس حين تشرق . وفي ص (١٥٣) : بعل شمين رب السماء وصوابها رب السماوات بالجمع . وفي ص (١٥٥) : بل أي بعل ، مع انها إلهان مختلفان لا إله واحد . ولا نشارك المؤلف قوله في ص (١٦٣) : انه ليس لمعابد الشام وفلسطين هندسة

معينة خاصة ، مع أن المعابد السورية لها طابعها الخاص تتميز به رغم تأثرها بالهندسة اليونانية والرومانية . وفي ص (٢٨٥) : اللون الأبيض هو شعار الحزن في الحجاز والشام حتى الآن ، مع أن الحقيقة شعار الحزن في الشام هو السواد كما في العراق .

ونكرر شكرنا للدكتور المؤلف تقم الله به أمته وزاد في حسناته .



تاريخ المستنصر

في صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز لابن الجاور الشيباني الدمشقي
اعتنى بتصحيحه وضبطه ونشره الاستاذ أوسكر لوفجرين (Oscar Lofgren)
وهو في جزئين من القطع المتوسط ، طبعا في مدينة ليدن في ستي
١٩٥١ و ١٩٥٤

عُثر بين المخطوطات العربية التي جمعها كلود شيفر (Cl. Scheffer) المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس على نسخة من هذا التاريخ وصفها بلوشه (Blochet) في فهرسه بعنوان : (تاريخ لطيف يشتمل على ذكر أكبر بلاد المعمورة تأليف جمال الدين أبو الفضل يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن الجاور الشيباني الدمشقي) وعُثر على نسخة ثانية أحدث عهداً من الأولى في المتحف البريطاني ووصفت في الفهرس باسم (تاريخ المستنصر ، تاريخ لطيف يشتمل على أكبر البلاد المعمورة تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الخ) ، وعرفه بمثل ذلك سبرنجر (Sprenger) ومثله ديرنبورغ (Derembourg) ثم صحح اسم الكتاب ميلز (Melcs) في بعض مذكراته وعرفه بتاريخ (المستنصر) لا (المستنصر) كما توهمه غيره ، وأقره على تصحيحه ج . فيران (G. Ferrand) وقد أيد ذلك ما جاء في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن الخزرجي فيما نقله عن تاريخ المستنصر لابن الجاور .

وقد اهتم بهذا المخطوط منذ العثور عليه عدد من المستشرقين وأعلنوا عنه بأبحاث طويلة ونقلوا الى لغاتهم فصولاً منه . وكتب في عام ١٩١٩ المرحوم فران بحثاً وافياً عنه في المجلة الآسيوية الافرنسية بين فيه قيمة هذا المخطوط العلمية وفوائده من الناحيتين الجغرافية والعمرانية .

وقد عرف المؤلف بموضوع كتابه بقوله : « إن مكة زادها الله شرقاً أم القرى ومصر الأرض المعمورة ، وأحب بلاد الله الى الله ورسوله في السنن المشهورة ، ثم إن أمين ما حولها من البلدان وأبركها مملكة اليمن المخصوص بالبركات الثلاث النبوية في جواهر السنن ، منبع الحكمة ومعدن الفقه والإيمان من سالف الزمن . فخصصت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان البقاع والبلاد والمدن والجبال والبحار وشرح المنازل والمغاني ومقادير المسافات في المناوز والمغار ، ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأي العين وتوقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين في البين . ولا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها من الأخبار وشعر نظم في سلكها قديماً من الأشعار . » وهذا الوصف هو أصدق تعريف بموضوع الكتاب وما تضمنته صحائفه .

إن نسبة هذا الكتاب لابن الجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩١ هـ هي برأبي نسبة خاطئة ، وأعجب كيف لم ينتبه اليها ناشر هذا التاريخ أو غيره ممن تقدموه في وضعه وتدقيقه ومنهم علماء أعلام مثل (فران) و (بروكلمان) مع أن من يمين النظر في المتن يظهر له خطأ هذه النسبة لأسباب عديدة منها :
١ - خلو الكتاب من ذكر القطر الشامي مع أن المؤلف أكثر من ذكر بغداد وخوارزم وخراسان والري وكشك والهند والسند وغيرها من بلاد المشرق مما يدل منه على مبلغ علاقة المؤلف بهذه البلاد ومعرفة لها دون بلاد الشام ويؤيد ذلك قوله في ص ٤ : (حدثني هندي بالهند) ، وفي ص ٦٤ : (حدثني محمد ابن رزق الله قال لي : هل ترون في خراسان كوكب سهيل ؟ قلت : لا والله) .

وفي قوله ص ١٨٩ عن النسيج التتوحي : (ولبس جميع نساء العرب وجميع التركمان والكرد واليازج ونساء أهل سيستان الى الآن منه) .

٢ - تردّد المؤلف كثيراً بين الأشعار الفارسية وبعضها من نظمه وذكره أيضاً مصطلحات فارسية كقوله في الكلام عن الأديم المدبوغ ص ١٣ : (ويسميه العجم أديم خوش وفي كشك من أعمال الهند كذلك) ، وقال عن الحرباء ص ٢٣٤ : (ويسميه أهل خراسان آفتاب پرست ويسمى في زاولستان سكند) ، وقال أيضاً في ص ٢٣٥ : (ويسميه أهل نهاوند ر كثرله) .

٣ - ذكر في ص ٩٧ : (قال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود) وذكر في ص ٢٥٢ : (كتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري لجعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدده ويهينه) .

لم يبق بعد الشواهد التي أوردناها شك بأن ابن المجاور المؤلف هو غير سميه المعاصر له ابن المجاور الشيباني الدمشقي الذي نسب إليه هذا التاريخ ويمكننا أن نهتدي الى اسم المؤلف بتعريفه : (بابن المجاور البغدادي النيسابوري) ونلاحظه بنسب والده محمد بن مسعود بن علي فميزاً له عن ابن المجاور الشيباني الدمشقي . مع الاعتراف بصعوبة تحقيق هذا المخطوط لفقدان عناصر المقابلة للاستعانة بها والابتداء الى أوجه الصواب لبعض الأعلام والألفاظ فقد كان بالإمكان تلافى أكثر هذه الأخطاء لو تعهدته يد خبيرة بشؤون الجزيرة العربية وأكثر اطلائاً على ماضيها وحاضرها .

لا تغني هذه الطبعة رغم جهود الناشر المشكورة عن إعادة طبعه مرة ثانية بسناية وتدقيق يؤمنان الفائدة التامة من نشر هذا التاريخ القيم .
ومما يؤخذ على الناشر أهماله تنظيم فهرس للأعلام والأماكن وغيرهما من مستلزمات النشر في عصرنا الحديث :

M. J. J. Rager — Les musulmans algériens en France
et dans les Pays Islamiques — Paris 1950.

المسلمون الجزائريون في فرانسة والديار الإسلامية

تأليف جان جاك راجه

نشر كلية الآداب في الجزائر . وهو في (٣٥٣) صفحة قطع الوسط

طبع في باريس سنة ١٩٥٠

عالج المؤلف في هذا الكتاب ناحية هامة من حياة مسلمي الجزائر وهجرتهم الى فرانسة والديار الإسلامية ، وبحث العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية التي حملتهم على هذه الهجرة الواسعة . دعم المؤلف دراسته بإحصاءات صحيحة استقاها من مراجعها الرسمية زادت في فائدة الكتاب وقيمتها العلمية .

نسب المؤلف الهجرة الى الديار الإسلامية في القرن التاسع عشر أي بعد الاحتلال الفرنسي إلى عوامل دينية وأتفة المسلمين من الخضوع الى سلطان دولة غير مسلمة ، فانحصرت الهجرة الى تونس ومراكش ومصر وولايات الدولة العثمانية .

وبعد أن تم احتلال القطر الجزائري وتمركز المستعمر فيه حالت السلطات الفرنسية دون هجرة أهاليه الى خارج البلاد لتوفر للمستعمرين اليد العاملة التي تحتاجها مشاريعهم الزراعية والصناعية ، فعمدت لذلك إلى إفقار السكان باغتصاب أراضيهم وإشاعة الجهل بينهم لترغيمهم على طلب الرزق والعمل في مزارع المستعمرين الشاسعة ومعاملهم الواسعة . ولكن تكاثر السكان واستعمال الآلات الزراعية خلق أزمة عمل وانتشرت البطالة في طول البلاد وعرضها مما حمل القادرين على العمل على أن يبحثوا عن مورد جديد خارج البلاد يموض عليهم ما فقدوه في بلادهم فتسربوا الى فرانسة التي كانت تشكو قلة اليد العاملة وغلاء أجورها ، فرحبت المصانع الفرنسية بهذه الهجرة وشجعتها حتى بلغ ، حسب الإحصاء الأخير ، عدد المهاجرين الجزائريين الى فرانسة في عام ١٩٤٨ (٢٣٠.٠٠٠) عامل .

إن المتصف الذي يطالع هذا الكتاب يتجلى له من خلال الاحصاءات البؤس المخيم على الشعب الجزائري ، هذا البؤس الذي نعهده المستعمر وهياً أسبابه وتفنن بأساليبه ، لا يسعه إلا أن يرى في ثورة الشعب الجزائري الباسل القائمة على جلاله نجواباً طبيعياً على ظلم الاستعمار وتعسف ، ودفاعاً مشروعاً عن كيانه ودوام بقائه .

وفي الكتاب وثائق ومعلومات قيمة لدراسة تاريخ الجزائر الحديث فيها عون للباحث وفائدة للقاري ، يشكر عليها المؤلف .



بطولات من تاريخنا

تأليف : محمد سليم رشدان

طبع في بيروت سنة ١٩٥٦ ، نشرته دار الحكمة وهو في (١٩٥) صفحة من القطع الصغير
جمع المؤلف من قصص بطولات العرب كل طريف ، ودون من مآثرهم الخالدة كل تليد ، وصور مواقفهم الرائعة بأسلوب لطيف وأصبغ عليها ظلالاً من الخيال أبرز معها ما يسترعي الانتباه ويذكي الحماسة في النفوس . ويهدف المؤلف من هذا الكتاب - كما كان هدفه في كتابه في ظلال النبوة - إلى أن يظهر لمن تنكروا لتاريخهم مآثر العرب ويعيد لذاكرتهم مواقف السلف وما حملت من دروس وعبر لعل الذكرى تنفعهم . وقد بلغ الكاتب بجهد غابته إذ جمع في كتابه بين المنمة والعظة ، وبين الأدب الرفيع والتوجيه القومي الصحيح فنفذ بها إلى الأعماق وزود بأطيب الزاد من بأذنه صمم .

تلقى عناوين فصول الكتاب : طلائع المجد ، ورجل يطلب الشهادة ، والحاكم العادل ، وفاتحون رحماء ، ولا يبيع دينه بدنياه ، وقدوة لكل زعيم ، وأمر لا يعين على معصية ، نوراً على موضوع الكتاب وهدف مؤلفه وعقيدته . لا يخلو الكتاب من أخطاء مطبعية أو زلة قلمية يدركها القاري . نشكر

للمؤلف جهده وسمو غايته .



جعفر الحسني

آراء وأنباء

المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد^(١)

يطيب لي أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية السوري الى شقيقة المصري ،
بل تحية العربي الى أخيه العربي . أعز الله لغة القرآن بجهد أدباء مصر وعلمائها
الاعلام ، وأعز أرض الكنانة بل الوطن العربي كله بجهد المخلصين البررة
من أبناء مصر العزيزة : رئيساً وحكومةً وشعباً .

وبعد لقد كثرت الكلام في القديم والحديث على ما سموه ألفاظاً مولدة وألفاظاً
عامية ، وعلى ما يجوز وما لا يجوز استعماله منها .

ومن المتعارف أن ما يسمى كلام المولدين هو الألفاظ التي لم يضعها أو لم
يصطلح عليها عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، أي أنها تلك التي استعملت بعد
أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة
العرب ، وهي آلاف مؤلفة من الكلمات ، لم تذكر المعجمات أكثرها ، أو ذكرت
بعضها ولكنها خصته بقولها هذا كلام مولد أو كلام عامي أو بقولها هذه لغة
مصرية أو شامية أو مثل ذلك .

وقد كان هذا المجمع الموقر اتخذ قراراً قال فيه : المولد هو اللفظ الذي
استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسبان : قسم جروا فيه على أقبسة
كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير
ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشاذلي نائب رئيس المجمع العلمي العربي في حفلة افتتاح
الدورة الثالثة والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

وقسم خرجوا فيه على أقبسة كلام العرب ، إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره « قرار التعريب » ؛ وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخرج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالياً . والمجمع لا يميز النوعين الأخيرين سبب فصيح الكلام . انتهى .

ويرى الزملاء الأعلام أن المهم في هذا الموضوع إنما هو تمييز ألفاظ القسم الأول التي أجاز المجمع استعمالها ، من ألفاظ القسم الثاني التي لم يميز استعمالها في فصيح الكلام . فالمتشددون من كتاب العربية في القديم والحديث يتحاشون استعمال جميع الكلمات المولدة والعامية ، بإشارة للسلامة ، وذهاباً إلى أن فصحاء العرب لم ينطقوا بها ، وبذلك تخسر لغتنا الضادية ثروة من الألفاظ الحسنة . أما المتساهلون فقد يستعملون من المولد ألفاظاً سائفة ، وقد يستعملون أيضاً ألفاظاً لا وجه لها البتة ، ويكون في تساهلهم هذا مجال واسع للأخذ والرد .

وهاكم بعض الأمثلة على ذلك :

فكلمة الغراسة أي صناعة غرس الشجر لم ترد في المعجمات في مادة غرس . بل وردت عفواً في التاج واللسان في الكلام على مادة : خرَجَ ، واستعملت في الكتب الزراعية القديمة . وهي مصدر على وزن فعالة صيغت قياساً من الفعل الثلاثي غرسَ . وليس فيها تحريف في اللفظ ولا في الدلالة ، فهي إذن من الألفاظ التي سوء المجمع استعمالها في القسم الأول من كلامه على المولد . وعلى الرغم من ذلك كنت قرأت لأحد الكتاب مقالاً ينكر فيه استعمال مصدر الغراسة لأنه لم يذكر في المعجمات ، حتى لكان هذه المعجمات قد اشتملت على جميع ما في لساننا من كلم .

ومن المصادر التي يستعملها الفلاحون الشاميون بمعنى القطع والتقليم والتقصيب مصدر الزبارة ، فهم يستعملونه على الأخص في تقليم الكروم فيقولون :

نحن ذاهبون إلى الزبارة وقد زيرت كرمي . وعدم ورود هذا الفعل في المعجمات ليس دليلاً على وجوب اطراحه مادام جامعاً لثلاث صفات : صحة القياس ، وشيوعه في قطر عربي ، ووروده في كتب قديمة يُعتد بها كفردات ابن البيطار « مادة قفر اليهود » ، وكتاب الفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وكتاب نفح الطيب « كلام الغزال ج ٢ ص ٣٧٢ » وغيرها .

وها كم كلمة باقية فأنتم تعلمون أنها في كتب اللغة للبقول ، وأن الطاقة للزهر . ولكنني وجدت الباقية مضافة إلى الزهر في كثير من الكتب القديمة ولا سيما في الأغاني وفي نهاية الأرب . وكلمة (Bouquet) الفرنسية لها مدلول الطاقة والباقية جميعاً . والتمييز في لساننا حسن ، ولكن هل من الضروري ياترى أن نقسّد في اتباع نص المعجمات على الرغم من شيوع الباقية لحزمة الزهر ، أم من الأصح تضمينها أيضاً هذا المعنى ؟

وهناك أسماء أعيان كثيرة تنطق بها العامة ، ولا ذكر لها في المعجمات ولكنها ذكرت في كتب الزراعة والنبات والمفردات الطبية القديمة . فمعظم هذه الأسماء جدير بأن يقره المجمع ولا سيما عندما يكون سارياً على الألسنة ، ففي أحراج سورية ولبنان مثلاً شجر اسمه الشّوح ، واسمه العلمي تنّوب قيليقيّة ، وكلمة شرح هذه شائعة في قطرنا ، ولا وجود لها في معاجمنا ، ولكنها موجودة في مخطوطات يرجع عهدها إلى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي .

وفي أحراجنا أيضاً نوع من البلوط اسمه المألّول نراه إلى جانب نوع ثان اسمه السّنديان ؛ فإذا رجعنا إلى القاموس المحيط نجد فيه ذكراً للسنديان ولا نجد ذكراً للمألّول . فهل تفسير ذلك عند المتشددّين أنه يجوز لنا استعمال الاسم الأول لأن الفيروزابادي عرفه أو نقله عن الفارسية ، ولا يجوز استعمال الاسم الثاني ، على الرغم من اشتهاره ، لأنه معدود عندهم من كلام العامة ؟

وثمة أسماء أعيان عديدة تبدل اليوم مدلولها . ولا بد لنا من تضمينها

المعاني الجديدة ، مثالها كلمة « الفل » فهي تطلق في المعجمات ، وفي كتب المفردات القديمة ، على نبات طبي لا صلة له بالنبات المشهور الذي يسمى علياً باسم الياسمين الزنبقي ، وهو تلك الأزهار البيض التي يجعلها زخارو القاهرة عقوداً جميلة تستهوي الحسان ، مثلما تستهويننا مناداة الزهرين لها بقوطم « فل يا فل » . فالدلالة الحديثة لهذه الكلمة لم يذكرها إلا الزبيدي في مستدرك التاج والخفاجي في شفاء الغليل . فهلا يكون من واجبنا تضمين كلمة الفل هذا المعنى المشهور ، وأن ندع أطباءنا الاعلام يفتشون عن عقارهم القديم في مظانه ؟

ومثل الفل الفل في مصر والفيلة في الشام والقيقب والازاد رخت والزيزفون والسليج والشيلم والكشش وغيرها فكها أسماء تبدلت مدلولاتها في أيامنا هذه عن مدلولاتها في المعجمات .

ومن أسماء النباتات الشائعة التي لم تذكرها المعجمات ولكنها وردت في كتب قديمة أو حديثة البامية المشهورة ، والنيل وهو نباتيا نوع من جنس الخطمي ، والفنتة تطلق على نوع من السنط ، والدفران وهي كلمة مصرية تطلق على عرعر الشام ، والعذر وهي شامية يطلقونها على نوع من البلوط مشهور في أحراج الازقية وجبل العلوبين .

أما النباتات والحيوانات المشهورة التي مهدها أمريكة أي لا ذكر لها في معاجنا فعددها كبير : كالتبغ والبطاطس والبطاطة الحلوة والبنادورة « القوطبة والطماطم » والذرة الصفراء « الذرة الشامية » والونيلية والكافور والجوانفة والديك الرومي « أو الحبشي أو الهندي » واللامة الخ . فكها تحتاج الى تثبيت في معاجنا الحديثة . وأما نباتات العالم القديم المشهورة التي جهلها أجدادنا ولم يذكروها في معجماتهم ولا في كتبهم العلمية فعددها أكبر من النباتات التي مهدها أمريكة ومنها المندرين وليمون الجنة « جريب فروت » والشاي والكافور والقشدة والفول السوداني (ويسمى فستق العبيد في الشام) والأوكالبتوس والكينا ونوت الأرض

(فراولة) وزعرور اليابان (بشملة في مصر وايبكي دنيا في الشام) الخ . .
والشادوف في الزراعة أداة للسقي تستعمل في مصر منذ أيام الفراعنة الأول .
وقد نُقلت كلمة الشادوف هذه الى الفرنسية ، وأثبتت في معجماتها ، على حين
أن معجماتنا خالية منها .

وكذلك الساقية تطلق في مصر على ضرب من الدواليب ' يستعمل في رفع
الماء . فقد اقتبس الفرنسيون هذا الاسم وضموه الى لسانهم ، وأثبتوه في معجماتهم ،
على حين أننا نعدم بهذا المعنى من ألفاظ العامة .

واذا انتقلنا الى ألفاظ المعاني المشهورة نجد منها لدى العامة عدداً لا يستهان به .
وليس كل هذه الألفاظ مرذولاً يجب تجنبه ؛ ولو كان الأمر كذلك لما عاش
بعضها قروناً ، ولما ورد ذكرها في كتب قديمة أصحابها معروفون بسلامة لغتهم .
فابن العديم مثلاً استعمل في تاريخ حلب كلمة النُصْبَة بمعنى الفرسة ، والقَسْطَل
بمعنى الأنبوب المعدني ، وكلاهما مشهور بمعناه في أيامنا هذه . واستعمل عبد اللطيف
البغدادي في كتاب الإفادة والاعتبار كلمة فَسَخ ، وابن العوام الإشبيلي كلمة
مَانَخ ، وجهما على فُسُوخ ومُلُوخ ، وأطلقاها على المفسوخات والمملوخات أي
الامتنعان الحشيشية التي برزت لها جذور ، فهي تُفصل عن نباتاتها وتُزرع ،
كمفسوخات الحرشف « الخرشوف » وكثير من نباتات التزيين . والفلاحون
يسمون واحدتها فَسَخَة ومَلَخَة .

ومن الألفاظ المشهورة في مصر والشام الشَتْل والشِتْلَة تُطلقان فيهما على الفرُس
والفرسة ، ولا سيما على ما يُزرع منها في الأحصص أو في المستنبتات ، ثم يُنقل
الى مستقره في البستان أو في الحديقة أو المبقلة . وقد اشتقوا من فعل شَتَلَ
امم مكان هو الشَتْل يطلقونه على المبتت والمستنبت فالشتل سريانية عندي أدلة
على أنها قديمة في مصر ولا سيما في الشام .

هذه كلمات جئت بها على صييل التثليل وعندى مثلها مثات . ومن الواضح أنها تختلف عن الكلمات العامية الأعجمية أو المحرفة في لفظها أو في دلالتها ، وهي التي لا يمكن فيها التخرج على وجه صحيح كقول القدماء سنجدار وطردار وشاهنشاه ، وقول المعاصرين باشمهندس وحكيمباشي وياور وأجزاجي وبوزباشي وجفتلك وأشباه هذه الألفاظ التي يمكن إبدال كلمات عربية منها بلا مشقة . والزملاء الأفاضل أعرف الناس بأن الحاجة ماسة الى نخل الألفاظ المولدة والعامية « ولا سيما تلك التي جمعها دوزي في معجمه » والى عرض نخيلها على المجمع الموقر ، ليقر الصالح من تلك الألفاظ فلا يجد الكتاب حرجاً في استعمالها سواء أكانوا من المتشددين أم كانوا من المتساهلين .

وهذا العمل شاق . ولكنه لا يستعصي على جهابذة العلم واللغة في أرض الكنانة التي طالما أنبت علماء أثباتاً غزت بهم لغة القرآن .

الشهابي



تعديل النظام الداخلي للمجمع العلمي العربي

كان المجمع العلمي العربي قد نظر ، في إحدى جلسات السنة الماضية ، في نظامه الداخلي ، واقترح تعديل بعض مواده . فوافق مجلس الوزراء السوري على ذلك ، وصدر المرسوم ٤٧٢ المؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٥٧ بإقرار ما اقترحه المجمع . وفيما يلي نص هذا التعديل :

١ - تعديل المادة الرابعة من المرسوم رقم (٢٣٥٠) تاريخ ١ / ١١ / ١٩٤٨ وتصبح على الشكل التالي :

إذا قرر المجمع العلمي العربي ملء المحل الشاغر طلب الرئيس في جلسة عادية الى الأعضاء العاملين أن يرشح من يشاء منهم أحد العلماء الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ، ويكون الترشيح ببيان كتابي بمنزلة المرشح العلمية وصفاته الأدبية يرسله العضو الى رئاسة المجمع العلمي خلال شهر واحد اعتباراً من تاريخ طلب الترشيح . ولا يقبل الترشيح إلا إذا زكى المرشح عضوان عاملان . ولا يجوز أن يرشح أو يزكي العضو العامل أكثر من مرشح واحد ملء شاغر واحد وليس له أن يجمع بين التزكية والترشيح .

٢ - يضاف الى المادة السادسة من المرسوم المذكور الفقرة التالية :

بدون أمين السر العام ضبط هذا الاجتماع المتعلق بانتخاب أحد المرشحين عضواً عاملاً في سجل خاص موفت الى أن يستطلع الرئيس رأي المرشح المنتخب ، فإذا وافق صراحة دون الضبط نهائياً في سجل ضبوط الجلسات .

٣ - يضاف الى المادة (٣٠) الفقرة التالية :

وعضوا اللجنة الإدارية اللذان تنتهي مدة تعيينهما بشايران على القيام بأعمالهما الى أن يصدر القرار الوزاري القاضي بتعيين خلف لهما .

اجتماع اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية

كنا وقفنا الجزء الأخير من هذه المجلة ، الصادر في ١ كانون الثاني ١٩٥٧ ، على مؤتمر الجامعات اللغوية العلمية العربية الذي انعقد في دمشق ، ونشرنا فيه ما ألقاه أعضاء المؤتمر من أبحاث ومقترحات ، وما أقر بعد الدراسة من توصيات . وكان من بين توصيات المؤتمر تأسيس اتحاد للجامع اللغوية العلمية العربية ، ينظم الاتصال بينها وينسق أعمالها ...

وقد أقر مجلس جامعة الدول العربية هذه التوصيات ، وعهد إلى الإدارة الثقافية في التمهيد لعقد الاجتماع الأول لهذا الاتحاد ، وكان من ذلك أن يقرر عقده في القاهرة ، يوم السبت ٢٣ آذار ١٩٥٧ والأيام التي تليه . أما موضوع البحث فيه فهو دراسة مشروع قانون لاتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية ، كانت الإدارة الثقافية قد أعدته وبمشت به إلى أعضاء الاتحاد للنظر فيه .

وكان المجمع العلمي العربي قد عقد جلسة خاصة بدراسة هذا المشروع ، ورغب إلى وفده إلى اجتماع الاتحاد الأول بسط ما يراه المجمع في بعض مواد المشروع . وقد شتخص إلى القاهرة الأستاذة : الأمير مصطفى الشهابي والسيد شفيق جبري والدكتور جميل صليبا لتمثيل المجمع العلمي العربي في هذا الاجتماع الأول لاتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية .

ونثبت فيما يلي المشروع المعروض الآن على البحث :

مشروع قانون اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية

الفصل الأول : تكوين الاتحاد وأغراضه

المادة الأولى - اتحاد الجامعات اللغوية العلمية العربية هيئة لغوية علمية مركزية مقرها ٠٠٠٠ ، يتكون من الجامعات اللغوية العلمية في كل بلد عربي ، ومن الشعب التي تتكون في كل قطر عربي ليس فيه مجمع . وغاية الاتحاد تنظيم الاتصال بين الجامعات العربية وشعب الاتحاد وتنسيق جهودها ورسم مناهج العمل لتحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الانسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة ، لكي تستعيد اللغة العربية صيرتها الأولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتجاري في العصر الحاضر مع اللغات العالمية الماثلة .

المادة الثانية - يدير الاتحاد مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء عن كل مجمع تختارهم الجامعات لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وعضو مراقب عن كل شعبة في دول الجامعة العربية التي لم ينشأ فيها مجمع بعد تختاره الشعبة للمدة نفسها ، وعضو مراقب عن الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تختاره لكل اجتماع ، ويتمتع الأعضاء والمراقبون بما يتمتع به أعضاء الاتحاد ، ومجلس الاتحاد هو السلطة العليا فيه .

المادة الثالثة - تكون اجتماعات مجلس الاتحاد قانونية بحضور أكثر من نصف الأعضاء ، وتؤخذ القرارات بأغلبية الحاضرين من الأعضاء ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح جانب الرئيس .

المادة الرابعة - ينتخب مجلس الاتحاد من بين أعضائه رئيساً ، ونائباً له من كل مجمع ، عدا المجمع الذي ينتخب منه الرئيس ، وأميناً عاماً وأميناً للصندوق .

ويكون انقضاءهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . ويراعى أن يكون الأمين العام وأمين الصندوق مقيمين في مقر الاتحاد .

المادة الخامسة — يقوم الأمين العام بتصرف الأمور الإدارية وتنفيذ قرارات المجلس .

المادة السادسة — يجتمع مجلس الاتحاد مرة كل سنة على الأقل ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس . وكذلك يجتمع المجلس كلما طلب الاجتماع بجمعان أو أكثر .

المادة السابعة — يضع مجلس الاتحاد لائحة داخلية تنظم أعماله .

الفصل الثاني : اختصاصات مجلس الاتحاد

المادة الثامنة — العمل على تنفيذ أغراض الاتحاد وتحقيق أهدافه .

المادة التاسعة — دراسة الميزانية السنوية وإقرارها .

المادة العاشرة — عقد مؤتمر الجامعات اللغوية العلمية العربية بصورة دورية مرة كل ثلاث سنوات ، وتقرير الاجتماعات والمؤتمرات الأخرى التي يعقدها وبدعو إليها أو يشترك فيها الاتحاد .

المادة الحادية عشرة — تحديد الموضوعات التي تعرض في تلك الاجتماعات أو المؤتمرات وتنظيم أعداد الدراسات المتعلقة بها .

المادة الثانية عشرة — الاتصال بالجامع اللغوية العلمية لتنسيق جهودها ، وتبضع نشاطها ، وتوجيه هذا النشاط بما يتفق وأهداف الاتحاد .

المادة الثالثة عشرة — الاتصال بوزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار العربية وبالإدارة الثقافية بجامعة الدبل العربية والاتحاد العلمي العربي ، وبالهيئات والجمعيات اللغوية والعلمية لتبادل الأبحاث والدراسات والأشخاص وتنسيق الأعمال وتنظيم الصلات .

- المادة الرابعة عشرة — دراسة المقترحات التي ترد من الشعب أو الهيئات العلمية أو الأفراد والعمل على تنفيذ ما يقر منها .
- المادة الخامسة عشرة — دراسة توصيات مؤتمرات المجامع اللغوية العلمية العربية ومتابعة تنفيذ ما يتقرر منها نهائياً .

التصل الثالث : تكوين الشعبة واختصاصاتها

- المادة السادسة عشرة — تتكون الشعبة في كل قطر عربي من :
- ١ — المجمع اللغوي العلمي في الأقطار التي فيها مجامع .
 - ٢ — هيئة تختار أعضائها وزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار التي لم تنشأ فيها مجامع بعد — ويراعى في اختيارهم أن يكونوا من العلماء المبرزين وذوي اختصاص في الموضوعات التي تهمي بها المجامع ، مثل : اللغة والمصطلحات والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر الخ . .
- بحيث تكون هذه الشعبة نواة لمجمع ينشأ في القطر حين تسمح إمكانياته بذلك .
- المادة السابعة عشرة — يدير الشعبة مكتب مكون من ثلاثة أعضاء على الأقل تنتخبهم الشعبة وهم : رئيس وأمين عام وأمين صندوق .
- المادة الثامنة عشرة — تقوم الشعبة بتنفيذ أغراض الاتحاد وتسمى الى تحقيق أهدافه وذلك بالطرق الآتية .
- ١ — الاتصال بالجهات الرسمية والأهلية المختصة لتنفيذ مقررات الاتحاد .
 - ٢ — تنظيم اجتماعات ومحاضرات وندوات وحلقات دراسية وإصدار نشرات ومطبوعات علمية .
 - ٣ — تقديم اقتراحات للاتحاد ، سواء أكانت من أعضاء الشعبة أم من الهيئات والأفراد بعد دراستها .
 - ٤ — تقديم تقرير سنوي عن أعمال الشعبة الى مجلس الاتحاد .

الفصل الرابع : مالية الاتحاد والشعب

المادة التاسعة عشرة - تتكون مالية الاتحاد من الموارد التالية :

- ١ - الإعانة المالية السنوية التي تقدمها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .
- ٢ - الإعانات المالية التي تقدمها الحكومات .
- ٣ - مساهمة الشعب .
- ٤ - الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد وبوائق على قبولها مجلس الاتحاد .
- ٥ - ما يدخل صندوق الاتحاد من اشتراكات وإيرادات كإيرادات المجلة التي قد ينشئها الاتحاد .

المادة العشرون - تتكون مالية الشعب من الموارد الآتية :

- ١ - الاشتراكات .
- ٢ - المنح الحكومية .
- ٣ - الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد وبوائق على قبولها مكتب الشعبة .
- ٤ - الموارد الأخرى .

الفصل الخامس : تعديل قانون الاتحاد

المادة الحادية والعشرون - يجوز لمجلس الاتحاد أن يعدل هذا القانون بموافقة ثلثي أعضائه ، على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة الى الاجتماع .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

صفحة

٢٤١	حول النصحي والمامية	للأستاذ ساطع الحصري
٢٦٧	الامتلاحات الفلسفية (٥)	للدكتور جميل صليبا
٢٨٢	مراجعة كتاب فيه اختصار الجبر والمقابلة	للأستاذ قدري حافظ طوقان
٢٨٩	تحقيقات حول نقد النزالي (١)	للدكتور حكمة هاشم
٣٠٣	حملة نابليون على مصر (وثيقة)	للأمير جعفر الحسيني
٣٠٨	الترمذي صاحب الجامع في السنن	للأستاذ محمد يوسف البنوري
٣٢٧	أعراس الشام في أواخر القرن التاسع	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٣٣٨	أبو الفتح بن جني (٩)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

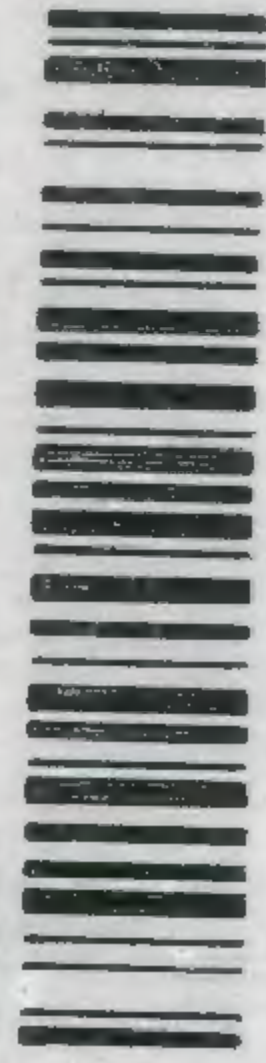
٣٥٣	كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر	للأستاذ شفيق جبري
٣٥٥	النكبت بن زيد الأسدي	
٣٥٨	أحاديث القرية	
٣٦٠	مجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد	
٣٦٤	أي شئ ؟	للأمير مصطفى الشهابي
٣٦٥	علم الأمراض الباطنة (الجزء السابع)	للدكتور أسعد الحكيم
٣٦٧	عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٠	القرآن والترجمة	
٣٧٢	جوهر الدين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين	
٣٧٤	نجمي (ديوان شعر للأستاذ عبدنان مردم بك)	
٣٧٧	حول كتاب « نظرية أعمال السيادة »	للدكتور سامي الدهان
٣٧٩	الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة	للدكتور مصطفى البارودي
٣٨١	تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الرابع)	
٣٨٢	تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الخامس)	
٣٨٣	تاريخ المنبر	
٣٨٦	المسلمون الجزائريون في فرنسا والديار الإسلامية	للأمير جعفر الحسيني
٣٨٧	بطولات من تاريخنا	

آراء وأنباء

٣٨٨	المولد والماي في علوم الزراعة والموايد	للأمير مصطفى الشهابي
٣٩٤	تعديل النظام الداخلي للجمع العلمي العربي
٣٩٥	اجتماع انحاء الجامعات القوية العلمية العربية



Bibliotheca Alexandrina



0652719